بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدلله ربّ العالمين ، والصلاة على سيّد الموحّدين و فخر العارفين محمّد و أهل بيته الطاهرين الغرّ الميامين .

كتاب التوحيد : وهو المجلّد الثاني من كتاب بحار الأنوار تأليف المذنب الخاطىء الخاسر محمّد المدعوّ بباقر ابن مروّج أخبار الأئمّة الطاهرين و محيي آثار أهل بيت سيّد المرسلين صلّى الله عليه و آله أجمعين محمّد الملقّب بالتقيّ حشره الله تعالى مع مواليه شفعاء يوم الدين .

﴿ باب ١ ﴾

﴿ثواب الموحدين و العارفين ، و بيان وجوب المعرفة و علته﴾
﴿ و بيان ماهو حق معرفته تعالى ﴾

١ ــ **يد ، لي** : حمزة بن محمّد بن أحمد بن جعفر العلويّ ، عن عليّ بن إبراهيم ، عن إبراهيم بن إسحاق النهاونديّ ، عن عبدالله بن حمّاد الأنصاريّ ، عن الحسين بن يحيى ابن الحسين ، عن عمرو بن طلحة ، عن أسباط بن نصر ، عن عكرمة ، (١) عن ابن عبّاس قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : والّذي بعثني بالحقّ بشيراً لايعذّب الله بالنار موحّداً أبداً وإنّ أهل التوحيد ليشفعون فيشفّعون . ثمّ قال صلّى الله عليه وآله : إنّه إذا كان يوم القيامة أمر الله تبارك وتعالى بقوم ساءت أعمالهم في دار الدنيا إلى النار ، فيقولون : يا ربّنا كيف تدخلنا النار وقد كنّا نوحّدك في دار الدنيا ؟ وكيف تحرق بالنار ألسنتنا وقد نطقت بتوحيدك في

---

(١) بكسر العين المهملة وسكون الكاف وكسر الراء المهملة هو مولى ابن عباس يكنى أباعبد الله كان من علماء العامة ، سمع من ابن عباس ، مات سنة ١٠٥ او ١٠٧ على إختلاف ولم يرد من الاخبار أو علماء الرجال مايدل على توثيقه .

دارالدنيا ؟ و كيف تحرق قلوبنا وقدعقدت على أن لا إله إلّا أنت ؟ أم كيف تحرق وجوهنا وقد عفّرناها لك في التراب ؟ [1] أم كيف تحرق أيدينا و قدرفعناها بالدعاء إليك ؟ فيقول الله جلّ جلاله : عبادي ساءت أعمالكم في دارالدنيا فجزاؤكم نار جهنّم . فيقولون : ياربّنا عفوك أعظم أم خطيئتنا ؟ فيقول تبارك وتعالى : بل عفوي ، فيقولون : رحمتك أوسع أم ذنوبنا ؟ فيقول عزّوجلّ : بل رحمتي ، فيقولون : إقرارنا بتوحيدك أعظم أم ذنوبنا ؟ فيقول تعالى : بل إقراركم بتوحيدي أعظم ، فيقولون : ياربّنا فليسعنا عفوك و رحمتك الّتي وسعت كلّ شيء ، فيقول الله جلّ جلاله : ملائكتي ! وعزّتي وجلالي ماخلقت خلقاً أحبّ إليّ من المقرّين بتوحيدي ، وأن لا إله غيري : وحقّ عليّ أن لا أصلي أهل توحيدي ، ادخلوا عبادي الجنّة .

بيان : قوله : وحقّ عليّ الظاهر أنّه اسم أي واجب ولازم عليّ ، و يمكن أن يقرأ على صيغة الماضي المعلوم والمجهول ؛ قال الجوهريّ : قال الكسائيّ : يقال : حقّ لك أن تفعل هذا وحققت أن تفعل هذا بمعنىً ، و حقّ له أن يفعل كذا وهو حقيق به و محقوق به أي خليق له ، وحقّ الشيء يحقّ بالكسر أي وجب . وقال : يقال : صليت الرجل ناراً : إذا أدخلته النار و جعلته يصلاها ، فإن ألقيته فيها إلقاءاً كأنّك تريد الإحراق قلت : أصليته «بالألف» وصلّيته تصلية . وقال : صلي فلان النار يصلى صليّاً احترق

٢ ـ يد ، لي : الحسن بن عبدالله بن سعيد ، عن محمّد بن أحمد بن حمدان القشيريّ عن أحمد بن عيسى الكلابيّ ، عن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر ، [2] عن أبيه

(١) عفّر وجهه بالتراب أى مرّغه ودسّه فيه .

(٢) هو صاحب كتاب الجعفريات ، المترجم فى ص ١٩ من رجال النجاشي بأنه سكن مصر وولده بها ، وله كتب برويها عن أبيه ، عن آبائه ، منها : كتاب الطهارة ، كتاب الصلاة ، كتاب الزكاة ، كتاب الصوم ، كتاب الحج ، كتاب الجنائز ، كتاب الطلاق ، كتاب النكاح ، كتاب الحدود ، كتاب الدعاء ، كتاب السنن والاداب ، كتاب الرؤيا . أخبرنا الحسين بن عبيدالله قال : حدثنا أبومحمد سهل بن أحمد بن سهل ، قال : حدثنا أبو علي محمد بن محمد الاشعث بن محمد الكوفى بمصر قراءة عليه ، قال حدثنا موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر قال : حدثنا أبى بكتبه انتهى . أقول : ويسمى الجعفريات الاشعثيات أيضا لرواية محمد بن محمد الاشعث ذلك ، وللعلامة النورى حول الكتاب و صاحبه كلام فى ج ٣ من المستدرك ص ٢٩٠ .

عن أبيه جعفر بن محمّد، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: هل جزاء الإحسان إلّا الإحسان، قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: إنّ الله عزّ وجلّ قال: ما جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلّا الجنّة.

ما: شيخ الطائفة، عن الحسين بن عبيدالله الغضائريّ، عن الصدوق بالإسناد مثله.

ما: جماعة، عن أبي المفضّل، عن أحمد بن إسحاق بن عبّاس بن إسحاق بن موسى ابن جعفر، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه موسى بن جعفر، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام مثله.

٣ ـ **ما**: جماعة، عن أبي المفضّل، عن جعفر بن محمّد بن جعفر العلوي، عن محمّد بن عليّ ابن الحسين بن زيد، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: التوحيد ثمن الجنّة. الخبر.

٤ ـ **ع، ل**: في خبر أسماء النبيّ وأوصافه صلّى الله عليه وآله: وجعل اسمي في التورية اُحيد فبالتوحيد حرّم أجساد اُمّتي على النار.

٥ ـ **ثو، يد**: ابن الوليد، عن سعد، عن أحمد بن هلال، عن ابن فضّال، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: ما من شيء أعظم ثواباً من شهادة أن لا إله إلّا الله، لأنّ الله عزّ وجلّ لا يعدله شيء ولا يشركه في الأمر أحد.

بيان: لعلّ التعليل مبنيّ على أنّه إذا لم يعدله تعالى شيء لا يعدل ما يتعلّق باُلوهيّته وكماله ووحدانيّته شيء إذ هذه الكلمة الطيّبة أدلّ الأذكار على وجوده و وحدانيّته، واتّصافه بالكمالات، وتنزّهه عن النقائص، ويحتمل أن يكون المراد أنّها لمّا كانت أصدق الأقوال فكانت أعظمها ثواباً.

٦ ـ **يد**: ابن المتوكّل، عن الأسديّ، عن النخعيّ، عن النوفليّ، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى ضمن للمؤمن ضماناً قال: قلت: وما هو؟ قال: ضمن له إن هو أقرّ له بالربوبيّة، ولمحمّد صلّى الله عليه وآله بالنبوّة، ولعليّ عليه السلام بالإمامة. وأدّى ما افترضه عليه أن يسكنه في جواره. قال: قلت: فهذه

و الله هي الكرامة الّتي لايشبهها كرامة الآدميّين . قال : ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام : اعملوا قليلاً تتنعّموا كثيراً .

٧ ـ يد : الهمدانيّ ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن إبراهيم بن زياد الكرخيّ ، عن أبي عبدالله ، عن أبيه ، عن جدّه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من مات ولايشرك بالله شيئاً أحسن أو أساء دخل الجنّة .

يد : القطّان ، عن السكّري ، عن الجوهريّ ، عن جعفر بن محمّد بن عمّارة ، عن أبيه ، عن جعفر بن محمّد ، عن آبائه ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله مثله .

٨ ـ يد : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن أبي الخطّاب ، عن ابن أسباط ، عن البطائنيّ[(١)] ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : هو أهل التقوى و أهل المغفرة قال : قال الله تبارك و تعالى أنا أهل أن اُتّقى ولايشرك بي عبدي شيئاً ، وأنا أهلٌ إن لم يشرك بي عبدي شيئاً أن اُدخله الجنّة . وقال عليه السلام : إنّ الله تبارك وتعالى أقسم بعزّته وجلاله أن لايعذّب أهل توحيده بالنار أبداً .

٩ ـ يد : السنانيّ ، عن الأسديّ ، عن النخعيّ ، عن النوفليّ ، عن عليّ بن سالم ، [(٢)] عن أبي بصير قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إنّ الله تبارك وتعالى حرّم أجساد الموحّدين على النار .

١٢ ـ ثو ، يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن الحسين بن سيف ، عن أخيه

---

(١) بالباء المفتوحة والطاء المهملة المفتوحة والالف ثم الهمزة المكسورة ، هو على بن أبي حمزة سالم المترجم في ص ١٧٥ من رجال النجاشي بقوله : على بن أبي حمزة ، واسم أبي حمزة سالم البطائنى أبو الحسن ، مولى الانصار ، كوفى . وكان قائد أبي بصير يحيى بن القاسم ، وله أخ يسمى جعفر بن أبي حمزة ، روى عن أبي الحسن موسى وروى عن أبي عبدالله عليهما السلام ، ثم وقف ، وهو أحد عمد الواقفة ، وصنف كتباً عدة ، منها : كتاب الصلاة ، كتاب الزكاة ، كتاب التفسير وأكثره عن أبي بصير ، كتاب جامع في أبواب الفقه . ـ ثم ذكر طرقه إلى كتبه ـ . وروى الكشي في ص ٢٢٥ من كتابه روايات تدل على ذمه جداً .

(٢) هو البطائنى المتقدم .

عليّ ، عن أبيه سيف بن عميرة ، عن الحجّاج بن أرطاة ،(١) عن أبي الزبير ،(٢) عن جابر بن عبدالله ، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال : الموجبتان : من مات يشهد أن لا إله إلّا الله [وحده لاشريك له] دخل الجنّة ، ومن مات يشرك بالله شيئاً يدخل النار .

١١ ـ ثو ، لى ، يد : بالإسناد المتقدّم عن سيف ، عن الحسن بن الصبّاح ، عن أنس ، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله قال : كلّ جبّار عنيد من أبى أن يقول : لاإله إلّا الله .

بيان : إشارة إلى قوله تعالى : وخاب كلّ جبّار عنيد .

١٢ ـ يد : أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الخوزيّ ، عن إبراهيم بن محمّد بن مروان الخوزيّ ، عن أحمد بن عبدالله الجويباريّ ـ ويقال له : الهرويّ ، والنهروانيّ ، والشيبانيّ ـ عن الرضا عليّ بن موسى ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن عليّ عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : ماجزاء من أنعم الله عزّ وجلّ عليه بالتوحيد إلّا الجنّة .(٣)

١٣ ـ يد : وبهذا الإسناد قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : أنّ لاإله إلّا الله كلمة عظيمة كريمة على الله عزّ وجلّ ، من قالها مخلصاً استوجب الجنّة ، ومن قالها كاذباً عصمت ماله ودمه وكان مصيره إلى النار .

بيان : قوله عليه السلام : ومن قالها كاذباً أي في الإخبار عن الإذعان لها والتصديق بها .

١٤ ـ ن ، يد : محمّد بن عليّ بن الشاه ، عن محمّد بن عبدالله النيسابوريّ قال : حدّثنا أبو القاسم عبدالله بن أحمد بن عبّاس الطائيّ بالبصرة ، قال : حدّثني أبي في سنة ستّين ومائتين قال : حدّثني عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام سنة أربع وستّين ومائة ، قال : حدّثني أبي

---

(١) حكى عن رجال الشيخ انه عده من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام ، وعن تقريب أن حجاج بن ارطاة الكوفى القاضى أحد الفقهاء ، صدوق كثير الخطاء والتدليس ، من السابعة ، مات سنة خمس وأربعين أى بعد المائة . انتهى . أقول : لم نقف فى رجال الخاصة على مايدل على توثيقه .

(٢) لم نقف على اسمه وعلى مايدل على توثيقه ، نعم ربما يستفاد مماورد فى ص ٢٢٧ و ٢٢٩ من رجال الكشى فى ترجمة جابر بن عبدالله كون الرجل إمامياً حيث روى عن جابر حديث « على خير البشر ، فمن أبى فقد كفر » ويأتى الحديث فى محله .

(٣) تقدم مثله مع صدر تحت الرقم ٢ .

موسى بن جعفر ، قال: حدّثني أبي جعفر بن محمّد ، قال : حدّثني أبي محمّد بن عليّ ، قال : حدّثني أبي عليّ بن الحسين ، قال : حدّثني أبي الحسين بن عليّ ، قال : حدّثني أبي عليّ بن أبي طالب ـ عليهم السلام ـ قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : يقول الله جلّ جلاله : لا إله إلّا الله حصني فمن دخله أمن من عذابي .

١٥ ـ ن ، يد : محمّد بن الفضل النيسابوريّ ، عن الحسن بن عليّ الخزرجيّ ، عن أبي الصلت الهرويّ[١] قال : كنت مع عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام حين رحل من نيسابور وهو راكب بغلة شهباء فإذا محمّد بن رافع ، وأحمد بن حرب ، ويحيى بن يحيى ، وإسحاق بن راهويه ، وعدّة من أهل العلم قد تعلّقوا بلجام بغلته في المربعة فقالوا : بحقّ آبائك الطاهرين حدّثنا بحديث سمعته من أبيك ، فأخرج رأسه من العمارية ـ و عليه مطرف خزّ ذو وجهين ـ وقال : حدّثني أبي العبد الصالح موسى بن جعفر ، قال : حدّثني أبي الصادق جعفر بن محمّد ، قال : حدّثني أبي أبو جعفر محمّد بن عليّ باقر علم الأنبياء ، قال : حدّثني أبي عليّ بن الحسين سيّد العابدين ، قال : حدّثني أبي سيّد شباب أهل الجنّة الحسين ، قال : حدّثني أبي عليّ بن أبي طالب ـ عليهم السلام ـ قال : سمعت النبيّ صلّى الله عليه وآله يقول : قال الله جلّ جلاله : إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا فاعبدوني ، و من جاء منكم بشهادة أن لا إله إلّا الله بالإخلاص دخل [في] حصني ومن دخل في حصني أمن [من] عذابي

بيان : قال الجوهريّ : الشهبة في الألوان : البياض الّذي غلب على السواد ، و قال : المربع : موضع القوم في الربيع خاصّة . أقول : يحتمل أن يكون المراد بالمربعة الموضع المتّسع الّذي كانوا يخرجون إليه في الربيع للتنزّه ، أو الموضع الّذي كانوا يجتمعون فيه للّعب ، من قولهم : ربع الحجر : إذا أشاله ورفعه لإظهار القوّة ، وسمعت جماعة من أفاضل نيسابور أنّ المربعة اسم للموضع الّذي عليه الآن نيسابور ، إذ كانت البلدة في زمانه عليه السلام في مكان آخر قريب من هذا الموضع و آثارها الآن معلومة ، و كان هذا الموضع من أعمالها وقراها ، وإنّما كان يسمّى بالمربعة لأنّهم كانوا يقسّمونه بالرباع

(١) اسمه عبدالسلام بن صالح وهو ثقة عندالخاصة و العامة ، ومن عداالشيخ والعلامة فى القسم الثانى من الخلاصة صرحوا بكون الرجل إمامياً ، ولكن الشيخ فى رجاله والعلامة فى القسم الثانى قالا : إنه عامى .

الأربعة فكانوا يقولون : ربع كذا وربع كذا ، و قالوا : هذا الاصطلاح الآن أيضاً دائر بيننا معروف في دفاتر السلطان وغيرها . وقال الجوهريّ : المطرف و المُطرف واحد المطارف ، وهي أردية من خزّ مربّعة لها أعلام ، قال الفرّاء : وأصله الضمّ لأنّه في المعنى مأخوذ من أطرف أي جعل في طرفيه العلمان ولكنّهم استثقلوا الضمّة فكسروه .

١٦ ـ ثو ، مع ، ن ، يد : ابن المتوكّل ، عن الأسديّ ، عن محمّد بن الحسين الصوفيّ ، عن يوسف بن عقيل ، عن إسحاق بن راهويه قال : لمّا وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيسابور وأراد أن يخرج منها إلى المأمون اجتمع عليه أصحاب الحديث فقالوا له : يا ابن رسول الله ترحل عنّا ولا تحدّثنا بحديث فنستفيده منك ـ وكان قد قعد في العماريّة ـ فأطلع رأسه وقال : سمعت أبي موسى بن جعفر يقول : سمعت أبي جعفر بن محمّد يقول : سمعت أبي محمّد بن عليّ يقول : سمعت أبي عليّ بن الحسين يقول : سمعت أبي الحسين بن عليّ بن أبي طالب يقول : سمعت أبي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ يقول : سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول : سمعت جبرئيل يقول : سمعت الله جلّ جلاله يقول : لا إله إلّا الله حصني فمن دخل حصني أمن عذابي . [قال] : فلمّا مرّت الراحلة نادانا : بشروطها وأنا من شروطها .

قال الصدوق رحمه الله : من شروطها الإقرار للرضا عليه السلام بأنّه إمام من قبل الله عزّ وجلّ على العباد مفترض الطاعة عليهم .

١٧ ـ يد : أبو نصر محمّد بن أحمد بن تميم السرخسيّ ، عن محمّد بن إدريس الشاميّ عن إسحاق بن إسرائيل ، عن جرير[١] عن عبدالعزيز ، عن زيد بن وهب ، عن أبي ذرّ رحمه الله قال : خرجت ليلةً من اللّيالي فإذا رسول الله صلّى الله عليه وآله يمشي وحده ليس معه إنسان فظننت أنّه يكره أن يمشي معه أحد ، قال : فجعلت أمشي في ظلّ القمر ، فالتفت فرآني فقال : من هذا ؟ قلت : أبوذرّ جعلني الله فداك ، قال : يا أباذرّ تعال ، فمشيت معه ساعةً فقال : إنّ المكثرين هم الأقلّون يوم القيامة إلّا من أعطاه الله خيراً فنفخ فيه بيمينه وشماله وبين يديه وورائه وعمل فيه خيراً . قال : فمشيت معه ساعةً ، فقال : اجلس ههنا

---

(١) وفي نسخة : عن حريز .

ـ وأجلسني في قاع حوله حجارة ـ فقال لي : اجلس حتّى أرجع إليك ، قال : وانطلق في الحرّة حتّى لم أره و توارى عنّي فأطال اللّبث ، ثم إنّي سمعته عليه السلام و هو مقبل وهو يقول : وإن زنى وإن سرق ، قال : فلمّا جاء لم أصبر حتّى قلت : يانبيّ الله جعلني الله فداك من تكلّمه في جانب الحرّة ؟ فإنّي ما سمعت أحداً يردّ عليك شيئاً ، قال ذاك جبرئيل عرض لي في جانب الحرّة فقال : بشّر اُمّتك أنّه من مات لايشرك بالله عزّ وجلّ شيئاً دخل الجنّة ، قال قلت : ياجبرئيل وإن زنى وإن سرق ، قال : نعم و إن شرب الخمر .

قال الصدوق رحمه الله : يعني بذلك أنّه يوفّق للتوبة حتّى يدخل الجنّة .

بيان : قال الجزريّ : فيه : المكثرون هم المقلّون إلّا من نفخ فيه يمينه وشماله ، أي ضرب يديه فيه بالعطاء ، النفخ : الضرب والرمي .

أقول : يظهر من الأخبار أنّ الإخلال بكلّ مايجب الاعتقاد به و إنكاره يوجب الخروج عن الإسلام داخل في الشرك ، والتوحيد الموجب لدخول الجنّة مشروط بعدمه[1] فلايلزم من ذلك دخول المخالفين الجنّة ،[2] وأمّا أصحاب الكبائر من الشيعة فلااستبعاد في عدم دخولهم النار وإن عذّبوا في البرزخ و في القيامة ، مع أنّه ليس في الخبر أنّهم لايدخلون النار ، وقد ورد في بعض الأخبار أنّ ارتكاب بعض الكبائر وترك بعض الفرائض أيضاً داخلان في الشرك ، فلاينبغي الاغترار بتلك الأخبار والاجتراء بها على المعاصي ، و على ماعرفت لاحاجة إلى ماتكلّفه الصدوق قدّس سرّه .

١٨ ـ **ما** : محمّد بن أحمد بن الحسن بن شاذان ، عن أبيه ، عن محمّد بن الحسن ، عن سعد بن عبدالله ، عن محمّد بن عيسى ، عن عليّ بن بلال ، عن محمّد بن بشير الدهّان ، عن محمّد بن سماعة قال : سأل بعض أصحابنا الصادق عليه السلام فقال له : أخبرني أيّ الأعمال أفضل ؟ قال : توحيدك لربّك ، قال : فما أعظم الذنوب ؟ قال : تشبيهك لخالقك .

١٩ ـ **يد** : أحمد بن محمّد بن أحمد بن غالب الأنماطيّ ، عن أحمد بن الحسن بن غزوان ،

(١) وفى نسخة : و التوحيد مشروط بعدمه .

(٢) سيأتى فى أخبار البرزخ مايدل على دخول المخالفين الجنة إذا لم يكونوا ناصبين كرواية زيد الكناسى عن الصادق عليه السلام وغيرها . ط

عن إبراهيم بن أحمد ، عن داود بن عمرو ، عن عبدالله بن جعفر ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : بينما رجل مستلقٍ على ظهره ينظر إلى السماء وإلى النجوم ويقول : والله إنّ لك لربّاً هو خالقك اللّهم اغفر لي ، قال فنظر الله عزّ وجلّ إليه فغفر له .

قال الصدوق رحمه الله : وقد قال الله عزّ وجلّ : أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء . يعني بذلك أولم يتفكّروا في ملكوت السماوات والأرض وفي عجائب صنعها ولم ينظروا في ذلك نظر مستدلّ معتبر فيعرفوا بما يرون ما أقامه الله عزّ وجلّ من السماوات والأرض(١) مع عظم أجسامها وثقلها على غير عمد ، وتسكينه إيّاها بغير آلة فيستدلّوا بذلك على خالقها ومالكها ومقيمها أنّه لا يشبه الأجسام ولا ما يتّخذه الكافرون إلهاً من دون الله عزّ و جلّ إذ كانت الأجسام لا تقدر على إقامة الصغير من الأجسام في الهواء بغير عمد وبغير آلة فيعرفوا بذلك خالق السماوات والأرض وسائر الأجسام ويعرفوا أنّه لا يشبهها و لا تشبهه في قدرة الله وملكه ، و أمّا ملكوت السماوات والأرض فهو ملك الله لها واقتداره عليها ، وأراد بذلك ألم ينظروا ويتفكّروا في السماوات(٢) والأرض [في] خلق الله عزّ وجلّ إيّاهما على ما يشاهدونهما عليه فيعلمون أنّ الله عزّ وجلّ هو مالكها والمقتدر عليها لأنّهما مملوكة مخلوقة وهي في قدرته وسلطانه وملكه ، فجعل نظرهم في السماوات والأرض وفي خلق الله لها نظراً في ملكوتها وفي ملك الله لها لأنّ الله عزّ وجلّ لا يخلق إلّا ما يملكه ويقدر عليه ، وعنى بقوله : وما خلق الله من شيء يعني من أصناف خلقه فيستدلّوا به على أنّ الله خالقها وأنّه أولى بالإلهيّة من الأجسام المحدثة المخلوقة .

٢٠ ـ يد : عبدالحميد بن عبدالرحمن ، عن أبي يزيد بن محبوب المزنيّ ، عن الحسين ابن عيسى البسطاميّ ، عن عبدالصمد بن عبدالوارث ، عن شعبة ، عن خالد الحذّاء ، عن

(١) وفى نسخة . والارضين .

(٢) و فى نسخة : فى ملكوت السماوات .

أبي بشير العنبريّ ، عن حمران ، عن عثمان بن عفّان قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : من مات و هو يعلم أنّ الله حقّ دخل الجنّة .

٢١ ـ يد : الحسن بن عليّ بن محمّد العطّار ، عن محمّد بن محمود ، عن حمران ، عن مالك بن إبراهيم ، عن حصين ، عن الأسود بن هلال ، [١] عن معاذ بن جبل قال : كنت ردف [٢] النبيّ صلّى الله عليه وآله قال : يا معاذ هل تدري ما حقّ الله عزّ وجلّ على العباد ؟ ـ يقولها ثلاثاً ـ قال : قلت : الله و رسوله أعلم ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : حقّ الله عزّ وجلّ على العباد أن لا يشركوا به شيئاً ، ثمّ قال صلّى الله عليه وآله : هل تدري ما حقّ العباد على الله عزّ وجلّ إذا فعلوا ذلك ؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : أن لا يعذّبهم . أو قال : أن لا يدخلهم النار .

٢٢ ـ ن : أبو نصر أحمد بن الحسين ، عن أبي القاسم محمّد بن عبيد الله ، عن أحمد بن محمّد ابن إبراهيم بن هاشم ، عن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر ، عن أبيه عليّ بن محمّد النقيّ ، عن آبائه عليهم السلام ، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله ، عن جبرئيل سيّد الملائكة قال : قال الله سيّد السادات جلّ وعزّ : إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا من أقرّ لي بالتوحيد دخل حصني ومن دخل حصني أمن عذابي .

٢٣ ـ ن ، ع : في علل الفضل عن الرضا عليه السلام : فإن قال قائل : لم أمر الله الخلق بالإقرار بالله وبرسله وحججه وبما جاء من عند الله عزّ وجلّ ؟ قيل لعلل كثيرة ، منها : أنّ من لم يقرّ بالله عزّ وجلّ لم يجتنب معاصيه ولم ينته عن ارتكاب الكبائر ، و لم يراقب أحداً فيما يشتهي ويستلذّ من الفساد والظلم ، فإذا فعل الناس هذه الأشياء وارتكب كلّ إنسان ما يشتهي ويهواه من غير مراقبة لأحد كان في ذلك فساد الخلق أجمعين ، و وثوب بعضهم على بعض ، فغصبوا الفروج والأموال ، وأباحوا الدماء والنساء ، وقتل بعضهم بعضاً من غير حقّ ولا جرم ، فيكون في ذلك خراب الدنيا وهلاك الخلق وفساد الحرث والنسل . ومنها : أنّ الله عزّ وجلّ حكيم ولا يكون الحكيم ولا يوصف بالحكمة إلّا الّذي يحظر الفساد و يأمر بالصلاح ، ويزجر عن الظلم ، وينهى عن الفواحش ، ولا يكون

(١) وفي نسخة . عن الاسود بن بلال .

(٢) الردف بالكسر : الراكب خلف الراكب كالرديف والمرتدف .

حظر الفساد والأمر بالصلاح والنهي عن الفواحش إلّا بعد الإقرار بالله عزّ وجلّ ومعرفة الآمر والناهي، فلو ترك الناس بغير إقرار بالله ولا معرفته لم يثبت أمر بصلاح ولا نهي عن فساد إذ لا آمر ولا ناهي. ومنها: أنّا وجدنا الخلق قد يفسدون بأمور باطنيّة(١) مستورة عن الخلق فلولا الإقرار بالله عزّ وجلّ وخشيته بالغيب لم يكن أحد إذا خلا بشهوته وإرادته يراقب أحداً في ترك معصية وانتهاك حرمة وارتكاب كبيرة إذا كان فعله ذلك مستوراً عن الخلق غير مراقب لأحد، وكان يكون في ذلك هلاك الخلق أجمعين، فلم يكن قوام الخلق وصلاحهم إلّا بالإقرار منهم بعليم خبير يعلم السرّ وأخفى، آمر بالصلاح، ناه عن الفساد ولا تخفى عليه خافية، ليكون في ذلك انزجار لهم عمّا يخلون به من أنواع الفساد.

فإن قال: فلمَ وجب عليهم الإقرار والمعرفة بأنّ الله تعالى واحد أحد؟ قيل: لعلل، منها: أنّه لو لم يجب عليهم الإقرار والمعرفة لجاز أن يتوهّموا مدبّرين أو أكثر من ذلك، وإذا جاز ذلك لم يهتدوا إلى الصانع لهم من غيره لأنّ كلّ إنسان منهم كان لا يدري لعلّه إنّما يعبد غير الّذي خلقه ويطيع غير الّذي أمره فلا يكونون على حقيقة من صانعهم وخالقهم، ولا يثبت عندهم أمر آمر، ولا نهي ناه، إذ لا يعرف الآمر بعينه، ولا الناهي من غيره؛ ومنها: أن لو جاز أن يكون إثنين لم يكن أحد الشريكين أولى بأن يعبد و يطاع من الآخر، وفي إجازة أن يطاع ذلك الشريك إجازة أن لا يطاع الله، و في أن لا يطاع الله عزّ وجلّ الكفر بالله وبجميع كتبه ورسله وإثبات كلّ باطل وترك كلّ حقّ، وتحليل كلّ حرام وتحريم كلّ حلال، والدخول في كلّ معصية، و الخروج من كلّ طاعة، وإباحة كلّ فساد، و إبطال كلّ حقّ؛ ومنها: أنّه لو جاز أن يكون أكثر من واحد لجاز لإبليس أن يدّعي أنّه ذلك الآخر حتّى يضادّ الله تعالى في جميع حكمه، و يصرف العباد إلى نفسه فيكون في ذلك أعظم الكفر وأشدّ النفاق.

فإن قال: فلمَ وجب عليهم الإقرار لله بأنّه ليس كمثله شيء؟ قيل: لعلل، منها: أن يكونوا قاصدين نحوه بالعبادة والطاعة دون غيره، غير مشتبه عليهم أمر ربّهم و

(١) وفي نسخة: قد يفسدون بامور باطنة.

صانعهم ورازقهم . ومنها : أنّهم لولم يعلموا أنّه ليس كمثله شيءٌ لم يدروا لعلّ ربّهم و صانعهم هذه الأصنام الّتي نصبتها لهم آباؤهم ، و الشمس والقمر والنيران ، إذا كان جائزاً أن يكون عليهم مشتبهة[1] و كان يكون في ذلك الفساد وترك طاعاته كلّها ، وارتكاب معاصيه كلّها على قدر ما يتناهى إليهم من أخبار هذه الأرباب وأمرها ونهيها ؛ ومنها : أنّه لو لم يجب عليهم أن يعرفوا أن ليس كمثله شيءٌ لجاز عندهم أن يجري عليه ما يجري على المخلوقين من العجز والجهل والتغيّر والزوال والفناء والكذب والاعتداء ، ومن جازت عليه هذه الأشياء لم يؤمن فناؤه ولم يوثق بعدله ولم يحقّق قوله و أمره ونهيه ووعده ووعيده وثوابه وعقابه ، وفي ذلك فساد الخلق وإبطال الربوبيّة .

٢٤ ـ **ثو** : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، وابن هاشم ، والحسن بن عليّ الكوفي جميعاً ، عن الحسين بن سيف ، عن أبيه ، عن أبي حازم المدينيّ ، عن سهل بن سعد الأنصاريّ قال : سألت رسول الله صلّى الله عليه وآله عن قول الله عزّ وجلّ : وما كنت بجانب الطور إذ نادينا . قال كتب الله عزّ وجلّ كتاباً قبل أن يخلق الخلق بألفي عام في ورق آس ، ثمّ وضعها على العرش ، ثمّ نادى يا اُمّة محمّد : إنّ رحمتي سبقت غضبي ، أعطيتكم قبل أن تسألوني ، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني فمن لقيني منكم يشهد أن لا إله إلّا أنا وأنّ محمّداً عبدي ورسولي أدخلته الجنّة برحمتي .

٢٥ ـ **سن** : الوشّاء ، عن أحمد بن عائذ ، عن أبي الحسن السوّاق ، عن أبان بن تغلب عن أبي عبدالله عليه السلام قال : يا أبان إذا قدمت الكوفة فاروهذا الحديث : من شهد أن لا إله إلّا الله مخلصاً وجبت له الجنّة . قال : قلت له : إنّه يأتيني كلّ صنف من الأصناف فأروي لهم هذا الحديث ؟ قال : نعم يا أبان إنّه إذا كان يوم القيامة وجمع الله الأوّلين والآخرين فيسلب منهم لا إله إلّا الله إلّا من كان على هذا الأمر .

سن : ابن محبوب ، عن عمرو بن أبي المقدام ، عن أبان بن تغلب مثله .

٢٦ ـ **سن** : صالح بن السنديّ ، عن جعفر بن بشير ، عن الصبّاح الحذّاء ، عن أبان بن تغلب ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة نادى مناد : من شهد أن لا إله

---

(١) في نسخة: مشبهاً .

إلّاالله فليدخل الجنّة ، قال : قلت : فعلى م تخاصم الناس إذا كان من شهد أن لا إله إلّا الله دخل الجنّة ؟ فقال : إنّه إذا كان يوم القيامة نسوها .

٢٧ ـ **صح** : عن الرضا ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يقول الله عزّ و جلّ : لا إله إلّا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي .

٢٨ـ **ضا** : نروي أنّ رجلاً أتى أباجعفر عليه السلام فسأله عن الحديث الّذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال : من قال لا إله إلّاالله دخل الجنّة ، فقال أبو جعفر عليه السلام : الخبر حقّ ، فولّى الرجل مدبرا فلمّا خرج أمر بردّه ثمّ قال : ياهذا إنّ للا إله إلّا الله شروطاً ألا وإنّي من شروطها .

٢٩ ـ **غو** : قال النبيّ صلى الله عليه وآله : من قال : لا إله إلّاالله دخل الجنّة و إن زنى وإن سرق . (١)

٣٠ـ **ما** : جماعة ، عن أبي المفضّل ، عن أحمد بن عيسى بن محمّد ، عن القاسم بن إسماعيل عن إبراهيم بن عبدالحميد ، عن معتّب مولى أبي عبدالله عليه السلام ، عنه ، عن أبيه عليهما السلام (٢) قال : جاء أعرابيّ إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال : يارسول الله هل للجنّة من ثمن ؟ قال : نعم ، قال : ما ثمنها ؟ قال : لا إله إلّا الله ، يقولها العبد مخلصاً بها ، قال : وما إخلاصها ؟ قال : العمل بما بعثت به في حقّه و حبّ أهل بيتي ، قال : فداك أبي وأمّي وإنّ حبّ أهل البيت لمن حقّها ؟ قال إنّ حبّهم لأعظم حقّها .

٣١ ـ **كنز الكراجكي** : روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : إنّ الله رفع درجة اللّسان فأنطقه بتوحيده من بين الجوارح .

٣٢ ـ **ضا** : إنّ أوّل ما افترض الله على عباده وأوجب على خلقه معرفة الوحدانيّة قال الله تبارك وتعالى : وماقدروا الله حقّ قدره · يقول : ما عرفوا الله حقّ معرفته .

٣٣ ـ ونروي عن بعض العلماء عليهم السلام أنّه قال في تفسير هذه الآية : هل جزاء الإحسان إلّا الإحسان ، ما جزاء من أنعم الله عليه بالمعرفة إلّا الجنّة . (٣)

(١) تقدم الحديث مسنداً عن التوحيد تحت الرقم ١٧ .

(٢) في الامالي المطبوع : عن جابر بن عبدالله الانصاري .

(٣) تقدم الحديث مسنداً عن التوحيد والامالي تحت الرقم ٢ .

٣٤ ـ وأروي أنّ المعرفة التصديق والتسليم والإخلاص في السرّ والعلانية .
وأروي أنّ حقّ المعرفة أن تطيع ولاتعصي وتشكر ولاتكفر .

٣٥ ـ **مص** : قال الصادق عليه السلام : العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله ، لو سها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه ، والعارف أمين ودائع الله وكنز أسراره و معدن نوره ، ودليل رحمته على خلقه ، ومطيّة علومه ، وميزان فضله وعدله ، قد غني عن الخلق والمراد والدنيا فلامونس له سوى الله ، ولا نطق ولاإشارة ولانفس إلّا بالله ولله ومن الله ومع الله ، فهو في رياض قدسه متردّد ، و من لطائف فضله إليه متزوّد ، والمعرفة أصلٌ فرعه الإيمان .

٣٦ـ **جع** : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال : ما رأس العلم ؟ قال : معرفة الله حقّ معرفته . قال : وما حقّ معرفته ؟ قال : أن تعرفه بلامثال ولاشبه ، وتعرفه إلهاً واحداً خالقاً قادراً أوّلاً و آخراً وظاهراً وباطناً ، لاكفوله ولامثل له ، فذاك معرفة الله حقّ معرفته .

٣٧ـ **جع** : قال النبيّ صلى الله عليه وآله : أفضلكم إيماناً أفضلكم معرفةً .

٣٨ ـ **أقول** : روى الصدوق رحمه الله في كتاب صفات الشيعة عن أبيه ، عن أحمد بن إدريس ، عن محمّد بن أحمد ، عن ابن أبي عمير رفعه إلى أحدهم عليهم السلام أنّه قال : بعضكم أكثر صلاةً من بعض ، وبعضكم أكثر حجّاً من بعض ، و بعضكم أكثر صدقةً من بعض ، و بعضكم أكثر صياماً من بعض ، وأفضلكم أفضلكم معرفةً .

٣٩ ـ **ما** : جماعةٌ ، عن أبي المفضّل ، عن اللّيث بن محمّد العنبريّ ، عن أحمد بن عبدالصمد ، عن خاله أبي الصلت الهرويّ قال : كنت مع الرضا عليه السلام لمّا دخل نيسابور وهو راكب بغلةً شهباء ، وقد خرج علماء نيسابور في استقباله ، فلمّا صار إلى المربعة تعلّقوا بلجام بغلته وقالوا : يا ابن رسول الله حدّثنا بحقّ آبائك الطاهرين حديثاً عن آبائك صلوات الله عليهم أجمعين ، فأخرج رأسه من الهودج وعليه مطرف خزّ فقال : حدّثني أبي موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمّد بن عليّ ، عن أبيه محمّد بن عليّ ، عن أبيه عليّ بن الحسين ، عن أبيه الحسين سيّد شباب أهل الجنّة ، عن أمير المؤمنين ـ عليهم السلام ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : أخبرني جبرئيل الروح الأمين ، عن الله تقدّست أسماؤه وجلّ وجهه قال : إنّي

أنا الله لاإله إلّا أناوحدي ، عبادي فاعبدوني وليعلم من لقيني منكم بشهادة أن لاإله إلّا الله مخلصاً بهاأنّـه قددخل حصني ومن دخل حصني أمن عذابي . قالوا : ياابن رسول‌الله وما إخلاص الشهادة لله ؟ قال : طاعةالله ورسوله وولاية أهل بيته عليهم السلام .

﴿باب ٢﴾

﴿ علة احتجاب الله عزوجل عن خلقه ﴾

١ ـ ع : الحسين بن أحمد ، عن أبيه ، عن محمّد بن بندار ، عن محمّد بن علي ، عن محمّد بن عبدالله الخراساني ـ خادم الرضا عليه السلام ـ[1] قال : قال بعض الزنادقة لأبي الحسن عليه السلام : لم احتجب الله ؟ فقال أبوالحسن عليه السلام : إنّ الحجاب عن الخلق لكثرة ذنوبهم[2] فأمّا هو فلا يخفى عليه خافيةٌ في آناء اللّيل والنهار ، قال : فلم لاتدركه حاسّةُ البصر؟ قال : للفرق بينه وبين خلقه الّذين تدركهم حاسّةُ الأبصار ، ثمّ هو أجلّ من أن تدركه الأبصار أو يحيط به وهم أو يضبطه عقل ، قال : فحدّه لي قال : إنّه لايحدّ ، قال : لم ؟ قال : لأنّ كلّ محدود متناه إلى حدّ فإذا احتمل التحديد احتمل الزيادة ، وإذا احتمل الزيادة احتمل النقصان ، فهو غير محدود ولامتزائد ولامتجزّ ولامتوهّم .

٢ ـ ع : عليّ بن حاتم ، عن القاسم بن محمّد ، عن حمدان بن الحسين ، عن الحسين بن الوليد ، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي حمزة الثمالي قال : قلت لعلي بن الحسين عليهما السلام : لأيّ علّة حجب الله عزّوجلّ الخلق عن نفسه ؟ قال : لأنّ الله تبارك وتعالى بناهم بنيةً على الجهل فلو أنّهم كانوا ينظرون إلى الله عزّوجلّ لماكانوا بالّذين يهابونه ولايعظّمونه ، نظير ذلك أحدكم إذا نظر إلى بيت الله الحرام أوّل مرّة عظّمه فإذا أتت عليه أيّام وهو يراه لا يكاد أن ينظر إليه إذا مرّ به ولايعظّمه ذلك التعظيم .

بيـ ن : لعلّ المراد بالنظر الألطاف الخاصّة الّتي تستلزم غاية العرفان والوصول

---

(١) لم نجدله ذكراً في كتب الرجال .

(٢) لعل السؤال كان عن احتجابه تعالى عن القلوب ، أوحمل عليه السلام السؤال على ذلك ، وربما يؤيد الاول سؤاله ثانياً بقوله : فلم لاتدركه حاسة البصر ؟ .

أي لو كانت مبذولة لعامّة الناس لكانت لعدم استحقاقهم ذلك مورثاً لتهاونهم بربّهم أو النظر إلى آثارعظمته الّتي لاتظهر إلّا للأنبياء والأوصياء عليهم السلام كنزول الملائكةو عروجهم ومواقفهم ومنازلهم والعرش والكرسيّ واللّوح والقلم وغيرها ؛ على أنّه يحتمل أن يكون دليلاً آخر مع التنزّل عن استحالة إدراكه بالبصر على وفق الأفهام العاميّة .

﴿باب ٢﴾

(اثبات الصانع والاستدلال بعجائب صنعه على وجوده) (وعلمه وقدرته وسائر صفاته)

الايات ، البقرة : الّذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلاتجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ٢٢ «وقال تعالى» : إنّ في خلق السموات والارض واختلاف اللّيل والنهار والفلك الّتي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كلّ دابّة وتصريف الرياح والسحاب المسخّر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ١٦٤

يونس : إنّ في اختلاف اللّيل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقّون ٦ «وقال» : قل انظروا ماذا في السموات والارض وماتغني الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون ١٠١

الرعد : الله الّذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثمّ استوى على العرش وسخّر الشمس والقمر كلٌّ يجري لأجل مسمّى يدبّر الأمر يفصّل الآيات لعلّكم بلقاء ربّكم توقنون ✿ وهو الّذي مدّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كلّ الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي اللّيل النهار إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون ✿ وفي الأرض قطع متجاورات وجنّات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضّل بعضها على بعض في الأكل إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون ٢-٤

ابراهيم : الله الّذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخّر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخّر لكم الأنهار ✿

وسخّر لكم الشمس و القمر دائبين وسخّر لكم اللّيل والنهار ۞ و آتيكم من كلّ ما سألتموه وإن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها إنّ الإنسان لظلوم كفّار ٣٢ ـ ٣٤

الحجر : و لقد جعلنا في السماء بروجاً و زيّنّاها للناظرين ۞ و حفظناها من كلّ شيطان رجيم ۞ إلّا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين ۞ و الأرض مددناها و ألقينا فيها رواسي و أنبتنا فيها من كلّ شيء موزون ۞ و جعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ۞ وإن من شيء إلّا عندنا خزائنه وما ننزّله إلّا بقدر معلوم ۞ وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماءً فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ۞ وإنّا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون ١٦ ـ ٢٣

النحل : خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين ۞ و الأنعام خلقها لكم فيها دفءٌ و منافع و منها تأكلون ۞ ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ۞ و تحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلّا بشقّ الأنفس إنّ ربّكم لرؤوف رحيم ۞ والخيل و البغال والحمير لتركبوها وزينةً ويخلق مالاتعلمون ٤ ـ ٨ « وقال تعالى » : هو الّذي أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب و منه شجر فيه تسيمون ۞ ينبت لكم به الزرع و الزيتون و النخيل و الأعناب ومن كلّ الثمرات إنّ في ذلك لآيةً لقوم يتفكّرون ۞ وسخّر لكم اللّيل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون ۞ و ما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إنّ في ذلك لآيةً لقوم يذّكّرون ۞ وهو الّذي سخّر البحر لتأكلوا منه لحماً طريّاً وتستخرجوا منه حليةً تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه و لتبتغوا من فضله و لعلّكم تشكرون ۞ وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم و أنهاراً وسبلاً لعلّكم تهتدون ۞ و علامات وبالنجم هم يهتدون ١٠ ـ ١٦ « وقال تعالى » : والله أنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها إنّ في ذلك لآيةً لقوم يسمعون ۞ وإنّ لكم في الأنعام لعبرةً نسقيكم ممّا في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ۞ و من ثمرات النخيل والأعناب تتّخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إنّ في ذلك لآيةً لقوم يعقلون ۞ وأوحى ربّك إلى النحل أن اتّخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر و ممّا يعرشون ۞ ثمّ كلي من كلّ

الثمرات فاسلكي سبل ربّك ذُللاً يخرج من بطونها شرابٌ مختلف ألوانه فيه شفاءٌ للناس إنّ في ذلك لآيةً لقوم يتفكّرون ✡ والله خلقكم ثمّ يتوفّيكم و منكم من يردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعدعلم شيئاً إنّ الله عليمٌ قديرٌ ٦٥-٧٠ «وقال تعالى» : والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدةً ورزقكم من الطيّبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ٧٢ «وقال تعالى» : والله أخرجكم من بطون اُمّهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلّكم تشكرون ✡ ألم يروا إلى الطير مسخّرات في جوّ السماء ما يمسكهنّ إلّا الله إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ✡ والله جعل لكم من بيوتكم سكناً و جعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفّونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها و أوبارها و أشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين ✡ والله جعل لكم ممّا خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتمّ نعمته عليكم لعلّكم تُسلمون ٧٨-٨١ .

الاسرى : وجعلنا اللّيل والنهار آيتين فمحونا آية اللّيل وجعلنا آية النهار مبصرةً لتبتغوا فضلاً من ربّكم ولتعلموا عدد السنين والحساب و كلّ شيء فصّلناه تفصيلاً ١٢ «وقال تعالى» : ربّكم الّذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنّه كان بكم رحيماً ✡ وإذا مسّكم الضرّ في البحر ضلّ من تدعون إلّا إيّاه فلمّا نجيّكم إلى البرّ أعرضتم وكان الإنسان كفوراً ٦٦،٦٧

طه : الّذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتّى ✡ كلوا وارعوا أنعامكم إنّ في ذلك لآيات لاُولي النُهى ✡ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارةً اُخرى ٥٣ - ٥٥

الانبياء : أولم ير الّذين كفروا أنّ السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ أفلا يؤمنون ✡ وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجاً سبلاً لعلّهم يهتدون ✡ و جعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون ✡ وهو الّذي خلق اللّيل و النهار والشمس والقمر كلٌّ في فلك يسبحون ٣٠-٣٣

المؤمنون : وأنزلنا من السماء ماءً بقدر فأسكنّاه في الأرض وإنّا على ذهاب به لقادرون ☼ فأنشأنا لكم به جنّات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون ☼ و شجرةً تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن و صبغ للآكلين ☼ وإنّ لكم في الأنعام لعبرةً نسقيكم ممّا في بطونها و لكم فيها منافع كثيرةٌ ومنها تأكلون ☼ و عليها وعلى الفلك تحملون ١٨ـ٢٢ « وقال تعالى » : وهو الّذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون ☼ وهو الّذي يحيي ويميت وله اختلاف اللّيل والنهار أفلا تعقلون ٧٩ ، ٨٠ « وقال تعالى » : قل لمن الأرض و من فيها إن كنتم تعلمون ☼ سيقولون لله قل أفلا تذكّرون ☼ قل من ربّ السموات السبع وربّ العرش العظيم ☼ سيقولون لله قل أفلا تتّقون ☼ قل من بيده ملكوت كلّ شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ☼ سيقولون لله قل فأنّى تسحرون ٨٤ ـ ٨٩

النور : ألم تر أنّ الله يسبّح له من في السموات والأرض والطير صافّات كلٌّ قد علم صلاته و تسبيحه والله عليم بما يفعلون ☼ و لله ملك السموات والأرض و إلى الله المصير ☼ ألم تر أنّ الله يزجي سحاباً ثمّ يؤلّف بينه ثمّ يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله و ينزّل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء و يصرفه عمّن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ☼ يقلّب الله اللّيل والنهار إنّ في ذلك لعبرةً لأُولي الأبصار ☼ والله خلق كلّ دابّة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إنّ الله على كلّ شيء قدير ٤١ ـ ٤٥

الفرقان : ألم تر إلى ربّك كيف مدّ الظلّ ولو شاء لجعله ساكناً ثمّ جعلنا الشمس عليه دليلاً ☼ ثمّ قبضناه إلينا قبضاً يسيراً ☼ وهو الّذي جعل لكم اللّيل لباساً و النوم سباتاً وجعل النهار نشوراً ☼ وهو الّذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً ☼ لنحيي به بلدةً ميتاً ونسقيه ممّا خلقنا أنعاماً وأناسيّ كثيراً ٤٥ ـ ٤٩ « وقال تعالى » : وهو الّذي مرج البحرين هذا عذبٌ فراتٌ وهذا ملحٌ أُجاجٌ وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً ☼ وهو الّذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً و صهراً و كان ربّك قديراً ٥٣ ، ٥٤ « وقال تعالى » : تبارك الّذي جعل في السماء بروجاً وجعل

فيها سراجاً وقمراً منيراً ☆ وهو الّذي جعل اللّيل والنهار خلفةً لمن أراد أن يذّكّر أو أراد شكوراً ٦١،٦٢

الشعراء : أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كلّ زوج كريم ☆ إنّ في ذلك لآيةً وما كان أكثرهم مؤمنين ٧ ، ٨

القصص : قل أرأيتم إن جعل الله عليكم اللّيل سرمداً إلي يوم القيمة من إلهٌ غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ☆ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيمة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ☆ ومن رحمته جعل لكم اللّيل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلّكم تشكرون ٧١ ـ ٧٣

العنكبوت : خلق الله السموات والأرض بالحقّ إنّ في ذلك لآيةً للمؤمنين ٤٤ « وقال تعالى » : ولئن سألتهم من نزّل من السماء ماءً فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولنّ الله قل الحمدلله بل أكثرهم لايعقلون ٦٣ «وقال تعالى » : فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلمّا نجّيهم إلى البرّ إذاهم يشركون ٦٥

الروم : ومن آياته أن خلقكم من تراب ثمّ إذا أنتم بشر تنتشرون ☆ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودّةً و رحمةً إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون ☆ ومن آياته خلقُ السموات والأرض و اختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين ☆ ومن آياته منامكم باللّيل والنهار وابتغاؤكم من فضله إنّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون ☆ ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزّل من السماء ماءً فيحيي به الأرض بعد موتها إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون ☆ ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثمّ إذا دعاكم دعوةً من الأرض إذا أنتم تخرجون ☆ وله من في السموات والأرض كلٌّ له قانتون ٢٠ ـ ٢٦ « وقال عزّوجلّ » : ومن آياته أن يرسل الرياح مبشّرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلّكم تشكرون ٤٦ « وقال تعالى » : الله الّذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء و يجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذاهم يستبشرون ☆ وإن كانوا من قبل أن ينزّل عليهم من قبله لمبلسين ☆

فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إنّ ذلك لمحيي الموتى وهو على كلّ شيء قدير ٤٨ ـ ٥٠ « و قال تعالى » : ألله الّذي خلقكم من ضعف ثمّ جعل من بعد ضعف قوّة ثمّ جعل من بعد قوّة ضعفاً و شيبة يخلق ما يشاء و هو العليم القدير ٥٤

لقمان : خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم و بثّ فيها من كلّ دابّة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كلّ زوج كريم ٭ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الّذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين ١٠،١١ «وقال تعالى» : ألم ترأنّ الله يولج اللّيل في النهار ويولج النهار في اللّيل وسخّر الشمس والقمر كلّ يجري إلى أجل مسمّى وأنّ الله بما تعملون خبير ٭ ذلك بأنّ الله هو الحقّ وأنّ ما يدعون من دونه الباطل و أنّ الله هو العليّ الكبير ٭ ألم ترأنّ الفلك تجري في البحر بنعمت الله ليريكم من آياته إنّ في ذلك لآيات لكلّ صبّار شكور ٭ وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلمّا نجّاهم إلى البرّ فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلّا كلّ ختّار كفور ٢٩ ـ ٣٢

التنزيل : أولم يروا أنّا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ٢٧

فاطر : الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أُولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق مايشاء إنّ الله على كلّ شيء قدير ٭ مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها و مايمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ١ ، ٢ «وقال تعالى» : والله خلقكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ جعلكم أزواجاً ١١ «وقال تعالى» : ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ٭ ومن الناس والدوابّ و الأنعام مختلف ألوانه كذلك إنّما يخشى الله من عباده العلماء ٢٧ ، ٢٨

يس : و آية لهم الارض الميتة أحييناها و أخرجنا منها حبّاً فمنه يأكلون ٭ و جعلنا فيها جنّات من نخيل وأعناب و فجّرنا فيها من العيون ٭ ليأكلوا من ثمره وما

عملته أيديهم أفلايشكرون ۞ سبحان الّذي خلق الأزواج كلّها ممّاتنبت الأرض ومن أنفسهم و ممّا لايعلمون ۞ و آيةٌ لهم اللّيل نسلخ منه النهار فإذاهم مظلمون ۞ و الشمس تجري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم ۞ والقمر قدّرناه منازل حتّى عاد كالعرجون القديم ۞ لاالشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولااللّيل سابق النهار وكلٌّ في فلك يسبحون ۞ وآيةٌ لهم أنّا حملنا ذرّيّتهم في الفلك المشحون ۞ وخلقنا لهم من مثله مايركبون ۞ و إن نشأنغرقهم فلا صريخ لهم و لاهم ينقذون ۞ إلّا رحمةً منّا و متاعاً إلى حين ٣٣ ـ ٤٤ « و قال تعالى » : أولم يروا أنّا خلقنا لهم ممّا عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون ۞ وذلّلناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ۞ ولهم فيها منافع ومشارب أفلايشكرون ٧١ ـ ٧٣ « وقال سبحانه » : أولم ير الإنسان أنّا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ٧٧

الصافات : فاستفتهم أهم أشدّ خلقاً أم من خلقنا إنّا خلقناهم من طين لازب ١١

الزمر : خلق السموات والأرض بالحقّ يكوّر اللّيل على النهار ويكوّر النهار على اللّيل وسخّر الشمس والقمر كلٌّ يجري لأجل مسمّىً ألاهو العزيز الغفّار ۞ خلقكم من نفس واحدة ثمّ جعل منها زوجها و أنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون اُمّهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربّكم له الملك لاإله إلّا هو فأنّى تصرفون ٥ ، ٦ « وقال تعالى » : ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع في الأرض ثمّ يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثمّ يهيج فتراه مصفرّاً ثمّ يجعله حطاماً إنّ في ذلك لذكرى لاُولي الألباب ٢١

المؤمن : هو الّذي يريكم آياته وينزّل لكم من السماء رزقاً و ما يتذكّر إلّا من ينيب ١٣ « وقال تعالى » : الله الّذي جعل لكم اللّيل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إنّ الله لذوفضل على الناس ولكنّ أكثر الناس لايشكرون ۞ ذلكم الله ربّكم خالق كلّ شيء لاإله إلّا هو فأنّى تؤفكون ۞ كذلك يؤفك الّذين كانوا بآيات الله يجحدون ۞ الله الّذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً وصوّركم فأحسن صوركم و رزقكم من الطيّبات ذلكم الله ربّكم فتبارك الله ربّ العالمين ۞ هو الحيّ لاإله إلّا هو فادعوه مخلصين

له الدين الحمدلله ربّ العالمين ۞ قل إنّي نهيتُ أن أعبد الّذين تدعون من دون الله لمّا جاءني البيّنات من ربّي واُمرتُ أن اُسلم لربّ العالمين ۞ هوالّذي خلقكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة ثمّ يخرجكم طفلاً ثمّ لتبلغوا أشدّكم ثمّ لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفّى من قبل و لتبلغوا أجلاً مسمّىً ولعلّكم تعقلون ۞ هوالّذي يحيي ويميت فإذا قضى أمراً فإنّما يقول له كن فيكون ٦١ ـ ٦٨ « وقال عزّوجلّ » : الله الّذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ۞ ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجةً في صدوركم و عليها و على الفلك تحملون ۞ و يريكم آياته فأيّ آيات الله تنكرون ٧٩ ـ ٨١

السجدة : قل أئنّكم لتكفرون بالّذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك ربّ العالمين ۞ وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيّام سواءً للسائلين ۞ ثمّ استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها و للأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ۞ فقضيهنّ سبع سموات في يومين و أوحى في كلّ سماء أمرها وزيّنّا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم ٩ ـ ١٢ « وقال تعالى » : سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ أولم يكف بربّك أنّه على كلّ شيء شهيد ۞ ألا إنّهم في مرية من لقاء ربّهم ألا إنّه بكلّ شيء محيط ٥٣ ، ٥٤

حمعسق : فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ١١ «وقال تعالى» : ومن آياته خلق السموات والأرض ومابثّ فيهما من دابّة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير ٢٩ « وقال سبحانه» : ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام ۞ إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إنّ في ذلك لآيات لكلّ صبّار شكور ۞ أويوبقهنّ بماكسبوا ويعف عن كثير ۞ و يعلم الّذين يجادلون في آياتنا مالهم من محيص ٣٢ ـ ٣٥

الزخرف : ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم ۞ الّذي جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلاً لعلّكم تهتدون ۞ و الّذي نزّل

من السماء ماءً بقدر فأنشرنا به بلدةً ميتاً كذلك تخرجون ۞ و الّذي خلق الأزواج كلّها و جعل لكم من الفلك و الأنعام ماتركبون ۞ لتستووا على ظهوره ثمّ تذكروا نعمة ربّكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين ۞ وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون ٩ ـ ١٤

الجاثية : إنّ في السموات والأرض لآيات للمؤمنين ۞ وفي خلقكم ومايبثّ من دابّة آيات لقوم يوقنون ۞ و اختلاف اللّيل و النهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها و تصريف الرياح آيات لقوم يعقلون ٣ ـ ٥ « وقال تعالى » : الله الذي سخّر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره و لتبتغوا من فضله و لعلّكم تشكرون ۞ وسخّر لكم ما في السموات و ما في الأرض جميعاً منه إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون ١٢ ، ١٣ « وقال سبحانه » : وقالوا ماهي إلّا حيوتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا إلّا الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلّا يظنّون ٢٤

الذاريات : وفي الأرض آيات للموقنين ۞ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ٢٠ ، ٢١ « وقال جلّ وعلا » : و السماء بنيناها بأيدٍ و إنّا لموسعون ۞ والأرض فرشناها فنعم الماهدون ۞ ومن كلّ شيء خلقنا زوجين لعلّكم تذكّرون ٤٧ ـ ٤٩

الطور : أم خُلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ۞ أم خلقوا السموات والأرض بل لايوقنون ٣٥ ، ٣٦

الرحمن : الرحمن علّم القرآن خلق الإنسان ٣ «إلى آخر الآيات»

الواقعة : نحن خلقناكم فلولا تصدّقون ۞ أفرأيتم ما تمنون ۞ ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ۞ نحن قدّرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين ۞ على أن نبدّل أمثالكم وننشئكم فيما لاتعلمون ۞ ولقد علمتم النشأة الاُولى فلولا تذكّرون ۞ أفرأيتم ما تحرثون ۞ ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ۞ لونشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكّهون ۞ إنّا لمغرمون ۞ بل نحن محرومون ۞ أفرأيتم الماء الّذي تشربون ۞ ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ۞ لو نشاء جعلناه اُجاجاً فلولا تشكرون ۞ أفرأيتم النار الّتي تورون ۞ ءأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ۞ نحن جعلناها تذكرةً

ومتاعاً للمقوين ✿ فسبّح باسم ربّك العظيم ٥٧ - ٧٤

الطلاق : اللهالّذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهنّ يتنزّل الأمر بينهنّ لتعلموا أنّالله على كلّ شيء قدير وأنّ الله قد أحاط بكلّ شيء علماً ١٢

الملك : الّذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى فيخلق الرحمن منتفاوت فارجع البصرهل ترى منفطور ✿ ثمّ ارجع البصركرّتين ينقلب إليك البصر خاسئاً و هوحسير ✿ ولقد زيّنّا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين ٣-٥ «وقال تعالى» : أولم يروا إلىالطير فوقهم صافّات ويقبضن ما يمسكهنّ إلّا الرحمن إنّهبكلّ شيء بصير ١٩ «وقال سبحانه» : أمّن هذاالّذي يرزقكم إن أمسك رزقه بللجّوا في عتوّ ونفور ٢١ « وقالتعالى» : قل هوالّذي أنشأكم وجعل لكم السمع و الأبصار و الأفئدة قليلاً ماتشكرون ✿ قل هو الّذي ذرأكم فيالأرض وإليه تحشرون ٢٣ ، ٢٤ « وقالسبحانه » : قلهوالرحمن آمنّا به وعليه توكّلنا فستعلمون منهوفيضلال مبين ✿ قل أرأيتم إنأصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين ٣٠،٢٩

المرسلات : ألم نخلقكم من ماء مهين ✿ فجعلناه في قرار مكين ✿ إلى قدر معلوم ✿ فقدّرنا فنعم القادرون ✿ ويل يومئذ للمكذّبين ✿ ألم نجعلالأرض كفاتاً ✿ أحياءً و أمواتاً ✿ و جعلنا فيها رواسي شامخات و أسقيناكم ماءً فراتاً ✿ ويل يومئذ للمكذّبين ٢٠ ، ٢٨

النبأ : ألم نجعل الأرض مهاداً ✿ و الجبال أوتاداً ✿ وخلقناكم أزواجاً ✿ و جعلنا نومكم سباتاً ✿ و جعلنا اللّيل لباساً ✿ و جعلنا النهار معاشاً ✿ و بنينا فوقكم سبعاً شداداً ✿ وجعلناسراجاً وهّاجاً ✿ وأنزلنا منالمعصرات ماءً ثجّاجاً ✿ لنخرج به حبّاً ونباتاً ✿ وجنّاتألفافاً ٦-١٦

النازعات : ءأنتم أشدّخلقاً أم السماء بنيها ✿ رفع سمكها فسوّيها ✿ وأغطش ليلها وأخرج ضحيها ✿ و الأرض بعد ذلك دحيها ✿ أخرج منها ماءها ومرعيها ✿ و الجبالأرسيها ✿ متاعاً لكم ولأنعامكم ٢٧ - ٣٤

عبس : فلينظر الإنسان إلىطعامه ✿ إنّا صببنا الماء صبّاً ✿ ثمّ شققنا الأرض

شقّاً ✿ فأنبتنا فيها حبّاً ✿ وعنباً وقضباً ✿ وزيتوناً ونخلاً ✿ وحدائق غلباً ✿ وفاكهةً وأبّاً ✿ متاعاًلكم ولأنعامكم ٢٥ ـ ٣٢

الغاشية : أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ✿ و إلى السماء كيف رفعت ✿ و إلى الجبال كيف نصبت ✿ وإلى الأرض كيف سطحت١٧ـ٢٠

١ـ ج : عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه : ولو فكّروا في عظيم القدرة، وجسيم النعمة لرجعوا إلى الطريق وخافوا عذاب الحريق ، ولكنّ القلوب عليلةٌ والأبصار مدخولةٌ ،[1] أفلا ينظرون إلى صغير ما خلق ؟ كيف أحكم خلقه ، وأتقن تركيبه ، وفلق له السمع والبصر وسوّى له العظم والبشر ، انظروا إلى النملة في صغر جثّتها ولطافة هيئتها لاتكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر ، كيف دبّت على أرضها ، وضنّت على رزقها ،[2] تنقل الحبّة إلى جحرها وتعدّها في مستقرّها ، تجمع في حرّها لبردها وفي ورودها لصدورها [3] مكفول برزقها ، مرزوقة بوفقها ، لايغفلها المنّان ولايحرمها الديّان ولو في الصفا اليابس والحجر الجامس ، لو فكّرت في مجاري أكلها ، و في علوها و سفلها ، و ما في الجوف من شراسيف بطنها ، وما في الرأس من عينها و اُذنها لقضيت من خلقها عجباً و لقيت من وصفها تعباً ، فتعالى الّذي أقامها على قوائمها ، وبناها على دعائمها ، لم يشركه في فطرتها فاطر ، ولم يعنه على خلقها قادر ، ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ما دلّتك الدلالة إلّا على أنّ فاطر النملة هو فاطر النحلة لدقيق تفصيل كلّ شيء وغامض اختلاف كلّ حيّ ، وما الجليل واللّطيف والثقيل والخفيف والقويّ والضعيف في خلقه إلّا سواء ، كذلك السماء والهواء والريح والماء ، فانظر إلى الشمس والقمر والنبات والشجر والماء والحجر ، واختلاف هذا اللّيل والنهار ، وتفجّر هذه البحار وكثرة هذه الجبال ، وطول هذه القلال ، وتفرّق هذه اللّغات والألسن المختلفات ، فالويل لمن أنكر المقدّر ، وجحد المدبّر ، زعموا أنّهم كالنبات مالهم زارع ، ولا لاختلاف صورهم صانعٌ ، لم يلجأوا إلى حجّة فيما ادّعوا ، ولاتحقيق لما وعوا ، وهل يكون بناءٌ من غير بان

(١) وفى نسخة : والبصائر مدخولة .

(٢) وفى نسخة من الكتاب والاحتجاج المطبوع : كيف صبت على رزقها .

(٣) وفى نسخة : لصدرها .

أو جنايةٌ من غيرجان ؟! وإن شئت قلت : في الجرادة إذخلق لها عينين حمراوين ، وأسرج لها حدقتين قمراوين ، وجعل لها السمع الخفيَّ ، وفتح لها الفم السويَّ ، وجعل لها الحسَّ القويَّ ، ونابين بهما تقرض ، ومنجلين بهما تقبض ، ترهبها الزرّاع في زرعهم ولا يستطيعون ذبّها ولو أجلبوا بجمعهم ، حتّى ترد الحرث في نزواتها ، و تقضي منه شهواتها ، وخلقها كلّه لايكون إصبعاً مستدقّة ، فتبارك الّذي يسجد له من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً ، ويعفّر له خدّاً ووجهاً ، ويلقي بالطاعة إليه سلماً وضعفاً ، و يعطي له القياد رهبةً وخوفاً ، فالطير مسخّرة لأمره ، أحصى عدد الريش منها والنفس ، وأرسى قوائمها على الندى واليبس ، قدّر أقواتها ، وأحصى أجناسها ، فهذا غراب ، وهذا عقاب وهذا حمام ، وهذا نعام ، دعا كلّ طائر باسمه ، وكفّل له برزقه ، وأنشأ السحاب الثقال فأهطل ديمها ، و عدّد قسمها فبلّ الأرض بعد جفوفها ، وأخرج نبتها بعد جدوبها .

ايضاح : مدخولةٌ أي معيوبةٌ من الدخَل ـ بالتحريك ـ وهو العيب والغشّ والفساد. وفلق أي شقّ . والبشر : ظاهر جلد الإنسان . ولابمستدرك الفكر إمّا مصدر ميميٌّ أي بإدراك الفكر ، أواسم مفعول من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف(١) أي بإدراك الفكر الّذي يدركه الإنسان بغاية سعيه ، أواسم مكان والباء بمعنى في أي في محلّ إدراكه ، والغرض المبالغة في صغرها بحيث لايمكن إدراك تفاصيل أعضائه لابالنظر ولابالفكر . كيف دبّت أي مشت . وضنّت بالضّاد المعجمة والنون أي بخلت ، وفي بعض النسخ : صبّت بالصاد المهملة والباء الموحّدة على بناء المجهول ، إمّا على القلب أي صبّ عليها الرزق ، أوكنايةٌ عن هجومها واجتماعها على رزقها بإلهامه تعالى فكأنّها صبّت على الرزق ، ويمكن أن يقرأ على بناء المعلوم من الصبابة وهي حرارة الشوق . لصدرها الصدر ـ بالتحريك ـ رجوع المسافر من مقصده ، والشاربة من الورد أي تجمع في أيّام التمكّن من الحركة لأيّام العجز عنها ، فإنّها تخفى في شدّة الشتاء لعجزها عن البرد . والمنّان : هو كثير المنّ والعطاء . و الديّان : القهّار والقاضي والحاكم والسائس و

(١) في بعض النسخ : إلى الموصوف الخاص ، و المراد بالفكر الذي يدركه الانسان بغاية سعيه .

المُجازي . والصفا ـ مقصوراً ـ جمع الصفاة وهي الحجر الصلد الضخم الّذي لاينبت . و الجامس : اليابس الجامد ، قال الخليل في كتاب العين : جمس الماء : جمد ، وصخرةٌ جامسةٌ لزمت مكاناً . انتهى . والضمير في علوها وسفلها إمّا راجع إلى المجاري ، أو إلى النملة أي ارتفاع أجزاء بدنها وانخفاضها على وجه تقتضيه الحكمة . وقال الجوهريّ : الشراسيف : مقاطّ الأضلاع وهي أطرافها الّتي تشرف على البطن ، و يقال : الشرسوف : غضروف معلّق بكلّ ضلع ، مثل غضروف الكتف . لقضيت من خلقها عجباً القضاء بمعنى الأداء أي لأدّيت عجباً ، ويحتمل أن يكون بمعنى الموت أي لقضيت نحبك من شدّة تعجّبك ، و يكون عجباً مفعولاً لأجله . ولوضربت أي سرت ، كما قال تعالى : إذا ضربتم في الأرض . غاياته أي غايات فكرك . إلّا سواء أي في دقّة الصنعة وغموض الخلقة ، أو في الدلالة على الفاطر وكمال قدرته وعلمه . والقلال بالكسر جمع قُلّة بالضمّ ، وهي أعلى الجبل . زعموا أنّهم كالنبات أي كما زعموا في النبات ، أو كنبات لازارع له حيث لاينسب إلى الزارع وإن نسب إلى ربّه تعالى . لماوعوا أي جمعوا وحفظوا . وأسرج لها حدقتين أي جعلهما مضيئتين كالسراج ، ويقال : حدقةٌ قمراءُ أي منيرةٌ ، كما يقال : ليلةٌ قمراءُ أي نيّرة بضوء القمر . بهما تقرض بكسر الراء أي تقطع . والمنجل ـ كمنبر ـ : حديدةٌ يقضب بها الزرع ، شبّهت بها يداها . والذبّ : الدفع والمنع . في نزواتها أي وثباتها . وخلقها كلّه الواو حاليّةٌ . سلماً بالكسر وبالتحريك أي استسلاماً وانقياداً . وأرسى أي أثبت أي جعل لها رجلين يمكنها الاستقرار بهما على الأراضي اليابسة والنديّة . والهطل : تتابع المطر . والديم بكسر الدال وفتح الياء جمع الديمة بالكسر ، وهي المطر الّذي ليس فيه رعد ولا برق . والجذوب : قلّة النبات والزرع .

٢ ـ ج : عن محمّد بن مسلم ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله تعالى : ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى . قال : فمن لم يدلّه خلق السماوات والأرض واختلاف اللّيل والنهار و دوران الفلك بالشمس والقمر والآيات العجيبات على أنّ وراء ذلك أمراً هو أعظم منه فهو في الآخرة أعمى . قال : فهو عمّا لم يعاين أعمى وأضلّ سبيلا .

بيان : لعلّ المراد على هذا التفسير : فهو في أمر الآخرة الّتي لم ير آثارها أشدّ عمىً وضلالةً .

٣ ـ ج : روي عن هشام بن الحكم أنّه قال : كان من سؤال الزنديق الّذي أتى أباعبدالله عليه السلام قال : ما الدليل على صانع العالم ؟ فقال أبوعبدالله عليه السلام : وجود الأفاعيل الّتي دلّت على أنّ صانعها صنعها ، ألاترى أنّك إذا نظرت إلى بناء مشيد مبنيّ علمت أنّ له بانياً وإن كنت لم تر الباني ولم تشاهده . قال : وما هو ؟ قال : هو شيء بخلاف الأشياء ، أرجع بقولي : شيء إلى إثباته و أنّه شيء بحقيقة الشيئيّة ، غير أنّه لاجسم ولاصورة ولايحس ولايجس ، ولايدرك بالحواس الخمس ، لاتدركه الأوهام ، ولاتنقصه الدهور ، ولايغيّره الزمان .

قال السائل : فإنّا لم نجد موهوماً إلّامخلوقاً ، قال أبوعبدالله عليه السلام : لو كان ذلك كما تقول لكان التوحيد منّا مرتفعاً [١] فإنّا لم نكلّف أن نعتقد غير موهوم ، لكنّا نقول : كلّ موهوم بالحواس مدرك بها تحدّه الحواس ممثّلاً فهو مخلوق ، ولابدّ من إثبات صانع الأشياء خارجاً من الجهتين المذمومتين : إحديهما النفي إذكان النفي هو الإبطال والعدم ، والجهة الثانية التشبيه بصفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف ، فلم يكن بدّ من إثبات الصانع لوجود المصنوعين والاضطرار منهم إليه أنّهم مصنوعون ، و أنّ صانعهم غيرهم وليس مثلهم ، إذ كان مثلهم شبيهاً بهم [٢] في ظاهر التركيب والتأليف وفيما يجري عليهم من حدوثهم بعد أن لم يكونوا ، وتنقّلهم من صغر إلى كبر ، وسواد إلى بياض ، وقوّة إلى ضعف وأحوال موجودة لاحاجة بنا إلى تفسيرها لثباتها ووجودها .

قال السائل : فأنت قد حدّدته إذا ثبّت وجوده ، قال أبوعبدالله عليه السلام : لم أحدّده ولكن أثبّته ، إذ لم يكن بين الإثبات والنفي منزلة . قال السائل : فقوله : الرحمن على العرش استوى ؟ قال أبوعبدالله عليه السلام : بذلك وصف نفسه وكذلك هو مستول على العرش ، بائن من خلقه من غير أن يكون العرش حاملاً له ، ولا أنّ العرش محلّ له ، لكنّا نقول : هو حامل للعرش و ممسك للعرش ، و نقول في ذلك : ماقال : وسع كرسيّه السموات والأرض . فثبّتنا من العرش والكرسيّ ماثبّته ، و نفينا أن يكون العرش والكرسيّ

---

(١) وفي نسخة : لكان التوحيد عنّا مرتفعاً .

(٢) وفي نسخة : إذ كان مثلهم شبيهاً لهم .

حاوياًله وأن يكون عزّوجلّ محتاجاً إلى مكان إو إلى شيء ممّا خلق ، بل خلقه محتاجون إليه .

قال السائل : فما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم إلى السماء وبين أن تخفضوها نحو الأرض ؟ قال أبوعبدالله عليه السلام : ذلك في علمه وإحاطته وقدرته سواءٌ ولكنّه عزّوجلّ أمر أولياءه وعباده برفع أيديهم إلى السماء نحو العرش لأنّه جعله معدن الرزق فثبّتنا ماثبّته القرآن والأخبار عن الرسول صلى الله عليه وآله حين قال : ارفعوا أيديكم إلى الله عزّوجلّ ، وهذا تجمع عليه فرق الأمّة كلّها .

يد : الدقّاق ، عن أبي القاسم العلويّ ، عن البرمكيّ ، عن الحسين بن الحسن ، عن إبراهيم بن هاشم القميّ ، عن العبّاس بن عمرو الفقيميّ ، عن هشام بن الحكم مثله مع زيادة اثبتناها في باب احتجاج الصادق عليه السلام على الزنادقة .

بيان : قوله عليه السلام : وأنّه شيءٌ بحقيقة الشيئيّة المراد بالشيئيّة إمّا الوجود ، أو معنىً مساوق له ، و على التقديرين فالمراد إمّا بيان عينيّة الوجود ، أو قطع طمع السائل عن تعقّل كنهه تعالى بل بأنّه شيءٌ وأنّه بخلاف الأشياء . والجسّ ـ بالجيم ـ : المسّ . قوله : فإنّا لم نجد موهوماً إلّا مخلوقاً أي يلزم ممّا ذكرت أنّه لاتدركه الأوهام أنّ كلّ مايحصل في الوهم يكون مخلوقاً ، فأجاب عليه السلام بماحاصله أنّ مرادنا أنّه تعالى لايدرك كنه حقيقته العقول والأوهام ، ولايتمثّل أيضا في الحواسّ ، إذهو مستلزم للتشبيه بالمخلوقين ، ولو كان كما توهّمت من أنّه لايمكن تصوّره تعالى بوجه من الوجوه لكان تكليفنا بالتصديق بوجوده وتوحيده وسائر صفاته تكليفاً بالمحال ، إذ لايمكن التصديق بثبوت شيء لشيء بدون تصوّر ذلك الشيء ، فهذا القول مستلزم لنفي وجوده وسائر صفاته عنه تعالى ، بل لابدّ في التوحيد من إخراجه عن حدّ النفي والتعطيل وعن حدّ التشبيه بالمخلوقين ، ثمّ استدلّ عليه السلام بتركيبهم وحدوثهم وتغيّر أحوالهم وتبدّل أوضاعهم على احتياجهم إلى صانع منزّه عن جميع ذلك ، غيرمشابه لهم في الصفات الإمكانيّة ، وإلّا لكان هو أيضاً مفتقراً إلى صانع لاشتراك علّة الافتقار .

قوله : فقد حدّدته إذا ثبّت وجوده أي إثبات الوجود له يوجب التحديد ، إمّا

بناءً على توهّم أنّ كلّ موجود لابدّ أن يكون محدوداً بحدود جسمانيّة أو بحدود عقلانيّة، أو باعتبار التحدّد بصفة هو الوجود، أو باعتبار كونه محكوماً عليه فيكون موجوداً في الذهن محاطاً به. فأجاب عليه السلام بأنّه لايلزم أن يكون كلّ موجود جسماً أو جسمانيّاً حتّى يكون محدوداً بحدود جسمانيّة، ولا أن يكون مركّباً حتّى يكون محدوداً بحدود عقلانيّة أولايلزم كون حقيقته حاصلةً في الذهن أو محدودةً بصفة فإنّ الحكم لايستدعي حصول الحقيقة في الذهن، والوجود ليس من الصفات الموجودة المغايرة الّتي تحدّ بها الأشياء.

٤ ـ ج: عن هشام بن الحكم قال: دخل ابن أبي العوجاء على الصادق عليه السلام فقال له الصادق: ياابن أبي العوجاء أمصنوع أنت أم غير مصنوع؟ قال: لست بمصنوع، فقال له الصادق عليه السلام: فلو كنت مصنوعاً كيف كنت تكون؟ فلم يحر ابن أبي العوجاء جواباً وقام وخرج.

يد: الهمدانيّ، عن عليّ، عن أبيه، عن العبّاس بن عمرو الفقيميّ، عن هشام مثله.

بيان: لمّا كان التصديق بوجود الصانع تعالى ضروريّاً نبّهه عليه السلام بأنّ العقل يحكم بديهةً بالفرق بين المصنوع وغيره، وفيك جميع صفات المصنوعين فكيف لم تكن مصنوعاً؟.[1]

٥ ـ ج: دخل أبو شاكر الديصانيّ وهو زنديق[2] على أبي عبدالله عليه السلام فقال له: ياجعفر بن محمّد دلّني على معبودي، فقال أبو عبدالله عليه السلام: اجلس ـ فإذا غلام صغير في كفّه بيضة يلعب بها ـ فقال أبو عبدالله عليه السلام: ناولني ياغلام البيضة، فناوله إيّاها، فقال

---

(١) لايخفى أن الرواية غير مسوقة للتنبيه على ماذكره، بل إلزام له بالترجيح بلامرجّح فان اختياره عدم المصنوعيّة مع جواز مصنوعيّته قول بلادليل. ط

(٢) الزنديق بالكسر من الثنويّة، أو القائل بالنور والظلمة، أو من لايؤمن بالاخرة والربوبيّة أو من يبطن الكفر ويظهر الايمان، أو هو معرّب زن دين أى دين المرأة. قاله في القاموس. وفى المصباح: المشهور على ألسنة الناس أن الزنديق هو الذى لايتمسك بشريعة ويقول بدوام الدهر والعرب تعبر عن هذا بقولهم: ملحد، أى طاعن فى الاديان. انتهى. ونقل عن مفاتيح العلوم: أن الزنادقة هم المانويّة وكانت المزدكيّة يسمّون بذلك. أقول: والظاهر أن الزنديق معرب لزند دين، والزند اسم لكتاب المجوس جاء زردشت الذي يزعم المجوس أنه نبى، أو معرّب زندىّ أى المنسوب إلى زند فاخذ كلمة واحدة و زيد عليه القاف وله نظائر.

أبوعبدالله عليه السلام : ياديصاني هذا حصن مكنون له جلد غليظ ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق ، وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضّة ذائبة ، فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضّة الذائبة ، و لا الفضّة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة ، فهي على حالها لم يخرج[١] منها خارج مصلح فيخبر عن إصلاحها ، ولم يدخل[٢] فيها داخل مفسد فيخبر عن إفسادها لايدرى للذكر خلقت أم للأنثى ، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس ، أترى لها مدبّراً ؟ قال : فأطرق مليّاً ثم قال : أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أنّ محمّداً عبده و رسوله ، وأنّك إمام وحجّة من الله على خلقه ، وأنا تائب ممّا كنت فيه .

٦ ـ يد : ابن المتوكّل : عن عليّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن أبي إسحاق الخفّاف ، عن عدّة من اصحابنا أنّ عبد الله الديصانيّ أتى باب أبي عبد الله عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له ، فلمّا قعد قال له : ياجعفر بن محمّد دلّني على معبودي ، فقال له أبوعبدالله عليه السلام : ما اسمك ؟ فخرج عنه ولم يخبره باسمه ، فقال له أصحابه : كيف لم تخبره باسمك ؟ قال : لو كنت قلت له : عبدالله كان يقول : من هذا الّذي أنت له عبد ؟ فقالوا له : عد إليه فقل : يدلّك على معبودك ولا يسألك عن اسمك ، فرجع إليه فقال له : يا جعفر دلّني على معبودي ولا تسألني عن اسمي ، فقال له أبوعبدالله عليه السلام : اجلس و إذا غلام صغير إلى آخر الخبر .

بيان : قد أوردنا الخبر بتمامه في باب القدرة . وتقرير استدلاله عليه السلام أنّ ما في البيضة من الإحكام والإتقان والاشتمال على ما به صلاحها وعدم اختلاط ما فيها من الجسمين السيّالين ـ والحال أنّه ليس فيها حافظ لها من الأجسام فيخرج مخبراً عن صلاحها ، ولايدخلها جسمانيّ من خارج فيفسدها ، وهي تنفلق عن مثل ألوان الطواويس ـ يدلّ على أنّ له مبدءً غير جسم ولاجسمانيّ ، ولايخفى لطف نسبة الإصلاح إلى مايخرج منها ، والإفساد إلى مايدخل فيها ، لأنّ هذا شأن أهل الحصن الحافظين له وحال الداخل فيه بالقهر والغلبة .

---

(١) في الاحتجاج المطبوع : لايخرج .

(٢) في الاحتجاج المطبوع : ولاتدخل .

٧ ـ ج : عن عيسى بن يونس قال : كان ابن أبي العوجاء[١] من تلامذة الحسن البصري فانحرف عن التوحيد فقيل له : تركت مذهب صاحبك ودخلت فيما لا أصل له ولا حقيقة ، قال : إنّ صاحبي كان مخلّطاً يقول : طوراً بالقدر وطوراً بالجبر فما أعلمه اعتقد مذهباً دام عليه ، فقدم مكّة تمرّداً وإنكاراً على من يحجّ ، وكان يكره العلماء مجالسته ومساءلته لخبث لسانه وفساد ضميره ، فأتى أباعبدالله عليه السلام فجلس إليه في جماعة من نظرائه فقال : يا أباعبدالله إنّ المجالس بالأمانات ، ولابدّ لكلّ من به سعال أن يسعل أفتأذن لي في الكلام ؟ فقال الصادق عليه السلام : تكلّم بما شئت ، فقال : إلى كم تدوسون هذا البيدر ،[٢] و تلوذون بهذا الحجر ، و تعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب و المدر ، وتهرولون حوله كهرولة البعير إذا نفر ؟ إنّ من فكّر في هذا وقدّر علم أنّ هذا فعل أسّسه غير حكيم ولا ذي نظر ، فقل فإنّك رأس هذا الأمر وسنامه ، وأبوك اُسّه ونظامه . فقال أبوعبدالله عليه السلام : إنّ من أضلّه الله وأعمى قلبه استوخم الحقّ ولم يستعذبه ، وصار الشيطان وليّه ، يورده مناهل الهلكة ثمّ لا يصدره ، وهذا بيت استعبد الله به عباده ليختبر طاعتهم في إتيانه ، فحثّهم على تعظيمه و زيارته ، وجعله محلّ أنبيائه ، وقبلةً للمصلّين له ، فهو شعبةٌ من رضوانه ، وطريق يؤدّي إلى غفرانه ، منصوب على استواء الكمال ، ومجتمع العظمة والجلال ، خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام ، فأحقّ من اُطيع فيما أمر وانتهي عمّا نهى عنه وزجر ، الله المنشىء للأرواح والصور . فقال ابن أبي العوجاء : ذكرت الله[٣] فأحلت على غائب . فقال أبوعبدالله عليه السلام : ويلك كيف يكون غائباً من هو مع خلقه شاهد ، وإليهم أقرب من حبل الوريد ، يسمع كلامهم ، ويرى أشخاصهم ، ويعلم أسرارهم .

---

(١) عده السيد المرتضى رحمه الله فى كتابه الامالى ممن كان يتستر باظهار الاسلام ويحقن باظهار شعائره والدخول فى جملة أهله دمه وماله ، وكان فى الباطن زنديقاً ملحداً ، وكافراً مشركاً ، وقال : حكى ان عبدالكريم بن أبى العوجاء قال ـ لما قبض عليه محمد بن سليمان وهو والى الكوفة من قبل المنصور ، وأحضره للقتل ، وأيقن بمفارقة الحياة ـ : لان قتلتمونى لقد وضعت فى أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة .

(٢) البيدر : الموضع الذى يجمع فيه الحصيد ويداس ويدق.

(٣) فى الامالى : ذكرت يا أباعبدالله .

فقال ابن أبي العوجاء : فهو في كلّ مكان أليس إذا كان في السماء كيف يكون في الأرض ؟ وإذا كان في الأرض كيف يكون في السماء ؟ فقال أبوعبدالله عليه السلام : إنّما وصفت المخلوق الّذي إذا انتقل من مكان اشتغل به مكان وخلا منه مكان ، فلا يدري في المكان الّذي صار إليه ماحدث في المكان الّذي كان فيه ، فأمّا الله العظيم الشأن الملك الديّان فلايخلو منه مكان ولايشتغل به مكان ولايكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان .

لى : ابن مسرور ، عن ابن عامر ، عن عمّه ، عن أبي أحمد محمّد بن زياد الأزديّ ، عن الفضل بن يونس مثله .

ع : الهمدانيّ والمكتّب والورّاق جميعاً ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن الفضل مثله .

٨ ـ **يد** : الدقّاق ، عن حمزة بن القاسم العلويّ ، عن البرمكيّ ، عن داود بن عبدالله ، عن عمرو بن محمّد ، عن عيسى بن يونس مثله ، وزاد في آخره : والّذي بعثه بالآيات المحكمة والبراهين الواضحة ، وأيّده بنصره ، و اختاره لتبليغ رسالته صدّقنا قوله : بأنّ ربّه بعثه وكلّمه . فقام عنه ابن أبي العوجاء وقال لأصحابه : من ألقاني في بحر هذا ؟ . وفي رواية ابن الوليد : من ألقاني في بحر هذا ، سألتكم أن تلتمسوا لي خمرة فألقيتموني على جمرة . قالوا : ماكنت في مجلسه إلّا حقيراً ، قال : إنّه ابن من حلق رؤوس من ترون .

بيان : الطوب بالضمّ : الآجر . و طعام وخيم : غير موافق ، و استوخمه أي لم يستمرأه . ولم يستعذبه أي لم يدرك عذوبته . وحاصل ماذكره عليه السلام : أنّه تعالى إنّما استعبدهم بذلك لنختبرهم في إطاعتهم له ، والاختبار فيما خفي وجه الحكمة فيه على أكثر العقول أكثر ، مع أنّ لخصوص هذا المكان الشريف مزايا وشرائف لكونه محلّ الأنبياء وقبلة المصلّين وسابقاً في الخلق على جميع الأرض ، وقد أشار عليه السلام بقوله : فهو شعبة مع الفقرات الّتي بعدها إلى ماجعل الله فيه من الكمالات المعنويّة والأسرار الخفيّة حيث جعله محلّاً لقربه و رضوانه ، ومهبطاً لرحماته وغفرانه ، وما أفاض عليه من أنوار جبروته ، وأخفى فيه من أسرار ملكوته . والاستواء : الاعتدال . والوريد : هو العرق الّذي في صفحة العنق وبقطعه تزول الحياة ، ففي التشبيه به دون سائر الأعضاء إشعار بكيفيّة قربه بأنّ قربه قرب بالعلّيّة والتأثير ، وفيما بعدها من الفقر إشارة إلى جهة اُخرى من قربه وهي

الإحاطة العلميّة. والخمرة بالضمّ: حصيرة صغيرة من السعف أي طلبت منكم أن تطلبوا لي خصماً ألعب به كالخمرة فألقيتموني على جمرة ملتهبة.

٩ ـ ج: و روي أنّ الصادق عليه السلام قال لابن أبي العوجاء: إن يكن الأمر كما تقول ـ وليس كما تقول ـ نجونا ونجوت، وإن يكن الأمر كما نقول نجونا وهلكت.

١٠ ـ ن، م، ج: و بالإسناد، عن أبي محمّد عليه السلام أنّه قال في تفسير قوله تعالى: الّذي جعل لكم الأرض فراشاً. الآية: جعلها ملائمة لطبائعكم، موافقة لأجسادكم، لم يجعلها شديدة الحمى والحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم،[1] ولا شديدة النتن فتعطبكم،[2] ولا شديدة اللّين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في حرثكم[3] وأبنيتكم و دفن موتاكم، ولكنّه جعل فيها من المتانة ماتنتفعون به وتتماسكون، وتتماسك عليها أبدانكم[4]، وجعل فيها من اللّين ماتنقاد به لحرثكم[5] وقبوركم وكثير من منافعكم، فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم، ثمّ قال: و السماء بناءً يعني سقفاً من فوقكم محفوظاً يدير فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم. ثمّ قال: وأنزل من السماء ماءً يعني المطر ينزله من علا ليبلغ قلل جبالكم وتلالكم وهضابكم وأوهادكم،[6] ثمّ فرّقه رذاذاً ووابلاً وهطلاً وطلاًّ لتنشفه أرضكم،[7] ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعةً واحدةً فتفسد أرضكم وأشجاركم و زروعكم وثماركم. ثمّ قال: فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم يعني ممّا يخرجه من الأرض رزقاً لكم. فلا تجعلوا لله أنداداً أي أشباهاً وأمثالاً من الأصنام الّتي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شيء وأنتم تعلمون أنّها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة الّتي أنعمها عليكم ربّكم.

(١) جمع الهامة وهى الرأس.
(٢) أى فتهلككم.
(٣) فى العيون: دوركم.
(٤) فى العيون: وبنيانكم.
(٥) فى العيون: لدوركم.
(٦) جمع الوهدة وهى الارض المنخفضة. والهوّة فى الارض.
(٧) نشف الماء فى الارض: ذهب وجرى وسال.

بيان : الهضاب جمع الهضبة وهي الجبل المنبسط على الأرض ، أو جبل خلق من صخرة واحدة . والرذاذ كسحاب : المطر الضعيف ، أو الساكن الدائم الصغار القطر . والوابل : المطر الشديد الضخم القطر . والهطل : المطر الضعيف الدائم ، وتتابع المطر المتفرّق العظيم القطر . والطلّ : المطر الضعيف ، أو أخفّ المطر وأضعفه ، أو الندى ، أو فوقه ودون المطر . كلّ ذلك ذكرها الفيروزآباديّ .

١١ - يد ، لي ، ن : العطّار ، عن سعد ، عن ابن هاشم ، عن عليّ بن معبد ، عن الحسين بن خالد ، عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام أنّه دخل عليه رجل فقال له : يا ابن رسول الله ما الدليل على حدوث العالم ؟ فقال : أنت لم تكن ثمّ كنت ، وقد علمت أنّك لم تكوّن نفسك ولا كوّنك من هو مثلك .

ج : مرسلاً مثله .

١٢- يد ، ن : ماجيلويه ، عن عمّه ، عن أبي سمينة محمّد بن عليّ الكوفيّ الصيرفيّ ،[١] عن محمّد بن عبدالله الخراسانيّ خادم الرضا عليه السلام[٢] قال : دخل رجل من الزنادقة على الرضا عليه السلام وعنده جماعة فقال له أبو الحسن عليه السلام : أرأيت إن كان القول قولكم - وليس هو كما تقولون - ألسنا وإيّاكم شرعاً سواء ، ولا يضرّنا ما صلّينا وصمنا وزكّينا وأقررنا ؟ فسكت . فقال أبو الحسن عليه السلام : إن يكن القول قولنا - وهو كما نقول -[٣] ألستم قد هلكتم ونجونا ؟ قال : رحمك الله فأوجدني كيف هو وأين هو ؟ قال : ويلك إنّ الّذي ذهبت إليه غلط هو أيّن الأين وكان ولا أين ، وهو كيّف الكيف وكان ولا كيف ، فلا يعرف بكيفوفيّة ولا بأينونيّة ولا بحاسّة ولا يقاس بشيء ، قال الرجل : فإذن

(١) هو محمد بن على بن ابراهيم بن موسى أبو جعفر القرشي مولاهم الصيرفي ، هكذا عنونه النجاشي في ص ٢٣٤ من رجاله وقال : ابن اخت خلاد المقرى ، وهو خلاد بن عيسى ، وكان يلقب محمد بن على أباسمينة ، ضعيف جداً ، فاسد الاعتقاد ، لا يعتمد في شيء ، وكان ورد قم وقد اشتهر بالكذب بالكوفة ونزل على احمد بن محمد بن عيسى مدة ، ثم تشهّر بالغلو فخفى ، وأخرجه أحمد بن محمد بن عيسى عن قم وله قصة الخ

(٢) غير معلوم حاله .

(٣) وفي نسخة : وهو قولنا وكما نقول .

أنّه لاشيء إذا لم يدرك بحاسّة من الحواسّ ، فقال أبوالحسن عليه السلام : ويلك لمّا عجزت حواسّك عن إدراكه أنكرت ربوبيّته ، ونحن إذا عجزت حواسّنا عن إدراكه أيقنّا أنّه ربّنا ، وأنّه شيء بخلاف الأشياء . قال الرجل : فأخبرني متى كان ؟ قال أبو الحسن عليه السلام : أخبرني متى لم يكن فاُخبرك متى كان . قال الرجل : فما الدليل عليه ؟ قال أبوالحسن عليه السلام : إنّي لمّا نظرت إلى جسدي فلم يمكنّي فيه زيادة ولانقصان في العرض والطول ، ودفع المكاره عنه ، وجرّ المنفعة إليه علمت أنّ لهذا البنيان بانياً فأقررت به ، مع ماأرى من دوران الفلك بقدرته ، وإنشاء السحاب ، وتصريف الرياح ، ومجرى الشمس والقمر والنجوم ، وغير ذلك من الآيات العجيبات المتقنات علمت أنّ لهذا مقدّراً و منشئاً قال الرجل : فلمَ احتجب ؟ فقال أبوالحسن عليه السلام : إنّ الحجاب على الخلق[1] لكثرة ذنوبهم فأمّا هو فلاتخفى عليه خافية في آناء اللّيل والنهار ، قال : فلمَ لاتدركه حاسّة البصر ؟ قال : للفرق بينه وبين خلقه الّذين تدركهم حاسّة الأبصار منهم ومن غيرهم ، ثمّ هو أجلّ من أن يدركه بصر ، أو يحيط به وهم ، أو يضبطه عقل . قال : فحدّه لي ، فقال : لاحدّ له ، قال : ولمَ ؟ قال : لأنّ كلّ محدود متناه إلى حدّ ، و إذا احتمل التحديد احتمل الزيادة ، وإذا احتمل الزيادة احتمل النقصان ، فهو غير محدود ولا متزائد ولا متناقص ، ولا متجزّى ولامتوهّم ، قال الرجل : فأخبرني عن قولكم : إنّه لطيف وسميع وبصير وعليم وحكيم ،[2] أيكون السميع إلّا بالاُذن ، و البصير إلّا بالعين ، واللّطيف إلّا بعمل اليدين ، والحكيم إلّا بالصنعة ؟ فقال أبوالحسن عليه السلام : إنّ اللّطيف منّا على حدّ اتّخاذ الصنعة ، أوما رأيت الرجل يتّخذ شيئاً فيلطف في اتّخاذه فيقال : ماألطف فلاناً ؛ فكيف لايقال للخالق الجليل : لطيف إذ خلق خلقاً لطيفاً وجليلاً و ركّب في الحيوان منه أرواحها ، وخلق كلّ جنس متبائناً من جنسه في الصورة ولايشبه بعضه بعضاً ؛ فكلّ له لطف من الخالق اللّطيف الخبير في تركيب صورته ، ثمّ نظرنا إلى الأشجار وحملها أطائبها المأكولة منها وغير المأكولة فقلنا عند

---

(١) في نسخة من التوحيد : ان الاحتجاب عن الخلق .

(٢) في التوحيد : لطيف سميع . بترك العاطف في الجميع .

ذلك : إنّ خالقنا لطيف ، لا كلطف خلقه في صنعتهم ، وقلنا : إنّه سميع لأنّه لايخفى عليه أصوات خلقه ما بين العرش إلى الثرى ، من الذرّة إلى أكبر منها ، في برّها وبحرها ، ولاتشتبه عليه لغاتها ، فقلنا عند ذلك : إنّه سميع لا بأُذن ، وقلنا : إنّه بصير لا ببصر لأنّه يرى أثر الذرّة السحماء في اللّيلة الظلماء على الصخرة السوداء ، ويرى دبيب النمل في اللّيلة الدجنة ، ويرى مضارّها ومنافعها وأثر سفادها [1] و فراخها و نسلها فقلنا عند ذلك : إنّه بصير لا كبصر خلقه ، قال : فما برح حتّى أسلم . وفيه كلام غير هذا .

ج : رواه مرسلاً عن محمّد بن عبدالله الخراسانيّ إلى آخر الخبر .

بيان : أوجدني أي أفدني كيفيّته ومكانه ، وأظفرني بمطلبي الّذي هو العلم بهما . هو أيّن الأين أي جعل الأين أيناً بناءاً على مجعوليّة الماهيّات ، أو أوجد حقيقة الأين وكذا الكيف . والكيفوفيّة والأينونيّة الاتّصاف بالكيف و الأين . قوله : فإذن أنّه لاشيء هذا السائل لمّا كان وهمه غالباً على عقله زعم أنّ الموجود ما يمكن إحساسه فنفى الوجود عنه تعالى بناءاً على أنّه عليه السلام نفى عنه أن يحسّ فأجاب عليه السلام بأنّك جعلت تعاليه عن أن يدرك بالحواسّ دليلاً على عدمه ، ونحن إذا عرفناه بتعاليه عن أن يدرك بالحواسّ أيقنّا أنّه ربّنا بخلاف شيء من الأشياء ، إذ المحسوسيّة تستلزم اُموراً كلّ منها مناف للربوبيّة على ما برهن عليه في محلّه . قوله : فأخبرني متى كان الظاهر أنّه سأل عن ابتداء كونه ووجوده ، ويحتمل أن يكون السؤال عن أصل زمان وجوده تعالى ، فعلى الأوّل حاصل جوابه عليه السلام أنّ ابتداء الزمان إنّما يكون لحادث كان معدوماً ثمّ صار موجوداً وهو تعالى يستحيل عليه العدم ، وعلى الثاني فالمراد أنّ الكائن في الزمان إنّما يكون فيه بتغيّر وتبدّل في ذاته وصفاته لأنّ الزمان نسبة المتغيّر إلى المتغيّر فيكون بحال في زمان لا يكون كذلك في زمان آخر ، وهو متعال عن التغيّر في الذات والصفات . قوله : فلم احتجب توهّم السائل أنّ احتجابه تعالى عبارة عن كونه وراء حجاب ، فأجاب عليه السلام بأنّا غير محجوبين عنه لإحاطة علمه بنا ، وكنه ذاته وصفاته محجوبة عنّا لعجزنا وقصورنا عن إدراكه بأن يكون المراد بالذنوب الحجب الظلمانيّة الإمكانيّة ، ويحتمل أن يكون

(١) السفاد : الجماع .

المراد أنّ عدم ظهوره تعالى على عامّة الخلق كظهوره على أوليائه لغاية المعرفة إنّما هو لذنوبهم الّتي حالت بينهم و بين تلك المعرفة ، و إلّا فهو تعالى قد تجلّى لأوليائه فظهر لهم ظهوراً فوق الإحساس ، والجواب عن الإحساس ظاهر ، إذ الفرق بينه و بين خلقه وهو كونه غير جسم ولا جسمانيّ ولا حاصلاً في جهة ومكان هو الّذي صار سبباً لعدم إمكان رؤيته . قوله : فحدّه يحتمل أن يكون المراد التحديد بالحدود الجسمانيّة ، فحاصل جوابه عليه السلام أنّ الحدّ نهاية لشيء ذي مقدار يمكن أن ينتهي إلى نهاية اُخرى بعد تلك النهاية فيزيد مقداره ، ومثل هذا يمكن نقصانه لكون المقادير قابلة للانقسام فيكون ذا أجزاء فيكون محتاجاً إلى أجزائه فيكون ممكناً فلا يكون صانعاً بل يكون مصنوعاً ، أو احتمال النقص ينافي الكمال الّذي يحكم الوجدان باتّصاف الصانع به . والسحماء : السوداء . والدجنة بكسر الجيم أي المتغيّمة المظلمة . و سيأتي تفسير آخر الخبر في باب معاني الأسماء . قوله : وفيه كلام غير هذا أي قيل : إنّه لم يسلم ، أو في الخبر تتمّة تركناها .

١٣ ـ لى : أحمد بن عليّ بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن الحكم قال : دخل أبو شاكر الديصانيّ على أبي عبدالله الصادق عليه السلام فقال له : إنّك أحد النجوم الزواهر ، وكان آباؤك بدوراً بواهر ، واُمّهاتك عقيلات عباهر ، وعنصرك من أكرم العناصر ، وإذا ذكر العلماء فبك تثنّى الخناصر فخبّرني أيّها البحر الخضمّ الزاخر ، ما الدليل على حدث العالم ؟ فقال الصادق عليه السلام : يستدلّ عليه بأقرب الأشياء ، قال : وما هو ؟ قال : فدعى الصادق عليه السلام ببيضة فوضعها على راحته ثمّ قال : هذا حصن ملموم ، داخله غرقيء رقيق ، تطيف به فضّة سائلة وذهبة مائعة ، ثمّ تنفلق عن مثل الطاووس أدخلها شيءٌ ؟ قال : لا ، قال : فهذا الدليل على حدث العالم ، قال : أخبرت فأوجزت ، وقلت فأحسنت ، وقد علمت أنّا لا نقبل إلّا ما أدركناه بأبصارنا ، أو سمعناه بآذاننا ، أو لمسناه بأكفّنا ، أو شممناه بمناخرنا ، أو ذقناه بأفواهنا ، أو تصوّر في القلوب بياناً واستنبطته الروايات إيقاناً ، فقال الصادق عليه السلام : ذكرت الحواسّ الخمس وهي لا تنفع شيئاً بغير دليل كما لا تقطع الظلمة بغير مصباح .

يد : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن عليّ بن منصور ، عن هشام بن الحكم مثله .

بيان : قال الجوهريّ : العقيلة : كريمة الحيّ ، والدرّة : عقيلة البحر . و قال الفيروزآباديّ : العبهر : الممتلي الجسيم و العظيم الناعم الطويل من كلّ شيء كالعباهر فيهما و بهاء الجامعة للحسن والجسم والخلق . انتهى . والعنصر : الأصل . قوله : فبك تثنّى الخناصر أي أنت تعدّ أوّلاً قبلهم لكونك أفضل وأشهر منهم ، وإنّما يبدء في العدّ بالخنصر . والثني : العطف . والخضم بكسر الخاء وفتح الضاد المشدّدة[1] الكثير العطاء . وقال الجوهريّ : زخر الوادي : إذا امتدّ جدًّا وارتفع ، يقال : بحر زاخر . وقال : كتيبة ملمومة : مضمومة بعضها إلى بعض . وقال : الغرقيء : قشر البيض الّتي تحت القيض ، و القيض : ماتفلق من قشور البيض . قوله عليه السلام : وهي لاتنفع شيئاً بغير دليل أي هي عاجزة تتوقّف إدراكها على شرائط فكيف تنفي مالم تدركه بحسّك ؟[2] كما أنّ البصر لا يبصر الأشياء بغير مصباح ، ويحتمل أن يكون المراد بالدليل العقل أي لاتنفع الحواسّ بدون دلالة العقل فهو كالسراج لإحساس الحواسّ ، وأنت قد عزلت العقل وحكمه واقتصرت على حكم الحواسّ .

١٤ ـ **م** ، ن : محمّد بن القاسم المفسّر ، عن يوسف بن محمّد بن زياد ، وعليّ بن محمّد بن سيّار ، عن أبويهما ، عن الحسن بن عليّ ، عن أبيه عليّ بن محمّد ، عن أبيه محمّد بن عليّ ، عن أبيه الرضا عليّ بن موسى ، عن أبيه موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمّد ، عن أبيه محمّد ابن عليّ ، عن أبيه عليّ بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام ـ في قول الله عزّ وجلّ : هو الّذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثمّ استوى إلى السماء فسوّيهنّ سبع سموات وهو بكلّ شيء عليم ـ قال ـ : هو الّذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً لتعتبروا به وتتوصّلوا به إلى رضوانه ، وتتوقّوا به من عذاب نيرانه ، ثمّ استوى إلى السماء أخذ في خلقها و إتقانها ، فسوّيهنّ سبع سماوات وهو بكلّ شيء

(١) في الصحاح : الخضمّ بوزن الهجفّ .

(٢) بل المراد أن الحواس إنما لها الادراك التصوري وأما التصديق والحكم فللعقل . ط

عليم ، ولعلمه بكلّ شيء علم المصالح فخلق لكم كلّ ما في الأرض لمصالحكم يا بني آدم.

١٥ ـ ن : الطالقاني ، عن ابن عقدة ،[1] عن عليّ بن الحسن بن فضّال ، عن أبيه ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قلت له : لم خلق الله عزّ وجلّ الخلق على أنواع شتّى ، ولم يخلقهم نوعاً واحداً ؟ فقال : لئلّا يقع في الأوهام أنّه عاجز فلا تقع صورة في وهم ملحد إلّا وقد خلق الله عزّ وجلّ عليها خلقاً ، ولا يقول قائل : هل يقدر الله عزّ وجلّ على أن يخلق على صورة كذا وكذا إلّا وجد ذلك في خلقه تبارك وتعالى فيعلم بالنظر إلى أنواع خلقه أنّه على كلّ شيء قدير.

١٦ ـ **م** ، **مع** : محمّد بن القاسم المفسّر ، عن يوسف بن محمّد بن زياد ، وعليّ بن محمّد بن سيّار ـ وكانا من الشيعة الإماميّة ـ عن أبويهما ، عن الحسن بن عليّ بن محمّد عليهم السلام في قول الله عزّ وجلّ : بسم الله الرحمن الرحيم فقال : الله هو الّذي يتألّه إليه عند الحوائج والشدائد كلّ مخلوق عند انقطاع الرجاء من كلّ من دونه وتقطّع الأسباب من جميع من سواه ، تقول : بسم الله أي أستعين على اُموري كلّها بالله الّذي لا تحقّ العبادة إلّا له ، المغيث إذا استغيث ، والمجيب إذا دعي ، وهو ما قال رجل للصادق عليه السلام : يا ابن رسول الله دلّني على الله ما هو ؟ فقد أكثر عليّ المجادلون وحيّروني ، فقال له : يا عبد الله هل ركبت سفينةً قطّ ؟ قال : نعم ، قال : فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك ، ولا سباحة تغنيك ؟ قال : نعم ، قال : فهل تعلّق قلبك هنالك أنّ شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك ؟ قال : نعم ، قال الصادق عليه السلام : فذلك الشيءُ هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجي ، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث.

بيان : قال الفيروزآباديّ : أله إليه كفرح : فزع ولاذ ، وألهه : أجاره وآمنه.

---

(١) بضم العين المهملة وسكون القاف وفتح الدال ، هو أحمد بن محمد بن سعيد السبيعي الهمداني الحافظ ، المكنى بأبي العباس ، ترجمه العامة والخاصة في كتب تراجمهم ، وبالغوا في إكباره والثناء عليه ، قال النجاشي في ص٦٨ من رجاله : أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن بن زياد بن عبد الله بن زياد بن عجلان ، مولى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس السبيعي الهمداني ، هذا رجل جليل في أصحاب الحديث ، مشهور بالحفظ ، والحكايات تختلف عنه في الحفظ وعظمه ، وكان كوفياً زيدياً جارودياً على ذلك مات . الخ .

١٧ ـ ل : الفامي ّ وابن مسرور ، عن محمد بن جعفر بن بطّة ، عن البرقي ّ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعت أبي يحدّث عن أبيه عليه السلام أن ّ رجلاً قام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : يا أمير المؤمنين بما عرفت ربّك ؟ قال : بفسخ العزم ،(١) ونقض الهمم ، لمّا أن هممت حال بيني وبين همّي ، و عزمت فخالف القضاء عزمي ، فعلمت أن ّ المدبّر غيري قال : فبماذا شكرت نعماءه ؟ قال : نظرت إلى بلاء قد صرفه عنّي وأبلى به غيري فعلمت أنّه قد أنعم علي ّ فشكرته ، قال : فبماذا أحببت لقاءه ؟ قال : لمّا رأيته قد اختار لي دين ملائكته ورسله وأنبيائه علمت أن ّ الّذي أكرمني بهذا ليس ينساني فأحببت لقاءه .

يد : الهمداني ّ، عن علي ّ، عن أبيه ، عن محمد بن سنان ، عن أبي الجارود ، عن أبي جعفر، عن أبيه ، عن جدّه عليهم السلام مثله .

١٨ ـ يد : ماجيلويه ، عن عمّه ، عن البرقي ّ ، عن محمد بن علي ّ الكوفي ّ ، عن عبدالرحمن بن محمد بن أبي هاشم ، عن أحمد بن محسن الميثمي ّ قال : كنت عند أبي منصور المتطبّب فقال : أخبرني رجل من أصحابي قال : كنت أنا وابن أبي العوجاء وعبدالله بن المقفّع(٢) في المسجد الحرام فقال ابن المقفّع : ترون هذا الخلق ؟ ـ وأومى بيده إلى موضع الطواف ـ مامنهم أحد أوجب له اسم الإنسانيّة(٣) إلّا ذلك الشيخ الجالس ـ يعني جعفر ابن محمد عليهما السلام ـ فأمّا الباقون فرعاع وبهائم ، فقال له ابن أبي العوجاء وكيف أوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء ؟ قال : لأنّي رأيت عنده ما لم أرعندهم ، فقال ابن أبي العوجاء : مابدّ من اختبار ماقلت فيه منه ، فقال له ابن المقفّع : لاتفعل فإنّي أخاف أن

---

(١) وفى نسخة : بفسخ العزائم .

(٢) قيل : إن اسمه «روزبه» قبل الاسلام وعبدالله بعد الاسلام ، والمقفّع اسمه المبارك ، ولقب بالمقفّع لان الحجاج بن يوسف ضربه ضربا فتقفعت يده ــ ورجل متقفع اليدين أى متشنجهما ــ و قيل : هو المقفّع بكسر العين ، لعمله القفعة ـ بفتح القاف وسكون الفاء ـ والقفعة : شيء يشبه الزنبيل بلاعروة وتعمل من خوص ليست بالكبيرة . ذكر السيد المرتضى فى ج١ ص٨٩ من أماليه ابن المقفع من جملة الزنادقة والملاحدة الذين يبطنون الكفر ويظهرون الاسلام .

(٣) فى نسخة : وجب له اسم الانسانيّة .

يفسد عليك ما في يدك ، فقال : ليس ذا رأيك ولكنّك تخاف أن يضعف رأيك عندي في إحلالك إيّاه المحلّ الّذي وصفت ، فقال ابن المقفّع : أمّا إذا توهّمت عليّ هذا فقم إليه وتحفّظ ما استطعت من الزلل ، ولاتثنّ عنانك إلى استرسال يسلمك إلى عقال ، وسمه مالك أو عليك ، قال : فقام ابن أبي العوجاء وبقيت وابن المقفّع فرجع إلينا وقال : يا ابن المقفّع ماهذا ببشر ، وإن كان في الدنيا روحانيّ يتجسّد إذا شاء ظاهراً ويتروّح إذا شاء باطناً فهو هذا ، فقال له : وكيف ذاك ؟ قال : جلست إليه فلمّا لم يبق عنده غيري ابتدأني فقال : إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء وهو على ما يقولون ـ يعني أهل الطواف ـ فقد سلموا وعطبتم ، وإن يكن الأمر كما تقولون ـ وليس كما تقولون ـ فقد استويتم وهم ، فقلت له : يرحمك الله وأيّ شيء تقول ؟ وأيّ شيء يقولون ؟ ماقولي وقولهم إلّا واحداً ، فقال : كيف يكون قولك وقولهم واحداً وهم يقولون : إنّ لهم معاداً وثواباً و عقاباً ، ويدينون بأنّ للسماء إلهاً ، وأنّها عمران ، وأنتم تزعمون أنّ السماء خراب ليس فيها أحد . قال : فاغتنمتها منه فقلت له : مامنعه إن كان الأمر كما تقول أن يظهر لخلقه ويدعوهم إلى عبادته حتّى لايختلف منهم اثنان ، ولما احتجب عنهم وأرسل إليهم الرسل ؟ ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به . فقال لي : ويلك وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك ؟ نشوءك ولم تكن ، وكبرك بعد صغرك ، وقوّتك بعد ضعفك ، وضعفك بعد قوّتك ، وسقمك بعد صحّتك ، وصحّتك بعد سقمك ، ورضاك بعد غضبك ، وغضبك بعد رضاك ، وحزنك بعد فرحك ، وفرحك بعد حزنك ، وحبّك بعد بغضك ، و بغضك بعد حبّك ، وعزمك بعد إبائك ، وإباؤك بعد عزمك ، وشهوتك بعد كراهتك ، وكراهتك بعد شهوتك ، ورغبتك بعد رهبتك ، ورهبتك بعد رغبتك ، ورجاؤك بعد يأسك ، ويأسك بعد رجائك ، وخاطرك بما لم يكن في وهمك ، وعزوب ما أنت معتقده من ذهنك . ومازال يعدّ عليّ قدرته الّتي في نفسي الّتي لاأدفعها حتّى ظننت أنّه سيظهر فيما بيني وبينه .

بيان : قال الجزريّ : رعاع الناس أي غوغاؤهم وسقاطهم وأخلاطهم ، الواحد : رعاعة . قوله : ولاتثنّ ، من الثني وهو العطف والميل أي لاترخ عنانك إليه بأن تميل إلى الرفق والاسترسال والتساهل فتقبل منه بعض مايلقي إليك . فيسلمك من التسليم أو

الإسلام . إلى عقال أي يعقلك بتلك المقدّمات الّتي تسلّمت منه بحيث لايبقى لك مفرٌّ كالبعير المعقول . قوله : وسمه مالك أوعليك ، نقل عن الشيخ البهائيّ قدّس الله روحه أنّه من السوم ، من سام البائع السلعة يسوم سوماً ، إذا عرضها على المشتري وسامها المشتري بمعنى استامها ، والضمير راجع إلى الشيخ على طريق الحذف والإيصال ، والموصول مفعوله . ويروى عن الفاضل التستريّ نوّر ضريحه أنّه كان يقرأ «سمّه» بضمّ السين وفتح الميم المشدّدة ، أمراً من سمّ الأمر يسمّه إذا سبره ونظر إلى غوره ، والضمير راجع إلى مايجري بينهما ، والموصول بدل عنه ، وقيل : هو من سممت سمّك . أي قصدت قصدك ، والهاء للسكت أي اقصد مالك وماعليك . والأظهر أنّه من وسم يسم سمةً بمعني الكيّ [(١)] والضمير راجع إلى مايريد أن يتكلّم به أي اجعل على ما تريد أن تتكلّم به علامةً لتعلم أيّ شيء لك وأيّ شيء عليك ، فالموصول بدل من الضمير . قوله عليه السلام : وهو على مايقولون اعترض عليه السلام الجملة الحاليّة بين الشرط والجزاء للإشارة إلى ماهوالحقّ ، ولئلاّ يتوهّم أنّه عليه السلام في شكّ من ذلك . والعطب : الهلاك . قوله عليه السلام : ليس فيها أحد أي لها أو عليها أو بالظرفيّة المجازيّة لجريان حكمه وحصول تقديره تعالى فيها ، وحاصل استدلاله عليه السلام : أنّك لمّا وجدت في نفسك آثار القدرة الّتي ليست من مقدوراتك ضرورةً علمت أنّ لها بارئاً قادراً ، وكيف يكون غائباً عن الشخص من لايخلو الشخص ساعةً عن آثار كثيرة يصل منه إليه .

١٩ ـ **يد** : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن عيسى ، عن أبيه ، عن سعيد بن جناح ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ماخلق الله خلقاً أصغر من البعوض والجرجس أصغر من البعوض ، والّذي يسمّونه الولغ أصغر من الجرجس ، ومافي الفيل شيءٌ إلّا وفيه مثله ، وفضّل على الفيل بالجناحين . [(٢)]

---

(١) بل الاظهر أنه أمر من التسمية كناية عن تعيين ما هو مقبول عنده من المقدمات وما ليس بمقبول .

(٢) وبالرجلين ، وخرطوم الفيل المصمت ، وخرطومه مجوف نافذ للجوف ، فاذا طعن به جسد الانسان استقى الدم وقذف به إلى جوفه فهو كالبلعوم والحلقوم ولذلك اشتد عضها ، و قويت على خرق الجلود الغلاظ ، ومما ألهمه الله تعالى أنه إذا جلس على عضو من أعضاء الانسان لايزال يتوخى *

بيان : قال الفيروزآباديّ : الجرجس بالكسر : البعوض الصغار . انتهى . فالمراد أنّ الجرجس أصغر من سائر أصناف البعوض ليوافق أوّل الكلام و كلام أهل اللّغة ، على أنّه يحتمل أن يكون الحصر في الأوّل إضافيّاً كما أنّ الظاهر أنّه لابدّ من تخصيصه بالطيور إذ قد يحسّ من الحيوانات ماهو أصغر من البعوض إلّا أن يقال : يمكن أن يكون للبعوض أنواع صغار لايكون شيء من الحيوانات أصغر منها . والولغ هنا بالغين المعجمة وفي الكافي بالمهملة ، وهما غير مذكورين فيما عندنا من كتب اللّغة ، و الظاهر أنّه أيضاً صنف من البعوض ، والغرض بيان كمال قدرته تعالى فإنّ القدرة في خلق الأشياء الصغار أكثر وأظهر منها في الكبار كما هو المعروف بين الصنّاع من المخلوقين [1] فتبارك الله أحسن الخالقين .

٢٠ ـ يد :الدقّاق ، عن الكلينيّ بإسناده رفع الحديث : أنّ ابن أبي العوجاء حين كلّمه أبوعبدالله عليه السلام عاد إليه في اليوم الثاني فجلس و هو ساكت لا ينطق ، فقال أبوعبدالله عليه السلام : كأنّك جئت تعيد بعض ماكنّا فيه ؟ فقال : أردت ذاك ياابن رسول الله ، فقال أبوعبدالله عليه السلام : ماأعجب هذا تنكر الله وتشهد أنّي ابن رسول الله ! فقال : العادة

---

* بخرطومه المسام التى يخرج منها العرق ، لانها أرق بشرة من جلد الانسان فاذا وجدها وضع خرطومه فيها ، وفيه من الشره أن يمص الدم إلى أن ينشق ويموت ، أوإلى أن يعجز عن الطيران فيكون ذلك سبب هلاكه ، ومن عجيب أمره أنه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الاربع فيبقى طريحا فى الصحراء فتجتمع السباع حوله ، والطير التى تاكل الجيف ، فمن أكل منها شيئا مات لوقته . قال وهب بن منبه : لما أرسل الله تعالى البعوض على النمرود اجتمع منه فى عسكره مالايحصى عدداً فلما عاين النمرود ذلك انفرد عن جيشه ودخل بيته ، وأغلق الابواب وأرخى الستور ونام على قفاه مفكراً ، فدخلت بعوضة فى أنفه وصعدت إلى دماغه فعذب بها أربعين يوما ، حتى أنه كان يضرب برأسه الارض وكان أعز الناس عنده من يضرب رأسه ثم سقطت منه كالفرخ وهى تقول : كذلك يسلط الله رسله على من يشاء من عباده ، ثم هلك حينئذ . وقد أودع الله فى مقدم دماغها قوة الحفظ ، وفى وسطه قوة الفكر وفى مؤخره قوة الذكر ، وخلق لها حاسة البصر ، وحاسة اللمس ، وحاسة الشم ، وخلق لها منفذاً للغذاء ، ومخرجاً للفضلة ، وخلق لها جوفاً وأمعاءً وعظاما ، فسبحان من قدر فهدى ، ولم يخلق شيئا من المخلوقات سدى . قاله الدميرى فى كتابه حياة الحيوان .

(١) هذا بحسب الدقة واللطف وكانه عليه السلام فى هذا المقام ، وأما بحسب القدرة فالامر بالعكس من جهة توفيق الذرات وتوديع القوى العظيمة الهائلة ، قال تعالى : لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون . المؤمن : ٥٧ . ط

تحملني على ذلك ، فقال له العالم عليه السلام : فما يمنعك من الكلام ؟ قال : إجلالاً لك[١] و مهابةً ماينطق لساني بين يديك فإنّي شاهدت العلماء وناظرت المتكلّمين فماتداخلني هيبةٌ قطّ مثل ما تداخلني من هيبتك . قال : يكون ذلك ولكن أفتح عليك بسؤال و أقبل عليه ، فقال له : أمصنوع أنت أوغير مصنوع ؟ فقال عبد الكريم بن أبي العوجاء : بل أنا غير مصنوع ، فقال له العالم عليه السلام : فصف لي لو كنت مصنوعاً كيف كنت تكون ؟ فبقي عبدالكريم مليّاً لايحير جواباً ، وولع بخشبة كانت بين يديه و هو يقول : طويل عريض عميق قصير متحرّك ساكن ، كلّ ذلك صفة خلقه ، [٢] فقال له العالم عليه السلام : فإن كنت لم تعلم صفة الصنعة غيرها فاجعل نفسك مصنوعاً لما تجد في نفسك ممّا يحدث من هذه الأمور ، فقال له عبدالكريم : سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك ولا يسألني أحد بعدك عن مثلها ، فقال له أبوعبدالله عليه السلام : هبك علمت أنّك لم تُسأل فيما مضى فما علمك أنّك لاتُسأل فيما بعد ؟ على أنّك يا عبدالكريم نقضت قولك لأنّك تزعم أنّ الأشياء من الأوّل سواء ، فكيف قدّمت وأخّرت ؟ ثمّ : قال : يا عبدالكريم أزيدك وضوحاً ، أرأيت لو كان معك كيس فيه جواهر فقال لك قائل : هل في الكيس دينار ؟ فنفيت كون الدينار في الكيس ، فقال لك قائل : صف لي الدينار وكنت غير عالم بصفته هل كان لك أن تنفي كون الدينار عن الكيس وأنت لاتعلم ؟ قال : لا ، فقال أبوعبدالله عليه السلام : فالعالم أكبر وأطول وأعرض من الكيس فلعلّ في العالم صنعةً من حيث لاتعلم صفة الصنعة من غير الصنعة ، فانقطع عبدالكريم وأجاب إلى الإسلام بعض أصحابه وبقي معه بعض ، فعاد في اليوم الثالث فقال : أُقلّب السؤال ؟ فقال له أبوعبدالله عليه السلام : اسأل عمّا شئت ، فقال : ما الدليل على حدث الأجسام ؟ فقال : إنّي ماوجدت شيئاً صغيراً ولا كبيراً إلّا وإذا ضمّ إليه مثله صار أكبر ، وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الأولى ، ولو كان قديماً مازال ولاحال ، لأنّ الّذي يزول ويحول يجوز أن يوجد ويبطل فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث ، وفي كونه في الأزل دخوله في القدم ، ولن تجتمع صفة الأزل والحدوث ، والقدم والعدم

(١) في نسخة : إجلال لك .

(٢) وفي نسخة : كل ذلك صنعة خلقه .

في شيء واحد ،[١] فقال عبدالكريم : هبك علمت في جري الحالتين والزمانين على ما ذكرت واستدللت على حدوثها فلو بقيت الأشياء على صغرها من أين كان لك أن تستدلّ على حدثها ؟ فقال العالم عليه السلام : إنّما نتكلّم على هذا العالَم الموضوع ، فلو رفعناه و وضعنا عالماً آخر كان لاشيء أدلّ على الحدث من رفعنا إيّاه و وضعنا غيره ، و لكن أجبتك[٢] من حيث قدّرت أن تلزمنا ونقول[٣] : إنّ الأشياء لودامت على صغرها لكان في الوهم أنّه متى ماضمّ شيء[٤] إلى مثله كان أكبر ، وفي جواز التغيير عليه خروجه من القدم كما بان في تغييره دخوله في الحدث[٥] ليس لك وراءه شيء ياعبدالكريم ، فانقطع وخزى . فلمّا أن كان من العام القابل التقى معه في الحرم فقال له بعض شيعته : إنّ ابن أبي العوجاء قد أسلم ، فقال العالم عليه السلام : هو أعمى من ذلك لايسلم ، فلمّا بصر بالعالِم قال : سيّدي ومولاي ، فقال له العالم : ماجاء بك إلى هذا الموضع ؟ فقال : عادة الجسد ، وسنّة البلد . و لنبصر ما الناس فيه من الجنون والحلق و رمي الحجارة ، فقال له العالِم : أنت بعدُ على عتوّك وضلالك ياعبدالكريم ، فذهب يتكلّم فقال له : لاجدال في الحجّ ، ونفض رداءه من يده وقال : إن يكن الأمر كما تقول ـ وليس كما تقول ـ نجونا ونجوت ، وإن يكن الأمر كما نقول ـ وهو كما نقول ـ نجونا وهلكت ، فأقبل عبدالكريم على من معه فقال : وجدت في قلبي حرارةً فردّوني ، فردّوه ومات ، لارحمه الله .

ج : روى مرسلاً بعض الخبر .

تنوير : لايحير جواباً بالمهملة أي لايقدر عليه . والولوع بالشيء : الحرص عليه والمبالغة في تناوله . قوله : كلّ ذلك صفة خلقه أي خلق الخالق والصانع ، ويمكن أن يقرأ بالتاء أي صفة المخلوقيّة ، والحاصل أنّه لمّا سأل الإمام عليه السلام عنه أنّك لو كنت مصنوعاً هل كنت على غير تلك الأحوال والصفات الّتي أنت عليها الآن أم لا أقبل يتفكّر

---

(١) في التوحيد المطبوع : ولن يجتمع صفة الازل والعدم في شيء واحد .

(٢) وفي نسخة : اجيبك .

(٣) وفي نسخة : فنقول .

(٤) وفي نسخة : ماضم شيء منه إلى شيء منه .

(٥) وفي نسخة . كما أن في تغييره دخوله في الحدث .

في ذلك ، فتنبّه أنّ صفاته كلّها صفات المخلوقين ، وكانت معاندته مانعةً عن الإذعان بالصانع تعالى فبقي متحيّراً ، فقال عليه السلام : إذا رجعت إلى نفسك ووجدت في نفسك صفة المخلوقين فلمَ لاتذعن بالصانع ؟ فاعترف بالعجز عن الجواب ، وقال : سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك ولا يسألني أحد بعدك . قوله عليه السلام : هبك أي افرض نفسك أنّك علمت ما مضى وسلّمنا ذلك لك ، قال الفيروزآباديّ : هبني فعلت أي احسبني فعلت وأعددني ، كلمة للأمر فقط . وحاصل جوابه عليه السلام : أوّلاً أنّك بنيت اُمورك كلّها على الظنّ والوهم لأنّك تقطع بأنّك لاتُسأل بعد ذاك عن مثلها مع أنّه لاسبيل لك إلى القطع به . وأمّا قوله عليه السلام : على أنّك يا عبدالكريم نقضت قولك يحتمل وجوهاً :

الاول : أن يكون المراد أنّ نفيك للصانع مبنيٌّ على أنّك تزعم أن لاعليّة بين الأشياء ونسبة الوجود والعدم إليها على السواء ، والاستدلال على الأشياء الغير المحسوسة إنّما يكون بالعلّيّة والمعلوليّة ، فكيف حكمت بعدم حصول الشيء في المستقبل ؟ فيكون المراد بالتقدّم والتأخّر العلّيّة والمعلوليّة أو ما يساوقهما .

الثاني : أن يكون مبنيّاً على ما لعلّهم كانوا قائلين به ، وربّما أمكن إلزامهم بذلك ، بناءاً على نفي الصانع من أنّ الأشياء متساويةٌ غير متفاوته في الكمال والنقص ، فالمراد : أنّك كيف حكمت بتفضيلي على غيري ؟ و هو مناف للمقدّمة المذكورة ، فالمراد بالتقدّم والتأخّر ماهو بحسب الشرف .

الثالث : أن يكون مبنيّاً على ماينسب إلى أكثر الملاحدة من القول بالكمون والبروز أي مع قولك بكون كلّ حقيقة حاصلةً في كلّ شيء كيف يمكنك الحكم بتقدّم بعض الأشياء على بعض في الفضل والشرف .

قوله عليه السلام : وفي ذلك زوال وانتقال ، حاصل استدلاله عليه السلام إمّا راجع إلى دليل المتكلّمين من أنّ عدم الانفكاك عن الحوادث يستلزم الحدوث ، أو إلى أنّه لايخلو إمّا أن يكون بعض تلك الأحوال الزائلة المتغيّرة قديماً أم لابل يكون كلّها حوادث وكلٌّ منهما محال : أمّا الأوّل فلمّا تقرّر عند الحكماء من أنّ ما ثبت قدمه امتنع عدمه ، و أمّا الثاني فللزوم التسلسل بناءاً على جريان دلائل إبطاله في الاُمور المتعاقبة ، ويمكن

أن يكون مبنيّاً على مايظهر من الأخبار الكثيرة من أنّ كلّ قديم يكون واجباً بالذات ولايكون المعلول إلّا حادثاً ، و وجوب الوجود ينافي التغيّر ، ولايكون الواجب محلاًّ للحوادث كما برهن عليه . ثمّ قال ابن أبي العوجاء : لوفرضنا بقاء الأشياء على صغرها لم يمكنك الاستدلال على حدوثها بالتغيّر ، فأجاب عليه السلام أوّلاً على سبيل الجدل بأنّ كلامنا كان في هذا العالم الّذي نشاهد فيه التغيّرات ، فلوفرضت رفع هذا العالم ووضع عالم آخر مكانه لايعتريه التغيّر فزوال هذا العالم دلّ على كونه حادثاً ، و إلّا لمازال ، وحدوث العالم الثاني أظهر . ثمّ قال : ولكن اُجيبك من حيث قدّرت ـ بتشديد الدال ـ أي فرضت لأن تلزمنا ، أو بالتخفيف أي زعمت أنّك تقدر أن تلزمنا ، وهو بأن تفرض في الأوّل مكان هذا العالم عالماً لايكون فيه التغيّر ، فنقول : يحكم العقل بأنّ الأجسام يجوز عليها ضمّ شيء إليها وقطع شيء منها . و جواز التغيّر عليه يكفي لحدوثها بنحو مامرّ من التقرير .

٢١ ـ يد : ابن إدريس ، عن أبيه ، عن ابن هاشم ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم قال : سئل أبوعبدالله عليه السلام فقيل له : بمَ عرفت ربّك ؟ قال : بفسخ العزم و نقض الهمّ ، عزمت ففسخ عزمي ، وهممت فنقض همّي .

٢٢ ـ يد : المكتّب ، عن الأسديّ ، عن البرمكيّ ، عن محمّد بن عبدالرحمن الخزّاز ، عن سليمان بن جعفر ، عن عليّ بن الحكم ، عن هشام بن سالم قال : حضرت محمّد بن النعمان الأحول فقام إليه رجل فقال له : بمَ عرفت ربّك ؟ قال : بتوفيقه و إرشاده و تعريفه و هدايته ، قال : فخرجت من عنده فلقيت هشام بن الحكم فقلت له : ما أقول لمن يسألني فيقول لي : بمَ عرفت ربّك ؟ فقال : إن سأل سائل فقال : بمَ عرفت ربّك ؟ قلت : عرفت الله جلّ جلاله بنفسي ، لأنّها أقرب الأشياء إليّ ، و ذلك أنّي أجدها أبعاضاً مجتمعةً ، وأجزاءاً مؤتلفة ، ظاهرة التركيب ، متبيّنة الصنعة ، مبنيّةً على ضروب من التخطيط و التصوير ، زائدةً من بعد نقصان ، وناقصةً من بعد زيادة ، قد اُنشئ لها حواسّ مختلفةٌ ، وجوارح متبائنةٌ ، من بصر وسمع وشامّ وذائق ولامس ، مجبولةً على الضعف والنقص والمهانة ، لاتدرك واحدةً منها مدرك صاحبتها ، ولا تقوى على ذلك عاجزةٌ عن اجتلاب

المنافع إليها ، ودفع المضارّ عنها ، واستحال في العقول وجود تأليف لامؤلّف له ، وثبات صورة لامصوّر لها ، فعلمت أنّ لها خالقاً خلقها ، ومصوّراً صوّرها ، مخالفاً لها في جميع جهاتها ،[1] قال الله جلّ جلاله : وفي أنفسكم أفلا تبصرون .

٢٣ ـ **يد** : الدقّاق ، عن الأسديّ ، عن الحسين بن المأمون القرشيّ ،[2] عن عمر بن عبدالعزيز ،[3] عن هشام بن الحكم قال : قال لي أبو شاكر الديصانيّ : إنّ لي مسألة تستأذن لي على صاحبك فإنّي قد سألت عنها جماعة من العلماء فما أجابوني بجواب مشبع ، فقلت : هل لك أن تخبرني بها فلعلّ عندي جواباً ترتضيه ؟ فقال : إنّي اُحبّ أن ألقى بها أباعبدالله عليه السلام ، فاستأذنت له فدخل فقال له : أتأذن لي في السؤال ؟ فقال له : سل عمّا بدا لك ، فقال له : ما الدليل على أنّ لك صانعاً ؟ فقال : وجدت نفسي لاتخلو من إحدى جهتين : إمّا أن أكون صنعتها أنا ، فلا أخلو من أحد معنيين : إمّا أن أكون صنعتها وكانت موجودة أو صنعتها وكانت معدومة ، فإن كنت صنعتها وكانت موجودة فقد استغنيت بوجودها عن صنعتها ، وإن كانت معدومة فإنّك تعلم أنّ المعدوم لايُحدث شيئاً ، فقد ثبت المعنى الثالث أنّ لي صانعاً وهو الله ربّ العالمين ، فقام وما أجاب جواباً .

بيان : هذا برهان متين مبنيّ على توقّف التأثير والإيجاد على وجود الموجد والمؤثّر ، والضرورة الوجدانيّة حاكمة بحقّيّتها ، ولامجال للعقل في إنكارها .

٢٤ ـ **يد** : أبي وابن الوليد معاً ، عن أحمد بن إدريس ، ومحمّد العطّار ، عن الأشعريّ ، عن سهل ، عن محمّد بن الحسين ، عن عليّ بن يعقوب الهاشميّ ، عن مروان بن مسلم قال : دخل ابن أبي العوجاء على أبي عبدالله عليه السلام : فقال : أليس تزعم أنّ الله خالق كلّ شيء ؟ فقال أبوعبدالله عليه السلام : بلى ، فقال له : أنا أخلق ، فقال له : كيف تخلق ؟ قال : اُحدث في الموضع ثمّ ألبث عنه فيصير دوابّاً ، فأكون أنا الّذي خلقتها ، فقال أبوعبدالله

---

(١) وفي نسخة : مخالفاً لها في جميع صفاتها

(٢) لم نقف على ترجمته .

(٣) لعله هو أبوحفص الملقب بزحل الذي ترجمه النجاشي في رجاله ص ٢٠٢ قال : عربي بصري مخلط ، له كتاب .

عليه السلام : أليس خالق الشيء يعرف كم خلقه ؟ قال له : بلى ، قال : فتعرف الذكر منها من الأُنثى وتعرف كم عمرها ؟ فسكت .

٢٥ ـ **يد** : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن هاشم ، عن محمّد بن حمّاد ، عن الحسن بن إبراهيم ، عن يونس بن عبدالرحمن ، عن يونس بن يعقوب قال : قال لي عليّ بن منصور [1] : قال لي هشام بن الحكم : كان زنديق بمصر يبلغه عن أبي عبدالله عليه السلام فخرج إلى المدينة ليناظره فلم يصادفه بها ، فقيل له : هو بمكّة فخرج الزنديق إلى مكّة ونحن مع أبي عبدالله عليه السلام فقاربنا الزنديق ـ ونحن مع أبي عبدالله عليه السلام ـ في الطواف فضرب كتفه كتف أبي عبدالله عليه السلام ، فقال له جعفر عليه السلام : ما اسمك ؟ قال : اسمي عبدالملك ، قال : فما كنيتك ؟ قال : أبوعبدالله ، قال : فمن الملك الّذي أنت له عبد ، أمن ملوك السماء أم من ملوك الأرض ؟ وأخبرني عن ابنك ، أعبد إله السماء أم عبد إله الأرض ؟ فسكت ، فقال له أبوعبدالله عليه السلام : قل ما شئت تخصم . قال هشام بن الحكم : قلت للزنديق : أما تردّ عليه ؟ فقبّح قولي ، فقال له أبوعبدالله عليه السلام : إذا فرغت من الطواف فأتنا ، فلمّا فرغ أبوعبدالله عليه السلام أتاه الزنديق فقعد بين يديه ونحن مجتمعون عنده ، فقال للزنديق : أتعلم أنّ للأرض تحت وفوق ؟ قال : نعم ، قال : فدخلت تحتها ؟ قال : لا ، قال : فما يدريك بما تحتها ؟ قال : لا أدري إلّا أنّي أظنّ أن ليس تحتها شيءٌ ، قال أبوعبدالله عليه السلام : فالظنّ عجز ما لم تستيقن ، قال أبوعبدالله عليه السلام : فصعدت إلى السماء ؟ قال : لا ، قال : فتدري ما فيها ؟ قال : لا ، قال : فعجباً لك لم تبلغ المشرق ، ولم تبلغ المغرب ، ولم تنزل تحت الأرض ، ولم تصعد إلى السماء ، ولم تجز هنالك فتعرف ما خلقهنّ وأنت جاحد ما فيهنّ وهل يجحد العاقل ما لا يعرف ؟ فقال الزنديق : ما كلّمني بهذا أحد غيرك ، قال أبوعبدالله عليه السلام : فأنت في شكّ من ذلك فلعلّ هو ، أو لعلّ ليس هو ، قال الزنديق : ولعلّ ذاك : فقال أبوعبدالله عليه السلام : أيّها الرجل ليس لمن لا يعلم حجّة على من يعلم ، فلا حجّة للجاهل ، يا أخا أهل مصر تفهّم عنّي فإنّا لا نشكّ في الله أبداً ، أما ترى الشمس والقمر واللّيل والنهار يلجان

(١) أورده النجاشي في ص ١٧٦ من رجاله ، قال : علي بن منصور أبوالحسن كوفي ، سكن بغداد ، متكلم ، من أصحاب هشام ، له كتب : منها كتاب التدبير في التوحيد والامامة .

ليس لهما مكان إلّا مكانهما فإن كانا يقدران على أن يذهبا ولا يرجعان فلمَ يرجعان ؟ وإن لم يكونا مضطرّين فلم َلا يصير اللّيل نهاراً والنهار ليلاً ؟ اضطرّا والله يا أخا أهل مصر إلى دوامهما ، والّذي اضطرّهما أحكم منهما و أكبر منهما ، قال الزنديق : صدقت . ثمّ قال أبوعبدالله عليه السلام : يا أخا أهل مصر الّذي تذهبون إليه وتظنّونه بالوهم فإن كان الدهر يذهب بهم لمَ لا يردّهم ؟ وإن كان يردّهم لمَ لا يذهب بهم ؟ القوم مضطرّون يا أخا أهل مصر ، السماء مرفوعة ، والأرض موضوعة ، لم لا تسقط السماء على الأرض ؟ ولمَ لا تنحدر الأرض فوق طباقها فلا يتماسكان ولا يتماسك من عليهما ؟ فقال الزنديق : أمسكهما والله ربّهما وسيّدهما ، فآمن الزنديق على يدي أبي عبدالله عليه السلام . فقال له حمران بن أعين : جعلت فداك إن آمنت الزنادقة على يديك فقد آمنت الكفّار على يدي أبيك . فقال المؤمن الّذي آمن على يدي أبي عبدالله عليه السلام : اجعلني من تلامذتك . فقال أبوعبدالله عليه السلام لهشام بن الحكم : خذه إليك فعلّمه . فعلّمه هشام فكان معلّم أهل مصر و أهل الشام ، و حسنت طهارته حتّى رضي بها أبوعبدالله عليه السلام .

ج : عن هشام بن الحكم مثله .

ايضاح : قوله عليه السلام : فمن الملك لعلّه عليه السلام سلك أوّلاً في الاحتجاج عليه مسلك الجدل ، لبنائه على الأمر المشهور عند الناس أنّ الاسم مطابق لمعناه ، ويحتمل أن يكون على سبيل المطائبة والمزاح لبيان عجزه عن فهم الواضحات ، و ردّ الجواب عن أمثال تلك المطائبات ، أو يكون منبّهاً على ما ارتكز في العقول من الإذعان بوجود الصانع وإن أنكروه ظاهراً لكفرهم وعنادهم ، ثمّ ابتدأ عليه السلام بإزالة إنكار الخصم و إخراجه منه إلى الشكّ لتستعدّ نفسه لقبول الحقّ ، فأزال إنكاره بأنّه غير عالم بما تحت الأرض وليس له سبيل إلى الجزم بأن ليس تحتها شيء ، ثمّ زاده بياناً بأنّ السماء الّتي لم يصعدها كيف يكون له الجزم والمعرفة بما فيها وما ليس فيها ؟ و كذا المشرق والمغرب ، فلمّا عرف قبح إنكاره وتنزّل عنه وأقرّ بالشكّ بقوله : ولعلّ ذاك ، أخذ عليه السلام في هدايته و قال : ليس للشاكّ دليل وللجاهل حجّة ، فليس لك إلا طلب الدليل فاستمع وتفهّم فإنّا لا نشكّ فيه أبداً ، والمراد بولوج الشمس والقمر غروبهما ، أو دخولهما بالحركات

الخاصّة في بروجهما ، وبولوج اللّيل والنهار دخول تمام كلّ منهما في الآخر ، أو دخول بعض من كلّ منهما في الآخر بحسب الفصول .

وحاصل الاستدلال أنّ لهذه الحركات انضباطاً و اتّساقاً و اختلافاً و تركّباً فالانضباط يدلّ على عدم كونها إراديّة كما هو المشاهد من أحوال ذوي الإرادات من الممكنات ، و الاختلاف يدلّ على عدم كونها طبيعيّة ، فإنّ الطبيعة العادمة للشعور لاتختلف مقتضياتها كما نشاهد من حركات العناصر ، كما قالوا : إنّ الطبيعة الواحدة لاتقتضي التوجّه إلى جهة والانصراف عنه ، ويمكن أن يقال : حاصل الدليل راجع إلى مايحكم به الوجدان ، من أنّ مثل تلك الأفعال المحكمة المتقنة الجارية على قانون الحكمة لايصدر عن الدهر والطبائع العادمة للشعور والإرادة ، وإلى هذا يرجع قوله عليه السلام : إن كان الدهر يذهب بهم أي الدهر العديم الشعور كيف يصدر عنه الذهاب الموافق للحكمة ولايصدر عنه بدله الرجوع ؟ أو المراد أنّه لم يقتضي طبعه ذهاب شيء ولايقتضي ردّه وبالعكس ، بناءاً على أنّ مقتضيات الطبائع تابعة لتأثير الفاعل القادر القاهر ، ويمكن أن يكون المراد بالذهاب بهم إعدامهم ، وبردّهم إيجادهم ، والمراد بالدهر الطبيعة ، كما هو ظاهر كلام أكثر الدهريّة ، أي نسبة الوجود و العدم إلى الطبائع الإمكانيّة على السواء ، فإن كان الشيء يوجد بطبعه فلم لايعدم ؟ فترجّح أحدهما ترجّح بلا مرجّح يحكم العقل باستحالته . ويجري جميع تلك الاحتمالات في قوله عليه السلام : السماء مرفوعة إلى آخر كلامه عليه السلام . وقوله عليه السلام : لم لاتسقط السماء على الأرض أي لاتتحرّك بالحركة المستقيمة حتّى تقع على الأرض . وقوله : ولم لاتنحدر الأرض ؟ أي تتحرّك إلى جهة التحت حتّى تقع على أطباق السماء ، أو المراد الحركة الدوريّة فيغرق الناس في الماء ، فيكون ضمير طباقها راجعاً إلى الأرض وطباق الأرض : أعلاها أي تنحدر الأرض بحيث تصير فوق ماعلا منها الآن . قوله عليه السلام : فلايتماسكان أي في صورة السقوط والانحدار ، أو المراد فظهر أنّه لايمكنهما التمسّك بأنفسهما بل لابدّ من ماسك يمسكهما .

أقول : تفصيل القول في شرح تلك الأخبار الغامضة يقتضي مقاماً آخر ، وإنّما نشير في هذا الكتاب إلى مالعلّه يتبصّر به أُولوا الأذهان الثاقبة من أُولي الألباب ،

وسنبسط الكلام فيها في كتاب مرآة العقول إن شاءالله تعالى .

٢٦ ـ م : قال الإمام عليه السلام : لما توعّد[١] رسول‌الله صلى الله عليه وآله اليهود والنواصب في جحد النبوّة والخلافة ، قال مردة اليهود وعتاة النواصب[٢] : مَن هذا الّذي ينصر محمّداً وعليّاً على أعدائهما ؟ فأنزل‌الله عزّوجلّ : « إنّ في خلق السموات والأرض » بلا عمد من تحتها ، ولاعلاقة من فوقها ، تحبسها من الوقوع عليكم ، وأنتم يا أيّها العباد و الإماء أسرائي وفي قبضتي ، الأرض من تحتكم لامنجا لكم منها إن هربتم ، والسماء من فوقكم ولامحيص لكم عنها إن ذهبتم ، فإن شئت أهلكتكم بهذه ، وإن شئت أهلكتكم بتلك ، ثمّ ما في السماوات من الشمس المنيرة في نهاركم لتنتشروا في معايشكم ، ومن القمر المضيء لكم في ليلكم لتبصروا في ظلماته وإلجاؤكم بالاستراحة بالظلمة إلى ترك مواصلة الكدّ الّذي ينهك[٣] أبدانكم « واختلاف اللّيل والنهار » المتتابعين الكادّين عليكم بالعجائب الّتي يحدثها ربّكم في عالمه من إسعاد وإشقاء ، و إعزاز و إذلال ، و إغناء و إفقار ، وصيف و شتاء ، و خريف و ربيع ، و خصب و قحط ، وخوف و أمن . « و الفلك الّتي تجري في البحر بما ينفع الناس » الّتي جعلها الله مطاياكم لا تهدأ[٤] ليلاً ولا نهاراً ، ولاتقتضيكم علفاً ولا ماءاً ، و كفاكم بالرياح مؤونة تسيرها بقواكم الّتي كانت لاتقوم بها لو ركدت عنها الرياح لتمام مصالحكم و منافعكم و بلوغ الحوائج لأنفسكم « وما أنزل الله من السماء من ماء » و ابلاً و هطلاً و رذاذاً[٥] لاينزل عليكم دفعةً واحدةً فيغرقكم ويهلك معايشكم لكنّه ينزل متفرّقاً من علا حتّى تعمّ الأوهاد والتلال والتلاع ، [٦] « فأحيا به الارض بعد موتها » فيخرج نباتها وثمارها وحبوبها « وبثّ فيها

---

(١) أى هدّد .

(٢) العتاة . جمع للعاتى وهو المستكبر ومن جاوز الحد .

(٣) أى يدنف ويضنى .

(٤) المطايا جمع للمطية وهى الدابة التى تركب . ولاتهدأ أى لاتسكن .

(٥) الوابل : المطر الشديد . الهطل ـ بفتح الهاء ـ : المطر الضعيف الدائم . وتتابع المطر المتفرق العظيم القطر . الرذاذ كسحاب : المطر الضعيف ، أو الساكن الدائم الصغار القطر كالغبار ، أو هو بعد الطل .

(٦) جمع للتلعة : ماارتفع من الارض وما انهبط منها ، من الاضداد . و لعل المراد فى الخبر المعنى الثانى .

من كلّ دابّة» منها ماهو لأكلكم ومعايشكم ، ومنها سباع ضارية حافظة عليكم لأنعامكم لئلّا تشذّ عليكم خوفاً من افتراسها لها ، «وتصريف الرياح» المربّية لحبوبكم ، المبلّغة لثماركم ، النافية لركد الهواء والأقتار عنكم ، «والسحاب المسخّر بين السماء والأرض» يحمل أمطارها ، ويجري بإذن الله ويصبّها من حيث يؤمر « لآيات » دلائل واضحات «لقوم يعقلون» يتفكّرون بعقولهم أنّ من هذه العجائب من آثار قدرته قادر على نصرة محمّد وعليّ وآلهما عليهم السلام على من يشاء .

بيان : الكادّين من الكدّ بمعنى الشدّة والإلحاح في الطلب كناية عن عدم تخلّفهما والباء في قوله عليه السلام : بالعجائب بمعنى مع . وقوله : والأقتار كأنّه جمع القترة بمعنى الغبرة أي يذهب الأغبرة والأبخرة المجتمعة في الهواء الموجبة لكثافتها وتعفّنها . والضمير في قوله : أمطارها إمّا راجع إلى الأرض ، أو إلى السحاب للجمعيّة .

٢٧ ــ **جع** : سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن إثبات الصانع ، فقال : البعرة تدلّ على البعير ، والروثة تدلّ على الحمير ، وآثار القدم تدلّ على المسير ، فهيكل علويّ بهذه اللّطافة ومركز سفليّ بهذه الكثافة كيف لايدلّان على اللّطيف الخبير ؟ .

٢٨ـ وقال عليه السلام : بصنع الله يستدلّ عليه ، وبالعقول تعتقد معرفته ، وبالتفكّر تثبت حجّته ، معروف بالدلالات ، مشهور بالبيّنات .

٢٩ ــ **جع** : سئل أمير المؤمنين صلوات الله عليه : ما الدليل على إثبات الصانع ؟ قال : ثلاثة أشياء : تحويل الحال ، وضعف الأركان ، ونقض الهمّة .

أقول : سيأتي مايناسب هذا الباب في أبواب الاحتجاجات ، وأبواب المواعظ و الخطب والحكم إن شاء الله تعالى . ولنذكر بعد ذلك توحيد المفضّل بن عمر ، و رسالة الإهليلجة المرويّتين عن الصادق عليه السلام لاشتمالهما على دلائل وبراهين على إثبات الصانع تعالى ، ولايضرّ ارسالهما لاشتهار انتسابهما إلى المفضّل ، وقد شهد بذلك السيّد ابن طاووس وغيره .[1] ولاضعف محمّد بن سنان والمفضّل لأنّه في محلّ المنع بل يظهر من الأخبار

---

(١) قال ابن طاووس فى ص٩ من كتابه كشف المحجة : وانظر كتاب المفضل بن عمر الذى أملاه عليه مولانا الصادق عليه السلام فيما خلق الله جل جلاله من الاثار ، وانظر كتاب الاهليلجة ومافيه من *

الكثيرة علوّ قدرهما وجلالتهما ، مع أنّ متن الخبرين شاهدا صدق على صحّتهما ،(١) وأيضاً هما يشتملان على براهين لاتتوقّف إفادتها العلم على صحّة الخبر .

* الاعتبار ، فان الاعتناء بقول سابق الانبياء والاوصياء والاولياء عليهم أفضل السلام موافق لفطرة العقول والاحلام . وقال في ص٧٨ من كتابه الامان من أخطار الاسفار والازمان : ويصحب معه كتاب الاهليلجة وهو كتاب مناظرة مولانا الصادق عليه السلام الهندي في معرفة الله جل جلاله بطريق غريبة عجيبة ضرورية ، حتى أقر الهندي بالالهية والوحدانية ، ويصحب معه كتاب المفضل بن عمر الذي رواه عن الصادق عليه السلام في معرفة وجوه الحكمة في إنشاء العالم السفلي وأسراره ، فانه عجيب في معناه . أقول : وعدّ النجاشي من كتبه كتاب الفكر كتاب في بدء الخلق والحث على الاعتبار وصية المفضل ، وذكر طريقه إليه هكذا : أخبرني أبوعبدالله بن شاذان ، قال : حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى عن أبيه ، عن عمران بن موسى ، عن ابراهيم بن هاشم ، عن محمد بن سنان ، عن المفضل . انتهى . ولعل المراد منه هو كتاب توحيده هذا .

(١) أما متن الخبر الاول المشتهر بتوحيد المفضل فهو مطابق لجل الاخبار المروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام المطابقة لمعارف الكتاب العزيز وما يشتمل عليه من الادلة براهين تامة لاغبار عليها . وأما خبر الاهليلجة فمحصل مافيه إثبات حجية حكم العقل وعدم كفاية الحواس في الاحكام ، واثبات وجود الصانع من طريق السببية ، وإثبات وحدته من طريق اتصال التدبير وهذا لاشك فيه من جهة العقل ولا من جهة مطابقته لسائر النقل ، غير أنه مشتمل على تفاصيل لاشاهد عليها من النقل والعقل بل الامر بالعكس، كاشتماله على كون علوم الهيئة وأحكام النجوم مستنداً إلى الوحي ، وكذا كون علم الطب والقرابادين مستندين إلى الوحي مستدلا بأن إنسانا واحداً لايقدر على هذا التتبع العظيم والتجارب الوسيع . مع أن ذلك مستند الى أرصاد كثيرة ومحاسبات علمية وتجاربات ممتدة من امم مختلفة في أعصار وقرون طويلة تراكمت حتى تكونت في صورة فن أنتجه مجموع تلك المجاهدات العظيمة ، و الدليل عليه أن النهضة الاخيرة سبكت علمي الهيئة والطب في قالب جديد أوسع من قالبهما القديم بمالا يقدّر من الوسعة ، ولامستند له الا الارصاد والتجارب والمحاسبات العلمية ، وكذا ما هو مثلهما في الوسعة كالكيميا والطبيعيات وعلم النبات والحيوان و غير ذلك ، نعم من الممكن استناد أصلهما الى الوحي وبيان النبي .

ومما يشتمل عليه الخبر كون البحار باقية على حال واحدة دائماً من غير زيادة ونقيصة مع أن التغيرات الكلية فيها مماهواليوم من الواضحات . على أن الكتاب والسنة يساعدانه أيضاً .

والذي أظنه - والله أعلم - أن أصل الخبر مما صدر عنه عليه السلام لكنه لم يخل عن تصرف المتصرفين فزادوا ونقصوا بما أخرجه عن استقامته الاصلية ، ويشهد على ذلك النسخ المختلفة العجيبة التي سينقلها المصنف رحمه الله فان النسخ يمكن أن تختلف بالكلمة والكلمتين والجملة والجملتين لسهو من الراوي في ضبطه أو من الكاتب في استنساخه ، و أما بنحو الورقة و الورقتين وخمسين سطراً ومائة سطر فمن المستبعد جداً ، الا أن يستند الى تصرف عمدي ، ومما يشهد على ذلك أيضاً الاندماج وعسر البيان الذي يشاهد في أوائل الخبر وأواسطه . والله أعلم . ط

﴿باب ٤﴾

۞(الخبر المشتهر بتوحيد المفضل بن عمر)۞

روى محمد بن سنان قال: حدّثنا المفضّل بن عمر قال: كنت ذات يوم بعد العصر جالساً في الروضة بين القبر والمنبر، وأنا مفكّر فيما خصّ الله به سيّدنا محمداً صلى الله عليه وآله من الشرف والفضائل، وما منحه وأعطاه وشرّفه به وحباه[1] ممّا لا يعرفه الجمهور من الأمّة، وما جهلوه من فضله وعظيم منزلته وخطر مرتبته،[2] فإنّي لكذلك إذ أقبل ابن أبي العوجاء فجلس بحيث أسمع كلامه فلمّا استقرّ به المجلس إذا رجل من أصحابه قد جاء فجلس إليه فتكلّم ابن أبي العوجاء فقال: لقد بلغ صاحب هذا القبر العزّ بكماله، وحاز الشرف بجميع خصاله، ونال الحظوة في كلّ أحواله، فقال له صاحبه: إنّه كان فيلسوفاً ادّعى المرتبة العظمى والمنزلة الكبرى، وأتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول، وضلّت فيها الأحلام، وغاصت الألباب على طلب علمها في بحار الفكر فرجعت خاسئات وهي حسير، فلمّا استجاب لدعوته العقلاء والفصحاء والخطباء دخل الناس في دينه أفواجاً فقرن اسمه باسم ناموسه، فصار يهتف به على رؤوس الصوامع في جميع البلدان، والمواضع الّتي انتهت إليها دعوته، وعلت بها كلمته، وظهرت فيها حجّته برّاً وبحراً وسهلاً وجبلاً في كلّ يوم وليلة خمس مرّات، مردّداً في الأذان والإقامة ليتجدّد في كلّ ساعة ذكره، لئلّا يخمل أمره. فقال ابن أبي العوجاء: دع ذكر محمد - صلى الله عليه وآله - فقد تحيّر فيه عقلي، وضلّ في أمره فكري، وحدّثنا في ذكر الأصل الّذي يمشي به. ثمّ ذكر ابتداء الأشياء وزعم أنّ ذلك بإهمال لاصنعة فيه ولاتقدير، ولاصانع له ولامدبّر، بل الأشياء تتكوّن من ذاتها بلامدبّر، وعلى هذا كانت الدنيا لم تزل ولاتزال.

بيان: الحوز: الجمع وكلّ من ضمّ إلى نفسه شيئاً فقد حازه. والحظوة بالضمّ والكسر والحاء المهملة والظاء المعجمة: المكانة والمنزلة. والفيلسوف: العالِم. وخسأ

---

(١) أي أعطاه.

(٢) الخطر: الشرف وارتفاع القدر والمرتبة.

البصر أي كلّ. و الناموس : صاحب السرّ المطّلع على أمرك ، أو صاحب سرّ الخير ، و جبرئيل عليه السلام ، والحاذق ومن يلطف مدخله ، ذكرها الفيروزآباديّ ، ومراده هنا الربّ تعالى شأنه . وخمل ذكره : خفي . والخامل : الساقط الّذي لا نباهة له . وقوله : الّذي يمشي به أي يذهب إلى دين محمّد - صلّى الله عليه وآله - وغيره بسببه ، أو يهتدى به كقوله تعالى : نوراً يمشي به في الناس .[1] و في بعض النسخ « يسمى » إمّا بالتشديد أي يذكر اسمه ، أو بالتخفيف أي يرتفع الناس به ويدعون الانتساب إليه .

قال المفضّل : فلم أملك نفسي غضباً وغيظاً وحنقاً [2] فقلت : ياعدوّ الله ألحدت في دين الله ، وأنكرت الباري جلّ قدسه الّذي خلقك في أحسن تقويم ، وصوّرك في أتمّ صورة ، ونقلك في أحوالك حتّى بلغ بك إلى حيث انتهيت ، فلو تفكّرت في نفسك و صدقك لطيف حسّك لوجدت دلائل الربوبيّة و آثار الصنعة فيك قائمة ، وشواهده - جلّ وتقدّس - في خلقك واضحة ، وبراهينه لك لائحة . فقال : ياهذا إن كنت من أهل الكلام كلّمناك ، فإن ثبت لك حجّة تبعناك ، وإن لم تكن منهم فلا كلام لك ، وإن كنت من أصحاب جعفر بن محمّد الصادق فما هكذا يخاطبنا ، ولا بمثل دليلك يجادلنا ، ولقد سمع من كلامنا أكثر ممّا سمعت ، فما أفحش في خطابنا ولا تعدّى في جوابنا ، و إنّه لَلحليم الرزين العاقل الرصين ، لايعتريه[3] خرق ولاطيش ولا نزق ، ويسمع كلامنا ويصغي إلينا ويستعرف حجّتنا حتّى استفرغنا ماعندنا وظننّا أنّا قد قطعناه أدحض حجّتنا بكلام يسير وخطاب قصير يلزمنا به الحجّة ، ويقطع العذر ، ولا نستطيع لجوابه ردّاً ، فإن كنت من أصحابه فخاطبنا بمثل خطابه .

بيان : و صدقك بالتخفيف أي قال لك صدقاً . لطيف حسّك أي حسّك اللّطيف أي لم يلتبس على حسّك غرائب صنع الله فيك لمعاندتك للحقّ ، وفي بعض النسخ حسنك فالمراد بصدق الحسن ظهور ما أخفى الله فيه منه على الناظر ، وعلى الوجهين يمكن أن يقرأ صدّقك بالتشديد بتكلّف لايخفى على المتأمّل . والرزين : الوقور ، والرصين بالصاد

(١) الانعام : ١٢٢ .
(٢) الحنق : شدة الاغتياظ .
(٣) أى لا يصيبه .

المهملة : الحكم الثابت . والخرق بـالضمّ : ضدّ الرفق . والنزق : الطيش والخفّة عند الغضب . وقوله : استفرغنا لعلّه من الإفراغ بمعنى الصبّ ، قال الفيروزآباديّ : استفرغ مجهوده : بذل طاقته ، والإدحاض : الإبطال .

قال المفضّل : فخرجت من المسجد محزوناً مفكّراً فيما بلي به الإسلام وأهله من كفر هذه العصابة و تعطيلها ،[1] فدخلت على مولاي صلوات الله عليه فرآني منكسراً ، فقال : مالك ؟ فأخبرته بماسمعت من الدهريّين[2] وبما رددت عليهما ، فقال : لاُلقينّ إليك من حكمة الباري - جلّ وعلا وتقدّس اسمه - في خلق العالم والسباع والبهائم و الطير والهوامّ ، وكلّ ذي روح من الأنعام ، والنبات والشجرة المثمرة وغير ذات الثمر والحبوب والبقول المأكول من ذلك وغير المأكول مايعتبر به المعتبرون ، ويسكن إلى معرفته المؤمنون ، ويتحيّر فيه الملحدون فبكّر عليّ غداً .

قال المفضّل : فانصرفت من عنده فرحاً مسروراً وطالت عليّ تلك اللّيلة انتظاراً لماوعدني به ، فلمّا أصبحت غدوت فاستوذن لي فدخلت و قمت بين يديه ، فأمرني بالجلوس فجلست ، ثمّ نهض إلى حجرة كان يخلو فيها ، فنهضت بنهوضه فقال : اتبعني فتبعته فدخل ودخلت خلفه ، فجلس وجلست بين يديه ، فقال : يامفضّل :كأنّي بك وقد طالت عليك هذه اللّيلة انتظاراً لماوعدتك ؟ فقلت : أجل يا مولاي ، فقال : يامفضّل إنّ الله كان ولاشيء قبله ، وهو باق ولانهاية له ، فله الحمد على ما ألهمنا ، وله الشكر على مامنحنا ، وقد خصّنا من العلوم بأعلاها ومن المعالي بأسناها ، واصطفانا على جميع الخلق بعلمه ، وجعلنا مهيمنين عليهم بحكمه ، فقلت : يامولاي أتأذن لي أن أكتب ماتشرحه ؟ - وكنت أعددت معي ماأكتب فيه - فقال لي : افعل .

بيان : أسناها أي أرفعها أوأضوأها . والمهيمن : الأمين والمؤتمن والشاهد .

يامفضّل إنّ الشكّاك جهلوا الأسباب والمعاني في الخلقة ، و قصرت أفهامهم عن تأمّل الصواب والحكمة ، فيما ذرأ[3] الباري جلّ قدسه وبرأ[4] من صنوف خلقه في

(١) العصابة : الجماعة من الرجال .
(٢) الدهرى : الملحد القائل : بأن العالم موجود أزلا وأبداً ، لاصانع له .
(٣) أى خلق .
(٤) أى خلقه من العدم .

البرّ والبحر، والسهل والوعر [١] فخرجوا بقصر علومهم إلى الجحود، و بضعف بصائرهم إلى التكذيب والعنود، حتّى أنكروا خلق الأشياء، وأدّعوا أنّ كونها بالإهمال لاصنعة فيها ولاتقدير، ولاحكمة من مدبّر ولاصانع، تعالى الله عمّا يصفون، وقاتلهم الله أنّى يؤفكون. فهم في ضلالهم وعماهم وتحيّرهم بمنزلة عميان دخلوا داراً قد بنيت أتقن بناء وأحسنه، وفرشت بأحسن الفرش و أفخره، و أُعدّ فيها ضروب الأطعمة والأشربة و الملابس و المآرب [٢] الّتي يحتاج إليها لايستغنى عنها، و وضع كلّ شيء من ذلك موضعه على صواب من التقدير وحكمة من التدبير فجعلوا يتردّدون فيها يميناً وشمالاً ويطوفون بيوتها إدباراً وإقبالاً، محجوبةً أبصارهم عنها، لايبصرون بنية الدار [٣] وما أُعدّ فيها، وربّما عثر بعضهم بالشيء الّذي قدوضع موضعه وأُعدّ للحاجة إليه، و هو جاهل بالمعنى فيه ولما أُعدّ ولماذا جعل كذلك فتذمّر وتسخط وذمّ الدار وبانيها فهذه حال هذا الصنف في إنكارهم ماأنكروا من أمر الخلقة و ثبات الصنعة، [٤] فإنّهم لمّا غربت [٥] أذهانهم عن معرفة الأسباب والعلل في الأشياء صاروا يجولون في هذا العالم حيارى، ولايفهمون ماهوعليه من إتقان خلقته وحسن صنعته وصواب تهيئته، و ربمّا وقف بعضهم على الشيء لجهل سببه والإرب فيه فيسرع إلى ذمّه ووصفه بالإحالة والخطأ، كالّذي أقدمت عليه المانويّة الكفرة، وجاهرت به الملحدة المارقة الفجرة وأشباههم من أهل الضلال، المعلّلين أنفسهم بالمحال، فيحقّ على من أنعم الله عليه بمعرفته وهداه لدينه، ووفّقه لتأمّل التدبير في صنعة الخلائق، والوقوف على ماخلقوا له من لطيف التدبير وصواب التعبير بالدلالة القائمة الدالّة على صانعها، أن يكثر حمدالله مولاه على ذلك، ويرغب إليه في الثبات عليه و الزيادة منه فإنّه جلّ اسمه يقول: لئن شكرتم لأزيدنّكم ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد.

---

(١) وعرالارض صلب وصعب السير فيه، ضدالسهل.

(٢) المآرب: الحوائج.

(٣) وفي نسخة: هيئة الدار.

(٤) وفي نسخة: إثبات الصنعة.

(٥) في نسخة عزبت، وفي نسخة اخرى: غبت، وفي ثالثة. وعرت.

بيان : قاتلهم‌الله أي قتلهم ، أولعنهم . أنّى يؤفكون كيف يصرفون عن‌الحقّ ؟ وقال الجوهريّ : ظلّ يتذمّر على فلان إذا تنكّر له وأوعده . انتهى . وغربت بمعنى غابت . والإرب بالفتح والكسر : الحاجة . ووصفه بالإحالة أي بأنّه يستحيل أن يكون له خالق مدبّر أويستحيل أن يكون من فعله تعالى . والمانويّة فرقة من الثنويّة أصحاب ماني الّذي ظهر في زمان سابور بن أردشير ، وأحدث ديناً بين المجوسيّة والنصرانيّة ، وكان يقول بنبوّة المسيح ـ على نبيّنا وآله وعليه السلام ـ ولايقول بنبوّة موسى ـ على نبيّنا وآله وعليه السلام ـ وزعم أنّ العالم مصنوع مركّب من أصلين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة ، وهؤلاء ينسبون الخيرات إلى النور ، والشرور إلى الظلمة ، وينسبون خلق السباع والموذيات والعقارب والحيّات إلى الظلمة ، فأشار عليه السلام إلى فساد وهمهم بأنّ هذا لجهلهم بمصالح هذه السباع والعقارب والحيّات الّتي يزعمون أنّها من الشرور الّتي لايليق بالحكيم خلقها . قوله عليه السلام : المعلّلين أي الشاغلين أنفسهم عن طاعة ربّهم بأمور يحكم العقل السليم باستحالته ، قال الفيروزآباديّ : علّله بطعام وغيره تعليلاً : شغله به .

يامفضّل : أوّل العبر والأدلّة على الباري جلّ قدسه تهيئة هذا العالم و تأليف أجزائه و نظمها على ماهي عليه ، فإنّك إذا تأمّلت العالم بفكرك وميّزته بعقلك وجدته كالبيت المبنيّ المعدّ فيه جميع مايحتاج إليه عباده ، فالسماء مرفوعة كالسقف ، والأرض ممدودة كالبساط ، والنجوم منضودة كالمصابيح ، والجواهر مخزونة كالذخائر ، وكلّ شيء فيها لشأنه معدّ ، والإنسان كالمملّك ذلك البيت ، والمخوّل جميع مافيه ، وضروب النبات مهيّأة لمآربه ، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه ، ففي هذا دلالة واضحة على أنّ العالم مخلوق بتقدير وحكمة ، ونظام وملائمة ، وأنّ الخالق له واحد وهو الّذي ألّفه ونظمه بعضاً إلى بعض ، جلّ قدسه ، وتعالى جدّه ، وكرم وجهه ، ولاإله غيره ، تعالى عمّا يقول الجاحدون ، وجلّ وعظم عمّا ينتحله الملحدون .

بيان : قال الفيروزآباديّ : نضد متاعه ينضده : جعل بعضه فوق بعض فهو منضود انتهى . و التخويل : الإعطاء و التمليك . قوله عليه السلام : و إنّ الخالق له واحد

أقول : أشار عليه السلام بذلك إلى أقوى براهين التوحيد،[1] وهو أنّ ايتلاف أجزاء العالم واحتياج بعضها إلى بعض وانتظام بعضها ببعض، يدلّ على وحدة مدبّرها كما أنّ ارتباط أجزاء الشخص بعضها ببعض وانتظام بعض أعضائه مع بعض يدلّ على وحدة مدبّره. وقد قيل في تطبيق العالم الكبير على العالم الصغير لطائف لايسع المقام ذكرها، وربّما يستدلّ عليه أيضاً بما قد تقرّر من أنّ المتلازمين إمّا أن يكون أحدهما علّة للآخر، أو هما معلولا علّة ثالثة، وسيأتي الكلام فيه في باب التوحيد.

نبتدىء يامفضّل بذكر خلق الإنسان فاعتبر به، فأوّل ذلك ما يدبر به الجنين في الرحم، وهو محجوب في ظلمات ثلاث: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، حيث لاحيلة عنده في طلب غذاء ولادفع أذى، ولااستجلاب منفعة ولادفع مضرّة، فإنّه يجري إليه من دم الحيض مايغذوه كمايغذوا الماء النبات فلايزال ذلك غذاؤه حتّى إذا كمل خلقه واستحكم بدنه، وقوي أديمه على مباشرة الهواء، وبصره على ملاقات الضياء هاج الطلق بأمّه فأزعجه أشدّ إزعاج، وأعنفه حتّى يولد، وإذا ولد صرف ذلك الدم الّذي كان يغذوه من دم أمّه إلى ثدييها فانقلب الطعم واللّون إلى ضرب آخر من الغذاء، وهو أشدّ موافقةً للمولود من الدم فيوافيه في وقت حاجته إليه فحين يولد قد تلمّظ وحرّك شفتيه طلباً للرضاع فهو يجد ثديي أمّه كالإداوتين المعلّقتين لحاجته إليه، فلا يزال يغتذي باللّبن مادام رطب البدن، رقيق الأمعاء، ليّن الأعضاء، حتّى إذا تحرّك واحتاج إلى غذاء فيه صلابةٌ ليشتدّ ويقوي بدنه طلعت له الطواحن من الأسنان والأضراس، ليمضغ به الطعام فيلين عليه، ويسهل له إساغته فلايزال كذلك حتّى يدرك فإذا أدرك وكان ذكراً طلع الشعر في وجهه فكان ذلك علامة الذكر وعزّ الرجل الّذي يخرج به من حدّ الصبا وشبه النساء، وإن كانت أنثى يبقى وجهها نقيّاً من الشعر، لتبقى لها البهجة والنضارة الّتي تحرّك الرجال لما فيه دوام النسل وبقاؤه.

---

(١) الذى وصف عليه السلام به هذا الدليل هو أنه أول الادلة أى أقرب الادلة منا إذا أردنا التفهم بالاستدلال، وأما كونه أقواها كماذكره رحمه الله فلعل هناك ماهو أقوى منه وإن كان أبعد من أفهامنا كما بيّن في محله. ط

بيان : الأديم : الجلد . والطلق : وجع الولادة . ويقال : أزعجه أي قلعه عن مكانه ويقال : تلمّظ إذا أخرج لسانه فمسح به شفتيه ، وتلمّظت الحيّة إذا أخرجت لسانها كتلمّظت الأكل . والإداوة بالكسر : إناء صغير من جلد يتّخذ للماء . و الطواحن : الأضراس ، ويطلق الأضراس غالباً على المآخير ، والأسنان على المقاديم كما هو الظاهر هنا ، وإن لم يفرّق اللّغويّون بينهما ، والمراد بالطواحن هنا جميع الأسنان . والإساغة : الأكل والشرب بسهولة .

اعتبر يا مفضّل فيما يدبّر به الإنسان في هذه الأحوال المختلفة ، هل ترى يمكن أن يكون بالإهمال ؟ أفرأيت لولم يجر إليه ذلك الدم وهو في الرحم ألم يكن سيذوي ويجفّ كما يجفّ النبات إذا فقد الماء ؟ ولولم يزعجه المخاض[1] عند استحكامه ألم يكن سيبقى في الرحم كالموؤود في الأرض ؟ ولولم يوافقه اللّبن مع ولادته ألم يكن سيموت جوعاً ، أو يغتذي بغذاء لايلائمه ولايصلح عليه بدنه ؟ ولولم تطلع عليه الأسنان في وقتها ألم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام و إساغته ، أو يقيمه على الرضاع فلا يشدّ بدنه ولا يصلح لعمل ؟ ثمّ كان تشتغل اُمّه بنفسه عن تربية غيره من الأولاد ، ولولم يخرج الشعر في وجهه في وقته ألم يكن سيبقى في هيئة الصبيان والنساء فلاترى له جلالةً ولاوقاراً ؟.

فقال المفضّل : فقلت : يا مولاي فقد رأيت من يبقى على حالته ولا ينبت الشعر في وجهه و إن بلغ حال الكبر ، فقال : ذلك بما قدّمت أيديهم و أنّ الله ليس بظلّام للعبيد ، فمن هذا الّذي يرصده حتّى يوافيه بكلّ شيء من هذه المآرب إلّا الّذي أنشأه خلقاً بعد أن لم يكن ، ثمّ توكّل له بمصلحته بعد أن كان فإن كان الإهمال يأتي بمثل هذا التدبير فقد يجب أن يكون العمد والتقدير يأتيان بالخطأ والمحال لأنّهما ضدّا الإهمال ، وهذا فظيع[2] من القول وجهل من قائله ، لأنّ الإهمال لا يأتي بالصواب ، و التضادّ لايأتي بالنظام ، تعالى الله عمّا يقول الملحدون علوّاً كبيراً ، ولو كان المولود يولد فهماً عاقلاً لأنكر العالم عند ولادته ولبقي حيران تائه العقل [3] إذا رأى مالم يعرف وورد عليه

---

(١) المخاض : وجع الولادة وهو الطلق .

(٢) فظع الامر : اشتدت شناعته وجاوز المقدار فيذلك .

(٣) أى ضايع العقل .

مالم ير مثله من اختلاف صور العالم من البهائم والطير إلى غير ذلك ممّا يشاهده ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم ، واعتبر ذلك بأنّ من سبي من بلد إلى بلد وهو عاقل يكون كالواله الحيران فلا يسرع في تعلّم الكلام وقبول الأدب كما يسرع الّذي يسبى صغيراً غير عاقل ، ثمّ لو ولد عاقلاً كان يجد غضاضة إذا رأى نفسه محمولاً مرضعاً ، معصّباً بالخرق ، مسجّى في المهد لأنّه لا يستغني عن هذا كلّه لرقّة بدنه ورطوبته حين يولد ، ثمّ كان لا يوجد له من الحلاوة والوقع من القلوب ما يوجد للطفل فصار يخرج إلى الدنيا غبيّاً غافلاً عمّا فيه أهله فيلقى الأشياء بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة ، ثمّ لا يزال يتزايد في المعرفة قليلاً قليلاً وشيئاً بعد شيء ، و حالاً بعد حال ، حتّى يألف الأشياء و يتمرّن [(١)] و يستمرّ عليها ، فيخرج من حدّ التأمّل لها والحيرة فيها إلى التصرّف والاضطراب إلى المعاش بعقله وحيلته وإلى الاعتبار والطاعة والسهو والغفلة والمعصية ، وفي هذا أيضاً وجوه آخر فإنّه لو كان يولد تامّ العقل مستقلاً بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية الأولاد ، وما قدر أن يكون للوالدين في الاشتغال بالولد من المصلحة ، وما يوجب التربية للآباء على الأبناء من المكلّفات [(٢)] بالبرّ والعطف عليهم عند حاجتهم إلى ذلك منهم ، ثمّ كان الأولاد لا يألفون آباءهم ولا يألف الآباء أبناءهم لأنّ الأولاد كانوا يستغنون عن تربية الآباء وحياطتهم [(٣)] فيتفرّقون عنهم حين يولدون فلا يعرف الرجل أباه وأمّه ، ولا يمتنع من نكاح أمّه وأخته وذوات المحارم منه إذا كان لا يعرفهنّ ، وأقلّ ما في ذلك من القباحة ـ بل هو أشنع وأعظم وأفظع وأقبح وأبشع ـ لو خرج المولود من بطن أمّه وهو يعقل أن يرى منها ما لا يحلّ له ولا يحسن به أن يراه . أفلا ترى كيف اُقيم كلّ شيء من الخلقة على غاية الصواب ، و خلا من الخطأ دقيقه وجليله ؟ .

بيان : أفرأيت أي أخبرني ، قال الزمخشريّ : لمّا كانت مشاهدة الأشياء ورؤيتها طريقاً إلى الإحاطة بها علماً و صحّة الخبر عنها استعملوا أرأيت بمعنى أخبر. انتهى . و يقال : ذوى العود أي يبس . والموؤود الّذي دفن في الأرض حيّاً كما كان المشركون

---

(١) أى يتعود ويتدرّب .
(٢) وفى نسخة : من المكافاة .
(٣) أى حفظهم و تعهّدهم .

يفعلون في الجاهليّة ببناتهم . قوله عليه السلام : أو يقيمه أي عدم طلوع الأسنان . قوله عليه السلام : ذلك بما قدّمت أيديهم ، يحتمل أن يكون هذا لتعذيب الآباء وإن كان الأولاد يوجرون لقباحة منظرهم ، أو للأولاد لما كان في علمه تعالى صدوره عنهم باختيارهم . و يرصده أي يرقبه . قوله عليه السلام : فإن كان الإهمال أي إذا لم يكن الأشياء منوطةً بأسبابها ، ولم ترتبط الأمور بعللها ، فكما جاز أن يحصل هذا الترتيب والنظام التامّ بلا سبب فجاز أن يصير التدبير في الأمور سبباً لاختلالها ، وهذا خلاف ما يحكم به عقول كافّة الخلق لما نرى من سعيهم في تدبير الأمور وذمّهم من يأتي بها على غير تأمّل ورويّة ، ويحتمل أن يكون المراد أنّ الوجدان يحكم بتضادّ آثار الأمور المتضادّة ، وربّما أمكن إقامة البرهان عليه أيضاً ، فإذا أتى الإهمال بالصواب يجب أن يأتي ضدّه وهو التدبير بالخطأ وهذا أفظع وأشنع ، والمراد بالمحال الأمر الباطل الّذي لم يأت على وجهه الّذي ينبغي أن يكون عليه ، قال الفيروزآباديّ : المحال من الكلام بالضمّ : ما عدل عن وجهه . انتهى . والتيه : الضلال والحيرة . والغضاضة بالفتح : الذلّة والمنقصة . وقوله عليه السلام : معصّباً أي مشدوداً . والتسجية : التغطية بثوب يمدّ عليه . والغبيّ على فعيل : قليل الفطنة . والاعتبار من العبرة ، و ذكر في مقابلة السهو والغفلة . وقوله : ما قدر وما يوجب كلاهما معطوفان على موضع . وقوله : من المكلّفات بيان لما يوجب أي لذهب التكاليف المتعلّقة بالأولاد بأن يبرّوا آباءهم و يعطفوا عليهم عند حاجة الآباء إلى تربيتهم ، و إعانتهم لكبرهم و ضعفهم ، جزاءاً لما قاسوا من الشدائد في تربيتهم . قوله : أن يرى خبر لقوله : أقلّ ما في ذلك .

اعرف يا مفضّل ما للأطفال في البكاء من المنفعة ، واعلم أنّ في أدمغة الأطفال رطوبة إن بقيت فيها أحدثت عليهم أحداثاً جليلةً ، وعللاً عظيمةً من ذهاب البصر وغيره فالبكاء يُسيل تلك الرطوبة من رؤوسهم ، فيعقّبهم ذلك الصحّةَ في أبدانهم ، والسلامةَ في أبصارهم ، أفليس قد جاز أن يكون الطفل ينتفع بالبكاء ، و والداه لا يعرفان ذلك ، فهما دائبان ليسكتاه ويتوخّيان في الأمور مرضاته لئلّا يبكي ، وهما لا يعلمان أنّ البكاء أصلح له وأجمل عاقبةً ، فهكذا يجوز أن يكون في كثير من الأشياء منافع لا يعرفها القائلون

بالإهمال، ولوعرفوا ذلك لم يقضوا على الشيء أنّه لامنفعة فيه من أجل أنّهم لايعرفونه ولايعلمون السبب فيه فإنّ كلّ مالايعرفه المنكرون يعلمه العارفون،[١] وكثير ممّا يقصر عنه علم المخلوقين محيط به علم الخالق جلّ قدسه وعلت كلمته، فأمّا مايسيل من أفواه الأطفال من الريق ففي ذلك خروج الرطوبة الّتي لوبقيت في أبدانهم لأحدثت عليهم الاُمور العظيمة، كمن تراه قدغلبت عليه الرطوبة فأخرجته إلى حدّ البله[٢] والجنون والتخليط،[٣] إلى غير ذلك من الأمراض المختلفة كالفالج واللّقوة[٤] وما أشبههما، فجعل الله تلك الرطوبة تسيل من أفواههم في صغرهم لمالهم في ذلك من الصحّة في كبرهم، فتفضّل على خلقه بماجهلوه، ونظر لهم بمالم يعرفوه، ولوعرفوا نعمه عليهم لشغلهم ذلك عن التمادي في معصيته، فسبحانه ما أجلّ نعمته وأسبغها على المستحقّين وغيرهم من خلقه، وتعالى عمّا يقول المبطلون علوّاً كبيراً.

بيان: الدؤب: الجدّ والتعب. والتوخّي: التحرّي والقصد. وقوله عليه السلام: كلّ مالايعرفه أي ممّا لايقصر عنه علم المخلوقين. ويقال: أبطل أي جاء بالباطل.

انظر الآن يامفضّل كيف جعلت آلات الجماع في الذكر والاُنثى جميعاً على ما يشاكل ذلك، فجعل للذكر آلةً ناشزةً[٥] تمتدّ حتّى تصل النطفة إلى الرحم إذ كان محتاجاً إلى أن يقذف ماءه في غيره، وخلق للاُنثى وعاءاً قعر ليشتمل على المائين جميعاً، ويحتمل الولد ويتّسع له ويصونه حتّى يستحكم، أليس ذلك من تدبير حكيم لطيف؟ سبحانه وتعالى عمّا يشركون.

بيان: المشاكلة: المشابهة والمناسبة، واسم الإشارة راجع إلى مامضى من التدبير في الخلق، ويحتمل إرجاعه إلى الجماع.

---

(١) وفي نسخة: يعرفه العارفون.

(٢) أى ضعف العقل وعجز الرأى.

(٣) أى اضطراب العقل واختلاله.

(٤) اللقوة: علة ينجذب لها شقّ الوجه الى جهة غير طبيعية، فيخرج النفخة والبزقة من جانب واحد، ولايحسن التقاء الشفتين، ولاينطبق احدى العينين.

(٥) أى رافعة. وفي نسخة ناشرة.

فكّر يا مفضّل في أعضاء البدن أجمع و تدبير كلّ منها للإرب، فاليدان للعلاج، والرجلان للسعي، والعينان للاهتداء، و الفـم للاغتذاء، والمعدة للهضم، و الكبد للتخليص،[١] والمنافذ لتنفيذ الفضول،[٢] والأوعية لحملها، والفرج لإقامة النسل، وكذلك جميع الأعضاء إذا تأمّلتها وأعملت فكرك فيها ونظرك وجدت كلّ شيء منها قد قدّر لشيء على صواب وحكمة.

قال المفضّل: فقلت: يامولاي إنّ قوماً يزعمون أنّ هذا من فعل الطبيعة، فقال: سلهم عن هذه الطبيعة، أهي شيء له علم وقدرة على مثل هذه الأفعال، أم ليست كذلك؟ فإن أوجبوا لها العلم والقدرة فما يمنعهم من إثبات الخالق؟ فإنّ هذه صنعته، و إن زعموا أنّها تفعل هذه الأفعال بغير علم ولا عمد وكان في أفعالها ما قدتراه من الصواب و الحكمة علم أنّ هذا الفعل للخالق الحكيم، وأنّ الّذي سمّوه طبيعة هو سنّة في خلقه الجارية على ما أجراها عليه.

ايضاح: قوله عليه السلام: فما يمنعهم؟ لعلّ المراد أنّهم إذا قالوا بذلك فقد أثبتوا الصانع فلم يسمّونه بالطبيعة وهي ليست بذات علم وإرادة وقدرة؟. قوله عليه السلام: علم أنّ هذا الفعل أي ظاهر بطلان هذا الزعم، والّذي صار سبباً لذهولهم أنّ الله تعالى أجرى عادته بأن يخلق الأشياء بأسبابها فذهبوا إلى استقلال تلك الأسباب في ذلك، وبعبارة اُخرى أنّ سنّة الله وعادته قد جرت لحكم كثيرة أن تكون الأشياء بحسب بادىء النظر مستندة إلى غيره تعالى، ثمّ يعلم بعد الاعتبار والتفكّر أنّ الكلّ مستند إلى قدرته و تأثيره تعالى، و إنّما هذه الأشياء و سائل و شرائط لذلك، فلذا تحيّروا في الصانع تعالى، فالضمير المنصوب في قوله: أجراها راجع إلى السنّة، و ضمير «عليه» راجع إلى الموصول.

فكّر يا مفضّل في وصول الغذاء إلى البدن وما فيه من التدبير، فإنّ الطعام يصير

---

(١) التخليص: التصفية والتمييز عن غيره، و ذلك لان الكبد يحيل الكيلوس الى الخلط، و يصفى الاخلاط كل واحد عن الاخر، و ينفذها الى البدن، كلها فى مجارى مهيأة له.

(٢) أى لاخراج الفضول.

إلى المعدة فتطبخه، و تبعث بصفوه إلى الكبد في عروق رقاق واشجة بينها قد جعلت كالمصفى للغذاء، لكيلا يصل إلى الكبد منه شيء فينكأها، و ذلك أنّ الكبد رقيقة لا تحتمل العنف، ثمّ إنّ الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دماً، وينفذ إلى البدن كلّه في مجاري مهيّأة لذلك، بمنزلة المجاري الّتي تهيّؤ للماء حتّى يطرد في الأرض كلّها، و ينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول إلى مفائض قد أُعدّت لذلك، فما كان منه من جنس المرّة الصفراء جرى إلى المرارة، وما كان من جنس السوداء جرى إلى الطحال، وما كان من البلّة والرطوبة جرى إلى المثانة، فتأمّل حكمة التدبير في تركيب البدن، و وضع هذه الأعضاء منه مواضعها، و إعداد هذه الأوعية فيه لتحمل تلك الفضول، لئلاّ تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه، فتبارك من أحسن التقدير وأحكم التدبير، وله الحمد كما هو أهله ومستحقّه.

قال المفضّل: فقلت: صف نشؤ [(١)] الأبدان ونموّها حالاً بعد حال حتّى تبلغ التمام والكمال. فقال عليه السلام:

أوّل ذلك تصوير الجنين في الرحم حيث لاتراه عين ولاتناله يد، ويدبّره حتّى يخرج سويّاً مستوفياً جميع مافيه قوامه و صلاحه من الأحشاء و الجوارح و العوامل إلى مافي تركيب أعضائه من العظام واللّحم والشحم والمخّ والعصب والعروق والغضاريف، فإذا خرج إلى العالم تراه كيف ينمي بجميع أعضائه وهو ثابت على شكل وهيئة لاتتزايد ولاتنقص إلى أن يبلغ أشدّه إن مدّ في عمره أو يستوفي مدّته قبل ذلك، هل هذا إلاّ من لطيف التدبير والحكمة؟.

يامفضّل انظر إلى ماخصّ به الإنسان في خلقه تشريفاً وتفضيلاً على البهائم، فإنّه خلق ينتصب قائماً ويستوي جالساً، ليستقبل الأشياء بيديه وجوارحه، ويمكنه العلاج والعمل بهما، فلو كان مكبوباً على وجهه كذات الأربع لما استطاع أن يعمل شيئاً من الأعمال.

---

(١) بالنون المفتوحة والشين الساكنة ثم الهمزة. أو بالنون والشين المضمومتين والواو الساكنة ثم الهمزة.

بيان : قال الفيروزآباديّ : وشجت العروق والأغصان : اشتبكت . وقال : نكأ القرحة كمنع : قشرها قبل أن تبرأ فنديت . انتهى . والمفائض في بعض النسخ بالفاء أي مجاري من فاض الماء ، وفي بعضها بالغين من غاض الماء غيضاً ، أي نضب[(١)] وذهب في الأرض والمغيض : المكان الّذي يغيض فيه . و «إلى» في قوله : إلى ما في تركيب بمعنى «مع» . وقال الفيروزآباديّ : الغضروف : كلّ عظم رخو يؤكل ، وهو مارن الأنف ، [(٢)] وبعض الكتف ، ورؤوس الأضلاع ، ورهابة الصدر ، وداخل فوق الاُذن . انتهى . وقوله : تتزايد ولاتنقص أي النسبة بين الأعضاء . وبلوغ الأشدّ وهو القوّة أن يكتهل ويستوفي السنّ الّذي يستحكم فيها قوّته وعقله وتميزه .

انظر الآن يا مفضّل إلى هذه الحواسّ الّتي خصّ بها الإنسان في خلقه وشرّف بها على غيره ، كيف جعلت العينان في الرأس كالمصابيح فوق المنارة ليتمكّن من مطالعة الأشياء ، ولم تجعل في الأعضاء الّتي تحتهنّ كاليدين و الرجلين فتعرضها الآفات ، و تصيبها من مباشرة العمل و الحركة ما يعلّلها و يؤثّر فيها وينقص منها ، ولا في الأعضاء الّتي وسط البدن كالبطن والظهر فيعسر تقلّبها واطّلاعها نحو الأشياء ، فلمّا لم يكن لها في شيء من هذه الأعضاء موضع كان الرأس أسنى المواضع للحواسّ ، وهو بمنزلة الصومعة لها ؛ فجعل الحواسّ خمساً تلقي خمساً لكي لايفوتها شيء من المحسوسات ، فخلق البصر ليدرك الألوان فلو كانت الألوان ولم يكن بصر يدركها لم يكن منفعة فيها ، وخلق السمع ليدرك الأصوات فلو كانت الأصوات ولم يكن سمع يدركها لم يكن فيها إرب[(٣)] وكذلك سائر الحواسّ ، ثمّ هذا يرجع متكافئاً ، فلو كان بصر ولم يكن ألوان لما كان للبصر معنىً ، ولو كان سمع ولم يكن أصوات لم يكن للسمع موضع . فانظر كيف قدّر بعضها يلقي بعضاً فجعل لكلّ حاسّة محسوساً يعمل فيه ، ولكلّ محسوس حاسّة تدركه ، و مع هذا فقد جعلت أشياء متوسّطة بين الحواسّ والمحسوسات ، لايتمّ الحواسّ إلّا بها ، كمثل الضياء والهواء فإنّه لولم يكن ضياء يظهر اللّون للبصر لم يكن البصر يدرك اللّون ،

---
(١) أى جرى وسال . غار فى الارض .

(٢) أى طرف الانف ، أوما لان من طرفه .

(٣) الارب : الحاجة .

ولو لم يكن هواءٌ يؤدّي الصوت إلى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت ، فهل يخفى على من صحّ نظره وأعمل فكره أنّ مثل هذا الّذي وصفت من تهيئة الحواسّ والمحسوسات بعضها يلقي بعضاً وتهيئة أشياء آخر بها تتمّ الحواسّ لايكون إلّا بعمد وتقدير من لطيف خبير ؟ .

بيان : قوله عليه السلام : بعضها يلقي بعضاً حال أو صفة بتأويل أو تقدير .

فكّر يا مفضّل فيمن عدم البصر من الناس وما يناله من الخلل في اُموره ، فإنّه لايعرف موضع قدمه ، ولايبصر ما بين يديه ، فلايفرق بين الألوان ، وبين المنظر الحسن والقبيح ، ولايرى حفرة إن هجم عليها[1] ولاعدوّاً إن أهوى إليه بسيف ، ولايكون له سبيل إلى أن يعمل شيئاً من هذه الصناعات مثل الكتابة والتجارة والصياغة حتّى أنّه لولا نفاذ ذهنه لكان بمنزلة الحجر الملقى ؛ وكذلك من عدم السمع يختلّ في اُمور كثيرة فإنّه يفقد روح المخاطبة والمحاورة ، ويعدم لذّة الأصوات واللّحون الشجيّة المطربة ، ويعظم المؤونة على الناس في محاورته ، حتّى يتبرّموا به[2] ولايسمع شيئاً من أخبار الناس وأحاديثهم ، حتّى يكون كالغائب وهو شاهد ، أو كالميّت وهو حيّ ؛ فأمّا من عدم العقل فإنّه يلحق بمنزلة البهائم بل يجهل كثيراً ممّا يهتدي إليه البهائم ، أفلاترى كيف صارت الجوارح والعقل وسائر الخلال[3] الّتي بها صلاح الإنسان والّتي لو فقد منها شيئاً لعظم ما يناله في ذلك من الخلل يوافي خلقة على التمام حتّى لايفقد شيئاً منها ، فلِمَ كان كذلك إلّا لأنّه خلق بعلم و تقدير ؟ .[4]

بيان : روح المخاطبة بالفتح أي راحتها ولذّتها . والشجو : الحزن . ولايتوهّم جواز الاستدلال به على عدم حرمة الغناء مطلقاً لاحتمال أن يكون المراد الأفراد المحلّلة منها كما ذكرها الأصحاب ، وسيأتي ذكرها في بابه ، أو يكون فائدة إدراك تلك اللّذّة عظم الثواب في تركها لوجهه تعالى . وقوله عليه السلام : يوافي خلقة ، خبر صارت .

قال المفضّل : فقلت : فلِمَ صار بعض الناس يفقد شيئاً من هذه الجوارح فيناله في

(١) أي انتهى إليها بغتة على غفلة منه .
(٢) أي حتى يملّوا ويضجروا به .
(٣) جمع الخلة وهي الخصلة .
(٤) وفي نسخة : إلا لانه خلق بعلم وبقدر .

ذلك مثل ما وصفته يا مولاي ؟ قال عليه السلام : ذلك للتأديب والموعظة لمن يحلّ ذلك به ولغيره بسببه ، كما قد يؤدّب الملوك الناس للتنكيل [١] والموعظة فلا ينكر ذلك عليهم بل يحمد من رأيهم و يصوّب من تدبيرهم ، ثمّ للّذين ينزل بهم هذه البلايا من الثواب بعد الموت إن شكروا وأنابوا ما يستصغرون معه ما ينالهم منها ، حتّى أنّهم لو خيّروا بعد الموت لاختاروا أن يردّوا إلى البلايا ليزدادوا من الثواب .

فكّر يا مفضّل في الأعضاء الّتي خلقت أفراداً وأزواجاً ، وما في ذلك من الحكمة والتقدير ، والصواب في التدبير ، فالرأس ممّا خلق فرداً ولم يكن للإنسان صلاح في أن يكون أكثر من واحد ، ألا ترى أنّه لو اُضيف إلى رأس الإنسان رأس آخر لكان ثقلاً عليه من غير حاجة إليه ، لأنّ الحواسّ الّتي يحتاج إليها مجتمعةٌ في رأس واحد ، ثمّ كان الإنسان ينقسم قسمين لو كان له رأسان فإن تكلّم من أحدهما كان الآخر معطّلاً لا إرب فيه ولا حاجة إليه ، وإن تكلّم منهما جميعاً بكلام واحد كان أحدهما فضلاً لا يحتاج إليه ، وإن تكلّم بأحدهما بغير الّذي تكلّم به من الآخر لم يدر السامع بأيّ ذلك يأخذ ، و أشباه هذا من الأخلاط ، واليدان ممّا خلق أزواجاً ولم يكن للإنسان خير في أن يكون له يد واحدةٌ لأنّ ذلك كان يخلّ به فيما يحتاج إلى معالجته من الأشياء ألا ترى أنّ النجّار والبنّاء لو شلّت إحدى يديه لا يستطيع أن يعالج صناعته ، و إن تكلّف ذلك لم يحكمه ولم يبلغ منه ما يبلغه إذا كانت له يدان يتعاونان على العمل .

أطل الفكر يا مفضّل في الصوت والكلام وتهيئة آلاته في الإنسان ، فالحنجرة كالاُنبوبة [٢] لخروج الصوت ، واللّسان والشفتان والأسنان لصياغة الحروف والنغم ، ألا ترى أنّ من سقطت أسنانه لم يقم السين ، ومن سقطت شفته لم يصحّح الفاء ، ومن ثقل لسانه لم يفصح الراء ، وأشبه شيء بذلك المزمار الأعظم ، فالحنجرة يشبه قصبة المزمار و الرية يشبه الزقّ الّذي ينفخ فيه لتدخل الريح ، و العضلات الّتي تقبض على الرية ليخرج الصوت كالأصابع الّتي تقبض على الزقّ حتّى تجري الريح في المزمار ، والشفتان

---

(١) نكّل به : صنع به صنيعاً يحذّر غيره و يجعله عبرة له .

(٢) وزان اُرجوزة : ما بين العقدتين من القصب .

والأسنان الّتي تصوغ الصوت حروفاً ونغماً كالأصابع الّتي يختلف في فم المزمار فتصوغ صفيره ألحاناً، غير أنّه وإن كان مخرج الصوت يشبه المزمار بالدلالة والتعريف فإنّ المزمار بالحقيقة هو المشبه بمخرج الصوت.

قد أنبأتك بما في الأعضاء من الغناء في صنعة الكلام وإقامة الحروف؛ وفيها مع الّذي ذكرت لك مآرب اُخرى، فالحنجرة ليسلك فيها هذا النسيم إلى الرية فتروح على الفؤاد بالنفس الدائم المتتابع الّذي لو احتبس[1] شيئاً يسيراً لهلك الإنسان، وباللّسان تذاق الطعوم فيميّز بينها ويعرف كلّ واحد منها حلوها من مرّها، وحامضها من مزّها، وما لحها من عذبها، وطيبها من خبيثها، وفيه مع ذلك معونة على إساغة الطعام والشراب، والأسنان تمضغ الطعام حتّى تلين ويسهل إساغته، وهي مع ذلك كالسند للشفتين تمسكهما وتدعمهما من داخل الفم،[2] واعتبر ذلك بأنّك ترى من سقطت أسنانه مسترخي الشفة ومضطربها، وبالشفتين يترشّف الشراب[3] حتّى يكون الّذي يصل إلى الجوف منه بقصد وقدر لا يثجّ ثجّاً فيغصّ به الشارب أو ينكا في الجوف، ثمّ هما بعد ذلك كالباب المطبق على الفم يفتحهما الإنسان إذا شاء، ويطبقهما إذا شاء، ففيما وصفنا من هذا بيان أنّ كلّ واحد من هذه الأعضاء يتصرّف وينقسم إلى وجوه من المنافع، كما تتصرّف الأداة الواحدة في أعمال شتّى، وذلك كالفاس[4] يستعمل في النجارة[5] والحفر وغيرهما من الأعمال، ولو رأيت الدماغ إذا كشف عنه لرأيته قد لفّ بحجب بعضها فوق بعض لتصونه من الأعراض وتمسّكه فلا يضطرب، ولرأيت عليه الجمجمة بمنزلة البيضة كيما يفتّه هدّ الصدمة والصكّة[6] الّتي ربّما وقعت في الرأس، ثمّ قد جلّلت الجمجمة بالشعر حتّى صار بمنزلة الفرو للرأس[7] يستره من شدّة الحرّ

(١) وفي نسخة: لو حبس.
(٢) دعم الشيء: أسنده لئلا يميل.
(٣) رشّف الماء أي بالغ في مصّه.
(٤) الفاس: آلة لقطع الخشب وغيره.
(٥) وزان الكتابة: حرفة النجار.
(٦) الصكة: الضرب الشديد أو اللطم.
(٧) الفرو: شيء كالجبة يبطّن من جلود بعض الحيوانات كالارانب والسمور.

والبرد ، فمن حصّن الدماغ هذا التحصين إلّا الّذي خلقه وجعله ينبوع الحسّ والمستحقّ للحيطة والصيانة بعلوّ منزلته من البدن وارتفاع درجته وخطر مرتبته ؟ .

بيان : المزّ : بين الحلو والحامض والثجّ : السيلان . والغصص : أن يقف الشيء في الحلق فلم يكد يسيغه . والجمجمة : عظم الرأس المشتمل على الدماغ . والبيضة : هي الّتي توضع على الرأس في الحرب . والفتّ : الكسر . وهدّ البناء : كسره وضعضعه ، و هدّته المصيبة أي أوهنت ركنه . والحيطة بالكسر : الحياطة و الرعاية .

تأمّل يامفضّل الجفن على العين ، كيف جعل كالغشاء ، والأشفار كالأشراج ، و أولجها في هذا الغار ، وأظلّها بالحجاب وما عليه من الشعر .

بيان : الجفن : غطاء العين من أعلا و أسفل . والأشفار : هي حروف الأجفان الّتي عليها الشعر . و الأشراج : العرى . وكأنّه عليه السلام شبّه الأشفار بالعرى و الخيط المشدود بها ، فإنّ بهما ترفع الأستار وتسدل عند الحاجة إليهما ، أو بالعرى الّتي تكون في العيبة من الأدم[1] وغيره ، يكون فيها خيط إذا شدّت به يكون ما في العيبة محفوظاً مستوراً ، وكلاهما مناسب ، والأوّل أنسب بالغشاء . قال الجزريّ : في حديث الأحنف : فأدخلت ثياب صوني العيبة فأشرجتها . يقال : أشرجت العيبة و شرجتها : إذا شددتها بالشرج وهي العرى . انتهى . وأولجها يعني أدخلها .

يا مفضّل من غيّب الفؤاد في جوف الصدر ، وكساه المدرعة الّتي هي غشاؤه ، وحصّنه بالجوانح وما عليها من اللّحم والعصب لئلّا يصل إليه ما ينكؤه ؟ من جعل في الحلق منفذين ؟ أحدهما لمخرج الصوت و هو الحلقوم المتّصل بالرية ، و الآخر منفذ الغذاء وهو المريء المتّصل بالمعدة الموصل الغذاء إليها ، وجعل على الحلقوم طبقاً يمنع الطعام أن يصل إلى الرية فيقتل ؟ من جعل الرية مروّحة الفؤاد ؟ لاتفتر ولاتخلّ لكيلا تتحيّز الحرارة في الفؤاد فتؤدّي إلى التلف . من جعل لمنافذ البول والغائط أشراجاً تضبطهما ؟ لئلّا يجريا جرياناً دائماً فيفسد على الإنسان عيشه فكم عسى أن يحصي المحصي من هذا ؟ بل الّذي لايحصى منه ولايعلمه الناس أكثر ، من جعل المعدة عصبانيّةً شديدةً وقدّرها

---

(١) العيبة الزنبيل من ادم . ماتجعل فيه الثياب كالصندوق . الادم : الجلود المدبوغة .

لهضم الطعام الغليظ ؟ ومن جعل الكبد رقيقة ناعمة لقبول الصفوا للّطيف من الغذ ء ولتهضم وتعمل ما هو ألطف من عمل المعدة إلّا الله القادر ؟ أترى الإهمال يأتي بشيء من ذلك ؟[1] كلّا ، بل هو تدبير من مدبّر حكيم ، قادر عليم بالأشياء قبل خلقه إيّاها ، لا يعجزه شيء وهو اللّطيف الخبير .

تبيان : الجوانح : الأضلاع الّتي ممّا يلي الصدر . وقوله عليه السلام : لاتخل من الإخلال بالشيء بمعنى تركه . و قوله تتحيّز إمّا من الحيّز أي تسكن ، أو من قولهم : تحيّزت الحيّة : أي تلوّت .

فكّر يا مفضّل لمَ صار المخّ الرقيق محصّناً في أنابيب العظام ؟ هل ذلك إلّا ليحفظه ويصونه ؟ لمَ صار الدم السائل محصوراً في العروق بمنزلة الماء في الظروف إلّا لتضبطه فلا يفيض ؟ لمَ صارت الأظفار على أطراف الأصابع إلّا وقايةً لها ومعونةً على العمل ؟ لمَ صار داخل الأذن ملتوياً كهيئة الكوكب[2] إلّا ليطّرد فيه الصوت حتّى ينتهي إلى السمع وليتكسّر حمّة الريح فلا ينكأ في السمع ؟ لمَ حمل الإنسان على فخذيه وإليتيه هذا اللّحم إلّا ليقيه من الأرض فلا يتألّم من الجلوس عليهما ، كما يألم مَن نحل جسمه وقلّ لحمه إذا لم يكن بينه وبين الأرض حائل يقيه صلابتها ؟ من جعل الإنسان ذكراً وأنثى إلّا من خلقه متناسلاً ؟ ومن خلقه متناسلاً إلّا من خلقه مؤمّلاً ؟ ومن خلقه مؤمّلاً ومن أعطاه آلات العمل إلّا من خلقه عاملاً ؟ و من خلقه عاملاً إلّا من جعله محتاجاً ؟ ومن جعله محتاجاً إلّا من ضربه بالحاجة ؟ ومن ضربه بالحاجة إلّا من توكّل بتقويمه ؟ من خصّه بالفهم إلّا من أوجب له الجزاء ؟ ومن وهب له الحيلة إلّا من ملّكه الحول ؟ ومن ملّكه الحول إلّا من ألزمه الحجّة ؟ من يكفيه ما لاتبلغه حيلته إلّا من لم يبلغ مدى شكره ؟ فكّر وتدبّر ما وصفته ، هل تجد الإهمال على هذا النظام والترتيب ؟ تبارك الله عمّا يصفون .

---

(١) في نسخة : أترى من الاهمال يأتي بشيء من ذلك .

(٢) أقول : في بعض النسخ «اللولب» مكان الكوكب وهو آلة من خشب أو حديد ذات محور ، ذي دوائر ناتئة ، وهو الذكر ، أو داخلة وهو الانثى .

بيان : الكوكب : المحبس . و اطّرد الشيء تبع بعضه بعضاً و جرى . و قال الجوهريّ : حمّة الحرّ معظمه . و قوله عليه السلام : إلّا من خلقه مؤمّلاً إشارة إلى أنّ الأمل و الرجاء في البقاء هو السبب لتحصيل النسل ، و لذا جعل الإنسان ذا أمل لبقاء نوعه . قوله عليه السلام : إلّا من ضربه بالحاجة أي سبّب له أسباب الاحتياج وخلقه بحيث يحتاج . قوله عليه السلام : إلّا من توكّل بتقويمه أي تكفّل برفع حاجته وتقويم أوده . والحول : القوّة .

أصف لك الآن يا مفضّل الفؤاد ، اعلم أنّ فيه ثقباً موجّهة نحو الثقب الّتي في الرية تروح عن الفؤاد ، حتّى لو اختلفت تلك الثقب وتزايل بعضها عن بعض لما وصل الروح إلى الفؤاد ولهلك الإنسان ، أفيستجيز ذو فكر وروية أن يزعم أنّ مثل هذا يكون بالإهمال ولا يجد شاهداً من نفسه ينزعه عن هذا القول ؟ لو رأيت فرداً من مصراعين فيه كلّوب أكنت تتوهّم أنّه جعل كذلك بلا معنى ؟ بل كنت تعلم ضرورة أنّه مصنوع يلقي فرداً آخر فتبرزه ليكون في اجتماعهما ضرب من المصلحة ، وهكذا تجد الذكر من الحيوان كأنّه فرد من زوج مهيّأ [1] من فرد اُنثى فيلتقيان لما فيه من دوام النسل و بقائه ، فتبّاً وخيبةً وتعساً لمنتحلي الفلسفة ، كيف عميت قلوبهم عن هذه الخلقة العجيبة حتّى أنكروا التدبير والعمد فيها ؟ لو كان فرج الرجل مسترخياً كيف كان يصل إلى قعر الرحم حتّى يفرغ النطفة فيه ؟ ولو كان منعظاً أبداً كيف كان الرجل يتقلّب في الفراش أو يمشي بين الناس وشيءٌ شاخصٌ أمامه ؟ ثمّ يكون في ذلك مع قبح المنظر تحريك الشهوة في كلّ وقت من الرجال والنساء جميعاً ، فقدّر الله جلّ اسمه أن يكون أكثر ذلك لا يبدو للبصر في كلّ وقت ، ولا يكون على الرجال منه مؤونة ، بل جعل فيه القوّة على الانتصاب وقت الحاجة إلى ذلك لما قدّر أن يكون فيه دوام النسل وبقاؤه .

توضيح : قال الجوهريّ : وزعته أزعه وزعاً : كففته [2] . انتهى . و الكلّوب بالتشديد : حديدة معوّجة الرأس ، وفي بعض النسخ «كلون» وهو فارسيّ . قوله عليه السلام مهيّأة في بعض النسخ بالياء فلفظة «من» تعليليّة ، و في بعضها بالنون فمن تعليليّة أو

(١) وفي نسخة : كأنه فرد من زوج مهنأ .
(٢) لم نجد في كلامه عليه السلام لفظة وزعته .

ابتدائيّة أي إنّما يتمّ عيشه بأ نثى ، وعلى التقديرين يحتمل أن يكون بمعنى «مع» إن جوّز استعماله فيه . وقال الجوهريّ : تبّاً لفلان ، تنصبه على المصدر با ضمار فعل أي ألزمه الله هلاكاً و خسراناً . و قال : التعس : الهلاك ، يقال : تعساً لفلان أي ألزمه الله هلاكاً .

اعتبر الآن يامفضّل بعظيم النعمة على الإنسان في مطعمه ومشربه وتسهيل خروج الأذى ، أليس من حسن التقدير في بناء الدار أن يكون الخلاء في أستر موضع فيها ؟ (١) فكذا جعل الله سبحانه المنفذ المهيّأ للخلاء من الإنسان في أستر موضع منه ، فلم يجعله بارزاً من خلفه ، ولا ناشراً من بين يديه ، بل هو مغيّب في موضع غامض من البدن ، مستور محجوب يلتقي عليه الفخذان ، وتحجبه الإليتان بما عليهما من اللّحم فيواريانه فإذا احتاج الإنسان إلى الخلاء وجلس تلك الجلسة ألفى ذلك المنفذ منه منصّباً مهيّئاً لانحدار الثفل ، فتبارك الله من تظاهرت آلاؤه ولاتحصى نعماؤه .

بيان : ألفى أي وجد . وقوله عليه السلام : منصّباً إمّا من الانصباب ، كناية عن التدلّي أو من باب التفعيل من النصب قال الفيروزآباديّ : نصب الشيء وضعه ورفعه ضدٌّ ، كنصّبه فانتصب وتنصّب .

فكّر يا مفضّل في هذه الطواحن الّتي جعلت للإنسان فبعضها حداد لقطع الطعام وقرضه ، وبعضها عراض لمضغه ورضّه (٢) فلم ينقص واحد من الصفتين إذ كان محتاجاً إليهما جميعاً .

تأمّل واعتبر بحسن التدبير في خلق الشعر والأظفار فإنّهما لمّا كانا ممّا يطول ويكثر حتّى يحتاج إلى تخفيفه أوّلاً فأوّلاً جعلا عديمي الحسّ لئلّا يؤلم الإنسان الأخذ منهما ، ولو كان قصّ الشعر وتقليم الأظفار ممّا يوجد له مسٌّ من ذلك لكان الإنسان من ذلك بين مكروهين : إمّا أن يدع كلّ واحد منهما حتّى يطول فيثقل عليه ، وإمّا أن يخفّفه بوجع وألم يتألّم منه .

(١) وفي نسخة : في أستر موضع منها .

(٢) رضّه : دقّه وجرشه .

قال المفضّل : فقلت فلِمَ لم يجعل ذلك خلقة لاتزيد فيحتاج الإنسان إلى النقصان منه ؟ فقال عليه السلام : إنّ لله تبارك اسمه في ذلك على العبد نعماً لايعرفها فيحمد عليها ، اعلم أنّ آلام البدن وأدواءه تخرج بخروج الشعر في مسامّه ،[١] وبخروج الأظفار من أناملها ، ولذلك اُمر الإنسان بالنورة وحلق الرأس وقصّ الأظفار في كلّ اُسبوع ليسرع الشعر والأظفار في النبات ، فتخرج الآلام والأدواء بخروجها ، وإذا طالا تحيّرا وقلّ خروجهما فاحتبست الآلام والأدواء في البدن فأحدثت عللاً وأوجاعاً ، ومنع مع ذلك الشعر من المواضع الّتي يضرّ بالإنسان ويحدث عليه الفساد والضرر ، لو نبت الشعر في العين ألم يكن سيعمى البصر ؟ ولو نبت في الفم ألم يكن سيغصّ على الإنسان طعامه و شرابه ؟ ولو نبت في باطن الكفّ ألم يكن سيعوقه عن صحّة اللّمس وبعض الأعمال ؟ فلو نبت في فرج المرأة أو على ذكر الرجل ألم يكن سيفسد عليهما لذّة الجماع ؟ فانظر كيف تنكب الشعر هذه المواضع لما في ذلك من المصلحة ، ثمّ ليس هذا في الإنسان فقط بل تجده في البهائم والسباع وسائر المتناسلات فإنّك ترى أجسامهنّ مجلّلة بالشعر وترى هذه المواضع خالية منه لهذا السبب بعينه ؛ فتأمّل الخلقة كيف تتحرّز وجوه الخطأ والمضرّة ، وتأتي بالصواب والمنفعة ، إنّ المنانيّة[٢] وأشباههم حين اجتهدوا في عيب الخلقة والعمد عابوا الشعر النابت على الركب والإبطين[٣] ولم يعلموا أنّ ذلك من رطوبة تنصبّ إلى هذه المواضع فينبت فيها الشعر ، كما ينبت العشب في مستنقع المياه ؛ أفلاترى إلى هذه المواضع أستر وأهيأ لقبول تلك الفضلة من غيرها ؟ ثمّ إنّ هذه تعدّ[٤] ممّا يحمل الإنسان من مؤونة هذا البدن وتكاليفه لماله في ذلك من المصلحة فإنّ اهتمامه بتنظيف بدنه وأخذ مايعلوه من الشعر ممّا يكسر به شرته ، ويكفّ عاديته ، ويشغله عن بعض مايخرجه إليه الفراغ من الأشر والبطالة . تأمّل الريق و ما فيه من المنفعة فإنّه جعل يجري جرياناً دائماً إلى الفم ليبلّ الحلق واللّهوات فلا يجفّ ،

(١) المسامة : ثقبة ومنافذ كمنابت الشعر .
(٢) وفي نسخة : المانوية .
(٣) الابطين : باطن الكتفين .
(٤) وفي نسخة بعد .

فإنّ هذه المواضع لوجعلت كذلك كان فيه هلاك الإنسان ، ثمّ كان لا يستطيع أن يسيغ طعاماً إذا لم يكن في الفم بلّة تنفذه . تشهد بذلك المشاهدة .

وأعلم أنّ الرطوبة مطيّة الغذاء . وقد تجري من هذه البلّة إلى موضع آخر من المرّة فيكون في ذلك صلاح تامّ للإنسان ، ولويبست المرّة لهلك الإنسان ، ولقد قال قوم من جهلة المتكلّمين وضعفة المتفلسفين بقلّة التميز و قصور العلم : لو كان بطن الإنسان كهيئة القباء يفتحه الطبيب إذا شاء فيعاين ما فيه ويدخل يده فيعالج ما أراد علاجه ألم يكن أصلح من أن يكون مصمّتاً محجوباً عن البصر واليد ، لا يعرف ما فيه إلّا بدلالات غامضة كمثل النظر إلى البول وحسّ العرق وما أشبه ذلك ممّا يكثر فيه الغلط والشبهة حتّى ربّما كان ذلك سبباً للموت . فلو علم هؤلاء الجهلة أنّ هذا لو كان هكذا كان أوّل ما فيه أنّه كان يسقط عن الإنسان الوجل من الأمراض والموت ، وكان يستشعر البقاء ويغترّ بالسلامة فيخرجه ذلك إلى العتوّ والأشر ، ثمّ كانت الرطوبات الّتي في البطن تترشّح وتتحلّب فيفسد على الإنسان مقعده ومرقده وثياب بذلته وزينته ، بل كان يفسد عليه عيشه ، ثمّ إنّ المعدة والكبد والفؤاد إنّما تفعل أفعالها بالحرارة الغريزيّة الّتي جعلها الله محتبسة في الجوف ، فلو كان في البطن فرج ينفتح حتّى يصل البصر إلى رؤيته واليد إلى علاجه لوصل برد الهواء إلى الجوف فمازج الحرارة الغريزيّة وبطل عمل الأحشاء فكان في ذلك هلاك الإنسان . أفلا ترى أنّ كلّ ما تذهب إليه الأوهام سوى ما جاءت به الخلقة خطأ وخطل ؟ .

ايضاح : الركب بالتحريك منبت العانة . ومستنقع الماء بالفتح : مجتمعه . وشرة الشباب بالكسر : حرصه ونشاطه . والعادية : الظلم والشرّ . والأشر بالتحريك : البطر وشدّة الفرح . واللّهوات جمع لهات وهي اللّحمة في سقف أقصى الفم . وقوله عليه السلام : من المرّة بيان لموضع آخر . وعتا عتوّاً : استكبر وجاوز الحدّ . و يقال : تحلّب العرق أي سال . والخطل : المنطق الفاسد المضطرب .

فكّر يا مفضّل في الأفعال الّتي جعلت في الإنسان من الطعم و النوم والجماع وما دبّر فيها فإنّه جعل لكلّ واحد منها في الطباع نفسه محرّك يقتضيه ويستحثّ به

فالجوع يقتضي الطعم الّذي به حياة البدن وقوامه ، والكرى تقتضي النوم الّذي فيه راحة البدن وإجمام قواه ، والشبق يقتضي الجماع الّذي فيه دوام النسل وبقاؤه ، ولو كان الإنسان إنّما يصير إلى أكل الطعام لمعرفته بحاجة بدنه إليه ولم يجد من طباعه شيئاً يضطرّه إلى ذلك كان خليقاً أن يتوانى عنه أحياناً بالتثقّل والكسل حتّى ينحلّ بدنه فيهلك ،كما يحتاج الواحد إلى الدواء بشيء ممّا يصلح ببدنه فيدافع به حتّى يؤدّيه ذلك إلى المرض والموت ، وكذلك لو كان إنّما يصير إلى النوم بالتفكّر في حاجته إلى راحة البدن وإجمام قواه كان عسى أن يتثاقل عن ذلك فيدمغه حتّى ينهك بدنه ، ولو كان إنّما يتحرّك للجماع بالرغبة في الولد كان غير بعيد أن يفتر عنه حتّى يقلّ النسل أو ينقطع ، فإنّ من الناس من لا يرغب في الولد ولا يحفل به ، فانظر كيف جعل لكلّ واحد من هذه الأفعال الّتي بها قوام الإنسان وصلاحه محرّك من نفس الطبع يحرّكه لذلك ويحدوه عليه[1] واعلم أنّ في الإنسان قوىً أربعاً : قوّة جاذبة تقبل الغذاء وتورده على المعدة ، وقوّة ممسكة تحبس الطعام حتّى تفعل فيه الطبيعة فعلها ، وقوّة هاضمة وهي الّتي تطبخه[2] و تستخرج صفوه وتبثّه في البدن ، و قوّة دافعة تدفعه وتحدر الثفل الفاضل بعد أخذ الهاضمة حاجتها ، تفكّر في تقدير هذه القوى الأربعة الّتي في البدن وأفعالها وتقديرها للحاجة إليها و الإرب فيها ، وما في ذلك من التدبير والحكمة ، و لولا الجاذبة كيف يتحرّك الإنسان لطلب الغذاء الّتي بها قوام البدن ؟ ولولا الماسكة كيف كان يلبث الطعام في الجوف حتّى تهضمه المعدة ؟ ولولا الهاضمة كيف كان ينطبخ حتّى يخلص منه الصفو الّذي يغذوا البدن ويسدّ خلله ؟ ولولا الدافعة كيف كان الثفل الّذي تخلّفه الهاضمة يندفع ويخرج أوّلاً فأوّلاً ؟ أفلا ترى كيف وكل الله سبحانه بلطيف صنعه وحسن تقديره هذه القوى بالبدن والقيام بمافيه صلاحه ؟ وسأمثّل لك في ذلك مثالاً : إنّ البدن بمنزلة دار الملك ، وله فيها حشم وصبية و قوّام موكّلون بالدار ، فواحد لإقضاء حوائج الحشم وإيرادها عليهم ، وآخر لقبض مايرد وخزنه إلى أن يعالج

---

(١) أى يبعثه ويسوقه إليه .

(٢) و في نسخة : وهي التي تطحنه .

ويهيّأ ، وآخر لعلاج ذلك وتهيئته وتفريقه ، وآخر لتنظيف ما في الدار من الأقذار و إخراجه منها ؛ فالملك في هذا هو الخلّاق الحكيم ملك العالمين ، و الدار هي البدن ، والحشم هي الأعضاء ، والقوّام هي هذه القوي الأربع ، ولعلّك ترى ذكرنا هذه القوى الأربع وأفعالها بعد الّذي وصفت فضلاً وتزداداً ، وليس ماذكرته من هذه القوى على الجهة الّتي ذكرت في كتب الأطبّاء ، ولاقولنا فيه كقولهم ، لأنّهم ذكروها على مايحتاج إليه في صناعة الطبّ وتصحيح الأبدان ، وذكرناها على مايحتاج في صلاح الدين وشفاء النفوس من الغيّ ، كالّذي أوضحته بالوصف الشافي والمثل المضروب من التدبير والحكمة فيها .

تبيان : الطعم بالضمّ : الأكل . و الكرى : السهر . والجمام بالفتح : الراحة ، يقال : جمّ الفرس جمّاً وجماماً إذاذهب إعياؤه . والشبق بالتحريك : شدّة شهوة الجماع . وتوانى في حاجته أي قصّر . ولايحفل به أي لايبالي به . وتحدر الثقل كتنصر أي ترسل . وقوله عليه السلام : ولولا الجاذبة يدلّ على أنّ لها مدخلاً في شهوة الطعام . قوله عليه السلام : خلله كأنّه بالضمّ جمع الخلّة وهي الحاجة ، أو بالكسر أي الخلال والفرج الّتي حصلت في البدن بتحلّل الرطوبات . قوله عليه السلام : ولعلّك ترى يحتمل أن يكون الغرض دفع توهّم السائل كون ذكر التمثيل بعد ذكر القوى ومنافعها على الوجه الّذي ذكره الأطبّاء و اكتفوا به إطناباً وتكراراً ، وحاصله أنّ الأطبّاء إنّما ذكروها على مايحتاجون إليه في صناعتهم من ذكر أفعال تلك القوى وسبب تعطّلها ، و لذا لم يحتاجوا إلى ذكر ماأوردنا من التمثيل ، ونحن إنّما ذكرنا هذا التمثيل لتتّضح دلالتها على صانعها ومدبّرها ، إذ هذه مقصودنا من ذكرها . ويحتمل أن يكون الغرض رفع توهّم أنّ ذكره هذه القوى بعد كونها مذكورةً في كتب الأطبّاء فضل لاحاجة إليه بأنّ الغرض مختلف في بياننا و بيانهم ، وبذلك يختلف التقرير أيضاً فلذا ذكرنا ههنا بهذا التقرير الشافي ، فالضمير في قوله : وصفت على بناء المجهول راجعٌ إلى القوى ، و العائد محذوف ، أي وصفت به لكنّه بعيد .

تأمّل يامفضّل هذه القوى الّتي في النفس و موقعها من الإنسان ، أعني الفكر والوهم والعقل والحفظ و غير ذلك ، أفرأيت لو نقص الأنسان من هذه الخلال الحفظ

وحده كيف كانت تكون حاله ؟ وكم من خلل كان يدخل عليه في اُموره ومعاشه وتجاربه إذا لم يحفظ ما له وعليه، وما أخذه وما أعطى، وما رأى وما سمع، وما قال وما قيل له، ولم يذكر من أحسن إليه ممّن أساء به، وما نفعه ممّا ضرّه، ثمّ كان لا يهتدي لطريق لو سلكه مالا يحصى، ولا يحفظ علماً ولو درسه عمره، ولا يعتقد ديناً، ولا ينتفع بتجربة، ولا يستطيع أن يعتبر شيئاً على ما مضى، بل كان حقيقاً أن ينسلخ من الإنسانيّة أصلاً فانظر إلى النعمة على الإنسان في هذه الخلال، وكيف موقع الواحدة منها دون الجميع ؟ وأعظم من النعمة على الإنسان في الحفظ النعمة في النسيان، فإنّه لولا النسيان لما سلا أحد عن مصيبة، ولا انقضت له حسرة، ولا مات له حقد، ولا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكّر الآفات، ولا رجا غفلة من سلطان، ولا فترة من حاسد ؛ أفلا ترى كيف جعل في الإنسان الحفظ والنسيان، وهما مختلفان متضادّان، وجعل له في كلّ منهما ضرب من المصلحة ؟ وما عسى أن يقول الّذين قسّموا الأشياء بين خالقين متضادّين في هذه الأشياء المتضادّة المتباينة وقد تراها تجتمع على ما فيه الصلاح والمنفعة ؟.

بيان : دون الجميع أي فضلاً عن الجميع. ويقال : سلا عنه أي نسيه. وقد مضى منّا ما يمكن أن يستعمل في فهم آخر الكلام في موضعين فتذكّر.

انظر يا مفضّل إلى ما خصّ به الإنسان دون جميع الحيوان من هذا الخلق، الجليل قدره، العظيم غناؤه، أعني الحياء فلولاه لم يقر ضيف، ولم يوف بالعدات، ولم تقض الحوائج، ولم يتحرّ الجميل،[1] ولم يتنكّب القبيح في شيء من الأشياء، حتّى أنّ كثيراً من الاُمور المفترضة أيضاً إنّما يفعل للحياء، فإنّ من الناس من لولا الحياء لم يرع حقّ والديه، ولم يصل ذا رحم، ولم يؤدّ أمانة، ولم يعف عن فاحشة ؛[2] أفلا ترى كيف وفّي للإنسان جميع الخلال الّتي فيها صلاحه و تمام أمره ؟.

بيان : إقراء الضيف : ضيافتهم وإكرامهم. والتنكّب : التجنّب. و وفّي على بناء المجهول من التوفية وهي إعطاء الشيء وافياً.

---

(١) تحرّى : طلب ما هو أحرى بالاستعمال في غالب الظن : أو طلب احرى الامرين أى أولاهما.

(٢) أى لم يكف ولم يمتنع عن فاحشة.

تأمل يامفضّل ماأنعم الله تقدّست أسماؤه به على الانسان من هذا النطق الّذي يعبّر به عمّا في ضميره ، ومايخطر بقلبه ، ونتيجة فكره ، وبه يفهم عن غيره ما في نفسه ، ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم المهملة الّتي لاتخبر عن نفسها بشيء ، ولاتفهم عن مخبر شيئاً ، وكذلك الكتابة الّتي بها تقيّدأخبار الماضين للباقين ، وأخبار الباقين للآتين ، وبها تخلد الكتب في العلوم والآداب وغيرها ، وبها يحفظ الإنسان ذكر مايجري بينه و بين غيره من المعاملات والحساب ، ولولاه لانقطع أخبار بعض الأزمنة عن بعض ، وأخبار الغائبين عن أوطانهم ، و درست العلوم ،[1] وضاعت الآداب ، وعظم مايدخل على الناس من الخلل في اُمورهم ومعاملاتهم ، ومايحتاجون إلى النظر فيه من أمر دينهم ، وما روي لهم ممّا لايسعهم جهله ، ولعلّك تظنّ أنّها ممايخلص إليه بالحيلة والفطنة ، وليست ممّا اُعطيه الإنسان من خلقه وطباعه ؛ وكذلك الكلام إنّما هو شيء يصطلح عليه الناس فيجرى بينهم ، ولهذا صار يختلف في الاُمم المختلفة بألسن مختلفة ؛ وكذلك الكتابة ككتابة العربيّ والسريانيّ والعبرانيّ والروميّ وغيرها من سائر الكتابة الّتي هي متفرّقة في الاُمم ، إنّما اصطلحوا عليها كما اصطلحوا على الكلام ، فيقال لمن ادّعى ذلك : إنّ الإنسان وإن كان له في الأمرين جميعاً فعل أوحيلة فإنّ الشيء الّذي يبلغ به ذلك الفعل والحيلة عطيّة وهبة من الله عزّوجلّ في خلقه[2] فإنّه لولم يكن له لسان مهيّؤ للكلام وذهن يهتدي به للاُمور لم يكن ليتكلّم أبداً ، ولولم يكن له كفّ مهيّاة وأصابع للكتابة لم يكن ليكتب أبداً ، واعتبر ذلك من البهائم الّتي لاكلام لها ولاكتابة ، فأصل ذلك فطرة الباري جلّ وعزّ وما تفضّل به على خلقه ، فمن شكر اُثيب ومن كفر فإنّ الله غنيّ عن العالمين .

بيان : كلامه ههنا مشعر بأنّ واضع اللّغات البشر فتدبّر .[3]

ذكّر يامفضّل[4] فيما اُعطي الإنسان علمه وما منع فإنّه اُعطي علم جميع مافيه

(١) اى ذهب أثرها وانمحى .

(٢) وفي نسخة : في خلقته .

(٣) و أهم منه دلالته على كون الاوضاع تعينية لاتعيينية ، وكذا إشعاره بأن هذه و أمثالها اصطلاحات واعتبارات تضطر إليها البشر . ط

(٤) وفي نسخة فكر يامفضل .

صلاح دينه ودنياه ، فممّا فيه صلاح دينه معرفة الخالق تبارك وتعالى بالدلائل والشواهد القائمة في الخلق ، ومعرفة الواجب عليه من العدل على الناس كافّة وبرّ الوالدين ، و أداء الأمانة ، ومواساة أهل الخلّة ، وأشباه ذلك ممّا قد توجد معرفته و الإقرار والاعتراف به في الطبع والفطرة من كلّ اُمّة موافقة أو مخالفة ، وكذلك اُعطي علم ما فيه صلاح دنياه كالزراعة والغراس ،[1] واستخراج الأرضين ، واقتناء الأغنام والأنعام ، واستنباط المياه ،[2] و معرفة العقاقير[3] الّتي يستشفى بها من ضروب الأسقام ، والمعادن الّتي يستخرج منها أنواع الجواهر ، و ركوب السفن والغوص في البحر ، وضروب الحيل في صيد الوحش والطير والحيتان ، والتصرّف في الصناعات ، ووجوه المتاجر والمكاسب ، و غير ذلك ممّا يطول شرحه ويكثر تعداده ممّا فيه صلاح أمره في هذه الدار ، فاُعطي علم ما يصلح به دينه و دنياه ، ومنع ماسوى ذلك ممّا ليس في شأنه ولا طاقته أن يعلم ؛ كعلم الغيب وما هو كائن وبعض ما قد كان أيضاً كعلم ما فوق السماء وما تحت الأرض و ما في لجج البحار[4] وأقطار العالم[5] وما في قلوب الناس وما في الأرحام وأشباه هذا ممّا حجب على الناس علمه ، وقد ادّعت طائفة من الناس هذه الاُمور فأبطل دعواهم ما بيّن من خطائهم[6] فيما يقضون عليه و يحكمون به فيما ادّعوا علمه ، فانظر كيف اُعطي الإنسان علم جميع ما يحتاج إليه لدينه و دنياه ، وحجب عنه ماسوى ذلك ليعرف قدره ونقصه ، وكلا الأمرين فيهما صلاحه .

تأمّل الآن يا مفضّل ما ستر عن الإنسان علمه من مدّة حياته فإنّه لو عرف مقدار عمره وكان قصير العمر لم يتهنّأ بالعيش مع ترقّب الموت وتوقّعه لوقت قد عرفه ،

---

(١) الغراس جمع المغروس : ما يغرس من الشجر .

(٢) أى استخرجها .

(٣) جمع للعقار : ما يتداوى به من النبات ، الدواء مطلقا .

(٤) اللجج جمع اللجّة : معظم الماء .

(٥) أى جهاتها الاربع .

(٦) وفى نسخة : ما يبين من خطائهم .

بل كان يكون بمنزلة من قد فني ماله أو قارب الفناء فقد استشعر الفقر والوجل من فناء ماله وخوف الفقر، على أنّ الّذي يدخل على الإنسان من فناء العمر أعظم ممّا يدخل عليه من فناء المال لأنّ من يقلّ ماله يأمل أن يستخلف منه فيسكن إلى ذلك، ومن أيقن بفناء العمر استحكم عليه اليأس وإن كان طويل العمر، ثمّ عرف ذلك وثق بالبقاء [(١)] وانهمك في اللّذات والمعاصي وعمل، على أنّه يبلغ من ذلك شهوته ثمّ يتوب في آخر عمره، وهذا مذهب لا يرضاه الله من عباده ولا يقبله.

ألا ترى لو أنّ عبداً لك عمل على أنّه يسخطك سنة ويرضيك يوماً أو شهراً لم تقبل ذلك منه، ولم يحلّ عندك محلّ العبد الصالح دون أن يضمر طاعتك ونصحك في كلّ الأمور وفي كلّ الأوقات على تصرف الحالات. [(٢)]

فإن قلت: أوليس قد يقيم الإنسان على المعصية حيناً ثمّ يتوب فتقبل توبته؟ قلنا: إنّ ذلك شيءٌ يكون من الإنسان لغلبة الشهوات وتركه مخالفتها من غير أن يقدّرها في نفسه ويبني عليه أمره فيصفح الله عنه ويتفضّل عليه بالمغفرة. فأمّا من قدّر أمره على أن يعصي ما بدا له ثمّ يتوب آخر ذلك فإنّما يحاول خديعة من لا يخادع بأن يتسلّف التلذّذ في العاجل ويعد ويمنّي نفسه التوبة في الآجل، ولأنّه لا يفي بما يعد من ذلك فإنّ النزوع من الترفّه والتلذّذ [(٣)] ومعاناة التوبة ولاسيّما عند الكبر وضعف البدن أمر صعب، ولا يؤمن على الإنسان مع مدافعته بالتوبة أن يرهقه الموت فيخرج من الدنيا غير تائب؛ كما قد يكون على الواحد دين إلى أجل وقد يقدر على قضائه فلا يزال يدافع بذلك حتّى يحلّ الأجل وقد نفد المال فيبقى الدين قائماً عليه، فكان خير الأشياء للإنسان أن يستر عنه مبلغ عمره فيكون طول عمره يترقّب الموت فيترك المعاصي ويؤثر العمل الصالح.

فإن قلت: وها هو الآن قد ستر عنه مقدار حياته وصار يترقّب الموت في كلّ ساعة يقارف [(٤)] الفواحش وينتهك المحارم، قلنا: إنّ وجه التدبير في هذا الباب هو الّذي جرى

---

(١) كذا في النسخ والظاهر: ثم لو عرف ذلك ووثق بالبقاء.

(٢) وفي نسخة: على تصرف الايات.

(٣) أي الكف من التنعّم والتلذّذ.

(٤) أي يكتسب.

عليه الأمر فيه ، فإن كان الإنسان مع ذلك لايرعوي[١] ولاينصرف عن المساوي فإنّما ذلك من مرحه[٢] ومن قساوة قلبه لامن خطأ في التدبير ؛ كما أنّ الطبيب قد يصف للمريض ماينتفع به فإن كان المريض مخالفاً لقول الطبيب لايعمل بما يأمره ولا ينتهي عمّا ينهاه عنه لم ينتفع بصفته ولم يكن الإساءة في ذلك للطبيب بل للمريض حيث لم يقبل منه ، ولئن كان الإنسان مع ترقّبه للموت كلّ ساعة لايمتنع عن المعاصي فإنّه لووثق بطول البقاء كان أحرى بأن يخرج إلى الكبائر الفظيعة ، فترقّب الموت على كلّ حال خير له من الثقة بالبقاء ، ثمّ إنّ ترقّب الموت وإن كان صنف من الناس يلهون عنه ولايتّعظون به فقد يتّعظ به صنف آخر منهم ، وينزعون عن المعاصي ويؤثرون العمل الصالح ، و يجودون بالأموال والعقائل النفيسة في الصدقة على الفقراء والمساكين ، فلم يكن من العدل أن يحرم هؤلاء الانتفاع بهذه الخصلة لتضييع اُولئك حظّهم منها .

بيان : انهماك الرجل في الأمر أي جدّ ولجّ . والتسلّف : الاقتراض ، كأنّه يجري معاملةً مع ربّه بأن يتصرّف في اللّذّات عاجلاً ، ويعد ربّه في عوضها التوبة ليؤدّي إليه آجلاً . وفي بعض النسخ : يستسلف ، وهو طلب بيع الشيء سلفاً .

والمعاناة : مقاساة العناء والمشقّة . ويرهقه أي يغشاه ويلحقه . وانتهاك المحارم : المبالغة في خرقها و إتيانها . والارعواء : الكفّ عن الشيء ، وقيل : الندم على الشيء و الانصراف عنه و تركه . والمرح : شدّة الفرح . وقال الفيروزآباديّ : العقيلة من كلّ شيء : أكرمه ، وكريمة الإبل . وقال : العقال ككتاب : زكاة عام من الإبل .

فكّر يامفضّل في الأحلام كيف دبّر الأمر فيها فمزّج صادقها بكاذبها فإنّها لو كانت كلّها تصدق لكان الناس كلّهم أنبياء ، ولو كانت كلّها تكذب لم يكن فيها منفعة بل كانت فضلاً لامعنى له ، فصارت تصدق أحياناً فينتفع بها الناس في مصلحة يهتدي لها ، أو مضرّة يتحذّرمنها ،[٣] وتكذب كثيراً لئلاّ يعتمد عليها كلّ الاعتماد .

---

(١) أى لا يكف .

(٢) مرح الرجل : اشتد فرحه و نشاطه حتى جاوز القدر ، و تبختر واختال .

(٣) وفي نسخة : يتحرز منها .

فكّر في هذه الأشياء الّتي تراها موجودةً معدّةً في العالم من مآربهم ، فالتراب للبناء ، والحديد للصناعات ، والخشب للسفن وغيرها ، والحجارة للأرحاء[١] وغيرها ، والنحاس للأواني ، والذهب والفضّة للمعاملة ، والجوهر للذخيرة ، والحبوب للغذاء ، والثمار للتفكّه . واللّحم للمأكل ، والطيب للتلذّذ ، والأدوية للتصحيح ، والدوابّ للحمولة ، والحطب للتوقّد ، والرماد للكلس ، والرمل للأرض ، وكم عسى أن يحصي المحصي من هذا وشبهه ، أرأيت لو أنّ داخلاً دخل داراً فنظر إلى خزائن مملوّة من كلّ مايحتاج إليه الناس ورأى كلّ مافيها مجموعاً معدًّا لأسباب معروفة لكان يتوهّم أنّ مثل هذا يكون بالإهمال ومن غير عمد ؟ فكيف يستجيز قائل أن يقول هذا في العالم وما اُعدّ فيه من هذه الأشياء .

بيان : التفكّه : التنعّم . الكلس بالكسر: الصاروج . قوله عليه السلام : للأرض أي لفرشها .

اعتبر يا مفضّل بأشياء خلقت لمآرب الإنسان ومافيها من التدبير فإنّه خلق له الحبّ لطعامه ، وكلّف طحنه وعجنه وخبزه ، وخلق له الوبر[٢] لكسوته فكلّف ندفه وغزله ونسجه ، وخلق له الشجر فكلّف غرسها وسقيها والقيام عليها ، وخلقت له العقاقير لأدويته فكلّف لقطها وخلطها و صنعها ؛ وكذلك تجد سائر الأشياء على هذا المثال ، فانظر كيف كفي الخلقة الّتي لم يكن عنده فيها حيلة وترك عليه في كلّ شيء من الأشياء موضع عمل وحركة لما له في ذلك من الصلاح ؛ لأنّه لو كفي هذا كلّه حتّى لايكون له في الأشياء موضع شغل وعمل لماحملته الأرض أشراً وبطراً ، ولبلغ به كذلك إلى أن يتعاطي اُموراً فيها تلف نفسه ، ولو كفي الناس كلّ ما يحتاجون إليه لماتهنّؤوا بالعيش ولاوجدوا له لذّةً ؛ ألا ترى لو أنّ امرءاً نزل بقوم فأقام حيناً بلغ جميع ما يحتاج إليه من مطعم و مشرب وخدمة لتبرّم[٣] بالفراغ ونازعته نفسه إلى التشاغل بشيء ؟ فكيف لو كان طول

---

(١) جمع للرحى وهى الطاحون .

(٢) الوبر للابل والارانب ونحوها كالصوف للغنم .

(٣) أى لتضجّر .

عمره مكفيّاً لايحتاج إلى شيء ؟ وكان من صواب التدبير في هذه الأشياء الّتي خلقت للإنسان أن جعل له فيها موضع شغل لكيلاتبرمه البطالة ولتكفّه عن تعاطي مالايناله ولاخير فيه إن ناله .

و اعلم يامفضّل أنّ رأس معاش الإنسان وحياته الخبز والماء ، فانظر كيف دبّر الأمر فيهما ، فإنّ حاجة الإنسان إلى الماء أشدّ من حاجته إلى الخبز ؛ وذلك أنّ صبره على الجوع أكثر من صبره على العطش ، والّذي يحتاج إليه من الماء أكثر ممّا يحتاج إليه من الخبز ؛ لأنّه يحتاج إليه لشربه ووضوئه وغسله وغسل ثيابه وسقي أنعامه و زرعه ، فجعل الماء مبذولاً لايشترى لتسقط عن الإنسان المؤونة في طلبه وتكلّفه ، وجعل الخبز متعذّراً لاينال إلّا بالحيلة والحركة ليكون للإنسان في ذلك شغل يكفّه عمايخرجه إليه الفراغ من الأشر والعبث ؛ ألاترى أنّ الصبيّ يدفع إلى المؤدّب وهوطفل لم يكمل ذاته للتعليم كلّ ذلك ليشتغل عن اللّعب والعبث اللّذين ربّما جنيا عليه وعلى أهله المكروه العظيم ، وهكذا الإنسان لوخلا من الشغل لخرج من الأشر والعبث والبطر إلى مايعظم ضرره عليه وعلى من قرب منه ، واعتبر ذلك بمن نشأ في الجدة و رفاهيّة العيش والترفّه والكفاية ومايخرجه ذلك إليه .

اعتبر لمَ لايتشابه الناس واحد بالآخر كما يتشابه الوحوش والطير وغيرذلك ؟(١) فإنّك ترى السرب من الظباء و القطا (٢) تتشابه حتّى لايفرّق بين واحد منها وبين الاُخرى ، وترى الناس مختلفةً صورهم وخلقهم حتّى لايكاد إثنان منهم يجتمعان في صفة واحدة ، والعلّة في ذلك أنّ الناس محتاجون إلى أن يتعارفوا بأعيانهم وحلاهم لمايجري بينهم من المعاملات وليس يجري بين البهائم مثل ذلك فيحتاج إلى معرفة كلّ واحد منها بعينه و حليته ، ألاترى أنّ التشابه في الطير والوحش لايضرّهما شيئاً ، وليس كذلك الإنسان فإنّه ربّما تشابه التوأمان تشابهاً شديداً فتعظم المؤونة على الناس في معاملتهما

---

(١) المراد بالتشابه التشابه العرفي كما يدل عليه بيانه الاتي ، وأما التشابه الحقيقي فليس منه أثر لا في الانسان ولا في غيره وقدقام عليه البرهان وساعده التجارب العلمي . ط

(٢) السرب ـ بكسر السين وسكون الراء ـ : القطيع من الظباء والطير وغيرها . والقطا جمع للقطاة : طائر في حجم الحمام .

حتّى يعطى أحدهما بالآخر و يؤخذ أحدهما بذنب الآخر ، وقد يحدث مثل هذا في تشابه الأشياء فضلاً عن تشابه الصورة ، فمن لطف لعباده بهذه الدقائق الّتي لاتكاد تخطر بالبال حتّى وقف بها على الصواب إلّا من وسعت رحمته كلّ شيء ؟ لو رأيت تمثال الإنسان مصوّراً على حائط فقال لك قائل : إنّ هذا ظهر ههنا من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع أكنت تقبل ذلك ؟ بل كنت تستهزىء به فكيف تنكر هذا في تمثال مصوّر جماد ولاتنكر في الإنسان الحيّ الناطق ؟ لمَ صارت أبدان الحيوان وهي تغتذي أبداً لاتنمي ، بل تنتهي إلى غاية من النموّ ثمّ تقف ولاتتجاوزها لولا التدبير في ذلك ؟ فإنّ من تدبير الحكيم فيها أن يكون أبدان كلّ صنف منها على مقدار معلوم غير متفاوت في الكبير والصغير ،[1] وصارت تنمي حتّى تصل إلى غايتها ثمّ يقف ثمّ لايزيد والغذاء مع ذلك دائم لاينقطع ، ولو كانت تنمي نموّاً دائماً لعظمت أبدانها واشتبهت مقاديرها حتّى لايكون لشيء منها حدّ يعرف ؛ لمَ صارت أجسام الإنس خاصّة تثقل عن الحركة والمشي ويجفو عن الصناعات اللّطيفة إلّا لتعظيم المؤونة فيما يحتاج إليه الناس للملبس والمضجع والتكفين وغير ذلك ، لو كان الإنسان لا يصيبه ألم ولاوجع بمَ كان يرتدع عن الفواحش ويتواضع لله ويتعطّف على الناس ؟ أما ترى الإنسان إذا عرض له وجع خضع واستكان ورغب إلى ربّه في العافية وبسط يديه بالصدقة ؟ ولو كان لايألم من الضرب بمَ كان السلطان يعاقب الدعار[2] و يذلّ العصاة المردة ؟ وبمَ كان الصبيان يتعلّمون العلوم والصناعات ؟ وبمَ كان العبيد يذلّون لأربابهم و يذعنون لطاعتهم ؟ أفليس هذا توبيخ لابن أبي العوجاء و ذويه اللّذين جحدوا التدبير، والمانويّة الّذين أنكروا الألم والوجع ؛ لولم يولد من الحيوان إلّا ذكر[3] فقط أو اُناث فقط ألم يكن النسل منقطعاً ، وباد مع ذلك أجناس الحيوان ؟ فصار بعض الأولاد يأتي ذكوراً و بعضها يأتي اُناثاً ليدوم التناسل ولاينقطع . لمَ صار الرجل والمرأة إذا أدركا نبتت لهما العانة ثمّ نبتت اللّحية للرجل وتخلّفت عن المرأة لولا التدبير في ذلك ؟ فإنّه لمّا جعل الله تبارك

(١) وفي نسخة : في الكبر والصغر .
(٢) و في نسخة : الدغار .
(٣) وفي نسخة : ذكوراً .

وتعالى الرجل قيّماً ورقيباً على المرأة وجعل المرأة عرساً وخولاً للرجل أعطى الرجل اللّحية لما له من العزّة والجلالة والهيبة، ومنعها المرأة لتبقى لها نضارة الوجه والبهجة الّتي تشاكل المفاكهة و المضاجعة؛ أفلا ترى الخلقة كيف يأتي بالصواب في الأشياء و تتخلّل مواضع الخطأ فتعطي وتمنع على قدر الإرب والمصلحة بتدبير الحكيم عزّ وجلّ؟.

بيان: جنى الذنب عليه يجنيه جناية: جرّه إليه. والجدة بالتخفيف: الغناء. قوله عليه السلام: في تشابه الأشياء أي قد يشبه مال شخص بمال شخص آخر كثوب أو نعل أو دينار أو درهم فيصير سبباً للاشتباه والتشاجر والتنازع، فضلاً عن تشابه الصورة فإنّه أعظم فساداً، والمراد أنّ الناس كثيراً ما يشتبه عليهم أمر رجلين لتشابه لباسهما ومركوبهما وغير ذلك فيؤخذ أحدهما بالآخر فكيف مع تشابه الصورة؟. قوله عليه السلام: واشتبهت مقاديرها أي لم يعرف غاية ما ينتهي إليه مقداره فيشتبه الأمر عليه فيما يريد أن يهيّئه لنفسه من دار ودابّة وثياب وزوجة. قوله عليه السلام: ويجفو أي يبعد ويجتنب ولا يداوم على الصناعات اللّطيفة، أي الّتي فيها دقّة ولطافة؛ قال الجزري: وفي الحديث: اقرؤوا القران ولاتجفوا عنه. أي تعاهدوه وتبعدوا عن تلاوته. انتهى.

والحاصل أنّ الله تعالى جعل الإنسان بحيث تثقل عن الحركة والمشي قبل سائر الحيوانات وتكلّ عن الأعمال الدقيقة لتعظم عليه مؤونة تحصيل ما يحتاج إليه فلايبطر ولايطغى أو ليكون لهذه الأعمال أجر فيصير سبباً لمعايش أقوام يزاولونها. والدعار في بعض النسخ بالمهملة من الدعر محرّكةً: الفساد والفسق والخبث، و في بعضها بالمعجمة من الدغرة وهي أخذ الشيء اختلاساً. والعرس بالكسر: امرأة الرجل. والخول محرّكة ما أعطاك الله من النعم و العبيد و الإماء. و المفاكهة: الممازحة و المضاحكة. قوله عليه السلام: وتخلّل مواضع الخطأ يحتمل أن تكون الجملة حاليّةً أي تأتي بالصواب مع أنّها تدخل مواضع هي مظنّة الخطأ، من قولهم: تخلّلت القوم أي دخلت خلالهم و يحتمل أن يكون المراد بالتخلّل التخلّف أو الخروج من خلالها لكن تطبيقهما على المعاني اللّغويّة يحتاج إلى تكلّف.

قال المفضّل: ثمّ حان وقت الزوال فقام مولاي إلى الصلاة وقال: بكّر إليّ غداً

إن شاء الله ؛ فانصرفت من عنده مسروراً بما عرفته ، مبتهجاً بما أُوتيته ، حامداً لله على ما أنعم به عليَّ ، شاكراً لأنعمه على ما منحني بما عرّفنيه مولاي وتفضّل به عليَّ ، فبتُّ في ليلتي مسروراً بما منحنيه ، محبوراً بما علّمنيه .

تمَّ المجلس الأوّل ويتلوه المجلس الثاني من كتاب الأدلّة على الخلق و التدبير والردّ على القائلين بالاهمال ومنكري العمد برواية المفضّل عن الصادق صلوات الله عليه وعلى آبائه .

قال المفضّل : فلمّا كان اليوم الثاني بكّرت إلى مولاي فاستوذن لي فدخلت فأمرني بالجلوس فجلست ؛ فقال : الحمد لله مدير الأدوار[1] و معيد الأكوار طبقاً عن طبق و عالماً بعد عالم ليجزي الّذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الّذين أحسنوا بالحسنى ، عدلاً منه تقدّست أسماؤه وجلّت آلاؤه ، لايظلم الناس شيئاً ولكنَّ الناس أنفسهم يظلمون يشهد بذلك قوله جلَّ قدسه : فمن يعمل مثقال ذرَّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرَّة شرَّاً يره ؛ في نظائر لها في كتابه الّذي فيه تبيان كلّ شيء ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، ولذلك قال سيّدنا محمّد صلوات الله عليه وآله إنّما هي أعمالكم تردُّ إليكم . ثمَّ أطرق هنيئة ثمّ قال : يا مفضّل الخلق حيارى عمهون سكارى في طغيانهم يتردّدون ، وبشياطينهم وطواغيتهم يقتدون ، بصراء عميٌ لايبصرون ، نطقاء بكمٌ لا يعقلون ، سمعاء صمٌّ لايسمعون ، رضوا بالدون وحسبوا أنّهم مهتدون ، حادوا عن مدرجة الأكياس ، ورتعوا في مرعى الأرجاس الأنجاس ، كأنّهم من مفاجاة الموت آمنون وعن المجازات مزحزحون ، ياويلهم ما أشقاهم وأطول عناءهم وأشدّ بلاءهم يوم لايغني مولىً عن مولىً شيئاً ولاهم ينصرون إلّا من رحم الله .

قال المفضّل : فبكيت لما سمعت منه ، فقال : لاتبك تخلّصت إذقبلت ، ونجوت إذ عرفت ، ثمّ قال : أبتدىء لك بذكر الحيوان ليتّضح لك من أمره ما وضح لك من غيره .

فكّر في أبنية أبدان الحيوان وتهيئتها على ماهي عليه ، فلاهي صلاب كالحجارة ولو كانت كذلك لاتنثني ولاتتصرّف في الأعمال ، ولاهي على غاية اللّين والرخاوة فكانت

(١) وفي نسخة : الحمد لله مدبر الادوار .

لاتتحامل ولا تستقلّ بأنفسها ، فجعلت من لحم رخو تنثني ، تتداخله عظام صلاب ، يمسكه عصب و عروق تشدّه ويضمّ بعضه إلى بعض ، و غلفت [١] فوق ذلك بجلد يشتمل على البدن كلّه ، ومن أشباه ذلك هذه التماثيل الّتي تعمل من العيدان [٢] و تلفّ بالخرق وتشدّ بالخيوط ويطلى فوق ذلك بالصمغ [٣] فيكون العيدان بمنزلة العظام ، و الخرق بمنزلة اللّحم ، والخيوط بمنزلة العصب والعروق ، والطلا بمنزلة الجلد ، فإن جاز أن يكون الحيوان المتحرّك حدث بالإهمال من غير صانع جاز أن يكون ذلك في هذه التماثيل الميتة ، فإن كان هذا غير جائز في التماثيل فبالحريّ أن لايجوز في الحيوان .

وفكّر بعد هذا في أجساد الأنعام فإنّها حين خلقت على أبدان الإنس من اللّحم والعظم والعصب اُعطيت أيضاً السمع و البصر ليبلغ الإنسان حاجته ، فإنّها لو كانت عمياً صمّاً لما انتفع بها الإنسان ، ولاتصرّفت في شيء من مآربه ، ثمّ منعت الذهن و العقل لتذلّ للإنسان فلا تمتنع عليه إذا كدّها الكدّ الشديد وحملها الحمل الثقيل .

فإن قال قائل : إنّه قد يكون للإنسان عبيد من الإنس يذلّون ويذعنون بالكدّ الشديد وهم مع ذلك غير عديمي العقل والذهن ، فيقال في جواب ذلك : إنّ هذا الصنف من الناس قليل ، فأمّا أكثر الناس فلا يذعنون بما تذعن به الدوابّ من الحمل والطحن وما أشبه ذلك ، ولايغرون بما يحتاج إليه منه ، [٥] ثمّ لو كان الناس يزاولون مثل هذه الأعمال بأبدانهم لشغلوا بذلك عن سائر الأعمال ، لأنّه كان يحتاج مكان الجمل الواحد والبغل الواحد إلى عدّة أناسيّ فكان هذا العمل يستفرغ الناس حتّى لايكون فيهم عنه فضل لشيء من الصناعات ، مع مايلحقهم من التعب الفادح في أبدانهم ، والضيق والكدّ في معاشهم .

ايضاح : مدير الأدوار لعلّ فيه مضافاً محذوفاً أي ذوي الأدوار ، أو الإسناد مجازيّ

(١) وفي نسخة : وعليت فوق ذلك .

(٢) جمع العود وهي الخشب .

(٣) أي يلطخ فوق ذلك بالصمغ .

(٤) وفي نسخة : فانها لوكانت عمياً صماً .

(٥) وفي نسخة : ولايعزون بما يحتاج اليه منه .

وفي بعض النسخ بالباء الموحّدة وهو أظهر . والأكوار جمع كور بالفتح ، وهو الجماعة الكثيرة من الإبل والقطيع من الغنم ، ويقال : كلّ دور كور . والمراد إمّا استيناف قرن بعد قرن وزمان بعد زمان ، أو إعادة أهل الأكوار والأدوار جميعاً في القيامة ، والأوّل أظهر . وقال الجزريّ : قيل للقرن طبق لأنّهم طبق للأرض ثمّ ينقرضون فيأتي طبق آخر . قوله عليه السلام : في نظائر أي قالها في ضمن نظائرها أو مع نظائرها . قوله عليه السلام : إنّما هي أي المثوبات والعقوبات أعمالكم أي جزاؤها والعمه التحيّر والتردّد . والحيد : الميل . والمدرجة : المذهب والمسلك . وزحزحه : أبعده . والانثناء : الانعطاف والميل . قوله عليه السلام : ولا يغرون في بعض النسخ بالغين المعجمة و الراء المهملة على بناء المفعول من قولهم : أغريت الكلب بالصيد ؛ أي لا يؤثر فيهم الإغراء ، والتحريص على جميع الأعمال الّتي يحتاج إليها الخلق من ذلك العمل الّذي تأتي به الدوابّ ، وفي بعضها بالعين المهملة والزاي المعجمة من عزى من باب تعب أي صبر على ما نابه ، والأوّل أظهر . والفادح من قولهم : فدحه الدَين أثقله . ثمّ اعلم أنّه ينبغي حمل السؤال على أنّه كان يمكن أن يكتفي بخلق الحيوانات لأنّ بعضهم ينقادون ويطيعون بعضاً فالجواب منطبق من غير تكلّف .

فكّر يا مفضّل في هذه الأصناف الثلاثة من الحيوان وفي خلقها على ما هي عليه بما فيه صلاح كلّ واحد منها ، فالإنس لمّا قدروا أن يكونوا ذوي ذهن وفطنة وعلاج لمثل هذه الصناعات من البناء والتجارة والصياغة [١] وغير ذلك خلقت لهم أكفّ كبار ذوات أصابع غلاظ ، ليتمكّنوا من القبض على الأشياء وأوكدها هذه الصناعات ، وآكلات اللّحم لمّا قدّر أن يكون معايشها من الصيد خلقت لهم أكفّ لطاف مدمّجة [٢] ذوات براثن ومخاليب تصلح لأخذ الصيد ، ولا تصلح للصناعات ، وآكلات النبات لمّا قدّر أن يكونوا لا ذات صنعة ولا ذات صيد خلقت لبعضها أظلاف [٣] تقيها خشونة الأرض

(١) وفي نسخة : والخياطة .

(٢) وفي نسخة : اكف لطاف مذبحة .

(٣) جمع الظلف - بكسر الظاء وسكون اللام - و هو لما اجترّ من الحيوانات كالبقرة والظبي بمنزلة الحافر للفرس .

إذا حاول طلب الرعي ، ولبعضها حوافر ململمة ذوات قعر كأخمص القدم تنطبق على الأرض ليتهيّأ للركوب والحمولة ؛ تأمّل التدبير في خلق آكلات اللّحم من الحيوان حين خلقت ذوات أسنان حداد ،[1] وبراثن شداد ، وأشداق وأفواه واسعة ، فإنّه لمّا قدّر أن يكون طُعمها اللّحم خلقت خلقة تشاكل ذلك واُعينت بسلاح وأدوات تصلح للصيد وكذلك تجد سباع الطير ذوات مناقير ومخاليب مهيّأة لفعلها ، ولو كانت الوحوش ذوات مخالب كانت قد اُعطيت مالا يحتاج إليه لأنّها لا تصيد ولا تأكل اللّحم ، ولو كانت السباع ذوات أظلاف كانت قد منعت ما تحتاج إليه أعني السلاح الّذي به تصيد و تتعيّش ، أفلا ترى كيف اُعطي كلّ واحد من الصنفين ما يشاكل صنفه و طبقته بل ما فيه بقاؤه وصلاحه .

انظر الآن إلى ذوات الأربع كيف تراها تتّبع اُمّاتها مستقلّة بأنفسها لا تحتاج إلى الحمل والتربية كما تحتاج أولاد الإنس ، فمن أجل أنّه ليس عند اُمّهاتها ما عند اُمّهات البشر من الرفق والعلم بالتربية والقوّة عليها بالأكفّ والأصابع المهيّأة لذلك اُعطيت النهوض و الاستقلال بأنفسها ، و كذلك ترى كثيراً من الطير كمثل الدجاج و الدرّاج والقبج [2] تدرج و تلقط حين ينقاب عنها البيض . فأمّا ما كان منها ضعيفاً لانهوض فيه كمثل فراخ الحمام واليمام والحمر فقد جعل في الاُمّهات فضل عطف عليها فصارت تمجّ الطعام في أفواهها بعد ما توعيه حواصلها فلا تزال تغذوها حتّى تستقلّ بأنفسها ولذلك لم ترزق الحمام فراخاً كثيرة مثل ما ترزق الدجاج لتقوى الاُمّ على تربية فراخها فلا تفسد ولا تموت فكلٌّ اُعطي بقسط من تدبير الحكيم اللّطيف الخبير .

انظر إلى قوائم الحيوان كيف تأتي أزواجاً لتتهيّأ للمشي ، ولو كانت أفراداً لم تصلح لذلك لأنّ الماشي ينقل قوائمه[3] ويعتمد على بعض ؛ فذو القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على واحدة ، وذو الأربع ينقل اثنين ويعتمد على اثنين ، وذلك من خلاف لأنّ ذا الأربع لو كان ينقل قائمتين من أحد جانبيه ويعتمد على قائمتين من الجانب الآخر

(١) وفي نسخة : حيث جعلت ذوات أسنان .

(٢) بالقاف والباء المفتوحتين : طائر يشبه الحجل .

(٣) كذا في النسخ والظاهر أن الصحيح : ينقل بعض قوائمه .

لما يثبت على الأرض كما لا يثبت السرير وما أشبهه فصار ينقل اليمنى من مقاديمه مع اليسرى من مآخيره ، و ينقل الأخريين أيضاً من خلاف فيثبت على الأرض ولا يسقط إذا مشى .

أما ترى الحمار كيف يذلّ للطحن والحمولة وهو يرى الفرس مودعاً منعماً ، والبعير لا يطيقه عدّة رجال لو استعصى ، كيف كان ينقاد للصبيّ ؟ والثور الشديد كيف كان يذعن لصاحبه حتّى يضع النير على عنقه ويحرث به ؟ و الفرس الكريم يركب السيوف والأسنّة بالمواتاة لفارسه ، والقطيع من الغنم يرعاه رجل واحد ولو تفرّقت الغنم فأخذ كلّ واحد منها في ناحية لم يلحقها ، وكذلك جميع الأصناف مسخّرة للإنسان فبمَ كانت كذلك ؟ إلّا بأنّها عدمت العقل و الرويّة فإنّها لو كانت تعقل و تروّى في الأمور[1] كانت خليقة أن تلتوي على الإنسان في كثير من مآربه ، حتّى يمتنع الجمل على قائده ، والثور على صاحبه ، وتتفرّق الغنم عن راعيها ، وأشباه هذا من الأمور ، و كذلك هذه السباع لو كانت ذات عقل و رويّة فتوازرت على الناس كانت خليقةً أن تجتاحهم[2] فمن كان يقوم للأسد والذئاب والنمورة والدببة لو تعاونت وتظاهرت على الناس ؟ أفلا ترى كيف حجر ذلك عليها وصارت مكان ما كان يخاف من إقدامها و نكايتها تهاب مساكن الناس وتحجم عنها ثمّ لا تظهر ولا تنتشر لطلب قوتها إلّا باللّيل ؟ فهي مع صولتها كالخائف للإنس بل مقموعة ممنوعة منهم ، ولولا ذلك لساورتهم في مساكنهم وضيّعت عليهم[3] ثمّ جعل في الكلب من بين هذه السباع عطفٌ على مالكه و محاماةٌ عنه و حفاظٌ له فهو ينتقل على الحيطان والسطوح في ظلمة اللّيل لحراسة منزل صاحبه ، وذبِّ الدغار عنه[4] ويبلغ من محبّته لصاحبه أن يبذل نفسه للموت دونه ودون ماشيته وماله ، ويألفه غاية الألف حتّى يصبر معه على الجوع والجفوة فلم طبع الكلب على هذا

---

(١) أى نظر فى الامور وتفكر فيها .

(٢) أى تستأصلهم وتهلكهم .

(٣) وفى نسخة : وضيقت عليهم .

(٤) و فى نسخة : و ذب الذعار عنه .

الألف إلّا ليكون حارساً للإنسان، له عين بأنياب ومخالب ونباح هائل ليذعر منه السارق ويتجنّب المواضع الّتي يحميها ويخفرها.

بيان: وأوكدها أي أوكد الأشياء وأحوجها إلى هذا النوع من الخلق هذه الصناعات ويحتمل إرجاع الضمير إلى جنس البشر فيكون فعلاً أي ألزمها أو ألهمها هذه الصناعات ولا يبعد إرجاعه إلى الأكف أيضاً. قوله عليه السلام: مدمجة أي انضمّ بعضها إلى بعض. قال الجوهريّ: دمج الشيء دموجاً إذا دخل في الشيء واستحكم فيه، و أدمجت الشيء إذا لففته في ثوب، وفي بعض النسخ: مدبحة بالباء والحاء المهملة، ولعلّ المراد معوّجة من قولهم: دبّح تدبيحاً أي بسط ظهره و طأطأ رأسه، وهو تصحيف. و البراثن من السباع والطير بمنزلة الأصابع من الإنسان. والمخلب: ظفر البرثن. و الململم بفتح اللّامين: المجتمع المدوّر المصموم. والأخمص من باطن القدم مالا يصيب الأرض. و الشدق: جانب الفم. والطعم بالضمّ: الطعام. والأمّات جمع الأمّ، وقيل: إنّما تستعمل في البهائم، وأمّا في الناس فيقال: اُمّهات. ويقال: قاب الطير بيضته فلّقها فانقابت. واليمام حمام الوحش. والحُمر بضمّ الحاء وفتح الميم طائر وقد يشدّد الميم. ويقال: مجّ الرجل الطعام من فيه: إذا رمى به. والمودع من الخيل بفتح الدال: المستريح. ونير الفدان بالكسر: الخشبة المعترضة في عنق الثورين. قوله عليه السلام: يركب السيوف أي يستقبلها بجرأة كأنّه يركبها أو بمعنى يرتكب مواجهتها. و المواتاة: الموافقة. و الدببة كعنبة جمع الدبّ. ويقال: أحجم القوم عنه أي نكصوا وتأخّروا و تهيّبوا أخذه. و ساوره: واثبه. و يقال: حاميت عنه أي منعت منه. والعين بالفتح: الغلظ في الجسم والخشونة. والخفر: المنع.

يا مفضّل تأمّل وجه الدابّة كيف هو، فإنّك ترى العينين شاخصتين أمامها لتبصر ما بين يديها لئلّا تصدم حائطاً أو تتردّى في حفرة، و ترى الفم مشقوقاً شقّاً في أسفل الخطم، ولو شقّ كمكان الفم من الإنسان في مقدّم الذقن لما استطاع أن يتناول به شيئاً من الأرض ألاترى أنّ الإنسان لايتناول الطعام بفيه ولكن بيده تكرمة له على سائر الآكلات؟ فلمّا لم يكن للدابّة يد تتناول بها العلف جعل خطمها مشقوقاً من أسفله

لتقبض به على العلف ثمّ تقضمه ، واُعينت بالجحفلة تتناول بها ماقرب وما بعد . اعتبر بذنبها والمنفعة لها فيه فإنّه بمنزلة الطبق على الدبر والحيأ جميعاً يواريهما ويسترهما ، ومن منافعها فيه أنّ مابين الدبر ومراقي البطن منها وضر يجتمع عليه الذباب والبعوض فجعل لها الذنب كالمذبّة تذبّ بها عن ذلك الموضع ؛ و منها أنّ الدابّة تستريح إلى تحريكه و تصريفه يمنة ويسرة فإنّه لمّا كان قيامها على الأربع بأسرها و شغلت المقدّمتان بحمل البدن عن التصرّف والتقلّب كان لها في تحريك الذنب راحة ؛ وفيه منافع اُخرى يقصرعنها الوهم يعرف موقعها في وقت الحاجة إليها فمن ذلك أنّ الدابّة ترتطم في الوحل[1] فلا يكون شيء أعون على نهوضها من الأخذ بذنبها ، وفي شعر الذنب منافع للناس كثيرة يستعملونها في مآربهم ، ثمّ جعل ظهرها مسطّحاً مبطوحاً على قوائم أربع ليتمكّن من ركوبها ، وجعل حياها بارزاً من ورائها ليتمكّن الفحل من ضربها ، ولو كان أسفل البطن كمكان الفرج من المرأة لم يتمكّن الفحل منها ، ألاترى أنّه لا يستطيع أن يأتيها كفاحاً كما يأتي الرجل المرأة .

تأمّل مشفر الفيل ومافيه من لطيف التدبير فإنّه يقوم مقام اليد في تناول العلف والماء وازدرادهما[2] إلى جوفه ، ولولا ذلك مااستطاع أن يتناول شيئاً من الأرض لأنّه ليست له رقبة يمدّها كسائر الأنعام ، فلمّا عدم العنق اُعين مكان ذلك بالخرطوم الطويل ليسدله[3] فيتناول به حاجته ، فمن ذا الّذي عوّضه مكان العضو الّذي عدمه مايقوم مقامه إلّا الرؤوف بخلقه ؟ وكيف يكون هذا بالإهمال كما قالت الظلمة ؟ .

فإن قال قائل : فما باله لم يخلق ذا عنق كسائر الأنعام ؟ قيل له : إنّ رأس الفيل واُذنيه أمر عظيم وثقل ثقيل ، ولو كان ذلك على عنق عظيمة لهدّها وأوهنها فجعل رأسه ملصقاً بجسمه لكيلا ينال منه ما وصفنا ، و خلق له مكان العنق هذا المشفر ليتناول به غذاءه فصار مع عدمه العنق مستوفياً مافيه بلوغ حاجته .

انظر الآن كيف جعل حيأ الاُنثى من الفيلة في أسفل بطنها فإذا هاجت للضراب

(١) أى تسقط فى الوحل .
(٢) الازدراد : البلع .
(٣) أى ليرسله ويرخيه .

ارتفع و برز حتّى يتمكّن الفحل من ضربها ، فاعتبر كيف جعل حيأ الأُنثى من الفيلة على خلاف ماعليه في غيرها من الأنعام ثمّ جعلت فيه هذه الخلّة ليتهيّأ للأمر الّذي فيه قوام النسل و دوامه .

فكّر في خلق الزرافة و اختلاف أعضائها و شبهها بأعضاء أصناف من الحيوان ؛ فرأسها رأس فرس ، وعنقها عنق جمل ، وأظلافها أظلاف بقرة ، وجلدها جلد نمر؛ وزعم ناس من الجهّال بالله عزّ وجلّ أنّ نتاجها من فحول شتّى ؛ قالوا : وسبب ذلك أنّ أصنافاً من حيوان البرّ إذا وردت الماء تنزو على بعض السائمة وينتج مثل هذا الشخص الّذي هو كالملتقط من أصناف شتّى ، وهذا جهل من قائله وقلّة معرفته بالباريء جلّ قدسه ، وليس كلّ صنف من الحيوان يلقح كلّ صنف ؛ فلاالفرس يلقح الجمل ، ولا الجمل يلقح البقر ، وإنّما يكون التلقيح من بعض الحيوان فيما يشاكله ويقرب من خلقه كما يلقح الفرس الحمارة فيخرج بينهما البغل ، ويلقح الذئب الضبع فيخرج بينهما السمع ، على أنّه ليس يكون في الّذي يخرج من بينهما عضو من كلّ واحد منهما كما في الزرافة عضو من الفرس ، وعضو من الجمل ، وأظلاف من البقرة ، بل يكون كالمتوسّط بينهما الممتزج منهما كالّذي تراه في البغل ، فإنّك ترى رأسه و اُذنيه وكفله و ذنبه وحوافره وسطاً بين هذه الأعضاء من الفرس والحمار ، وشحيجه كالممتزج من صهيل الفرس ونهيق الحمار ، فهذا دليل على أنّه ليست الزرافة من لقاح أصناف شتّى من الحيوان كما زعم الجاهلون ، بل هي خلق عجيب من خلق الله للدلالة على قدرته الّتي لايعجزها شيء ، وليعلم أنّه خالق أصناف الحيوان كلّها ، يجمع بين مايشاء من أعضائها في أيّها شاء ويفرّق ماشاء منها في أيّها شاء ، ويزيد في الخلقة ماشاء ، وينقص منها ماشاء ، دلالةً على قدرته على الأشياء ، وأنّه لايعجزه شيءٌ أراده جلّ وتعالى ، فأمّا طول عنقها والمنفعة لها في ذلك فإنّ منشأها ومرعاها في غياطل ذوات أشجار شاهقة ذاهبة طولاً في الهواء فهي تحتاج إلى طول العنق لتناول بفيها أطراف تلك الأشجار فتتقوّت من ثمارها .

تأمّل خلق القرد وشبهه بالإنسان في كثير من أعضائه أعني الرأس والوجه و المنكبين والصدر ، وكذلك أحشاؤه شبيهة أيضاً بأحشاء الإنسان ، وخصّ من ذلك بالذهن

والفطنة الّتي بها يفهم عن سائسه مايومي إليه ، و يحكي كثيراً ممّا يرى الإنسان يفعله حتّى أنّه يقرب من خلق الإنسان وشمائله في التدبير في خلقته على ما هي عليه أن يكون عبرةً للإنسان في نفسه فيعلم أنّه من طينة البهائم وسنخها إذ كان يقرب من خلقها هذا القرب ، وأنّه لولا فضيلة فضّله الله بها في الذهن والعقل والنطق كان كبعض البهائم ، على أنّ في جسم القرد فضولاً اُخرى يفرق بينه وبين الإنسان كالخطم والذنب المسدّل والشعر المجلّل للجسم كلّه ، وهذا لم يكن مانعاً للقرد أن يلحق بالإنسان لو اُعطي مثل ذهن الإنسان وعقله ونطقه ، والفصل الفاصل بينه وبين الإنسان بالصحّة هو النقص في العقل والذهن والنطق .

بيان : شخص البصر : ارتفع ، وشخص الرجل بصره : إذا فتح عينيه . و الخطم بالفتح من كلّ طائر منقاره ومن كلّ دابّة مقدّم أنفه وفمه . وقضم كسمع : أكل بأطراف أسنانه . والجحفلة بمنزلة الشفة للبغال والحمير والخيل ، وهي بتقديم الجيم على الحاء المهملة . والطبق محرّكه : غطاء كلّ شيء . والحيأ : الفرج . والمراد بمراقي البطن ما ارتفع منه من وسطه أوقرب منه . والوضر : الدرن . والمذبّة بكسر الميم : مايذبّ به الذباب . وبطحه : ألقاه على وجهه . وكفحته كفحاً وكفاحاً : إذا استقبلته . والمشفر من البعير كالجحفلة من الفرس . وقال الجوهريّ : الزّرافة والزُّرافة بفتح الزاي وضمّها مخفّفة الفاء : دابّة يقال لها بالفارسيّة : اشتر گاو پلنگ . وقال الفيروزآباديّ : السِمع بكسر السين وسكون الميم : ولد الذئب من الضبع لايموت حتف أنفه كالحيّة ، وعدوه أسرع من الطير ، ووثبته تزيد على ثلاثين ذراعاً . وقال : شحيج البغل والحمار : صوته . والغياطل : جمع الغيطل وهو الشجر الكثير الملتفّ . قوله عليه السلام : أن يكون أي خلق كذلك لأن يكون عبرةً للإنسان . والسنخ بالكسر: الأصل . قوله : بالصحّة هو النقص في العقل أي الفصل الصحيح الّذي يصلح واقعاً أن يكون فاصلاً . وفي أكثر النسخ : «وهو» وعلى هذا لايبعد أن تكون تصحيف القحة أي قلّة الحياء .

انظر يا مفضّل إلى لطف الله جلّ اسمه بالبهائم كيف كسيت أجسامهم هذه الكسوة من الشعر والوبر والصوف ليقيها من البرد وكثرة الآفات ، وألبست قوائمها الأظلاف و

الحوافر والأخفاف ليقيها من الحفا ، إذ كانت لا أيدي لها ولا أكفّ و لا أصابع مهيّأة للغزل والنسج فكفّوا بأن جعل كسوتهم في خلقتهم باقيةً عليهم ما بقوا لا يحتاجون إلى تجديدها والاستبدال بها ، فأمّا الإنسان فإنّه ذو حيلة وكفّ مهيّأة للعمل فهو ينسج و يغزل ويتّخذ لنفسه الكسوة ، ويستبدل بها حالاً بعد حال ، وله في ذلك صلاح من جهات ؛ من ذلك : أنّه يشتغل بصنعة اللّباس عن العبث وما يخرجه إليه الكفاية ؛ ومنها : أنّه يستريح إلى خلع كسوته إذا شاء ولبسها إذا شاء ؛ ومنها : أن يتّخذ لنفسه من الكسوة ضروباً لها جمال وروعة فيتلذّذ بلبسها وتبديلها . وكذلك يتّخذ بالرفق من الصنعة ضروباً من الخفاف والنعال يقي بها قدميه ، وفي ذلك معايش لمن يعمله من الناس ومكاسب يكون فيها معاشهم ، ومنها أقواتهم وأقوات عيالهم ، فصار الشعر والوبر والصوف يقوم للبهائم مقام الكسوة والأظلاف والحوافر ، والأخفاف مقام الحذاء .

بيان : قال الجوهريّ : قال الكسائيّ : رجل حاف بيّن الحفوة والحفاء بالمدّ ، و هو الّذي يمشي بلا خفّ ولا نعل ، و قال : وأمّا الّذي حفي من كثرة المشي أي رقت قدمه أو حافره فإنّه حفٍ بيّن الحفا مقصوراً ، و أحفاه غيره انتهى . قوله عليه السلام : و روعة من قولهم : راعني الشيء : أعجبني .

فكّر يا مفضّل في خلقة عجيبة جعلت في البهائم ، فإنّهم يوارون أنفسهم إذا ماتوا كما يواري الناس موتاهم ، و إلّا فأين جيف هذه الوحوش والسباع وغيرها لا يرى منها شيء ؟ وليست قليلةً فتخفى لقلّتها ؛ بل لو قال قائل : إنّها أكثر من الناس لصدق ، فاعتبر ذلك بما تراه في الصحاري والجبال من أسراب الظبا والمها والحمير والوعول والأيائل وغير ذلك من الوحوش ، وأصناف السباع من الأسد والضباع والذئاب والنمور وغيرها ، وضروب الهوامّ والحشرات و دوابّ الأرض ، وكذلك أسراب الطير من الغربان[1] و القطا[2] والإوزّ[3] والكراكي[4] والحمام وسباع الطير جميعاً وكلّها لا يرى منها شيء إذا

(١) جمع الغراب.
(٢) جمع القطاة : طائر في حجم الحمام .
(٣) جمع الاوزّة : طائر مائيّ يقال له : الوزّة أيضاً .
(٤) جمع الكركي : طائر كبير أغبر اللون ، طويل العنق والرجلين ، أبتر الذنب ، قليل اللحم ، يأوي إلى الماء أحياناً .

ماتت إلّا الواحد بعد الواحد يصيده قانص أو يفترسه سبع فإذا أحسّوا بالموت كمنوا[1] في مواضع خفيّة فيموتون فيها، ولولا ذلك لامتلأت الصحاري منها حتّى تفسد رائحة الهواء، ويحدث الأمراض والوباء، فانظر إلى هذا الّذي يخلص إليه الناس وعملوه بالتمثيل الأوّل الّذي مثّل لهم كيف جعل طبعاً وادّكاراً في البهائم وغيرها ليسلم الناس من معرّة مايحدث عليهم من الأمراض والفساد.

توضيح: السرب ـ بالكسر ـ والسربة: القطيع من الظباء والقطا والخيل ونحوها والجمع أسراب. والمهاة: البقرة الوحشيّة والجمع مها. والوعل ـ بالفتح وككتف ـ: تيس الجبل والجمع: وعال ووعول. والأُيّل بضمّ الهمزة وكسرها وفتح الياء المشدّدة وكسيّد: الذكر من الأوعال، ويقال: هو الّذي يسمّى بالفارسيّة: «گوزن» والجمع أيائيل. والقانص: الصائد. وخلص إليه: وصل. والمراد بالتمثيل ماذكره الله تعالى في قصّة قابيل. والمعرّة: الأذى.

فكّر يامفضّل في الفطن الّتي جعلت في البهائم لمصلحتها بالطبع والخلقة لطفاً من الله عزّ وجلّ لهم، لئلّا يخلو من نعمه جلّ وعزّ أحد من خلقه لابعقل ورويّة فإنّ الأيّل يأكل الحيّات فيعطش عطشاً شديداً فيمتنع من شرب الماء خوفاً من أن يدبّ السمّ في جسمه فيقتله، ويقف على الغدير وهو مجهود عطشاً، فيعجّ عجيجاً عالياً ولا يشرب منه ولو شرب لمات من ساعته، فانظر إلى ماجعل من طباع هذه البهيمة من تحمّل الظماء الغالب خوفاً من المضرّة في الشرب، و ذلك ممّا لايكاد الإنسان العاقل المميّز يضبطه من نفسه؛ والثعلب إذا أعوزه الطعم تماوت ونفخ بطنه حتّى يحسبه الطير ميّتاً فإذا وقعت عليه لتنهشه وثب عليها فأخذها؛ فمن أعان الثعلب العديم النطق والرويّة بهذه الحيلة إلّا من توكّل بتوجيه الرزق له من هذا وشبهه؟ فإنّه لمّا كان الثعلب يضعف عن كثير ممّا يقوى عليه السباع من مساورة الصيد أُعين بالدهاء[2] والفطنة والاحتيال لمعاشه، والدُلفين يلتمس صيد الطير فيكون حيلته في ذلك أن يأخذ السمك فيقتله و

(١) أى توارَوا واختفوا.

(٢) الدهاء جودة الرأى والحذق، المكر والاحتيال.

يشرحه[١] حتّى يطفوا على الماء ، يكمن تحته و يثوّر الماء الّذي عليه حتّى لايتبيّن شخصه ، فإذا وقع الطير على السمك الطافي وثب إليها فاصطادها ، فانظر إلى هذه الحيلة كيف جعلت طبعاً في هذه البهيمة لبعض المصلحة ؟ .

قال المفضّل : فقلت : خبّرني يا مولاي عن التنّين والسحاب ، فقال عليه السلام : إنّ السحاب كالموكّل به يختطفه حيثما ثقفه ، كما يختطف حجر المقناطيس الحديد ؛ فهو لايطلع رأسه في الأرض خوفاً من السحاب ولايخرج إلّا في القيظ مرّة إذا صحت السماء فلم يكن فيها نكتة من غيمة ؛ قلت : فلمَ وكّل السحاب بالتنّين يرصده ويختطفه إذا وجده ؟ قال : ليدفع عن الناس مضرّته .

بيان : قوله : لا بعقل ورويّة ، لعلّ المراد أنّ هذه الاُمور من محض لطفه تعالى حيث يلهمهم ذلك لابعقل ورويّة . وفي أكثر النسخ : لايعقل ومروته ؛ و هو تصحيف و المراد معلوم . و الجهد : الطاقة و المشقّة أي أصابته مشقّة عظيمة من العطش . و العجيج : الصياح ورفع الصوت . و أعوزه الشيء أي احتاج إليه . و التماوت : إظهار الموت حيلة . والمساورة : هي الوثوب على وجه الصيد . وقال الفيروز آبادي : الدلفين بالضمّ دابّة بحريّة تنجي الغريق [٢] وقوله عليه السلام : يثوّر الماء أي يهيّجه و يحرّكه . والتنّين : حيّة عظيمة معروفة . وثقفه أي وجده . والقيظ : صميم الصيف من طلوع الثريّا إلى طلوع سهيل . والصحو : ذهاب الغيم .

قال المفضّل : فقلت : قد وصفت لي يا مولاي من أمر البهائم مافيه معتبر لمن اعتبر فصف لي الذرّة [٣] والنمل والطير ؛ فقال عليه السلام :

يامفضّل تأمّل وجه الذرّة الحقيرة الصغيرة هل تجد فيها نقصاً عمّا فيه صلاحها ؟

---

(١) أى يقطعه .

(٢) وقيل : هو خنزير البحر ، وهو دابة تنجي الغريق ، وهو كثير بأواخر نيل مصر من جهة البحر الملح ، لانه يقذف به البحر إلى النيل ، وصفته كصفة الزقّ المنفوخ ، وله رأس صغير جداً ، وليس في دواب البحر ماله رئة سواه ، فلذلك يسمع منه النفخ والنفس ، وهو إذا ظفر بالغريق كان أقوى الاسباب فى نجاته ، لانه لايزال يدفعه إلى البر حتى ينجيه ، ولايؤذى أحداً ، و من طبعه الانس بالانسان وخاصة بالصبيان .

(٣) الذرة : النحلة الصغيرة الحمراء .

فمن أين هذا التقدير والصواب في خلق الذرّة إلّا من التدبير القائم في صغير الخلق و كبيره ؟ .

انظر إلى النمل واحتشادها في جمع القوت وإعداده ، فإنّك ترى الجماعة منها إذا نقلت الحبّ إلى زبيتها بمنزلة جماعة من الناس ينقلون الطعام أوغيره ، بل للنمل في ذلك من الجدّ والتشمير ماليس للناس مثله ؛ أما تريهم يتعاونون على النقل كما يتعاون الناس على العمل ؟ ثمّ يعمدون إلى الحبّ فيقطعونه قطعاً لكيلا ينبت فيفسد عليهم[١] فإن أصابه ندى أخرجوه فنشروه حتّى يجفّ ؛ ثمّ لا يتّخذ النمل الزبية إلّا في نشر من الأرض كي لا يفيض السيل فيغرقها[٢] فكلّ هذا منه بلاعقل ولاروية بل خلقة خُلقَ عليها لمصلحة لطفاً من الله عزّ وجلّ .

انظر إلى هذا الّذي يقال له : اللّيث ، وتسمّيه العامّة أسد الذباب ، وما اُعطي من الحيلة والرفق في معاشه ، فإنّك تراه حين يحسّ بالذباب قد وقع قريباً منه تركه مليّاً حتّى كأنّه موات لاحراك به ، فإذا رأى الذباب قد اطمأنّ وغفل عنه دبّ دبيباً دقيقاً[٣] حتّى يكون منه بحيث يناله وثبه ثمّ يثب عليه فيأخذه فإذا أخذه اشتمل عليه بجسمه كلّه مخافة أن ينجو منه فلايزال قابضاً عليه حتّى يحسّ بأنّه قد ضعف واسترخى ثمّ يقبل عليه فيفترسه ويحيى بذلك منه ؛ فأمّا العنكبوت فإنّه ينسج ذلك النسج فيتّخذه شركاً ومصيدةً للذباب ثمّ يكمن في جوفه فإذا نشب فيه الذباب[٤] أجال عليه يلدغه ساعةً بعد ساعة فيعيش بذلك منه فكذلك يحكى صيد الكلاب والفهود ، وهكذا يحكى صيد الأشراك والحبائل .

---

(١) ويقطع الكسفرة ويقسمها أرباعاً ، لما الهم من أن كل نصف منها ينبت .

(٢) قال الدميرى : يحفر قريته بقوائمه وهى ست ، فاذا حفرها جعل فيها تعاريج ، لئلا يجرى إليها ماء المطر ، و ربما اتخذ قرية فوق قرية بسبب ذلك ، و انما يفعل ذلك خوفاً على مايدخره من البلل ، ومن عجائبه اتخاذ القرية تحت الارض ، وفيها منازل ودهاليز وغرف وطبقات معلقة ، يملؤها حبوبا وذخائر للشتاء .

(٣) وفى نسخة : دب دبيبا رقيقاً .

(٤) أى وقع فيه .

فانظر إلى هذه الدويبة الضعيفة كيف جعل في طبعها ما لا يبلغه الإنسان إلّا بالحيلة واستعمال آلات فيها، فلا تزدر بالشيء إذا كانت العبرة فيه واضحة كالذرّة والنملة وما أشبه ذلك فإنّ المعنى النفيس قد يمثّل بالشيء الحقير فلا يضع منه ذلك كما لا يضع من الدينار و هو من ذهب أن يوزن بمثقال من حديد.

بيان: الاحتشاد: الاجتماع. والزبية بالضمّ: الحفرة. والنشر بالفتح وبالتحريك: المكان المرتفع. وقال الجوهريّ: اللّيث: الأسد و ضرب من العناكب يصطاد الذباب بالوثب: انتهى. والموات بالفتح: مالاروح فيه. ويقال: مابه حراك كسحاب أي حركة. والشرك بالتحريك: حبالة الصائد. ويقال: أحال عليه بالسوط يضربه أي أقبل. قوله عليه السلام: فكذلك أي كفعل اللّيث. وقوله: هكذا أي كالعنكبوت. والازدراء: الاحتقار. قوله عليه السلام: فلايضع منه أي لاينقص من قدر المعنى النفيس تمثيله بالشيء الحقير، قال الفيروزآباديّ: وضع عنه: حطّ من قدره.

تأمّل يامفضّل جسم الطائر وخلقته فإنّه حين قدّر أن يكون طائراً في الجوّ خفّف جسمه و اُدمج خلقه، فاقتصر به من القوائم الأربع على اثنتين، ومن الأصابع الخمس على أربع، ومن منفذين للزبل والبول على واحد يجمعهما، ثمّ خلق ذا جؤجؤ محدّد ليسهل عليه أن يخرق الهواء كيف ماأخذ فيه، كما جعل السفينة بهذه الهيئة لتشقّ الماء وتنفذ فيه، وجعل في جناحيه وذنبه ريشات طوال متان لينهض بها للطيران، وكسي كلّه الريش ليداخله الهواء فيقلّه، ولمّا قدّر أن يكون طعمه الحبّ واللّحم يبلعه بلعاً بلامضغ نقص من خلقه الأسنان، وخلق له منقار صلب جاس يتناول به طعمه فلاينسحج من لقط الحبّ، ولايتقصّف من نهش اللّحم، ولمّا عدم الأسنان وصار يزدرد الحبّ[1] صحيحاً واللّحم غريضاً اُعين بفضل حرارة في الجوف تطحن له الطعم طحناً يستغني به عن المضغ؛ واعتبر ذلك بأنّ عجم العنب وغيره يخرج من أجواف الإنس صحيحاً، ويطحن في أجواف الطير لايرى له أثر، ثمّ جعل ممّا يبيض بيضاً ولايلد ولادةً لكيلا يثقل عن الطيران فإنّه لوكانت الفراخ في جوفه تمكث حتّى تستحكم لأثقلته وعاقته عن النهوض

(١) أي يبتلعه و يسرع.

والطيران فجعل كلّ شيء من خلقه مشاكلاً للأمر الّذي قدّر أن يكون عليه ثمّ صار الطائر السائح في هذا الجوّ يقعد على بيضه فيحضنه أُسبوعاً، وبعضها أُسبوعين، وبعضها ثلاثة أسابيع حتّى يخرج الفرخ من البيضة ثمّ يقبل عليه فيزقّه الريح لتتّسع حوصلته للغذاء ثمّ يربّيه ويغذّيه بما يعيش به فمن كلّفه أن يلقط الطعم و يستخرجه بعد أن يستقرّ في حوصلته ويغذو به فراخه؟ ولأيّ معنى يحتمل هذه المشقّة وليس بذي رويّة ولا تفكّر؟ ولا يأمل في فراخه ما يأمل الإنسان في ولده من العزّ والرفد[١] وبقاء الذكر؟ فهذا هو فعل[٢] يشهد بأنّه معطوف على فراخه، لعلّه لا يعرفها ولا يفكّر فيها وهي دوام النسل وبقاؤه لطفاً من الله تعالى ذكره.

انظر إلى الدجاجة كيف تهيج لحضن البيض والتفريخ وليس لها بيض مجتمع ولا وكر[٣] موطى بل تنبعث وتنتفخ وتقوقى وتمتنع من الطعم حتّى يجمع لها البيض فتحضنه وتفرخ فلمَ كان ذلك منها إلّا لإقامة النسل؟ ومن أخذها بإقامة النسل ولا رويّة ولا تفكّر لولا أنّها مجبولة على ذلك؟.

اعتبر بخلق البيضة وما فيها من المحّ الأصفر الخاثر، والماء الأبيض الرقيق، فبعضه لينتشر منه الفرخ، وبعضه ليغذي به،[٤] إلى أن تنقاب عنه البيضة، وما في ذلك من التدبير فإنّه لو كان نشؤ الفرخ في تلك القشرة المستحصنة الّتي لا مساغ لشيء إليها لجعل معه في جوفها من الغذاء ما يكتفي به إلى وقت خروجه منها، كمن يحبس في حبس حصين لا يوصل إلى من فيه فيجعل معه من القوت ما يكتفي به إلى وقت خروجه منه.

فكّر في حوصلة الطائر وما قدّر له، فإنّ مسلك الطعم إلى القانصة[٥] ضيق لا ينفذ فيه الطعام إلّا قليلاً قليلاً، فلو كان الطائر لا يلقط حبّة ثانية حتّى تصل الأولى إلى القانصة لطال عليه، ومتى كان يستوفي طعمه؟ فإنّما يختلسه اختلاساً لشدّة الحذر،

(١) الرفد: النصيب، المعاونة.
(٢) وفي نسخة: فهذا من فعله يشهد بأنه معطوف على فراخه.
(٣) الوكر - بفتح الواو وسكون الكاف -: عش الطائر.
(٤) وفي نسخة: ليغتذي به.
(٥) القانصة للطير: كالمعدة للانسان.

فجعلت الحوصلة كالمخلاة المعلّقة أمامه ليوعي فيها ما أدرك من الطعم بسرعة ثمّ تنفذه إلى القانصة على مهل ، وفي الحوصلة أيضاً خلّة اُخرى ، فإنّ من الطائر ما يحتاج إلى أن يزقّ فراخه فيكون ردّه للطعم من قرب أسهل عليه .

توضيح : أقلّه أي حمله ورفعه . وجسا كدعا : صلب ويبس . و يقال : سحجت جلده فانسحج أي قشرته فانقشر . و التقصّف : التكسّر . والغريض الطريّ ، أي غير مطبوخ . والعجم بالتحريك : النوى . وحضن الطائر بيضته يحضنه : إذا ضمّه إلى نفسه تحت جناحه . وزقّ الطائر فرخه يزقّه أي أطعمه بفيه . و تقوقي أي تصيح . والمحّ بضمّ الميم والحاء المهملة : صفرة البيض ، وفي بعض النسخ بالخاء المعجمة . وقال الأصمعيّ : اخثرت الزبد : تركته خاثراً ، و ذلك إذا لم تذبه . وتنقاب أي تنفلق .

قال المفضّل : فقلت يا مولاي إنّ قوماً من المعطّلة يزعمون أنّ اختلاف الألوان والأشكال في الطير إنّما يكون من قبل امتزاج الأخلاط واختلاف مقاديرها بالمرج و الإهمال . فقال :

يا مفضّل هذا الوشي الّذي تراه في الطواويس والدرّاج والتدارج[1] على استواء ومقابلة كنحو ما يخطّ بالأقلام كيف يأتي به الامتزاج المهمل على شكل واحد لا يختلف ؟ ولو كان بالاهمال لعدم الاستواء ولكان مختلفاً .

تأمّل ريش الطير كيف هو ؟ فإنّك تراه منسوجاً كنسج الثوب من سلوك دقاق قد اُلّف بعضه إلى بعض كتأليف الخيط إلى الخيط والشعرة إلى الشعرة ، ثمّ ترى ذلك النسج إذا مددته ينفتح قليلاً ولا ينشقّ لتداخله الريح فيقلّ الطائر إذا طار ، وترى في وسط الريشة عموداً غليظاً متيناً قد نسج عليه الّذي هو مثل الشعر ليمسكه بصلابته ، وهو القصبة الّتي هو في وسط الريشة ، وهو مع ذلك أجوف ليخفّ على الطائر ولا يعوقه عن الطيران .

---

(١) قال الدميرى : التدرج كحبرج : طائر كالدرّاج يغرد في البساتين بأصوات طيبة ، يسمن عند صفاء الهواء وهبوب الشمال ، و يهزل عند كدورته وهبوب الجنوب ، يتخذ داره في التراب اللين ، ويضع البيض فيها لئلا يتعرض للافات . وقال ابن زهر : هو طائر مليح يكون بأرض خراسان وغيرها من بلاد فارس .

بيان : المرج بالتحريك : الفساد والاضطراب والاختلاط . وفي بعض النسخ بالزاي المعجمة والأوّل أظهر والوشي : نقش الثوب ويكون من كلّ لون . والسلوك : جمع السلك وهو جمع السلكة ـ بالكسر ـ : الخيط يخاط بها .

هل رأيت يا مفضّل هذا الطائر الطويل الساقين ؟ وعرفت ماله من المنفعة في طول ساقيه ؟ فإنّه أكثر ذلك في ضحضاح من الماء فتراه بساقين طويلين كأنّه ربيئة فوق مرقب وهو يتأمّل ما يدبّ في الماء فإذا رأى شيئاً ممّا يتقوّت به خطا خطوات رقيقاً[1] حتّى يتناوله ، ولو كان قصير الساقين وكان يخطو نحو الصيد ليأخذه يصيب بطنه الماء فيثور ويذعر منه فيتفرّق عنه فخلق له ذلك العمودان ليدرك بهما حاجته ولا يفسد عليه مطلبه .

تأمّل ضروب التدبير في خلق الطائر فإنّك تجد كلّ طائر طويل الساقين طويل العنق وذلك ليتمكّن من تناول طعمه من الأرض ولو كان طويل الساقين قصير العنق لما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض ، وربّما اُعين مع طول العنق[2] بطول المناقير ليزداد الأمر عليه سهولةً له وإمكاناً أفلا ترى أنّك لا تفتّش شيئاً من الخلقة إلّا وجدته على غاية الصواب والحكمة ؟ .

توضيح : ماء ضحضاح أي قريب القعر . والربيئة بالهمز : العين والطليعة الّذي ينظر للقوم لئلّا يدهمهم عدوٌّ ، ولا يكون إلّا على جبل أو شرف . والمرقب : الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب . والذعر : الخوف .

انظر إلى العصافير كيف تطلب أكلها بالنهار فهي لا تفقده ؟ ولا هي تجده مجموعاً معدًّا بل تناله بالحركة والطلب ، وكذلك الخلق كلّه فسبحان من قدّر الرزق كيف قوّته ؟[3] فلم يجعل ممّا لا يقدر عليه إذ جعل للخلق حاجة إليه ولم يجعله مبذولاً وينال بالهوينا إذ كان لا صلاح في ذلك فإنّه لو كان يوجد مجموعاً معدًّا كانت البهائم تتقلّب عليه ولا تنقلع حتّى تبشم فتهلك ، وكان الناس أيضاً يصيرون بالفراغ إلى غاية الأشر والبطر حتّى يكثر الفساد ويظهر الفواحش .

(١) وفي نسخة : خطوات رقيقات .
(٢) وفي نسخة : اعين على طول العنق .
(٣) وفي نسخة : كيف قدّره .

أعلمت ماطعم هذه الأصناف من الطير الّتي لاتخرج إلّا باللّيل كمثل البوم والهام[١] والخفّاش ؟ قلت : لا يا مولاي ، قال : إنّ معاشها من ضروب تنتشر في هذا الجوّ من البعوض والفراش وأشباه الجراد واليعاسيب ، وذلك أنّ هذه الضروب مبثوثة في الجوّ لا يخلو منها موضع واعتبر ذلك بأنّك إذا وضعت سراجاً باللّيل في سطح أو عرصة دار اجتمع عليه من هذا شيء كثير فمن أين يأتي ذلك كلّه إلّا من القرب ؟.

فإن قال قائل : إنّه يأتي من الصحاري والبراري : قيل له : كيف يوافي تلك الساعة من موضع بعيد ؟ و كيف يبصر من ذلك البعد سراجاً في دار محفوفة بالدور فيقصد إليه ؟ مع أنّ هذه عياناً تتهافت على السراج[٢] من قرب فيدلّ ذلك على أنّها منتشرة في كلّ موضع من الجوّ ، فهذه الأصناف من الطير تلتمسها إذا خرجت فتتقوّت بها .

فانظر كيف وجّه الرزق لهذه الطيور الّتي لاتخرج إلّا باللّيل من هذه الضروب المنتشرة في الجوّ ؛ واعرف مع ذلك المعنى في خلق هذه الضروب المنتشرة الّتي عسى أن يظنّ ظانٌّ أنّها فضل لامعنى له ؛ خلق الخفّاش خلقة عجيبة بين خلقة الطير وذوات الأربع أقرب ، وذلك أنّه ذو أُذنين ناشزتين وأسنان ووبر[٣] وهو يلد ولاداً ويرضع ويبول ويمشي إذا مشى على أربع ، وكلّ هذا خلاف صفة الطير ، ثمّ هو أيضاً ممّا يخرج باللّيل ويتقوّت ممّا يسري في الجوّ من الفراش وما أشبهه ؛ وقد قال قائلون : إنّه لاطُعم للخفّاش ، و إنّ غذاءه من النسيم وحده ، وذلك يفسد ويبطل من جهتين : إحديهما خروج مايخرج منه من الثفل والبول فإنّ هذا لايكون من غير طُعم ، والأخرى أنّه ذو أسنان ولو كان لايطعم شيئاً لم يكن للأسنان فيه معنىً ، وليس في الخلقة شيء لامعنى له ؛ و أمّا المآرب فيه فمعروفة

---

(١) جمع الهامة : نوع من البوم الصغير ، تألف القبور والاماكن الخربة ، و تنظر من كل مكان أينما درت أدارت رأسها . وتسمى أيضاً الصدى .

(٢) أي تساقط عليه وتتابع .

(٣) أضاف الدميرى له خصيصتين ، وقال : يحيض ويطهر ، و يضحك كما يضحك الإنسان .

حتّى أنّ زبله يدخل في بعض الأعمال؛ [١] ومن أعظم الإرب فيه خلقته العجيبة الدالّة على قدرة الخالق جلّ شأنه، وتصرّفها فيما شاء كيف شاء لضرب من المصلحة. فأمّا الطائر الصغير الّذي يقال له: «ابن تمرة» فقد عشّش في بعض الأوقات في بعض الشجر فنظر إلى حيّة عظيمة قد أقبلت نحو عشّه فاغرةً فاها لتبلعه فبينما هو يتقلّب ويضطرب في طلب حيلة منها إذا وجد حسكة فحملها فألقاها في فم الحيّة، فلم تزل الحيّة تلتوي وتتقلّب حتّى ماتت. أفرأيت لولم اُخبرك بذلك كان يخطر ببالك أو ببال غيرك أنّه يكون من حسكة مثل هذه المنفعة العظيمة أو يكون من طائر صغير أو كبير مثل هذه الحيلة؟ اعتبر بهذا وكثير من الأشياء تكون فيها منافع لا تعرف إلّا بحادث يحدث به أو خبر يسمع به.

انظر إلى النحل واحتشاده في صنعة العسل، وتهيئة البيوت المسدّسة وما ترى في ذلك اجتماعه من دقائق الفطنة [٢] فإنّك إذا تأمّلت العمل رأيته عجيباً لطيفاً، وإذا رأيت المعمول وجدته عظيماً شريفاً موقعه من الناس، وإذا رجعت إلى الفاعل ألفيته غبيّاً جاهلاً بنفسه فضلاً عمّا سوى ذلك، ففي هذا أوضح الدلالة على أنّ الصواب والحكمة في هذه الصنعة ليس للنحل بل هي للّذي طبعه عليها وسخّره فيها لمصلحة الناس.

انظر إلى هذا الجراد ما أضعفه وأقواه فإنّك إذا تأمّلت خلقه رأيته كأضعف الأشياء، وإن دلفت عساكره نحو بلد من البلدان لم يستطع أحد أن يحميه منه. ألاترى أنّ ملكاً من ملوك الأرض لوجمع خيله ورجله ليحمي بلاده من الجراد لم يقدر على ذلك؟ أفليس من الدلائل على قدرة الخالق أن يبعث أضعف خلقه إلى أقوى خلقه فلا يستطيع دفعه؟ انظر إليه كيف ينساب على وجه الأرض مثل السيل فيغشي السهل والجبل والبدو والحضر، حتّى يستر نور الشمس بكثرته فلو كان هذا ممّا يصنع بالأيدي

---

(١) قد ذكر الدميرى لاجزائه خواصا كثيرة منها ان طبخ رأسه في إناء نحاس أو حديد بدهن زنبق ويغمر فيه مرارا حتى يتهرّى ويصفى ذلك الدهن عنه، ويدهن به صاحب النقرس والفالج القديم والارتعاش، والتورّم في الجسد فانه ينفعه ذلك ويبرئه، ومنها ان زبله اذا طلى به على القوابى قلعها. وغير ذلك من الفوائد.

(٢) وفي نسخة: ومانرى في اجتماعه من دقائق الفطنة.

متى كان يجتمع منه هذه الكثرة ، وفي كم من سنة كان يرتفع فاستدلّ بذلك على القدرة الّتي لا يؤودها شيء ويكثر عليها .

تأمّل خلق السمك ومشاكلته للأمر الّذي قدّر أن يكون عليه فإنّه خلق غير ذي قوائم لأنّه لا يحتاج إلى المشي إذا كان مسكنه الماء ، وخلق غير ذي رية لأنه لا يستطيع أن يتنفّس وهو منغمس في اللّجّة ، وجعلت له مكان القوائم أجنحة شداد يضرب بها في جانبيه كما يضرب الملاّح بالمجاذيف من جانبي السفينة ، وكسي جسمه قشوراً متاناً متداخلة كتداخل الدروع والجواشن لتقيه من الآفات فأُعين بفضل حسّ في الشمّ لأنّ بصره ضعيف والماء يحجبه ، فصار يشمّ الطعم من البعد البعيد فينتجعه ، وإلّا فكيف يعلم به وبموضعه ؟ واعلم أنّ من فيه إلى صماخيه منافذ فهو يعبّ الماء بفيه[1] ويرسله من صماخيه[2] فتروّح إلى ذلك كما يتروّح غيره من الحيوان إلى تنسّم هذا النسيم .

فكّر الآن في كثرة نسله وما خصّ به من ذلك فإنّك ترى في جوف السمكة الواحدة من البيض ما لا يحصى كثرة ، والعلّة في ذلك أن يتّسع لما يغتذي به من أصناف الحيوان فإنّ أكثرها يأكل السمك حتّى أنّ السباع أيضاً في حافات الآجام عاكفة على الماء أيضاً كي ترصد السمك فإذا مرّ بها خطفته فلمّا كانت السباع تأكل السمك والطير يأكل السمك والناس يأكلون السمك والسمك يأكل السمك كان من التدبير فيه أن يكون على ما هو عليه من الكثرة .

فإذا أردت أن تعرف سعة حكمة الخالق وقصر علم المخلوقين فانظر إلى ما في البحار من ضروب السمك ، و دوابّ الماء والأصداف ، والأصناف الّتي لا تحصى ولا تعرف منافعها إلّا الشيء بعد الشيء يدركه الناس بأسباب تحدث ؛ مثل القرمز فإنّه إنّما عرف الناس صبغه بأنّ كلبة تجول على شاطيء البحر فوجدت شيئاً من الصنف الّذي يسمّى الحلزون فأكلته فاختضب خطمها بدمه فنظر الناس إلى حسنه فاتّخذوه صبغاً ، و أشباه هذا ممّا يقف الناس عليه حالاً بعد حال وزماناً بعد زمان .

---

(١) أى شربه أو كرعه بلاتنفس .

(٢) الصمخ : خرق الاذن الباطن الماضى إلى الرأس .

قال المفضّل : حان وقت الزوال فقام مولاي عليه السلام إلى الصلاة ، وقال : بكّر إليّ غداً إن شاء الله تعالى فانصرفت وقد تضاعف سروري بما عرّفنيه ، مبتهجاً بما منحنيه ، حامداً لله على ما آتانيه فبتّ ليلتي مسروراً مبتهجاً .

بيان : البشم محرّكة : التخمة والسأمة . بشم كفرح وأبشمه الطعام . و الفراش هي الّتي تقع في السراج . واليعسوب : أمير النحل وطائر أصغر من الجرادة أو أعظم . وقوله عليه السلام : ناشزتين بالمعجمة أي مرتفعتين ، وفي بعض النسخ بالمهملة أي مبسوطتين . والسُرى : السير باللّيل . وقال الفيروزآباديّ : والتمّرة كقبّرة وابن تمّرة طائر أصغر من العصفور . انتهى .[1] وفغرفاه أي فتحه . والحسك محرّكة : نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم . قوله عليه السلام : غبيّاً جاهلاً أي ليس له عقل يتصرّف في سائر الأشياء على نحو تصرّفه في ذلك الأمر المخصوص فظهر أنّ خصوص هذا الأمر إلهام من مدبّر حكيم ، أو خلقة وطبيعة جبله عليها ، ليصدر عنه خصوص هذا الأمر لما فيه من المصلحة مع كونه غافلاً عن المصلحة أيضاً ، ولعلّ هذا يؤيّد ما يقال : إنّ الحيوانات العجم غير مدركة للكلّيّات[2] ويقال : دلفت الكتيبة في الحرب أي تقدّمت ، ويقال : دلفناهم ؛ فالعساكر تحتمل الرفع والنصب . والرجل بالفتح جمع راجل : خلاف الفارس . وانساب : جرى ومشى مسرعاً . ولا يؤودها أي لا يثقلها . ولجّة الماء : معظمه . والمجذاف : ما تجري به السفينة . وانتجع : طلب الكلأ في موضعه . وحافات الآجام : جوانبها . و عكف على الشيء : أقبل عليه مواظباً . وقال الفيروزآباديّ : القرمز : صبغ أرمنيّ يكون من عصارة دود في آجامهم . وقال : الحلزون ـ محرّكة ـ دابّة تكون في الرمث أي بعض مراعي الإبل ، ويظهر من كلامه عليه السلام اتّحادهما ، ويحتمل أن يكون المراد أنّ من صبغ الحلزون تفطّنوا بإعمال القرمز للصبغ لتشابههما . تمّ المجلس الثاني .

---

(١) قال الدميري : التمّر : طائر نحو الاوزّ في منقاره طول ، وعنقه أطول من عنق الاوزّ . وفى المنجد : التم : طائر مائي شبيه بالاوزّ أطول منه عنقاً . أقول : الظاهر أنه غلط وصحيحه كما فى القاموس وغيره : التمّر بالراء .

(٢) فيه ما لا يخفى فان إدراك الكليات غير الفكر الذى بمعنى الانتقال من النتيجة إلى المقدمات ومنها إلى النتيجة ، وكذا هو غير قوة الفكر ؛ والذى يلوح منه نفى قوة الفكر كالانسان وأما أصل الفكر وادراك الكليات فلا . ط

المجلس الثالث : قال المفضّل : فلمّا كان اليوم الثالث بكّرت إلى مولاي فاستوذن لي فدخلت فأذن لي بالجلوس فجلست ، فقال عليه السلام : الحمدلله الّذي اصطفانا ولم يصطف علينا ، اصطفانا بعلمه ، وأيّدنا بحلمه ، من شذ عنّا[1] فالنار مأواه ، ومن تفيّأ بظلّ دوحتنا فالجنّة مثواه ، قدشرحت لك يامفضّل خلق الإنسان ومادبّر به و تنقّله في أحواله وما فيه من الاعتبار ، وشرحت لك أمر الحيوان ، و أنا أبتدىء الآن بذكر السماء والشمس والقمر والنجوم والفلك واللّيل والنهار والحرّ والبرد والرياح و الجواهر الأربعة : الأرض والماء والهواء والنار ؛ والمطر والصخر والجبال والطين و الحجارة والمعادن والنبات والنخل والشجر ومافي ذلك من الأدلّة والعبر .

فكّر في لون السماء وما فيه من صواب التدبير فإنّ هذا اللّون أشدّ الألوان موافقة للبصر وتقوية حتّى أنّ من صفات الأطبّاء لمن أصابه شيء أضرّ ببصره إدمان النظر إلى الخضرة وما قرب منها إلى السواد ،[2] وقد وصف الحذّاق منهم لمن كلّ بصره الإطلاع في إجّانة[3] خضراء مملوّة ماءاً ؛ فانظر كيف جعل الله جلّ وتعالى أديم السماء بهذا اللّون الأخضر إلى السواد ليمسك الأبصار المنقلبة عليه فلاينكأ فيها بطول مباشرتها له فصار هذا الّذي أدركه الناس بالفكر والرويّة والتجارب يوجد مفروغاً منه في الخلقة حكمة بالغة ليعتبر بها المعتبرون ، ويفكّر فيها الملحدون ، قاتلهم الله أنّى يؤفكون .

بيان : اصطفانا بعلمه أي اختارنا وفضّلنا على الخلق بأن أعطانا من علمه مالم يعط أحداً . و أيّدنا بحلمه أي قوّانا على تبليغ الرسالة بماحلاّنا به من حلمه لنصبر على مايلقانا من أذى الناس وتكذيبهم . والدوحة : الشجرة العظيمة . والصخر : الحجر العظام . و أديم السماء : وجهها ، كمايطلق أديم الأرض على وجهها ، ويمكن أن يكون عليه السلام شبّهها بالأديم . وقوله عليه السلام : حكمة بالغة بالرفع خبر مبتدء محذوف ؛ أو بالنصب بالحاليّة أو بكونه مفعولاً لأجله .

---

(١) أى تحزّب وانفرد عنا .

(٢) إدمان النظر : إدامته .

(٣) الاجّانة : إناء تغسل فيه الثياب .

ذكّريا مفضّل في طلوع الشمس و غروبها لإقامة دولتي النهار و اللّيل فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كلّه فلم يكن الناس يسعون في معايشهم ويتصرّفون في اُمورهم و الدنيا مظلمة عليهم ، ولم يكونوا يتهنّؤون بالعيش مع فقدهم لذّة النور و روحه ، والإرب في طلوعها ظاهر مستغن بظهوره عن الإطناب في ذكره والزيادة في شرحه بل تأمّل المنفعة في غروبها ؛ فلولا غروبها لم يكن للناس هدء ولاقرار مع عظم حاجتهم إلى الهدء و الراحة لسكون أبدانهم وجموم حواسّهم و انبعاث القوّة الهاضمة لهضم الطعام وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء ثمّ كان الحرص يستحملهم من مداومة العمل ومطاولته على ما يعظم نكايته في أبدانهم فإنّ كثيراً من الناس لولا جثوم هذا اللّيل لظلمته عليهم لم يكن لهم هدء ولاقرار حرصاً على الكسب والجمع والادّخار ثمّ كانت الأرض تستحمي بدوام الشمس بضيائها وتحمي كلّ ما عليها من حيوان و نبات فقدّرها الله بحكمته و تدبيره تطلع وقتاً و تغرب وقتاً بمنزلة سراج يرفع لأهل البيت تارة ليقضوا حوائجهم ثمّ يغيب عنهم مثل ذلك ليهدؤوا ويقرّوا فصار النور والظلمة مع تضادّهما منقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه .

ثمّ فكّر بعد هذا في ارتفاع الشمس وانحطاطها لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة ، وما في ذلك من التدبير والمصلحة ؛ ففي الشتاء تعود الحرارة في الشجر والنبات فيتولّد فيهما موادّ الثمار ، ويستكثف الهواء فينشأ منه السحاب والمطر ، وتشدّ أبدان الحيوان وتقوي ، وفي الربيع تتحرّك وتظهر الموادّ المتولّدة في الشتاء فيطلع النبات ، وتنوّر الأشجار ، ويهيج الحيوان للسفاد ، وفي الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار ، و تتحلّل فضول الأبدان ، ويجفّ وجه الأرض فتهيّأ للبناء والأعمال ، وفي الخريف يصفو الهواء ، ويرتفع الأمراض ، و يصحّ الأبدان و يمتدّ اللّيل فيمكن فيه بعض الأعمال لطوله ، و يطيب الهواء فيه إلى مصالح اُخرى لو تقصّيت لذكرها لطال فيها الكلام .

فكّر الآن في تنقّل الشمس في البروج الإثني عشر لإقامة دور السنة ، و ما في ذلك من التدبير فهو الدور الّذي تصحّ به الأزمنة الأربعة من السنة : الشتاء ، والربيع ، والصيف ، والخريف ؛ ويستوفيها على التمام ، وفي هذا المقدار من دوران الشمس تدرك

الغلّات والثمار ، وتنتهي إلى غاياتها ، ثمّ تعود فيستأنف النشوء والنموّ ، ألا ترى أنّ السنة مقدار مسير الشمس من الحمل إلى الحمل فبالسنة وأخواتها يكال الزمان من لدن خلق الله تعالى العالم إلى كلّ وقت وعصر من غابر الأيّام ، وبها يحسب الناس الأعمال[1] والأوقات الموقّتة للديون والإجارات والمعاملات وغير ذلك من اُمورهم ، وبمسير الشمس يكمل السنة ويقوم حساب الزمان على الصحّة .

انظر إلى شروقها على العالم كيف دبّر أن يكون فإنّها لو كانت تبزغ في موضع من السماء فتقف لاتعدوه لماوصل شعاعها ومنفعتها إلى كثير من الجهات لأنّ الجبال و الجدران كانت تحجبها عنها فجعلت تطلع في أوّل النهار من المشرق فتشرق على ماقابلها من وجه المغرب ثمّ لاتزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتّى تنتهي إلى المغرب فتشرق على ما استتر عنها في أوّل النهار فلايبقى موضع من المواضع إلّا أخذ بقسطه من المنفعة[2] منها ، والإرب الّتي قدّرت له ، ولو تخلّفت مقدار عام أو بعض عام كيف كان يكون حالهم ؟ بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاءٌ ؛ أفلا يرى الناس كيف هذه الاُمور الجليلة[3] الّتي لم تكن عندهم فيها حيلة ؟ فصار تجري على مجاريها لاتعتلّ ولا تتخلّف عن مواقيتها لصلاح العالم وما فيه بقاؤه .

استدلّ بالقمر ففيه دلالة جليلة تستعملها العامّة في معرفة الشهور ، ولا يقوم عليه حساب السنة ، لأنّ دوره لايستوفي الأزمنة الأربعة ونشوء الثمار وتصرّمها ، ولذلك صارت شهور القمر وسنوه تتخلّف عن شهور الشمس وسنيها ، و صار الشهر من شهور القمر ينتقل فيكون مرّة بالشتاء ومرّة بالصيف .

فكّر في إنارته في ظلمة اللّيل والإرب في ذلك فإنّه مع الحاجة إلى الظلمة لهدء الحيوان وبرد الهواء على النبات لم يكن صلاح في أن يكون اللّيل ظلمة داجية لاضياء فيها فلايمكن فيه شيء من العمل ؛ لأنّه ربّما احتاج الناس إلى العمل باللّيل لضيق الوقت عليهم في تقصّي الأعمال بالنهار[4] أو لشدّة الحرّ وإفراطه فيعمل في ضوء القمر أعمالاً

(١) وفى نسخة : وبها يحسب الناس الاعمار .
(٢) أى بحصته و نصيبه من المنفعة .
(٣) وفى نسخة : كيف كان يكون للناس هذه الامور الجليلة .
(٤) وفى نسخة : فى تقضي بعض الاعمال بالنهار .

شتّى كحرث الأرض، وضرب اللّبن، وقطع الخشب، وما أشبه ذلك فجعل ضوء القمر معونة للناس على معايشهم إذا احتاجوا إلى ذلك، وأنساً للسائرين، وجعل طلوعه في بعض اللّيل دون بعض، ونقص مع ذلك من نور الشمس وضيائها لكيلا تنبسط الناس في العمل انبساطهم بالنهار، ويمتنعوا من الهدء والقرار فيهلكهم ذلك وفي تصرّف القمر خاصّة في مهله[1] ومحاقه وزيادته ونقصانه وكسوفه من التنبيه على قدرة الله خالقه المصرّف له هذا التصريف لصلاح العالم ما يعتبر به المعتبرون.

ايضاح: الدولة بالفتح والضمّ: انقلاب الزمان، ودالت الأيّام: دارت، والله يداولها بين الناس. وهدأ كمنع هدءاً وهدوءاً: سكن. ويقال: نكيت في العدوّ نكاية إذا قتلت فيهم وجرحت. وجثم الإنسان والطائر والنعام، يجثم جثماً وجثوماً: لزم مكانه لم يبرح، والمراد جثومهم في اللّيل. والتظاهر: التعاون. ونوّر الشجر أي أخرج نوره. وحدم النار: شدّة احتراقها. والتقصّي: بلوغ أقصى الشيء ونهايته. والغابر الباقي والماضي؛ والمراد هنا الثاني. وبزغت الشمس بزوغاً: شرقت، أو البزوغ ابتداء الطلوع. وقال الجوهريّ: اعتلّ عليه واعتلّه: إذا اعتاقه عن أمر. انتهى. وليلة داجية أي مظلمة.

فكّر يا مفضّل في النجوم واختلاف مسيرها فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك ولا تسير إلّا مجتمعة، وبعضها مطلقة تنتقل في البروج وتفترق في مسيرها فكلّ واحد منها يسير سيرين مختلفين: أحدهما عامٌّ مع الفلك نحو المغرب، والآخر خاصٌّ لنفسه نحو المشرق؛ كالنملة الّتي تدور على الرحى فالرحى تدور ذات اليمين والنملة تدور ذات الشمال والنملة في تلك تتحرّك حركتين مختلفتين: إحديهما بنفسها فتتوجّه أمامها، والأخرى مستكرهة مع الرحى تجذبها إلى خلفها؛ فاسئل الزاعمين أنّ النجوم صارت على ما هي عليه بالإهمال من غير عمد ولا صانع لها ما منعها أن تكون كلّها راتبةً؟ أو تكون كلّها منتقلة؟ فإنّ الإهمال معنى واحد فكيف صار يأتي بحركتين مختلفتين على وزن وتقدير؟ ففي هذا بيان أنّ مسير الفريقين على ما يسيران عليه بعمد وتدبير وحكمة وتقدير، وليس بإهمال كما تزعم المعطّلة.

---

(١) وفي نسخة: خاصة في تهلله.

فإن قال قائل : ولم صار بعض النجوم راتباً وبعضها منتقلاً ؟ قلنا : إنّها لو كانت كلّها راتبةً لبطلت الدلالات الّتي يستدلّ بها من تنقّل المنتقلة ومسيرها في كلّ برج من البروج ؛ كما قد يستدلّ على أشياء ممّا يحدث في العالم بتنقّل الشمس والنجوم في منازلها ، ولو كانت كلّها منتقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولا رسم يوقف عليه لأنّه إنّما يوقف بمسير المنتقلة منها بتنقّلها في البروج الراتبة كما يستدلّ على سير السائر على الأرض بالمنازل الّتي يجتاز عليها ، ولو كان تنقّلها بحال واحدة لاختلط نظامها وبطلت المآرب فيها ، ولساغ لقائل أن يقول : إنّ كينونتها [1] على حال واحدة توجب عليها الإهمال من الجهة الّتي وصفنا ففي اختلاف سيرها وتصرّفها وما في ذلك من المآرب والمصلحة أبين دليل على العمد والتدبير فيها .

فكّر في هذه النجوم الّتي تظهر في بعض السنة وتحتجب في بعضها كمثل الثريّا والجوزاء والشعريين وسهيل فإنّها لو كانت بأسرها تظهر في وقت واحد لم تكن لواحد فيها على حياله دلالات يعرفها الناس ويهتدون بها لبعض اُمورهم كمعرفتهم الآن بما يكون من طلوع الثور والجوزاء إذا طلعت ، و احتجابها إذا احتجبت فصار ظهور كلّ واحد واحتجابه في وقت غير وقت الآخر لينتفع الناس بما يدلّ عليه كلّ واحد منها على حدته ، وكما جعلت الثريّا وأشباهها تظهر حيناً وتحجب حيناً لضرب من المصلحة كذلك جعلت بنات النعش ظاهرة لاتغيب لضرب آخر من المصلحة فإنّها بمنزلة الأعلام الّتي يهتدي بها الناس في البرّ والبحر للطرق المجهولة ، و ذلك أنّها لاتغيب ولاتتوارى ؛ فهم ينظرون إليها متى أرادوا أن يهتدوا بها إلى حيث شاؤوا وصار الأمران جميعاً على اختلافهما موجّهين نحو الإرب والمصلحة ، وفيهما مآرب اُخرى : علامات و دلالات على أوقات كثيرة من الأعمال كالزراعة والغراس والسفر في البرّ والبحر ؛ وأشياء ممايحدث في الأزمنة من الأمطار والرياح والحرّ والبرد ، وبها يهتدي السائرون في ظلمة اللّيل لقطع القفار [2]

---

(١) في نسخة : ان كينونيتها .

(٢) جمع القفر : الخلاء من الارض ، لاماء فيه ولا ناس ولا كلاء .

الموحشة ، واللّجج الهائلة ، معما في تردّدها في كبد السماء[١] مقبلة ومدبرة ومشرقة ومغربة من العبر فإنّها تسير أسرع السير وأحثّه .

أرأيت لو كانت الشمس والقمر والنجوم بالقرب منّا حتّى يتبيّن لنا سرعة سيرها بكنه ما هي عليه ألم تكن ستخطف الأبصار بوهجها وشعاعها ؟[٢] كالّذي يحدث أحياناً من البروق إذا توالت واضطرمت في الجوّ ، وكذلك أيضاً لو أنّ أناساً كانوا في قبّة مكلّلة بمصابيح تدور حولهم دوراناً حثيثاً لحارت أبصارهم[٣] حتّى يخرّوا لوجوههم فانظر كيف قدّر أن يكون مسيرها في البعد البعيد لكيلا تضرّ في الأبصار وتنكأ فيها ، وبأسرع السرعة لكيلا تتخلّف عن مقدار الحاجة في مسيرها ، وجعل فيها جزء يسير من الضوء ليسدّ مسدّ الأضواء إذا لم يكن قمر، ويمكن فيه الحركة إذا حدثت ضرورة كما قد يحدث الحادث على المرء فيحتاج إلى التجافي في جوف اللّيل ، وإن لم يكن شيء من الضوء يهتدي به لم يستطع أن يبرح مكانه فتأمّل اللّطف والحكمة في هذا التقدير حين جعل للظلمة دولة ومدّة لحاجة إليها ، وجعل خلالها شيء من الضوء للمآرب الّتي وصفنا .

فكّر في هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه وبروجه تدور على العالم في هذا الدوران الدائم بهذا التقدير والوزن لما في اختلاف اللّيل والنهار ، وهذه الأزمان الأربعة المتوالية على الأرض ، وما عليها من أصناف الحيوان والنبات من ضروب المصلحة كالّذي بيّنت وشخّصت[٤] لك آنفاً ، وهل يخفى على ذي لبّ أنّ هذا تقدير مقدّر ، وصواب وحكمة من مقدّر حكيم ؟ .

فإن قال قائل : إنّ هذا شيء اتّفق أن يكون هكذا فما منعه أن يقول مثل هذا في دولاب تراه يدور ويسقي حديقة فيها شجر ونبات ؟ فترى كلّ شيء من آلته مقدّراً بعضه يلقى بعضاً على ما فيه صلاح تلك الحديقة وما فيها ، وبمَ كان يثبت هذا القول لو قاله ؟ وما ترى الناس كانوا قائلين له لو سمعوه منه ؛ أفينكر أن يقول في دولاب خشب[٥]

(١) أي وسط السماء .
(٢) أي ستذهب بها بتوقدها .
(٣) حارت العين : اشتد بياض بياضها وسواد سوادها .
(٤) وفي نسخة : كالذي بينت ولخصت لك آنفاً .
(٥) وفي نسخة : في دولاب خسيس .

مصنوع بحيلة قصيرة لمصلحة قطعة من الأرض : إنّه كان بلاصانع ومقدّر ، ويقدر أن يقول في هذا الدولاب الأعظم المخلوق بحكمة يقصر عنها أذهان البشر لصلاح جميع الأرض و ما عليها : إنّه شيء اتّفق أن يكون بلاصنعة ولاتدبير ؛ لواعتلّ هذا الفلك كما تعتلّ الآلات الّتي تتّخذ للصناعات و غيرها أيّ شيء كان عندالناس من الحيلة في إصلاحه ؟ .

بيان : قوله عليه السلام : لا تفارق مراكزها لعلّ المراد أنّه ليس لها حركة بيّنة ظاهرة كما في السيّارات ، أولاتختلف نسب بعضها إلى بعض بالقرب والبعد بأن تكون الجملة التالية مفسّرة لها ، ويحتمل أن يكون المراد بمراكزها البروج الّتي تنسب إليها على ماهوالمصطلح بين العرب من اعتبار محاذات تلك الأشكال في الانتقال إلى البروج وإن انتقلت عن مواضعها ، وعليه ينبغي أن يحمل قوله عليه السلام : وبعضهامطلقة تنتقل في البروج ؛ أوعلى ماذكرنا سابقاً من كون انتقالها في البروج ظاهرة بيّنة يعرفه كلّ أحد ، والأوّل أظهر كما سيظهر من كلامه عليه السلام . قوله : فإنّ الإهمال معنى واحد يحتمل أن يكون المراد أنّ الطبيعة أوالدهر الّذين يجعلونهما أصحاب الإهمال مؤثّرين كلّ منهما أمر واحد غير ذي شعور وإرادة ، ولايمكن صدور الأمرين المختلفين عن مثل ذلك كمامرّ ؛ أو المراد أنّ العقل يحكم بأنّ مثل هذين الأمرين المتّسقين الجاريين على قانون الحكمة لايكون إلّا من حكيم راعى فيهما دقائق الحكم ؛ أوالمراد أنّ الإهمال أي عدم الحاجة إلى العلّة وترجيح الأمر الممكن من غير مرجّح كماتزعمون أمر واحد حاصل فيهما ، فلمَ صارت إحديهما راتبة ؟ والاُخرى منتقلة ؟ ولمَ لم يعكس الأمر ؟ والأوّل أظهر [1] كمالايخفى . قوله عليه السلام : لبطلت الدلالات ظاهره كون الأوضاع النجوميّة علامات للحوادث . قوله عليه السلام : في البروج الراتبة يدلّ ظاهراً على ما أشرنا إليه من أنّه عليه السلام راعى في انتقال البروج محاذات نفس الأشكال ، وإن أمكن أن يكون المراد بيان حكمة بطؤ الحركة ليصلح كون تلك الأشكال علامات للبروج ولو بقربها منها لكنّه بعيد . قوله عليه السلام : والشعريين قال الجوهريّ : الشعرى : الكوكب الّذي يطلع

(١) وظاهر الخبر المعنى الاخير.

بعد الجوزاء وطلوعه في شدّة الحرّ وهما الشعريان والشعرى العبور الّتي في الجوزاء ، والشعرى : القميصاء الّتي في الذراع تزعم العرب أنّهما أختا سهيل . انتهى . والقفار جمع قفر ، وهو الخلا من الأرض . وخطف البرق البصر : ذهب به . ووهج النار - بالتسكين - : توقّدها . وقوله : حثيثاً أي مسرعاً . وتجافى أي لم يلزم مكانه . وبرح مكانه : زال عنه .

فكّر يا مفضّل في مقادير النهار واللّيل كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق فصار منتهى كلّ واحد منهما إذا امتدّ إلى خمس عشرة ساعة لا يجاوز ذلك ، أفرأيت لو كان النهار يكون مقداره مائة ساعة أو مائتي ساعة ألم يكن في ذلك بوار [1] كلّ ما في الأرض من حيوان ونبات ؟.

أمّا الحيوان فكان لا يهدأ ولا يقرّ طول هذه المدّة ، ولا البهائم كانت تمسك عن الرعي لو دام لها ضوء النهار ، ولا الإنسان كان يفتر عن العمل والحركة ، وكان ذلك سيهلكها أجمع ويؤدّيها إلى التلف ؛ وأمّا النبات فكان يطول عليه حرّ النهار ووهج الشمس حتّى يجفّ ويحترق ، وكذلك اللّيل لو امتدّ مقدار هذه المدّة كان يعوّق أصناف الحيوان عن الحركة والتصرّف في طلب المعاش حتّى تموت جوعاً ، وتخمد الحرارة الطبيعيّة من النبات حتّى يعفن ويفسد ، كالّذي تراه يحدث على النبات إذا كان في موضع لا تطلع عليه الشمس .

اعتبر بهذه الحرّ والبرد كيف يتعاوران العالم ويتصرّفان هذا التصرّف من الزيادة والنقصان والاعتدال لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة وما فيهما من المصالح ثمّ هما بعد دباغ الأبدان الّتي عليها بقاؤها وفيها صلاحها فإنّه لولا الحرّ والبرد وتداولهما الأبدان لفسدت وأخوت وانتكثت .

فكّر في دخول أحدهما على الآخر بهذا التدريج والترسّل فإنّك ترى أحدهما ينقص شيئاً بعد شيء ، والآخر يزيد مثل ذلك حتّى ينتهي كلّ واحد منهما منتهاه في الزيادة والنقصان ، ولو كان دخول إحديهما على الأخرى مفاجاة لأضرّ ذلك بالأبدان وأسقمها كما أنّ أحدكم لو خرج من حمّام حارّ إلى موضع البرودة لضرّه ذلك وأسقم

(١) البوار : الهلاك والكساد .

بدنه فلمَ جعل الله عزّ وجلّ هذا الترسّل في الحرّ والبرد إلّا للسلامة من ضرر المفاجاة؟ ولمّ جرى الأمر على مافيه السلامة من ضرّ المفاجاة لولا التدبير في ذلك؟ فإن زعم زاعم أنّ هذا الترسّل في دخول الحرّ والبرد إنّما يكون لإبطاء مسير الشمس في الارتفاع والانحطاط سئل عن العلّة في إبطاء مسير الشمس في ارتفاعها وانحطاطها؛ فإن اعتلّ في الإبطاء ببعد ما بين المشرقين سئل عن العلّة في ذلك فلاتزال هذه المسألة ترقى معه إلى حيث رقى من هذا القول حتّى استقرّ على العمد والتدبير؛ لولا الحرّ لما كانت الثمار الجاسية المرّة تنضج فتلين و تعذب حتى يتفكّه بها رطبة ويابسة، ولولا البرد لما كان الزرع يفرخ هكذا، ويريع الريع الكثير الّذي يتّسع للقوت ومايرد في الأرض للبذر أفلاترى مافي الحرّ والبرد من عظيم الغناء والمنفعة وكلاهما مع غنائه والمنفعة فيه يولم الأبدان ويمضّها، وفي ذلك عبرة لمن فكّر، و دلالة على أنّه من تدبير الحكيم في مصلحة العالم ومافيه.

بيان: قوله عليه السلام: لايجاوز ذلك أي في معظم المعمورة. وقال الفيروزآباديّ: خوت الدار: تهدّمت، والنجوم خيّاً: أمحلت فلم تمطر كأخوت. و قال: المتنكث: المهزول. و قال: الترسّل: الرفق والتؤدة. انتهى. قوله عليه السلام: ببعد ما بين المشرقين أي المشرق والمغرب، كناية عن عظم الدائرة الّتي يقطع عليها البروج أو مشرق الصيف والشتاء، والأوّل أظهر. قوله عليه السلام: الجاسية أي الصلبة. ويتفكّه بها أي يتمتّع بها. والريع: النماء والزيادة. وقال الجوهريّ: أمضّني الجرح إمضاضاً: إذا أوجعك، وفيه لغة اُخرى: مضّني الجرح؛ ولم يعرفها الأصمعيّ.

واُنبّهك يا مفضّل على الريح وما فيها ألست ترى ركودها إذا ركدت كيف يحدث الكرب الّذي يكاد أن يأتي على النفوس، ويحرّض الأصحّاء وينهك المرضى، ويفسد الثمار، ويعفّن البقول، ويعقّب الوباء في الأبدان، والآفة في الغلّات؟ ففي هذا بيان أنّ هبوب الريح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق.

واُنبّئك عن الهواء بخلّة اُخرى فإنّ الصوت أثر يؤثّره اصطكاك الأجسام في الهواء، والهواء يؤدّيه إلى المسامع، والناس يتكلّمون في حوائجهم و معاملاتهم طول

نهارهم وبعض ليلهم ، فلو كان أثر هذا الكلام يبقى في الهواء كما يبقى الكتاب في القرطاس لامتلأ العالم منه ، فكان يكربهم ويفدحهم ، وكانوا يحتاجون في تجديده والاستبدال به إلى أكثر ممّا يحتاج إليه في تجديد القراطيس لأنّ مايلقى من الكلام أكثر ممّا يكتب فجعل الخلّاق الحكيم جلّ قدسه هذا الهواء قرطاساً خفيّاً يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم حاجتهم ثمّ يمحى فيعود جديداً نقيّاً ، ويحمل ماحمل أبداً بلا انقطاع ، وحسبك بهذا النسيم المسمّى «هواء» عبرة ومافيه من المصالح فإنّه حياة هذه الأبدان والممسك لها من داخل بما تستنشق منه ، و من خارج بما تباشر من روحه ، وفيه تطّرد هذه الأصوات فيؤدّي بها من البعد البعيد ، وهو الحامل لهذه الأراييح ينقلها من موضع إلى موضع .

ألاترى كيف تأتيك الرائحة من حيث تهبّ الريح فكذلك الصوت ؛ وهو القابل لهذا الحرّ والبرد اللّذين يتعاقبان على العالم لصلاحه ،[1] ومنه هذه الريح الهابّة فالريح تروح عن الأجسام و تزجي السحاب من موضع إلى موضع ليعمّ نفعه حتّى يستكثف فيمطر، وتفضّه حتّى يستخفّ فيتفشّى ، وتلقح الشجر، وتسير السفن ، وترخي الأطعمة[2] وتبرّد الماء ، وتشبّ النار ، وتجفّف الأشياء النديّة ، و بالجملة أنّها تحيي كلّما في الأرض فلولا الريح لذوى النبات[3] ومات الحيوان وحمّت الأشياء وفسدت .

توضيح : ركود الريح : سكونها . والحرض : فساد البدن . ويقال : نهكته الحمّى أي أضنّته وهزلته . وقوله عليه السلام : والهواء يؤدّيه يدلّ على ماهو المنصور من تكيّف الهواء بكيفيّة الصوت على مافصّل في محلّه . ويقال : كربه الأمر أي شقّ عليه وفدحه الدّين أي أثقله . وريثما فعل كذا أي قدر مافعله . ويبلغ إمّا على بناء المجرّد فالعالم فاعله أو على التفعيل فالهواء فاعله . والرّوح بالفتح : الراحة ونسيم الريح . واطّرد الشيء : تبع بعضه بعضاً و جرى . والأراييح جمع للريح . و تزجي السحاب ـ على بناء الإفعال ـ

(١) وفي نسخة اللذين : يعقبان على العالم لصلاحه .

(٢) أي صيرها رخواً أي متسعا .

(٣) ذوى النبات : ذبل و نشف ماؤه .

أي تسوقه . وتفضّه أي تفرّقه . والتفشّي : الانتشار . وترخي الأطعمة ـ على التفعيل أو الإفعال ـ أي تصيرها رخوة لطيفة . وتشبّ النار أي توقّدها .

فكّر يا مفضّل فيما خلق الله عزّ وجلّ عليه هذه الجواهر الأربعة ليتّسع ما يحتاج إليه منها ، فمن ذلك سعة هذه الأرض وامتدادها فلولا ذلك كيف كانت تتّسع لمساكن الناس ومزارعهم ومراعيهم ومنابت أخشابهم و أحطابهم ، والعقاقير العظيمة ، والمعادن الجسيمة غناؤها ، و لعلّ من ينكر هذه الفلوات الخاوية والقفار الموحشة فيقول : ما المنفعة فيها ؟ فهي مأوى هذه الوحوش ومحالّها ومرعاها ثمّ فيها بعد متنفّس ومضطرب للناس إذا احتاجوا إلى الاستبدال بأوطانهم ؛ فكم بيداء وكم فدفد حالت قصوراً وجناناً بانتقال الناس إليها وحلولهم فيها ، ولولا سعة الأرض وفسحتها لكان الناس كمن هو في حصار ضيّق لا يجد مندوحة عن وطنه إذا حزبه أمر يضطرّه إلى الانتقال عنه .

ثمّ فكّر في خلق هذه الأرض على ما هي عليه حين خلقت راتبة راكنة فتكون موطناً مستقرًّا للأشياء فيتمكّن الناس من السعي عليها في مآربهم ، والجلوس عليها لراحتهم ، والنوم لهدئهم ، و الإتقان لأعمالهم فإنّها لو كانت رجراجة متكفّئة لم يكونوا يستطيعون أن يتقنوا البناء والتجارة و الصناعة و ما أشبه ذلك ، بل كانوا لا يتهنّؤون بالعيش والأرض ترتجّ من تحتهم ؛ واعتبر ذلك بما يصيب الناس حين الزلازل على قلّة مكثها حتّى يصيروا إلى ترك منازلهم والهرب عنها .

فإن قال قائل : فلم صارت هذه الأرض تزلزل ؟ قيل له : إنّ الزلزلة وما أشبهها موعظة وترهيب يرهّب بها الناس ليرعووا وينزعوا عن المعاصي ، وكذلك ما ينزل بهم من البلاء في أبدانهم وأموالهم يجري في التدبير على ما فيه صلاحهم واستقامتهم ، ويدّخر لهم إن صلحوا من الثواب والعوض في الآخرة ما لا يعدله شيء من أمور الدنيا ، وربّما عجّل ذلك في الدنيا إذا كان ذلك في الدنيا صلاحاً للخاصّة والعامّة .

ثمّ إنّ الأرض في طباعها الّذي طبعها الله عليه باردة يابسة وكذلك الحجارة و إنّما الفرق بينها وبين الحجارة فضل يبس في الحجارة ، أفرأيت لو أنّ اليبس أفرط على الأرض قليلاً حتّى تكون حجراً صلداً أكانت تنبت هذا النبات الّذي به حياة الحيوان ؟

وكان يمكن بهاحرث أوبناء ؟ أفلاترى كيف تنصب[١] من يبس الحجارة و جعلت على ماهي عليه من اللّين والرخاوة ولتهيّأ للاعتماد ؟ .

ومن تدبير الحكيم جلّ وعلا في خلقة الأرض أنّ مهبّ الشمال أرفع من مهبّ الجنوب فلمَ جعل الله عزّ وجلّ كذلك إلّا لينحدر المياه على وجه الأرض فتسقيها و ترويها ؛ ثمّ تفيض آخر ذلك إلى البحر فكأنّما يرفع أحدجانبي السطح[٢] و يخفض الآخر لينحدر الماء عنه ولايقوم عليه كذلك جعل مهبّ الشمال أرفع من مهبّ الجنوب لهذه العلّة بعينها ، ولولا ذلك لبقي الماء متحيّراً على وجه الأرض فكان يمنع الناس من إعمالها[٣] ويقطع الطرق والمسالك ؛ ثمّ الماء لولا كثرته وتدفّقه في العيون والأودية و الأنهار لضاق عمّا يحتاج الناس إليه لشربهم وشرب أنعامهم ومواشيهم ، وسقي زروعهم وأشجارهم و أصناف غلّاتهم ، وشرب مايرده من الوحوش والطير والسباع وتتقلّب فيه الحيتان و دوابّ الماء ؛ وفيه منافع آخر أنت بهاعارف وعن عظم موقعها غافل فإنّه سوى الأمر الجليل المعروف من غنائه في إحياء جميع ماعلى الأرض من الحيوان والنبات يمزج بالأشربة فتلين وتطيب لشاربها ، وبه تنظف الأبدان والأمتعة من الدرن الّذي يغشاها ، وبه يبلّ التراب فيصلح للاعتمال[٤] وبه يكفّ عادية النار إذا اضطرمت وأشرف الناس على المكروه ، و به يسيغ الغصّان ماغصّ به ، وبه يستحمّ المتعب الكالّ فيجد الراحة من أوصابه ، إلى أشباه هذا من المآرب الّتي تعرف عظم موقعها في وقت الحاجة إليها .

فإن شككت في منفعة هذا الماء الكثير المتراكم في البحار وقلت : ماالإرب فيه ؟ فاعلم أنّه مكتنف ومضطرب مالايحصى : من أصناف السمك ودوابّ البحر ، ومعدن اللؤلؤ والياقوت والعنبر ، وأصناف شتّى تستخرج من البحر ، وفي سواحله منابت العود واليلنجوج ، وضروب من الطيب والعقاقير ؛ ثمّ هو بعد مركب الناس ومحمل لهذه التجارات الّتي تجلب من البلدان البعيدة كمثل ما يجلب من الصين إلى العراق ، ومن العراق

---

(١) وفي نسخة : تقصت .

(٢) كذا في النسخ والظاهر : فكما يرفع أحدجانبي السطح .

(٣) وفي نسخة : فكان يمنع الناس من اعتمالها .

(٤) وفي نسخة : فيصلح للاعمال .

إلى العراق [1] فإنّ هذه التجارات لولم يكن لها محمل إلّاعلى الظهر لبارت[2] وبقيت في بلدانها وأيدي أهلها لأنّ أجر حملها كان يجاوز أثمانها فلا يتعرّض أحد لحملها، وكان يجتمع في ذلك أمران : أحدهما فقد أشياء كثيرة تعظم الحاجة إليها ، والآخر انقطاع معاش من يحملها ويتعيّش بفضلها ؛ وهكذا الهواء لولا كثرته وسعته لاختنق [3] هذا الأنام من الدخان والبخار الّتي يتحيّر فيه ، ويعجز عمّا يحوّل إلى السحاب والضباب أوّلاً أوّلاً وقد تقدّم من صفته مافيه كفاية .

والنار أيضاً كذلك فإنّها لو كانت مبثوثة كالنسيم والماء كانت تحرق العالم ومافيه ، ولم يكن بدّ من ظهورها في الأحايين لغنائها في كثير من المصالح فجعلت كالمخزونة في الأخشاب ،[4] تلتمس عند الحاجة إليها ، وتمسك بالمادّة والحطب مااحتيج إلى بقائها لئلّا تخبو ،[5] فلاهي تمسك بالمادّة والحطب فتعظم المؤونة في ذلك ، ولاهي تظهر مبثوثة فتحرق كلّ ما هي فيه بل هي على تهيئة وتقدير اجتمع فيها الاستمتاع بمنافعها والسلامة من ضررها . ثمّ فيه خلّة اُخرى وهي أنّها ممّا خصّ به الإنسان دون جميع الحيوان لما له فيها من المصلحة فإنّه لوفقد النار لَعظم مايدخل عليه من الضرر في معاشه فأمّا البهائم فلا تستعمل النار ولاتستمتع بها ، ولما قدّر الله عزّ وجلّ أن يكون هذا هكذا خلق للإنسان كفّاً وأصابع مهيّأة لقدح النار واستعمالها ، ولم يعط البهائم مثل ذلك لكنّها اُعينت بالصبر على الجفاء والخلل في المعاش لكيلا ينالها في فقد النار ماينال الإنسان .

واُنبّئك من منافع النار على خلقة صغيرة عظيم موقعها ، وهي هذا المصباح الّذي يتّخذه الناس فيقضون به حوائجهم ماشاؤوا من ليلهم ، ولولا هذه الخلّة لكان الناس تصرف أعمارهم بمنزلة من في القبور ؛ فمن كان يستطيع أن يكتب أويحفظ أوينسج

---

(١) وفي نسخة : الى الصين .

(٢) بارت أى كسدت .

(٣) خنق : شدّ على حلقه حتى يموت . واختنق مطاوع خنق .

(٤) وفي نسخة في الاجسام .

(٥) أى لئلا تخمد وتطفأ .

في ظلمة اللّيل ؟ وكيف كانت حال من عرض له وجعٌ في وقت من أوقات اللّيل فاحتاج أن يعالج ضماداً ، أوسفوفاً أوشيئاً يستشفي به ؟[1] فأمّا منافعها في نضج الأطعمة ودفاء الأبدان وتجفيف أشياء وتحليل أشياء وأشباه ذلك فأكثر من أن تحصى وأظهر من أن تخفى .

تبيان : العقاقير : اُصول الأدوية . والغناء بالفتح : المنفعة . والخاوية : الخالية . و الفدفد : الفلاة ، و المكان الصلب الغليظ و المرتفع ، و الأرض المستوية . والفسحة بالضمّ : السعة . ويقال : لي عن هذا الأمر مندوحة ومنتدح أي سعة . و حزبه أمرٌ أي أصابه . والراتبة .الثابتة .والراكنة : الساكنة . وهدأهدءأوهدوءاً : سكن . وقوله عليه السلام : رجراجة أي متزلزلة متحرّكة . والتكفّيء : الانقلاب والتمايل والتحرّك . والارتجاج الاضطراب . والإرعواء : الرجوع عن الجهل والكفّ عن القبيح والصّلد ـ ويكسر ـ : الصلب الأملس . قوله عليه السلام : كيف تنصب كذا في أكثر النسخ ، والنصب يكون بمعنى الرفع والوضع ، ولعلّ المراد هنا الثاني ، والظاهر أنّه تصحيف نقصت أو نحوه . قوله عليه السلام : إنّ مهبّ الشمال أرفع أي بعد ماخرجت الأرض من الكرويّة الحقيقيّة صار مايلي الشمال منها في أكثر المعمورة أرفع ممّا يلي الجنوب ، ولذا ترى أكثر الأنهار كدجلة و الفرات وغيرهما تجري من الشمال إلى الجنوب ، ولمّا كان الماء الساكن في جوف الأرض تابعاً للأرض في ارتفاعه وانخفاضه فلذا صارت العيون المتفجّرة تجري هكذا من الشمال إلى الجنوب حتّى تجري على وجه الأرض ؛ ولذا حكموا بفوقيّة الشمال على الجنوب في حكم اجتماع البئر والبالوعة ، و إذا تأمّلت فيما ذكرنا يظهر لك ما بيّنه عليه السلام من الحكم في ذلك ، وأنّه لاينافي كرويّة الأرض . والتدفّق : التصبّب . قوله عليه السلام : فإنّه سوى الأمر الجليل الضمير راجع إلى الماء وهو إسم إنّ ويمزج خبره أي للماء سوى النفع الجليل المعروف ـ و هو كونه سبباً لحياة كلّ شيء ـ منافع اُخرى ؛ منها : أنّه يمزج مع الأشربة . وقال الجوهريّ : الحميم : الماء الحارّ ، وقداستحممت إذا اغتسلت به ؛ ثمّ صار كلّ اغتسال

---

[1] الضماد بالكسر أن يخلط الادوية بمائع ويلين و يوضع على العضو ، و أصل الضمد الشد من باب ضرب ، يقال : ضمدرأسه وجرحه : إذا شده بالضماد ، وهى خرقة يشد بها العضو المؤوف ثم قيل لوضع الدواء على الجرح و غيره وان لم يشد . و السفوف بفتح السين : الادوية المسحوقة اليابسة التي تطرح في الضماد .

استحماماً بأيّ ماء كان . انتهى . والوصب محرّكة : المرض . والمكتنف بفتح النون من الكنف بمعنى الحفظ و الإحاطة ، واكتنفه أي أحاط به ، ويظهر منه أنّ نوعاً من الياقوت يتكوّن في البحر ، وقيل : اُطلق على المرجان مجازاً ، ويحتمل أن يكون المراد ما يستخرج منه بالغوص وإن لم يتكوّن فيه . و اليلنجوج : عود البخور . ومن العراق أي البصرة . وإلى العراق أي الكوفة أو بالعكس . قوله عليه السلام : ويعجز أي لولا كثرة الهواء لعجز الهواء عمّا يستحيل الهواء إليه من السحاب والضباب الّتي تتكوّن من الهواء . أوّلاً أوّلاً أي تدريجاً أي كان الهواء لا يفي بذلك أو لا يتّسع لذلك . الضباب بالفتح : ندى كالغيم أو سحاب رقيق كالدخان . والأحايين جمع أحيان ، وهو جمع حين بمعنى الدهر والزمان . قوله عليه السلام : فلا هي تمسك بالمادّة والحطب أي دائماً بحيث إذا انطفأت لم يمكن إعادتها . والمادّة : الزيادة المتّصلة ، والمراد هنا الدهن ومثله . ودفاء الأبدان بالكسر : دفع البرد عنها .

فكّر يا مفضّل في الصحو[1] والمطر كيف يعتقبان على هذا العالم لما فيه صلاحه ، ولو دام واحد منهما عليه كان في ذلك فساده ألا ترى أنّ الأمطار إذا توالت عفنت البقول والخضر ، واسترخت أبدان الحيوان ، وخصر الهواء فأحدث ضروباً من الأمراض ، وفسدت الطرق والمسالك ، وأنّ الصحو إذا دام جفّت الأرض ، واحترق النبات ، وغيض ماء العيون والأودية فأضرّ ذلك بالناس ، وغلب اليبس على الهواء فأحدث ضروباً اُخرى من الأمراض فإذا تعاقبا على العالم هذا التعاقب اعتدل الهواء ودفع كلّ واحد منهما عادية الآخر[2] فصلحت الأشياء واستقامت .

فإن قال قائل : ولمَ لا يكون في شيء من ذلك مضرّة ألبتّة ؟ قيل له : ليمضّ ذلك الإنسان[3] ويؤلمه بعض الألم فيرعوي عن المعاصي ، فكما أنّ الإنسان إذا سقم بدنه احتاج إلى الأدوية المرّة البشعة ليقوم طباعه ويصلح ما فسد منه كذلك إذا طغى وأشَر

(١) صحا يصحو صحواً وصحي يصحى صحاً اليوم : صفا ولم يكن فيه غيم .

(٢) أي ضرر الاخر .

(٣) وفي نسخة : يمضّ ذلك الانسان .

احتاج إلى ما يعضّه ويولمه ليرعوي ويقصر عن مساويه ويثبته على ما فيه حظّه من رشده، ولو أنّ ملكاً من الملوك قسّم في أهل مملكته قناطير من ذهب وفضّة ألم يكن سيعظم عندهم ويذهب له به الصوت؟ فأين هذا من مطرة رواء؟ [1] إذ يعمر به البلاد ويزيد في الغلّات أكثر من قناطير الذهب والفضّة في أقاليم الأرض كلّها.

أفلا ترى المطرة الواحدة ما أكبر قدرها وأعظم النعمة على الناس فيها وهم عنها ساهون؛ وربّما عاقت عن أحدهم حاجة لا قدر لها فيذمر [2] ويسخط إيثاراً للخسيس قدره على العظيم نفعه جهلاً بمحمود العاقبة وقلّة معرفة لعظيم الغناء والمنفعة فيها. تأمّل نزوله على الأرض والتدبير في ذلك، فإنّه جعل ينحدر عليها من علوّ ليتفشّى ما غلظ وارتفع منها فيروّيه، ولو كان إنّما يأتيها من بعض نواحيها لما علا على المواضع المشرفة منها ويقلّ ما يزرع في الأرض.

ألا ترى أنّ الّذي يزرع سيحاً [3] أقلّ من ذلك فالأمطار هي الّتي تطبق الأرض؛ وربّما تزرع هذه البراري الواسعة وسفوح الجبال وذراها [4] فتغل الغلّة الكثيرة، [5] وبها يسقط عن الناس في كثير من البلدان مؤونة سياق الماء من موضع إلى موضع، وما يجري في ذلك بينهم من التشاجر والتظالم حتّى يستأثر بالماء ذوو العزّة والقوّة ويحرمه الضعفاء.

ثمّ إنّه حين قدّر أن ينحدر على الأرض انحداراً جعل ذلك قطراً شبيهاً بالرشّ ليغور في قطر الأرض فيرويها، ولو كان يسكبه انسكاباً كان ينزل على وجه الأرض فلا يغور فيها ثمّ كان يحطم الزرع القائمة إذا اندفق عليها فصار ينزل نزولاً رقيقاً [6] فينبت الحبّ المزروع، ويحيي الأرض والزرع القائم، وفي نزوله أيضاً مصالح اُخرى فإنّه يليّن الأبدان، ويجلو كدر الهواء فيرتفع الوباء الحادث من ذلك، ويغسل ما يسقط على

(١) على زنة «حياء»: الماء الكثير المشبع.
(٢) في بعض النسخ «يتذمر ويسخط إيثاراً للخسيس قدره على العظيم نفعه جهيلا محمود العاقبة وقلة معرفته لعظيم الغناء والمنفعة فيها.»
(٣) السيح: الماء الجارى على وجه الارض.
(٤) سفح الجبل: أصله وأسفله. عرضه ومضطجعه الذى ينصب الماء. وذرو الجبل: أعلاه.
(٥) وفى نسخة: فتقل الغلة الكثيرة.
(٦) وفى نسخة: فصار ينزل نزولا رفيقا.

الشجر والزرع من الداء المسمّى باليرقان،[١] إلى اشباه هذا من المنافع .

فإن قال قائل : أوليس قد يكون منه في بعض السنين الضرر العظيم الكثير لشدّة مايقع منه أو برد يكون فيه تحطّم الغلّات و بخورة يحدثها في الهواء فيولّد كثيراً من الأمراض في الأبدان والآفات في الغلّات ؟ قيل : بلى قد يكون ذلك الفرط لما فيه من صلاح الإنسان وكفّه عن ركوب المعاصي و التمادي فيها فيكون المنفعة فيما يصلح له من دينه أرجح ممّا عسى أن يرزأ في ماله .

بيان : يعتقبان أي يأتي كلّ منهما عقيب صاحبه . وخصر الهواء بكسر الصاد المهملة ، يقال : خصر يومنا أي اشتدّ برده ، وماء خاصر: بارد ، وفي أكثر النسخ بالحاء المهملة و السين من حسر أي كلّ ، وهو لا يستقيم إلّا بتكلّف وتجوّز ، وفي بعضها بالخاء المعجمة والثاء المثلّثة من قولهم : خثر اللّبن خثراً إذا غلظ . والبشع : الكريه الطعم الّذي يأخذ بالحلق . والقنطار : معيار ، ويروى أنّه ألف ومائتا أوقية ، ويقال : هو مائة و عشرون رطلاً ، ويقال : هو ملء مسك الثور ذهباً . قوله عليه السلام : ويذهب له به الصوت ، أي يملأ صيت كرمه وجوده الآفاق . و الذمر : الملامة و التهدّد . قوله : ليتفشّى التفشّي : الاتّساع ، و الأظهر «ليغشي» بالغين المعجمة كما في بعض النسخ . والحطم : الكسر . والاندفاق : الانصباب . و اليرقان: آفة للزرع . وقوله : ممّا عسى أن يرزأ من الرزء : المصيبة .

انظر يامفضّل إلى هذه الجبال المركومة [٢] من الطين والحجارة الّتي يحسبها الغافلون فضلاً لاحاجة إليها ، والمنافع فيها كثيرة : فمن ذلك أن يسقط عليها الثلوج فيبقى في قلالها لمن يحتاج إليه ، ويذوب ماذاب منه فتجري منه العيون الغزيرة الّتي تجتمع منها الأنهار العظام ، وينبت فيها ضروب من النبات و العقاقير الّتي لاينبت مثلها في السهل ، ويكون فيها كهوف ومقايل للوحوش من السباع العادية ويتّخذ منها الحصون

---

(١) اليرقان : آفة للزرع أو دود يسطو على الزرع .

(٢) المركومة : المجتمعة من الطين والحجارة بعضها فوق بعض .

والقلاع المنيعة للتحرّز من الأعداء ، وينحت منها الحجارة للبناء والأرحاء ،[1] ويوجد فيها معادن لضروب من الجواهر ، وفيها خلال اُخرى لايعرفها إلا المقدّر لها في سابق علمه .

تفسير : المقايل في بعض النسخ بالقاف ، وكأنّه من القيلولة ، وفي بعضها بالغين ، ولعلّه من الغيل : الشجر الملتفّ . وفي بعض كتب اللّغة : المغالة : العُشّ . وفي بعض النسخ معاقل جمع المعقل وهو الملجأ .

فكّر يامفضّل في هذه المعادن ومايخرج منها من الجواهر المختلفة مثل الجصّ و الكلس والجبس[2] والزرانيخ ، والمرتك ، والقونيا[3] والزيبق ، والنحاس ، والرصاص ، والفضّة ، والذهب ، والزبرجد ، و الياقوت ، والزمرّد ، و ضروب الحجارة ، وكذلك مايخرج منها من القار ، والموميا ، والكبريت ، والنفط ، وغير ذلك ممّا يستعمله الناس في مآربهم ، فهل يخفى على ذي عقل أنّ هذه كلّها ذخائر ذخرت للإنسان في هذه الأرض ليستخرجها فيستعملها عند الحاجة إليها ؟ ثمّ قصرت حيلة الناس عمّا حاولوا من صنعتها على حرصهم واجتهادهم في ذلك فإنّهم لوظفروا بما حاولوا من هذا العلم كان لامحالة سيظهر ويستفيض في العالم حتّى تكثر الذهب والفضّة ويسقطا عند الناس فلايكون لهما قيمة ويبطل الانتفاع بهما في الشرى والبيع والمعاملات ، ولاكان يجبيء السلطان الأموال ، ولايدّخرهما أحد للأعقاب ، وقد اُعطي الناس مع هذا صنعة الشبه من النحاس والزجاج من الرمل ، والفضّة من الرصاص ، والذهب من الفضّة ، وأشباه ذلك ممّا لا مضرّة فيه .

فانظر كيف اُعطوا إرادتهم فيما لاضرر فيه ، ومنعوا ذلك فيما كان ضارّاً لهم لونالوه ؛ ومن أوغل في المعادن انتهى إلى واد عظيم يجري منصلتاً بماء غزير ، لايدرك غوره ولاحيلة في عبوره ومن ورائه أمثال الجبال من الفضّة .

تفكّر الآن في هذا من تدبير الخالق الحكيم فإنّه أراد جلّ ثناؤه أن يرى العباد

---

(١) أى الطواحين .
(٢) أى حجر الجصّ .
(٣) فى نسخة : القونبا . وفى اخرى : التواتيا .

قدرته وسعة خزائنه ، ليعلموا أنّه لو شاء أن يمنحهم كالجبال من الفضّة لفعل ، لكن لاصلاح لهم في ذلك ، لأنّه لو كان فيكون فيها كماذكرنا سقوط هذا الجوهر عند الناس و قلّة انتفاعهم به ؛ و اعتبر ذلك بأنّه قد يظهر الشيء الطريف ممّا يحدثه الناس من الأواني و الأمتعة فما دام عزيزاً قليلاً فهو نفيس جليل آخذ الثمن فإذا فشا وكثر في أيدي الناس سقط عندهم وخسّت قيمته ؛ ونفاسة الأشياء من عزّتها .

بيان : الكلس بالكسر : الصاروج . والجبس بالكسر الجصّ . وفي أكثر النسخ الجبسين ولم أجده فيما عندنا من كتب اللّغة لكن في كتب الطبّ كما في أكثر النسخ . والمرتك كمقعد : المرداسنج . والقونيا بالباء الموحّدة أو الياء المثنّاة من تحت ، ولم أجدهما في كتب اللّغة ، لكن في القاموس : القونة : القطعة من الحديد أو الصفر يرقّع بها الإناء ؛ وفي بعض النسخ : والتوتيا ، وفي كتب اللّغة أنّه حجر يكتحل به .[1] والقار : القير . وجبى الخراج جباية : جمعه . والإيغال : المبالغة في الدخول والذهاب . وانصلت : مضى وسبق .

فكّر يا مفضّل : في هذا النبات وما فيه من ضروب المآرب ، فالثمار للغذاء ، و الأتبان للعلف ، والحطب للوقود ، و الخشب لكلّ شيء من أنواع النجارة وغيرها ، و اللّحاء والورق والاُصول والعروق و الصموغ لضروب من المنافع . أرأيت لو كنّا نجد الثمار الّتي نغتذي بها مجموعة على وجه الأرض ولم تكن تنبت على هذه الأغصان الحاملة لها كم كان يدخل علينا من الخلل في معاشنا وإن كان الغذاء موجوداً فإنّ المنافع بالخشب والحطب والأتبان وسائر ما عددّناه كثيرة ، عظيم قدرها ، جليل موقعها ؛ هذا مع ما في النبات من التلذّذ بحسن منظره ونضارته الّتي لا يعدلها شيء من مناظر العالم وملاهيه .

بيان : لحاء الشجرة بالكسر : قشرها .

فكّر يا مفضّل : في هذا الريع الّذي جعل في الزرع فصارت الحبّة الواحدة تخلف

(١) نقل فى كتب الطب عن الشيخ أنه قال . أصل التوتيا دخان يرتفع حيث يخلص النحاس من الحجارة التى تخالطه والانك الذى يخالطه ، وربما صعد الاقليميا فكان مصعده توتيا جيداً و رسوبه قليميا .

مائة حبّة وأكثر وأقلّ، وكان يجوز أن يكون الحبّة تأتي بمثلها فلمَ صارت تريع هذا الريع إلّا ليكون في الغلّة متّسع لما يرد في الأرض من البذر، ومايتقوّت الزرّاع إلى إدراك زرعها المستقبل؟.

ألاترى أنّ الملك لو أراد عمارة بلد من البلدان كان السبيل في ذلك أن يعطي أهله مايبذرونه في أرضهم، وما يقوتهم إلى إدراك زرعهم فانظر كيف تجد هذا المثال قد تقدّم في تدبير الحكيم فصار الزرع يريع هذا الريع ليفي بمايحتاج إليه للقوت والزراعة، و كذلك الشجر والنبت والنخل يريع الريع الكثير فإنّك ترى الأصل الواحد حوله من فراخه أمراً عظيماً، فلمَ كان كذلك إلّا ليكون فيه مايقطعه الناس ويستعملونه في مآربهم ومايرد فيغرس في الأرض؟ ولو كان الأصل منه يبقى منفرداً لايفرخ ولايريع لما أمكن أن يقطع منه شيء لعمل ولالغرس، ثمّ كان إن أصابته آفة انقطع أصله فلم يكن منه خلف.

تأمّل نبات هذه الحبوب من العدس والماش والباقلا وماأشبه ذلك فإنّها تخرج في أوعية مثل الخرائط لتصونها وتحجبها من الآفات إلى أن تشدّ وتستحكم كما قد تكون المشيمة على الجنين لهذا المعنى بعينه؛ فأمّا البُرّ وماأشبهه فإنّه يخرج مدرّجاً في قشور صلاب على رؤوسها مثال الأسنّة من السنبل ليمنع الطير منه ليتوفّر على الزرّاع.

فإن قال قائل: أوليس قد ينال الطير من البرّ والحبوب؟ قيل له: بلى على هذا قدّر الأمر فيها لأنّ الطير خلق من خلق الله وقد جعل الله تبارك وتعالى له فيما تخرج الأرض حظّاً، ولكن حضنت الحبوب بهذه الحجب لئلّا يتمكّن الطير منها كلّ التمكّن فيعبث فيها ويفسد الفساد الفاحش فإنّ الطير لوصادف الحبّ بارزاً ليس عليه شيء يحول دونه لأكبّ عليه حتّى ينسفه أصلاً فكان يعرض من ذلك أن يبشم الطير فيموت، و يخرج الزرّاع من زرعه صفراً فجعلت عليه هذه الوقايات لتصونه فينال الطائر منه شيئاً يسيراً يتقوّت به، ويبقى أكثره للإنسان فإنّه أولى به إذ كان هو الّذي كدح فيه وشقي به، وكان الّذي يحتاج إليه أكثر ممّا يحتاج إليه الطير.

تأمّل الحكمة في خلق الشجر وأصناف النبات فإنّها لمّا كانت تحتاج إلى الغذاء

الدائم كحاجة الحيوان ولم يكن لها أفواه كأفواه الحيوان ولاحركة تنبعث بها لتناول الغذاء جعلت أُصولها مركوزة في الأرض لتنزع منها الغذاء فتؤدّيه إلى الأغصان وما عليها من الورق والثمر فصارت الأرض كالأمّ المربّية لها، وصارت أُصولها الّتي هي كالأفواه ملتقمة للأرض(١) لتنزع منها الغذاء كما يرضع أصناف الحيوان أُمّهاتها.

ألاترى إلى عمد الفساطيط والخيم كيف تمدّ بالأطناب من كلّ جانب لتثبت منتصبة فلاتسقط ولاتميل فهكذا تجد النبات كلّه له عروق منتشرة في الأرض ممتدّة إلى كلّ جانب لتمسكه وتقيمه، ولولا ذلك كيف كان يثبت هذا النخل الطوال والدوح العظام في الريح العاصف، فانظر إلى حكمة الخلقة كيف سبقت حكمة الصناعة فصارت الحيلة الّتي تستعملها الصنّاع في ثبات الفساطيط والخيم متقدّمة في خلق الشجر لأنّ خلق الشجر قبل صنعة الفساطيط والخيم ألاترى عمدها وعيدانها من الشجر؟ فالصناعة مأخوذة من الخلقة.

بيان: ينسفه بالكسر أي يقلعه. وبشم الحيوان بشماً من باب تعب: اتّخم من كثرة الأكل. والكدح: العمل والسعي. والشقا: الشدّة والعسر شقي كرضي. والدوح بفتح الدال وسكون الواو جمع الدوحة، وهي الشجرة العظيمة.

تأمّل يامفضّل خلق الورق فإنّك ترى في الورقة شبه العروق مبثوثة فيها أجمع فمنها غلاظ ممتدّة في طولها وعرضها، ومنها دقاق تتخلّل الغلاظ منسوجة نسجاً دقيقاً معجماً لوكان ممّا يصنع بالأيدي كصنعة البشر لما فرغ من ورق شجرة واحدة في عام كامل، ولاُحتيج إلى آلات وحركة وعلاج وكلام فصار يأتي منه في أيّام قلائل من الربيع ما يملأ الجبال والسهل وبقاع الأرض كلّها بلاحركة ولاكلام إلّا بالإرادة النافذة في كلّ شيء والأمر المطاع.

واعرف مع ذلك العلّة في تلك العروق الدقاق فإنّها جعلت تتخلّل الورقة بأسرها لتسقيها وتوصل الماء إليها بمنزلة العروق المبثوثة في البدن لتوصل الغذاء إلى كلّ جزء منها وفي الغلاظ منها معنىً آخر فإنّها تمسك الورقة بصلابتها ومتانتها لئلّا

(١) التقم الطعام: ابتلعه أوفي مهلة.

تنهتك وتتمزّق فترى الورقة شبيهة بورقة معمولة بالصنعة من خرق قد جعلت فيها عيدان ممدودة في طولها وعرضها لتتماسك فلا تضطرب فالصناعة تحكي الخلقة وإن كانت لا تدركها على الحقيقة .

فكّر في هذا العجم والنوى والعلّة فيه فإنّه جعل في جوف الثمرة ليقوم مقام الغرس إن عاق دون الغرس عائق ، كما يحرز الشيء النفيس الّذي تعظم الحاجة إليه في مواضع آخر ، فإن حدث على الّذي في بعض المواضع منه حادث وُجد في موضع آخر ، ثمَّ بعدُ يمسك بصلابته رخاوة الثمار ورقّتها ، ولولا ذلك لتشدّخت وتفسّخت وأسرع إليه الفساد ، وبعضه يؤكل ويستخرج دهنه فيستعمل منه ضروب من المصالح ، وقد تبيّن لك موضع الإرب في العجم و النوى .

فكّر الآن في هذا الّذي تجده فوق النواة من الرطبة وفوق العجم من العنبة فما العلّة فيه ؟ ولماذا يخرج في هذه الهيئة ؟ وقد كان يمكن أن يكون مكان ذلك ما ليس فيه مأكلٌ كمثل ما يكون في السرو والدلب وما أشبه ذلك ، فلمَ صار يخرج فوقه هذه المطاعم اللّذيذة إلّا ليستمتع بها الإنسان ؟.

فكّر في ضروب من التدبير في الشجر فإنّك تراه يموت في كلّ سنة موتة ، فيحتبس الحرارة الغريزيّة في عوده ويتولّد فيه موادّ الثمار ثمّ تحيى وتنتشر فتأتيك بهذه الفواكه نوعاً بعد نوع كما تقدّم إليك أنواع الأطبخة[1] الّتي تعالج بالأيدي واحداً بعد واحد ، فترى الأغصان في الشجر تتلقّاك بثمارها حتّى كأنّها تناولكها عن يد ، وترى الرياحين تلقّاك في أفنانها كأنّها تجيئك بأنفسها ، فلمن هذا التقدير إلّا لمقدّر حكيم ؟ وما العلّة فيه إلّا تفكية الإنسان بهذه الثمار والأنوار ؟[2] والعجب من اُناس جعلوا مكان الشكر على النعمة جحود المنعم بها !.

اعتبر بخلق الرمّانة وما ترى فيها من أثر العمد والتدبير فإنّك ترى فيها كأمثال التلال من شحم مركوم في نواحيها ، وحبّاً مرصوفاً رصفاً كنحو ما ينضد بالأيدي[3]

(١) وفي نسخة : كما تقدم إليك أنواع الاخبصة .
(٢) وفي نسخة : تفكه الانسان بهذه الثمار والانوار .
(٣) أي كنحو ما يضم بعضه إلى بعض متسقا بالايدي .

وترى الحبّ مقسوماً أقساماً، وكلّ قسم منها ملفوفاً بلفائف من حجب منسوجة أعجب النسج و ألطفه، و قشره يضمّ ذلك كلّه، فمن التدبير في هذه الصنعة أنّه لم يكن يجوز أن يكون حشو الرمّانة من الحبّ وحده، وذلك أنّ الحبّ لا يمدّ بعضه بعضاً فجعل ذلك الشحم خلال الحبّ ليمدّه بالغذاء، ألا ترى أنّ اُصول الحبّ مركوزة في ذلك الشحم؟ ثمّ لفّ بتلك اللّفائف لتضمّه وتمسكه فلا يضطرب، وغشي فوق ذلك بالقشرة المستحصفة ليصونه و يحصّنه من الآفات، فهذا قليل من كثير و هي وصف الرمّانة و فيه أكثر من هذا لمن أراد الإطناب والتذرّع في الكلام، ولكن فيما ذكرت لك كفاية في الدلالة والاعتبار.

بيان: قوله عليه السلام: معجماً لعلّ المراد شدّة ارتباطها قال الفيروز آباديّ: باب معجم كمكرم: مقفّل. انتهى. ويحتمل أن يكون كناية عن خفائها كقوله صلى الله عليه وآله: صلاة النهار عجماء. وقوله عليه السلام: إن عاق دون الغرس أي غرس الأغصان عائق تغرس النوى بدلها. والشدخ: الكسر والغمز، والمشدخ هو بسر يغمز وييبس للشتاء. والدلب بالضمّ: الصنار [1] قوله عليه السلام: فيحتبس الحرارة الغريزيّة يدلّ على أنّ الحرارة الغريزيّة لا يختصّ بالحيوان، بل يوجد في النبات أيضاً كما صرّح به جماعة من المحقّقين. ويقال: رصفت الحجارة في البناء رصفاً أي ضممت بعضها إلى بعض. واستحصف: استحكم. والتذرّع: كثرة الكلام والإفراط فيه.

فكّر يا مفضّل في حمل اليقطين الضعيف مثل هذه الثمار الثقيلة من الدباء والقثّاء و البطّيخ، وما في ذلك من التدبير والحكمة فإنّه حين قدّر أن يحتمل مثل هذه الثمار جعل نباته منبسطاً على الأرض، ولو كان ينتصب قائماً كما ينتصب الزرع و الشجر لما استطاع أن يحمل مثل هذه الثمار الثقيلة، ولينقصف قبل إدراكها و انتهائها إلى غايتها. فانظر كيف صار يمتدّ على وجه الأرض ليلقي عليها ثمارها فتحملها عنه فترى الأصل من القرع والبطّيخ مفترشاً للأرض، ثماره مبثوثة عليها وحواليه كأنّه هرّة ممتدّة وقد اكتنفتها أجراؤها لترضع منها.

(١) الصنار معرّب چنار.

و انظر كيف صارت الأصناف توافي في الوقت المشاكل لها من حمارّة الصيف، ووقدة الحرّ فتلقاها النفوس بانشراح و تشوّق إليها، ولو كانت توافي في الشتاء لوافقت من الناس كراهة لها واقشعراراً منها مع ما يكون فيها من المضرّة للأبدان. ألا ترى أنّه ربّما أدرك شيء من الخيار في الشتاء فيمتنع الناس من أكله إلّا الشره الّذي لا يمتنع من أكل ما يضرّه ولا يستوخم مغبّته.

توضيح: قال الفيروز آبادي: اليقطين: ما لا ساق له من النبات ونحوه. والقصف: الكسر. وقال الجوهريّ: الجِرو والجُرو والجَرو: ولد الكلب والسباع، و الجمع أجرٍ، وأصله أجروٌ على أفعل، وجراءٌ، وجمع الجراء أجريةٌ، والجِرو والجِروة الصغير من القثّاء. انتهى. والحمارّة بتخفيف الميم وتشديد الراء وقد يخفّف في الشعر: شدّة الحرّ. وفي الأساس: مالي أراك تشرح إلى كلّ رتبة؛ وهو إظهار الرغبة إليها، وفيه: هو شره العين يطمع في كلّ ما يراه يرمي نفسه عليه ويتمنّاه. انتهى. واستوخمه: لم يجده مريئاً موافقاً. والمغبّة: العاقبة.

فكّر يا مفضّل في النخل فإنّه لمّا صار فيه اُناث يحتاج إلى التلقيح (١) جعلت فيه ذكورة للّقاح من غير غراس فصار الذكر من النخل بمنزلة الذكر من الحيوان الّذي يلقح الاُناث لتحمل وهو لا يحمل.

تأمّل خلقة الجذع (٢) كيف هو فإنّك تراه كالمنسوج نسجاً من غير خيوط ممدودة كالسدى و اُخرى معه معترضة كاللّحمة (٣) كنحو ما ينسج بالأيدي، وذلك ليشتدّ و يصلب ولا ينقصف من حمل القنوان (٤) الثقيلة، وهزّ الرياح العواصب إذا صار نخلة، و ليتهيّأ للسقوف والجسور وغير ذلك ممّا يتّخذ منه إذا صار جذعاً؛ وكذلك ترى الخشب مثل النسج فإنّك ترى بعضه مداخلاً بعضاً طولاً وعرضاً كتداخل أجزاء اللّحم، وفيه

(١) التلقيح في النخل: وضع طلع الذكور في الاناث.

(٢) الجذع: ساق النخلة.

(٣) السدى من الثوب: ما مدّ من خيوطه وهو خلاف اللحمة. واللحمة ما نسج عرضاً وهو خلاف سداه.

(٤) القنوان جمع القنا و القنى و القنو - بكسر القاف وضمها - : العذق و هو من النخل كالعنقود من العنب.

مع ذلك متانة ليصلح لما يتّخذ منه من الآلات فإنّه لو كان مستحصفاً[١] كالحجارة لم يمكن أن يستعمل في السقوف وغير ذلك ممّا يستعمل فيه الخشبة كالأبواب والأسرّة و التوابيت وما أشبه ذلك. ومن جسيم المصالح في الخشب أنّه يطفو على الماء فكلّ الناس يعرف هذا منه وليس كلّهم يعرف جلالة الأمر فيه؛ فلولا هذه الخلّة كيف كانت هذه السفن والأظراف تحمل أمثال الجبال من الحمولة، وأنّى كان ينال الناس هذا الوفق[٢] و خفّة المؤونة في حمل التجارات من بلد إلى بلد؟ وكانت تعظم المؤونة عليهم في حملها حتّى يلقى كثير ممّا يحتاج إليه في بعض البلدان مفقوداً أصلاً أو عسراً وجوده.

فكّر في هذه العقاقير وما خصّ بها كلّ واحد منها من العمل في بعض الأدواء فهذا يغور في المفاصل فيستخرج الفضول الغليظة مثل الشيطرج، [٣] و هذا ينزف المرّة السوداء مثل الأفتيمون، [٤] وهذا ينفي الرياح مثل السكبينج، و هذا يحلّل الأورام وأشباه هذا من أفعالها فمن جعل هذه القوى فيها إلّا من خلقها للمنفعة؟ ومن فطّن الناس بها إلّا من جعل هذا فيها؟ ومتى كان يوقف على هذا منها بالعرض والاتّفاق كما قال قائلون؟ وهب الإنسان فطن لهذه الأشياء بذهنه ولطيف رويّته وتجاربه فالبهائم كيف فطنت لها؟ حتّى صار بعض السباع يتداوى من جراحه إن أصابته ببعض العقاقير فيبرأ، و بعض الطير يحتقن من الحصر يصيبه بماء البحر فيسلم، و أشباه هذا كثير. و لعلّك تشكّك في هذا النبات النابت في الصحاري والبراري حيث لا اُنس ولا أنيس فتظنّ أنّه فضل لا حاجة إليه و ليس كذلك بل هو طُعم لهذه الوحوش، و حبّه علف للطير، و عوده و أفنانه حطب فيستعمله الناس، وفيه بعدُ أشياء تعالج به الأبدان، واُخرى تدبغ به الجلود واُخرى تصبغ به الأمتعة، وأشباه هذا من المصالح. ألست تعلم أنّ أخسّ النبات وأحقره

(١) أى مستحكما، والحصيف: كل محكم لا خلل فيه.

(٢) في نسخة: هذا الرفق.

(٣) وفي كتب الطب أنه يزيل الطحال أكلاوضماداً أيضا، وتعليقه على الاذن الوجعة يسكن وجعها.

(٤) وله منافع اخرى معدودة في كتب الطب كاسهاله البلغم والصفراء، ونفعه من الصرع والتشنج الامتلائي، والنفخ واصحاب السرطان والجرب وغير ذلك، كما أن للسكبينج منافع اخرى مبينة في محله.

هذا البردي[١] و مـا أشبهها ؛ ففيها مع هذا من ضروب المنافع فقد يتّخذ من البردي القراطيس الّتي يحتاج إليها الملوك والسوقة ، والحُصُر الّتي يستعملها كلّ صنف من الناس ، وليعمل منه الغلف الّتي يوقى بها الأواني ، ويجعل حشواً بين الظروف في الأسفاط[٢] لكيلا تعيب وتنكسر، وأشباه هذا من المنافع

فاعتبر بما ترى من ضروب المآرب في صغير الخلق و كبيره و بما له قيمة وما لا قيمة له ، وأخسّ من هذا و أحقره الزبل والعذرة الّتي اجتمعت فيها الخساسة و النجاسة معاً ، و موقعها من الزروع و البقول و الخضر أجمع الموقع الّذي لا يعدله شيء حتّى أنّ كلّ شيء من الخضر لا يصلح ولا يزكو إلّا بالزبل والسماد الّذي يستقذره الناس و يكرهون الدنوّ منه ؛ واعلم أنّه ليس منزلة الشيء على حسب قيمته ، بل هما قيمتان مختلفتان بسوقين ، وربّما كان الخسيس في سوق المكتسب نفيساً في سوق العلم فلا تستصغر العبرة في الشيء لصغر قيمته ، فلو فطنوا طالبوا الكيميا لما في العذرة لاشتروها بأنفس الأثمان وغالوا بها .

قال المفضّل : و حان وقت الزوال فقام مولاي إلى الصلاة وقال : بكّر إليّ غداً إن شاء الله ؛ فانصرفت وقد تضاعف سروري بما عرّفنيه مبتهجاً بما آتانيه ، حامداً لله على ما منحنيه فبتّ ليلتي مسروراً .

بيان : قوله عليه السلام : ليصلح بيان لما يتحصّل ممّا مرّ لا للمتانة فقط . و النزف : النزح : قوله عليه السلام : هب الإنسان أي سلّمنا أنّه كذلك . والحصر بالضمّ : اعتقال البطن . والسوقة بالضمّ : الرعيّة للواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث . والغلف بضمّة وبضمّتين وكركّع : جمع غلاف . والزبل بالكسر: السرقين . وقال الفيروزآباديّ : السماد : السرقين برماد وقال الجزريّ : هو ما يطرح في اُصول الزرع و الخضر من العذرة والزبل ليجوّد نباته . أقول : يدلّ ظاهراً على جواز استعمال العذرات النجسة في ذلك و ربّما يستدلّ به على تطهير الاستحالة .

---

(١) البردى : نبت رخو ينبت في ديار المصر كثيراً ، يمضغ أصله كقصب السكر و يتخذ منه القرطاس وقيل : له ورق كخوص النخل ، فارسيه نوخ .

(٢) جمع السفط : وعاء كالقفة أو الجوالق .

المجلس الرابع : قال المفضّل : فلمّا كان اليوم الرابع بكّرت إلى مولاي فاستؤذن لي فأمرني بالجلوس فجلست ، فقال عليه السلام : منّا التحميد والتسبيح والتعظيم والتقديس للاسم الأقدم ، والنور الأعظم العليّ العلاّم ، ذي الجلال والإكرام ، ومنشىء الأنام ، و مفني العوالم و الدهور ، وصاحب السرّ المستور و الغيب المحظور ، والاسم المخزون و العلم المكنون ؛ وصلواته وبركاته على مبلّغ وحيه ، ومؤدّي رسالته ، الّذي ابتعثه بشيراً و نذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة ، فعليه وعلى آله من بارئه الصلوات الطيّبات و التحيّات الزاكيات الناميات ، وعليه وعليهم السلام والرحمة والبركات في الماضين و الغابرين أبد الآبدين ودهر الداهرين وهم أهله و مستحقّه .

قد شرحت لك يا مفضّل من الأدلّة على الخلق و الشواهد على صواب التدبير والعمد في الإنسان والحيوان و النبات و الشجر وغير ذلك مافيه عبرة لمن اعتبر ؛ وأنا أشرح لك الآن الآفات الحادثة في بعض الأزمان الّتي اتّخذها اُناس من الجهّال ذريعة إلى جحود الخالق والخلق والعمد والتدبير ، وماأنكرت المعطّلة والمنانيّة[1] من المكاره والمصائب وما أنكروه من الموت و الفناء ، وماقاله أصحاب الطبائع ، ومن زعم أنّ كون الأشياء بالعرض والاتّفاق ليتّسع ذلك القول في الردّ عليهم ، قاتلهم الله أنّى يؤفكون ؟ .

اتّخذ اُناس من الجهّال هذه الآفات الحادثة في بعض الأزمان كمثل الوباء و اليرقان[2] والبرد والجراد ذريعة إلى جحود الخلق والتدبير والخالق ؛ فيقال في جواب ذلك : إنّه إن لم يكن خالق ومدبّر فلمَ لايكون ماهو أكثر من هذا وأفظع ؟ فمن ذلك أن يسقط السماء على الأرض ، و تهوي الأرض فتذهب سفلاً ، و تتخلّف الشمس عن الطلوع أصلاً ، وتجفّ الأنهار والعيون حتّى لايوجد ماء للشفة ، و تركد الريح حتّى

---

(١) الظاهر : المانوية .

(٢) اليرقان : مرض معروف يصيب الناس ويسبب اصفرار الجلد ، وآفة للزرع ، أودود يسطو على الزرع ولعل المراد المعنى الثانى لذكره قبل ذلك .

تحمّ الأشياء وتفسد، و يفيض ماء البحر على الأرض فيغرقها . ثمّ هذه الآفات الّتي ذكرناها من الوباء والجراد وما أشبه ذلك ما بالها لاتدوم وتمتدّ حتّى تجتاح كلّ ما في العالم ؟ بل تحدث في الأحايين ، ثمّ لاتلبث أن ترفع ؟ أفلاترى أنّ العالم يصان ويحفظ من تلك الأحداث الجليلة الّتي لوحدث عليه شيء منها كان فيه بواره ، و يلذع [١] أحياناً بهذه الآفات اليسيرة لتأديب الناس وتقويمهم ، ثمّ لاتدوم هذه الآفات بل تكشف عنهم عند القنوط منهم فتكون وقوعها بهم موعظة وكشفها عنهم رحمة .

و قد أنكرت المعطّلة ما أنكرت المنانيّة [٢] من المكاره والمصائب الّتي تصيب الناس ، فكلاهما يقول : إن كان للعالم خالق رؤوف رحيم فلمَ يحدث فيه هذه الاُمور المكروهة ؟ والقائل بهذا القول يذهب به إلى أنّه ينبغي أن يكون عيش الإنسان في هذه الدنيا صافياً من كلّ كدر ، ولو كان هكذا كان الإنسان سيخرج من الأشر والعتوّ إلى مالايصلح في دين و دنيا كالّذي ترى كثيراً من المترفين ومن نشأ في الجدة والأمن يخرجون إليه حتّى أنّ أحدهم ينسى أنّه بشر أو أنّه مربوب أو أنّ ضرراً يمسّه ، أو أنّ مكروهاً ينزل به ، أو أنّه يجب عليه أن يرحم ضعيفاً أو يواسي فقيراً . أو يرثي لمبتلى [٣] أو يتحنّن على ضعيف ، أو يتعطّف على مكروب ، فإذا عضّته المكاره و وجد مضضها اتّعظ وأبصر كثيراً ممّا كان جهله وغفل عنه ، و رجع إلى كثير ممّا كان يجب عليه ، و المنكرون لهذه الاُمور المؤذية بمنزلة الصبيان الّذين يذمّون الأدوية المرّة البشعة ؛ ويتسخّطون من المنع من الأطعمة الضارّة ؛ ويتكرّهون الأدب والعمل ؛ ويحبّون أن يتفرّغوا للّهو والبطالة ؛ وينالوا كلّ مطعم ومشرب ؛ ولايعرفون ماتؤدّيهم إليه البطالة من سوء النشوء والعادة وماتعقّبهم الأطعمة اللّذيذة الضارّة من الأدواء والأسقام ، وما لهم في الأدب من الصلاح ، وفي الأدوية من المنفعة وإن شاب ذلك بعض الكراهة .

فإن قالوا : ولمَ لم يكن الإنسان معصوماً من المساوي حتّى لايحتاج إلى أن

---

(١) يلذع بالذال المعجمة والعين المهملة : يوجع ويولم . وفي بعض النسخ يلدغ بالدال المهملة والغين المعجمة أي يلسع .

(٢) كذا في النسخ والظاهر : المانوية .

(٣) أي يرق ويرحم له .

يلذعه بهذه المكاره ؟ قيل : إذاً كان يكون غير محمود على حسنة يأتيها ولا مستحقّ للثواب عليها .

فإن قالوا : وما كان يضرّه أن لايكون محموداً على الحسنات مستحقّاً للثواب بعد أن يصير إلى غاية النعيم واللّذّة ؟ قيل لهم : اعرضوا على امرء صحيح الجسم والعقل أن يجلس منعماً ويكفى كلّ مايحتاج إليه بلاسعي ولا استحقاق ، فانظر هل تقبل نفسه ذلك ؟ بل ستجدونه بالقليل ممّا يناله بالسعي والحركة أشدّ اغتباطاً وسروراً منه بالكثير ممّا يناله بغير الاستحقاق ، وكذلك نعيم الآخرة أيضاً يكمل لأهله بأن ينالوه بالسعي فيه والاستحقاق له فالنعمة على الإنسان في هذا الباب مضاعفة ، بأن اُعدّ له الثواب الجزيل على سعيه في هذه الدنيا ، و جعل له السبيل إلى أن ينال بسعي و استحقاق فيكمل له السرور والاغتباط بما يناله منه .

فإن قالوا : أوليس قد يكون من الناس من يركن إلى ما نال من خير وإن كان لا يستحقّه ؟ فما الحجّة في منع من رضي أن ينال نعيم الآخرة على هذه الجملة ؟[1] قيل لهم : إنّ هذا باب لوصحّ للناس لخرجوا إلى غاية الكلب والضراوة على الفواحش و انتهاك المحارم ؛ فمن كان يكفّ نفسه عن فاحشة أو يتحمّل المشقّة في باب من أبواب البرّ لو وثق بأنّه صائر إلى النعيم لامحالة ؟ أومن كان يأمن على نفسه و أهله وماله من الناس لولم يخافوا الحساب والعقاب ؟ فكان ضرر هذا الباب سينال الناس في هذه الدنيا قبل الآخرة ، فيكون في ذلك تعطيل العدل والحكمة معاً ، وموضع للطعن على التدبير بخلاف الصواب ووضع الاُمور غير مواضعها .

وقد يتعلّق هؤلاء بالآفات الّتي تصيب الناس فتعمّ البرّ والفاجر ، أو يبتلي بها البرّ ويسلم الفاجر منها ، فقالوا : كيف يجوز هذا في تدبير الحكيم وما الحجّة فيه ؟ فيقال لهم : إنّ هذه الآفات وإن كانت تنال الصالح والطالح جميعاً ، فإنّ الله جعل ذلك صلاحاً للصنفين كليهما : أمّا الصالحون فإنّ الّذي يصيبهم من هذا يردّهم[2] نعم ربّهم عندهم في سالف

(١) و في نسخة : على هذه الخلة .

(٢) كذا في النسخ والظاهر : يذكرهم .

أيّامهم فيحدوهم ذلك على الشكر والصبر ؛ وأمّا الطالحون فإنّ مثل هذا إذا نالهم كسر شرّتهم ، وردعهم عن المعاصي والفواحش ، وكذلك يجعل لمن سلم منهم من الصنفين صلاحاً في ذلك : أمّا الأبرار فإنّهم يغتبطون بما هم عليه من البرّ والصلاح ويزدادون فيه رغبة وبصيرة . وأمّا الفجّار فإنّهم يعرفون رأفة ربّهم[1] وتطوّله عليهم بالسلامة من غير استحقاقهم[2] فيحضّهم ذلك على الرأفة بالناس والصفح عمّن أساء إليهم .

و لعلّ قائلاً يقول : إنّ هذه الآفات الّتي تصيب الناس في أموالهم ، فما قولك فيما يبتلون به في أبدانهم فيكون فيه تلفهم ، كمثل الحرق والغرق والسيل والخسف ؟ فيقال لهم : إنّ الله جعل في هذا أيضاً صلاحاً للصنفين جميعاً : أمّا الأبرار فلما لهم في مفارقة هذه الدنيا من الراحة من تكاليفها و النجاة من مكارهها ؛ و أمّا الفجّار فلما لهم في ذلك من تمحيص أوزارهم و حبسهم عن الازدياد منها . وجملة القول أنّ الخالق تعالى ذكره بحكمته وقدرته قد يصرّف هذه الأمور كلّها إلى الخيرة والمنفعة فكما أنّه إذا قطعت الريح شجرة أو قطعت نخلة أخذها الصانع الرفيق واستعملها في ضروب من المنافع فكذلك يفعل المدبّر الحكيم في الآفات الّتي تنزل بالناس في أبدانهم وأموالهم فيصيّرها جميعاً إلى الخيرة والمنفعة .

فإن قال : ولمَ يحدث على الناس ؟ قيل له : لكيلا يركنوا إلى المعاصي من طول السلامة فيبالغ الفاجر في ركوب المعاصي ، ويفتر الصالح عن الاجتهاد في البرّ ، فإنّ هذين الأمرين جميعاً يغلبان على الناس في حال الخفض[3] والدعة ،[4] وهذه الحوادث الّتي تحدث عليهم تردعهم[5] وتنبّههم على ما فيه رشدهم ، فلو أخلوا منهما لغلوا في الطغيان والمعصية كما على الناس في أوّل الزمان حتّى وجب عليهم البوار بالطوفان وتطهير الأرض منهم .

---

(١) وفى نسخة : فانهم يعرفون رحمة ربهم .

(٢) وفى نسخة : من غير استحقاق .

(٣) خفض العيش : سهل وكان هنيئاً .

(٤) الراحة وخفض العيش .

(٥) وفى نسخة : وهذه الحوادث التى تحدث عليهم تروعهم .

و ممّا ينتقده الجاحدون للعمد و التقدير الموت والفناء فإنّهم يذهبون إلى أنّه ينبغي أن يكون الناس مخلّدين في هذه الدنيا ، مبرّئين من الآفات . فينبغي أن يساق هذا الأمر إلى غايته فينظر ما محصوله . أفرأيت لو كان كلّ من دخل العالم و يدخله يبقون ولايموت أحد منهم ألم تكن الأرض تضيق بهم حتّى تعوزهم المساكن والمزارع والمعاش ؟ فإنّهم والموت يفنيهم أوّلاً أوّلاً يتنافسون في المساكن والمزارع حتّى ينشب بينهم في ذلك الحروب ويسفك فيهم الدماء ، فكيف كانت تكون حالهم لو كانوا يولدون ولا يموتون ؟ وكان يغلب عليهم الحرص و الشره و قساوة القلوب ، فلو وثقوا بأنّهم لايموتون لما قنع الواحد منهم بشيء يناله ، ولا أفرج لأحد عن شيء يسأله ، ولاسلا عن شيء ممّا يحدث عليه ، ثمّ كانوا يملّون الحياة وكلّ شيء من اُمور الدنيا كما قد يملّ الحياة من طال عمره حتّى يتمنّى الموت والراحة من الدنيا .

فإن قالوا : إنّه كان ينبغي أن يرفع عنهم المكاره والأوصاب حتّى لايتمنّوا الموت ولايشتاقوا إليه ، فقد وصفنا ما كان يخرجهم إليه من العتوّ والأشر الحامل لهم على مافيه فساد الدين والدنيا . وإن قالوا : إنّه كان ينبغي أن لايتوالدوا كيلا تضيق عنهم المساكن والمعاش قيل لهم : إذاً كان يحرم أكثر هذا الخلق دخول العالم والاستمتاع بنعم الله ومواهبه في الدارين جميعاً إذا لم يدخل العالم إلّا قرن واحد لايتوالدون ولايتناسلون .

فإن قالوا : كان ينبغي أن يخلق في ذلك القرن الواحد من الناس مثل ما خلق ويخلق إلى انقضاء العالم . يقال لهم : رجع الأمر إلى ماذكرنا من ضيق المساكن والمعاش عنهم ثمّ لو كانوا لايتوالدون ولايتناسلون لذهب موضع الاُنس بالقرابات وذوي الأرحام والانتصار بهم عند الشدائد ، وموضع تربية الأولاد والسرور بهم . ففي هذا دليل على أنّ كلّما تذهب إليه الأوهام سوى ماجرى به التدبير خطأ وسفاه من الرأي و القول .

و لعلّ طاعناً يطعن على التدبير من جهة اُخرى فيقول : كيف يكون ههنا تدبير و نحن نرى الناس في هذه الدنيا من عزّ بزّ ؟ فالقويّ يظلم و يغصب ، و الضعيف يظلم ويسأم الخسف ، و الصالح فقير مبتلى ، والفاسق معافى موسّع عليه ، و من ركب فاحشة أو انتهك محرّماً لم يعاجل بالعقوبة ؛ فلو كان في العالم تدبير لجرت الاُمور على

القياس القائم ، فكان الصالح هوالمرزوق ، والطالح هوالمحروم ، وكان القويّ يمنع من ظلم الضعيف ، والمتهتّك للمحارم يعاجل بالعقوبة ؛ فيقال في جواب ذلك : إنّ هذا لو كان هكذا لذهب موضع الاحسان الّذي فضّل به الإنسان على غيره من الخلق ، و حمل النفس على البرّ و العمل الصالح احتساباً للثواب وثقة بما وعدالله منه ، و لصار الناس بمنزلة الدوابّ الّتي تساس[1] بالعصا والعلف ، و يلمع لها بكلّ واحد منهما ساعة فساعة فتستقيم على ذلك ، ولم يكن أحد يعمل على يقين بثواب أو عقاب حتّى كان هذا يخرجهم عن حدّ الإنسيّة إلى حدّ البهائم ، ثمّ لايعرف ماغاب ، ولايعمل إلّا على الحاضر ، وكان يحدث من هذا أيضاً أن يكون الصالح إنّما يعمل الصالحات للرزق والسعة في هذه الدنيا ، ويكون الممتنع من الظلم والفواحش إنّما يعفّ عن ذلك لترقّب عقوبة تنزل به من ساعته حتّى يكون أفعال الناس كلّها تجري على الحاضر لا يشوبها شيء من اليقين بما عندالله ، ولايستحقّون ثواب الآخرة والنعيم الدائم فيها ؛ مع أنّ هذه الاُمور الّتي ذكرها الطاعن من الغنى والفقر والعافية والبلاء ليست بجارية على خلاف قياسه ، بل قد تجري على ذلك أحياناً ، والأمر المفهوم ، فقد ترى كثيراً من الصالحين يرزقون المال لضروب من التدبير ، وكيلا يسبق إلى قلوب الناس أنّ الكفّار هم المرزوقون ، والأبرار هم المحرومون ، فيؤثرون الفسق على الصلاح ؛ وترى كثيراً من الفسّاق يعاجلون بالعقوبة إذا تفاقم طغيانهم وعظم ضررهم على الناس وعلى أنفسهم ، كما عوجل فرعون بالغرق ، و بخت نصر بالتيه ، و بلبيس بالقتل ؛ و إن اُمهل بعض الأشرار بالعقوبة واُخّر بعض الأخيار بالثواب إلى الدار الآخرة لأسباب تخفى على العباد لم يكن هذا ممّا يبطل التدبير ، فإنّ مثل هذا قد يكون من ملوك الأرض ولا يبطل تدبيرهم ، بل يكون تأخيرهم ما أخّروه أو تعجيلهم ما عجّلوه داخلاً في صواب الرأي والتدبير؛ وإذا كانت الشواهد تشهد وقياسهم يوجب أنّ للأشياء خالقاً حكيماً قادراً فما يمنعه أن يدبّر خلقه فإنّه لايصحّ في قياسهم أن يكون الصانع يهمل صنعته إلّا بإحدى ثلاث خلال : إمّا عجز ، وإمّا جهل ، و إمّا شرارة ؛ وكلّ هذه محال في صنعته عزّ و جلّ

(١) ساس الدوب أى قام عليها وراضها .

وتعالى ذكره وذلك أنّ العاجز لايستطيع أن يأتي بهذه الخلائق الجليلة العجيبة ، والجاهل لايهتدي لما فيها من الصواب و الحكمة ، والشرير لايتطاول لخلقها وإنشائها وإذا كان هذا هكذا وجب أن يكون الخالق لهذه الخلائق يدبّرها لامحالة و إن كان لاتدرك كنه ذلك التدبير ومخارجه فإنّ كثيراً من تدبير الملوك لاتفهمه العامّة ولاتعرف أسبابه لأنّها لاتعرف دخلة أمر الملوك وأسرارهم فإذا عرف سببه و جد قائماً على الصواب و الشاهد المحنة . ولو شككت في بعض الأدوية والأطعمة فيتبيّن لك من جهتين أو ثلاث أنّه حارٌّ أوبارد ألم تكن ستقضي عليه بذلك وتنفي الشكّ فيه عن نفسك ؟ فما بال هؤلاء الجهلة لايقضون على العالم بالخالق والتدبير مع هذه الشواهد الكثيرة ؟ وأكثر منها ما لايحصى كثرةً ، لو كان نصف العالم ومافيه مشكلاً صوابه لما كان من حزم الرأي و سمت الأدب أن يقضى على العالم بالإهمال لأنّه كان في النصف الآخر ومايظهر فيه من الصواب والإتقان ما يردع الوهم عن التسرّع إلى هذه القضيّة فكيف وكلّ ما كان فيه إذا فتّش وجد على غاية الصواب حتّى لايخطر بالبال شيء إلّا وجد ما عليه الخلقة أصحّ وأصوب منه ؟.

بيان قوله عليه السلام : للاسم الأقدم لعلّ المراد بالاسم المسمّى ،[1] أو المراد الاسم الّذي أظهره و أثبته في اللّوح قبل سائر الأسماء ، أو المراد الاسم الّذي يخصّ الذات فهو أسبق الأسماء في الاعتبار وأشرفها كما يظهر من الآثار . قوله : والغيب المحظور أي الممنوع عن غيره تعالى إلّا من ارتضاه لذلك . قوله : بالعرض قال الفيروزآباديّ : عرض الشيء : ظهر ، والعرض : أن يموت الإنسان من غير علّة . والاجتياح : الاستيصال . قوله عليه السلام : ويلذع يقال : لذعته النار أي أحرقته ، ولذعه بلسانه أي أوجعه بكلام ،

(١) المراد بالاسم هو المسمى لكن لا كما ذكره رحمه الله وأراد بالمسمى الذات بل كما تدل عليه الاخبار الاتية في أبواب الاسماء الحسنى تحكي عن المصداق المناسب لها و نفس المصداق اسم للذات عزت أسماؤه وأن الاسماء الملفوظة في الحقيقة أسماء الاسماء ، لكنه رحمه الله عد هذه الاخبار من المتشابهات ولذلك تكلف في أمثال هذه الموارد بما تكلف ؛ وأما المعنيان الاخران فواضح الفساد كيف والامام عليه السلام يوصف هذا الاسم بقوله : ذى الجلال والاكرام .... بعد عطف قوله : والنور الاعظم عليه ؛ فتأمل فيه . ط

وفي بعض النسخ بإهمال الأوّل وإعجام الثاني من لدغ العقرب . ويقال : رثيت لفلان أي رققت له . والمضض محرّكة : وجع المصيبة . قوله عليه السلام : إذا كان يكون غير محمود يمكن أن يقرأ إذاً بالتنوين وبدونها ، وعلى الثاني يكون خبر كان محذوفاً أي إذا كان الإنسان كذلك .

ثمّ اعلم أنّه ينبغي أن تحمل العصمة المأخوذة في السؤال على غير المعنى المشهور الّذي سيأتي تحقيقه في باب عصمة الأئمّة عليهم السلام بل المراد العصمة بمعنى الإلجاء الّذي لم يبق معه اختيار ، ولذا فرّع عليه السلام عليه عدم استحقاق الثواب ، وإلّا فالعصمة الّتي اتّصفت بها الأنبياء والأئمّة عليهم السلام لا ينافي ذلك كما سنحقّقه في مقامه إن شاء الله تعالى . ويمكن أن يقال ـ على تقدير أن يكون المراد هذا المعنى أيضاً ـ بأنّه إذا صار هذا عامّاً في جميع البشر لا يتأتّى في بعض الموادّ الّتي لا تستحقّ ذلك من نفوس الأشرار والفجّار إلّا بالإلجاء الرافع للاستحقاق . قوله عليه السلام : إلى غاية الكلب والضراوة قال الجوهريّ : دفعت عنك كلب فلان أي شرّه وأذاه ، والكلب أيضا شبيه بالجنون . وقال : ضرى الكلب بالصيد ضراوة أي تعوّد . أقول : لمّا كان السؤال مبنيّاً على فرض العصمة ظاهراً فتصحيح هذا الجواب في غاية الإشكال وخطر بالبال وجوه :

الأوّل : أن لا يكون السؤال مبنيّاً على فرض العصمة بل يكون المراد أنّه لمّا ذكرت أنّ العصمة تنافي الاستحقاق فنقول : لمَ لم يبذل لهم الثواب على أيّ حال بأن يكلّفهم العمل ليستحقّوا الثواب إن أرادوا استحقاقه وإلّا أعطاهم من غير استحقاق ؟ إذ كثير من الناس يطلبون النعيم بغير استحقاق فلا يكون عليهم في الدنيا والآخرة سخط على المخالفة ، وعلى هذا الجواب ظاهر الانطباق على السؤال كما لا يخفي .

الثاني : أن يكون السؤال مبنيّاً على فرض العصمة في بعضهم وهم الّذين يطلبون الثواب ولا يريدون استحقاقه كما هو ظاهر السياق ، ويكون حاصل الجواب أنّه لو كان المجبور على الخيرات مثاباً فمقتضى العدل أن يكون غير المجبور الطالب للخير والاستحقاق غير معاقب على حال وإلّا لكان له الحجّة على ربّه بأنّك لم تعصمني كما عصمت غيري ، ومنعت عنّي اللّطف بالبلايا والصوارف عن المعاصي في الدنيا ثمّ تعذّبني على المعاصي ،

فعلى هذا فلو علم غير المعصومين ذلك لدعتهم الدواعي النفسانيّة إلى غاية الفساد، وهذا وجه وجيه لكن يحتاج إلى طيّ بعض المقدّمات.

الثالث: أن يكون السؤال مبنيّاً على ذلك الفرض أيضاً لكن يكون الجواب مبنيّاً على أنّه قد يستلزم المحال نقيضه، إذ الكلام في هذا النوع من الخلق المسمّى بالإنسان الّذي اقتضت الحكمة أن يكون قد ركّبت فيه أنواع الشهوات والدواعي فلو فرضته على غير تلك الحالة لكان من قبيل فرض الشيء إنساناً و ملكاً وهما لا يجتمعان، فعلى هذا يلزمه أيضاً لفرض كونه إنساناً أن يدعوه عدم خوف العقاب والفراغ إلى الأشر و البطر وأنواع المعاصي، و حاصله يرجع إلى تغيير الجواب الأوّل إلى جواب آخر لا يرد عليه السؤال على غاية اللّطف والدقّة.

والردع: الكفّ والمنع. وقوله: يغتبطون على البناء للفاعل من الاغتباط وهو حسن الحال بحيث يتمنّى غيره حاله. والحضّ: الحثّ والتحريض. وتمحيص الأوزار: تنقيصها أو إزالتها. قوله عليه السلام: فإن قال: و لمَ يحدث على الناس؟ أقول: لمّا كان آخر الكلام موهماً لأنّ هذه الأمور بعد حدوثها يصيّرها الله تعالى إلى الحكمة والصلاح سأل: ثانياً ما السبب في أصل الحدوث حتّى يحتاج إلى أن يجعله الله صلاحاً؟ ويحتمل أن يكون مراده أنّا علمنا أنّ في وجودها صلاحاً فهل في عدمها فساد؟ والجواب على التقديرين ظاهر. وقال الفيروزآباديّ: عوز الشيء كفرح: لم يوجد، و أعوزه الشيء: احتاج إليه، والدهر أحوجه. و قال: تناشبوا: تضامّوا وتعلّق بعضهم ببعض، و نشبه الأمر كلزم زنةً ومعنىً. وقال: افرجوا عن الطريق والقتيل: انكشفوا، وعن المكان: تركوه. انتهى. والمراد هنا عدم التخلية بين أحد وبين ما يريده. قوله عليه السلام: ولا سلا عن شيء أي لا ينسى ويتسلّى عن شيء من المصائب إذ بتذكّر الموت تزول شدّة المحن، من قولهم: سلا عن الشيء أي نسيه. وقال الجوهريّ: بزّه يبزّه بزّاً: سلبه، وفي المثل من عزّ بزّ أي من غلب أخذ السلب. وقال: سامه خسفاً وخُسفاً بالضمّ أي أولاه ذلّاً. وقال الفيروزآباديّ: لمع بيده: أشار. وقال تفاقم الأمر: عظم. قوله عليه السلام: وبخت نصّر بالتيه أقول: لعلّه إشارة إلى ما ذكره جماعة من المؤرّخين أنّ مَلكاً من الملائكة لطم بخت نصّر لطمة

ومسخه وصار في الوحش في صورة أسد وهو مع ذلك يعقل مايفعله الإنسان ، ثمّ ردّه الله تعالى إلى صورة الإنس وأعاد إليه ملكه فلمّا عاد إلى ملكه أراد قتل دانيال فقتله الله على يد واحد من غلمانه ؛[١] وقيل في سبب قتله : إنّ الله أرسل عليه بعوضة فدخلت في منخره وصعدت إلى رأسه فكان لايقرّ ولايسكن حتّى يدقّ رأسه فمات من ذلك . وبلبيس غير معروف عند المؤرّخين . والتطاول هنا مبالغة في الطّول بمعنى الفضل والإحسان . ودخلة الرجل مثلّثة : نيّته ومذهبه وجمع أمره وبطانته . قوله عليه‌السلام : والشاهد المحنة أي بالشاهد يمكن امتحان الغائب .

واعلم يامفضّل إنّ اسم هذا العالم بلسان اليونانيّة الجاري المعروف عندهم «قوسموس»[٢] وتفسيره «الزينة» وكذلك سمّته الفلاسفة ومن ادّعى الحكمة أفكانوا يسمّونه بهذا الاسم إلّا لمارأوا فيه من التقدير والنظام ؛ فلم يرضوا أن يسمّوه تقديراً ونظاماً حتّى سمّوه زينة ليخبروا أنّه مع ماهو عليه من الصواب والإتقان على غاية الحسن والبهاء .

أعجب يا مفضّل من قوم لايقضون صناعة الطبّ بالخطأ وهم يرون الطبيب يخطيء ، ويقضون على العالم بالإهمال ولايرون شيئاً منه مهملاً . بل أعجب من أخلاق من ادّعى الحكمة حتّى جهلوا مواضعها في الخلق فأرسلوا ألسنتهم بالذمّ للخالق جلّ وعلا . بل العجب من المخذول « مانيّ » حين ادّعى علم الأسرار وعمي عن دلائل الحكمة في الخلق حتّى نسبه إلى الخطأ ونسب خالقه إلى الجهل تبارك الحليم الكريم . وأعجب منهم جميعاً المعطّلة الّذين راموا أن يدرك بالحسّ مالايدرك بالعقل فلمّا أعوزهم[٣] ذلك خرجوا إلى الجحود والتكذيب فقالوا : ولمَ لايدرك بالعقل ؟ قيل : لأنّه فوق مرتبة العقل كمالايدرك البصر ماهو فوق مرتبته فإنّك لورأيت حجراً يرتفع في الهواء علمت أنّ رامياً رمى به فليس هذا العلم من قبل البصر بل من قبل العقل لأنّ العقل هو الّذي يميّزه فيعلم أنّ الحجر لايذهب علواً من تلقاء نفسه ؛ أفلاترى كيف وقف البصر

---

(١) سنشير انشاءالله إلى مافي هذا النقل من الاختلاط والوهن .

(٢) وفي نسخة : فرسموس .

(٣) أعوزه أي أعجزه وصعب عليه نيله .

على حدّه فلم يتجاوزه ؟ فكذلك يقف العقل على حدّه من معرفة الخالق فلا يعدوه ولكن يعقله بعقل أقرّ أنّ فيه نفساً ولم يعاينها ولم يدركها بحاسّة من الحواسّ ، وعلى حسب هذا أيضاً نقول : إنّ العقل يعرف الخالق من جهة توجب عليه الإقرار ولا يعرفه بما يوجب له الإحاطة بصفته .

فإن قالوا : فكيف يكلّف العبد الضعيف معرفته بالعقل اللّطيف ولا يحيط به ؟ قيل لهم : إنّما كلّف العباد من ذلك ما في طاقتهم أن يبلغوه ، وهو أن يوقنوا به ويقفوا عند أمره ونهيه ، ولم يكلّفوا الإحاطة بصفته كما أنّ الملك لا يكلّف رعيّته أن يعلموا أطويل هو أم قصير ، أبيض هو أم أسمر[1] وإنما يكلّفهم الإذعان بسلطانه والانتهاء إلى أمره ؛ ألا ترى أنّ رجلاً لو أتى باب الملك فقال : أعرض عليّ نفسك حتّى أتقصّى معرفتك[2] وإلّا لم أسمع لك كان قد أحلّ نفسه العقوبة ، فكذا القائل : إنّه لا يقرّ بالخالق سبحانه حتّى يحيط بكنهه متعرّض لسخطه .

فإن قالوا : أو ليس قد نصفه فنقول : هو العزيز الحكيم الجواد الكريم ؟ قيل لهم : كلّ هذه صفات إقرار ، وليست صفات إحاطة ، فإنّا نعلم أنّه حكيم ولا نعلم بكنه ذلك منه ،[3] وكذلك قدير وجواد وسائر صفاته كما قد نرى السماء ولا ندري ما جوهرها ، ونرى البحر ولا ندري أين منتهاه ، بل فوق هذا المثال بما لا نهاية له لأنّ الأمثال كلّها تقصر عنه ولكنّها تقود العقل إلى معرفته .

فإن قالوا : ولمَ يختلف فيه ؟ قيل لهم : لقصر الأوهام عن مدى عظمته[4] وتعدّيها أقدارها في طلب معرفته ، وإنّها تروم الإحاطة به وهي تعجز عن ذلك وما دونه ، فمن ذلك هذه الشمس الّتي تراها تطلع على العالم ولا يوقف على حقيقة أمرها ، ولذلك كثرت الأقاويل فيها واختلفت الفلاسفة المذكورون في وصفها فقال بعضهم : هو فلك أجوف مملوّ ناراً ، له فمّ يجيش بهذا الوهج والشعاع ؛ وقال آخرون : هو سحابة ؛ وقال آخرون : هو جسم زجاجيّ يقبل ناريّة في العالم ويرسل عليه شعاعها ؛ وقال آخرون : هو صفو

(١) السمرة : لون بين السواد والبياض .
(٢) تقصى واستقصى المسألة : بلغ النهاية فى البحث عنها .
(٣) وفى نسخة : ولا نحيط بكنه ذلك منه .
(٤) المدى : الغاية والمنتهى .

لطيف ينعقدمن ماءالبحر؛ وقال آخرون : هوأجزاء كثيرةمجتمعةمن النار؛ وقال آخرون : هومن جوهر خامس سوى الجواهر الأربع . ثمّ اختلفوا في شكلها فقال بعضهم : هي بمنزلة صفيحة عريضة ؛ و قـال آخرون : هي كالكرة المدحرجة . وكذلك اختلفوا في مقدارها فزعم بعضهم أنّها مثل الأرض سواء ؛ وقال آخرون : بل هي أقلّ من ذلك ؛ وقال آخرون : هي أعظم من الجزيرة العظيمة . وقال أصحاب الهندسة : هي أضعاف الأرض مائة وسبعون مرّة . ففي اختلاف هذه الأقاويل منهم في الشمس دليل على أنّهم لم يقفوا على الحقيقة من أمرها ، وإذا كانت هذه الشمس الّتي يقع عليها البصر و يدركها الحسّ قدعجزت العقول عن الوقوف على حقيقتها فكيف ما لطف عن الحسّ واستتر عن الوهم؟ .

فإن قالوا : ولم استتر؟ قيل لهم : لم يستتر بحيلة يخلص إليها كمن يحتجب عن الناس بالأبواب والستور ، وإنّما معنى قولنا : استتر أنّـه لطف عن مدى ما تبلغه الأوهام ، كما لطفت النفس وهي خلق من خلقه وارتفعت عن إدراكها بالنظر .

فإن قالوا : ولم لطف ؟ ـ وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً ـ كان ذلك خطأً من القول لأنّه لايليق بالّذي هو خالق كلّ شيء إلّا أن يكون مبائناً لكلّ شيء ، متعالياً عن كلّ شيء ؛ سبحانه و تعالى .

فإن قالوا : كيف يعقل أن يكون مبائناً لكلّ شيء متعالياً ؟ قيل لهم : الحقّ الّذي تطلب معرفته من الأشياء هو أربعة أوجه : فأوّلها أن ينظر أموجود هو أم ليس بموجود والثاني أن يعرف ما هو في ذاته وجوهره . والثالث أن يعرف كيف هو وما صفته ؟ والرابع أن يعلم لماذا هو ولأيّة علّة ؟ فليس من هذه الوجوه شيء يمكن المخلوق أن يعـرفه من الخالق حقّ معرفته غير أنّـه موجود فقط . فإذا قلنا : كيف وما هو ؟ فممتنع علم كنهه و كمال المعرفة به ؛ وأمّا لماذا هو فساقط في صفة الخالق لأنّـه جلّ ثناؤه علّة كلّ شيء و ليس شيء بعلّة له ؛ ثمّ ليس علم الإنسان بأنّـه موجود يوجب له أن يعلم ما هو كما أنّ علمه بوجود النفس لايوجب أن يعلم ما هي وكيف هي ، وكذلك الاُمور الروحـانيّة اللّطيفة .

فإن قالوا : فأنتم الآن تصفون من قصور العلم عنه وصفاً حتّى كأنّه غير معلوم ! قيل لهم : هو كذلك من جهة إذا رام العقل معرفة كنهه والإحاطة به ، وهو من جهة اُخرى أقرب من كلّ قريب إذا استدلّ عليه بالدلائل الشافية فهو من جهة كالواضح لا يخفى على أحد ، وهو من جهة كالغامض لا يدركه أحد ، وكذلك العقل أيضاً ظاهر بشواهد ومستور بذاته .

فأمّا أصحاب الطبائع فقالوا : إنّ الطبيعة لا تفعل شيئاً لغير معنى ولا تتجاوز عمّا فيه تمام الشيء في طبيعته ، وزعموا أنّ الحكمة تشهد بذلك .[1] فقيل لهم : فمن أعطى الطبيعة هذه الحكمة والوقوف على حدود الأشياء بلا مجاوزة لها ، وهذا قد تعجز عنه العقول بعد طول التجارب ؟ فإن أوجبوا للطبيعة الحكمة والقدرة على مثل هذه الأفعال فقد أقرّوا بما أنكروا لإنّ هذه هي صفات الخالق ، وإن أنكروا أن يكون هذا للطبيعة فهذا وجه الخلق يهتف بأنّ الفعل لخالق الحكيم .

وقد كان من القدماء طائفة أنكروا العمد والتدبير في الأشياء و زعموا أنّ كونها بالعرض والاتّفاق ، وكان ممّا احتجّوا به هذه الآفات الّتي تلد غير مجرى العرف والعادة كالإنسان يولد ناقصاً أو زائداً إصبعاً ، أو يكون المولود مشوّهاً[2] مبدل الخلق ، فجعلوا هذا دليلاً على أنّ كون الأشياء ليس بعمد وتقدير ، بل بالعرض كيف ما اتّفق أن يكون. وقد كان أرسطاطاليس ردّ عليهم فقال : إنّ الّذي يكون بالعرض والاتّفاق إنّما هو شيء يأتي في الفرط مرّة لأعراض تعرض للطبيعة فتزيلها عن سبيلها ، وليس بمنزلة الاُمور الطبيعيّة الجارية على شكل واحد جرياً دائماً متتابعاً .

و أنت يا مفضّل ترى أصناف الحيوان أن يجري أكثر ذلك على مثال و منهاج واحد كالإنسان يولد وله يدان و رجلان وخمس أصابع كما عليه الجمهور من الناس ، فأمّا ما يولد على خلاف ذلك فإنّه لعلّة تكون في الرحم أو في المادّة الّتي ينشأ منها الجنين ، كما يعرض في الصناعات حين يتعمّد الصانع الصواب في صنعته فيعوق دون ذلك[3]

(١) وفي نسخة : وزعموا أن المحنة تشهد بذلك .
(٢) أي مقبحاً .
(٣) عاقه يعوقه عن كذا : صرفه وثبطه وأخره عنه . والعائق : كل ما عاقك وشغلك .

عائق في الأداة أو في الآلة الّتي يعمل فيها الشيء، فقد يحدث مثل ذلك في أولاد الحيوان للأسباب الّتي وصفنا فيأتي الولد زائداً أو ناقصاً أو مشوّهاً ويسلم أكثرها فيأتي سويّاً لاعلّة فيه، فكما أنّ الّذي يحدث في بعض الأعمال الأعراض[1] لعلّة فيه لاتوجب عليها جميعاً الإهمال وعدم الصانع كذلك مايحدث على بعض الأفعال الطبيعيّة لعائق يدخل عليها لايوجب أن يكون جميعها بالعرض والاتّفاق، فقول من قال في الأشياء: إنّ كونها بالعرض و الاتّفاق من قبل أنّ شيئاً منها يأتي على خلاف الطبيعة يعرض له خطأ و خطل.

فإن قالوا: ولمَ صار مثل هذا يحدث في الأشياء؟ قيل لهم: ليعلم أنّه ليس كون الأشياء باضطرار من الطبيعة، ولايمكن أن يكون سواه كما قال قائلون، بل هو تقدير وعمد من خالق حكيم، إذجعل الطبيعة تجري أكثر ذلك على مجرى ومنهاج معروف، ويزول أحياناً عن ذلك لأعراض تعرض لها فيستدلّ بذلك على أنّها مصرّفة مدبّرة فقيرة إلى إبداء الخالق وقدرته في بلوغ غايتها وإتمام عملها تبارك الله أحسن الخالقين.

يامفضّل خذ ما آتيتك واحفظ مامنحتك، وكن لربّك من الشاكرين ولآلائه من الحامدين، ولأوليائه من المطيعين، فقد شرحت لك من الأدلّة على الخلق والشواهد على صواب التدبير والعمد قليلاً من كثير، وجزءاً من كلّ فتدبّره وفكّر فيه واعتبر به. فقلت: بمعونتك يامولاي أقوى على ذلك وأبلغه إن شاء الله؛ فوضع يده على صدري فقال: احفظ بمشيّة الله ولاتنس إن شاء الله.

فخررت مغشيّاً عليّ فلمّا أفقت قال: كيف ترى نفسك يا مفضّل؟ فقلت: قد استغنيت بمعونة مولاي و تأييده عن الكتاب الّذي كتبته، وصار ذلك بين يديّ كأنّما أقرأه من كفّي، ولمولاي الحمد والشكر كما هو أهله ومستحقّه.

فقال: يامفضّل فرّغ قلبك واجمع إليك ذهنك وعقلك وطمأنينتك فسأُلقي إليك من علم ملكوت السماوات والأرض، وما خلق الله بينهما، وفيهما من عجائب خلقه و أصناف الملائكة وصفوفهم ومقاماتهم و مراتبهم إلى سدرة المنتهى، وسائر الخلق من

---

(١) وفي نسخة: فكما ان الذى يحدث في بعض الاعمال للاعراض.

الجنّ والإنس إلى الأرض السابعة السفلى وماتحت الثرى حتّى يكون ما وعيته جزءاً من أجزاء ؛ انصرف إذاشئت مصاحباًمكلوءاً [(١)] فأنت منّا بالمكان الرفيع ، وموضعك من قلوب المؤمنين موضع الماء من الصدى ، ولا تسألن عمّا وعدتك حتّى أُحدث لك منه ذكراً .

قال المفضّل : فانصرفت من عند مولاي بمالم ينصرف أحد بمثله .

بيان : جاش البحر والقدر وغيرهما يجيش جيشاً : غلا . قوله عليه السلام : قال : أصحاب الهندسة أقول : المشهور بين متأخّريهم أنّ جرم الشمس مائة وستّة وستّون مثلاً وربع وثمن لجرم الأرض ، وما ذكره عليه السلام لعلّه كان مذهب قدمائهم مع أنّه قريب من المشهور ، والاختلاف بين قدمائهم و متأخّريهم في أمثال ذلك كثير . قوله عليه السلام : الحقّ الّذي أي الأمور الحقّة الثابتة الّتي تطلب معرفتها من بين الأشياء . و في بعض النسخ لحقّ أي مايحقّ و ينبغي أن تطلب معرفته من أحوال الأشياء هو أربعة أوجه . و قال الجوهريّ : قولهم لقيته في الفرط بعد الفرط أي الحين بعد الحين . و الصدى بالفتح : العطش .

ثمّ اعلم أنّ بعض تلك الفقرات تؤمي إلى تجرّد النفس ، والله يعلم وحججه صلوات الله عليهم أجمعين . [(٢)]

---

(١) أى محفوظا .

(٢) بل الى وجود امور اخرى غير النفس مجردة كمايشعر به قوله : وكذلك الامور الروحانية اللطيفة ومنه يظهر أن وصف شيء بأنه روحاني أو لطيف في الاخبار يشعر بتجرده . ط

﴿باب ٥﴾

الخبر المروى عن المفضل بن عمر في التوحيد المشتهر بالاهليلجة

حدّثني محرز بن سعيد النحوي بدمشق قال : حدّثني محمّد بن أبي مسهر[1] بالرملة ، عن أبيه ، عن جدّه قال : كتب المفضّل بن عمر الجعفي إلى أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام يُعلمه أنّ أقواماً ظهروا من أهل هذه الملّة يجحدون الربوبيّة ، ويجادلون على ذلك ، ويسأله أن يردّ عليهم قولهم ، ويحتجّ عليهم فيما ادّعوا بحسب ما احتجّ به على غيرهم . فكتب أبوعبدالله عليه السلام :

بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد وفّقنا الله وإيّاك لطاعته ، وأوجب لنا بذلك رضوانه برحمته ؛ وصل كتابك تذكر فيه ماظهر في ملّتنا ، و ذلك من قوم من أهل الإلحاد بالربوبيّة قد كثرت عدّتهم و اشتدّت خصومتهم ، و تسأل أن أصنع للردّ عليهم والنقض لما في أيديهم كتاباً على نحو مارددت على غيرهم من أهل البدع والاختلاف ، ونحن نحمدالله على النعم السابغة والحجج البالغة والبلاء المحمود عند الخاصّة والعامّة فكان من نعمه العظام و آلائه الجسام الّتي أنعم بها تقريره قلوبهم بربوبيّته ، وأخذه ميثاقهم بمعرفته ، وإنزاله عليهم كتاباً فيه شفاء لما في الصدور من أمراض الخواطر و مشتبهات الاُمور ، ولم يدع لهم ولا لشيء من خلقه حاجة إلى من سواه ، واستغنى عنهم ، وكان الله غنيّاً حميداً .

ولعمري ما اُتي الجهّال من قبل ربّهم و أنّهم ليرون الدلالات الواضحات و العلامات البيّنات في خلقهم ، و مايعاينون من ملكوت السماوات و الأرض و الصنع العجيب المتقن الدالّ على الصانع ، ولكنّهم قوم فتحوا على أنفسهم أبواب المعاصي ، وسهّلوا لها سبيل الشهوات ، فغلبت الأهواء على قلوبهم ، واستحوذ الشيطان بظلمهم عليهم ، و كذلك يطبع الله على قلوب المعتدين . و العجب من مخلوق يزعم أنّ الله يخفى على عباده و هو يرى أثر الصنع في نفسه بتركيب يبهر عقله ، و تأليف يبطل حجّته[2]

---

(١) وفي نسخة : محمد بن أبي مشتهر .

(٢) وفي نسخة : وتاليف يبطل جحوده .

ولعمري لو تفكّروا في هذه الأمور العظام لعاينوا من أمر التركيب البيّن، ولطف التدبير الظاهر، و وجود الأشياء مخلوقة بعد أن لم تكن، ثمّ تحوّلها من طبيعة إلى طبيعة، وصنيعة بعد صنيعة، مايدلّهم ذلك على الصانع فإنّه لايخلو شيء منها من أن يكون فيه أثر تدبير وتركيب يدلّ على أنّ له خالقاً مدبّراً، وتأليف بتدبير يهدي إلى واحد حكيم.

وقد وافاني كتابك ورسمت لك كتاباً كنت نازعت فيه بعض أهل الأديان من أهل الإنكار، وذلك أنّه كان يحضرني طبيب من بلاد الهند، و كان لايزال ينازعني في رأيه، و يجادلني على ضلالته، فبينا هو يوماً يدقّ إهليلجةً ليخلطها دواءاً احتجت[1] إليه من أدويته، إذ عرض له شيء من كلامه الّذي لم يزل ينازعني فيه من ادّعائه أنّ الدنيا لم تزل و لاتزال شجرة تنبت وأُخرى تسقط، نفس تولد وأُخرى تتلف، و زعم أنّ انتحالي المعرفة لله تعالى دعوى لابيّنة لي عليها، ولاحجّة لي فيها، وأنّ ذلك أمر أخذه الآخر عن الأوّل، والأصغر عن الأكبر، وأنّ الأشياء المختلفة والمؤتلفة والباطنة و الظاهرة إنّما تعرف بالحواسّ الخمس: نظر العين؛ وسمع الأذن؛ وشمّ الأنف؛ وذوق الفم؛ ولمس الجوارح؛ ثمّ قاد[2] منطقه على الأصل الّذي وضعه فقال: لم يقع شيء من حواسّي على خالق يؤدّي إلى قلبي، إنكاراً لله تعالى.

ثمّ قال: أخبرني بِمَ تحتجّ في معرفة ربّك الّذي تصف قدرته و ربوبيّته، و إنّما يعرف القلب الأشياء كلّها بالدلالات الخمس الّتي وصفت لك؟ قلت: بالعقل الّذي في قلبي، و الدليل الّذي أحتجّ به في معرفته.

قال: فأنّى يكون ما تقول وأنت تعرف أنّ القلب لايعرف شيئاً بغير الحواسّ الخمس؟ فهل عاينت ربّك ببصر، أو سمعت صوته بأُذن، أو شممتة بنسيم، أو ذقته بفم، أو مسسة بيد فأدّى ذلك المعرفة إلى قلبك؟ قلت: أرأيت إذ أنكرت الله وجحدته[3]

---

(١) وفي نسخة: احتاج.

(٢) قاد الدابة: مشى أمامها آخذاً بقيادها.

(٣) وفي نسخة: إذا أنكرت الله وجحدته.

ـ لأنّك زعمت أنّك لاتحسّه بحواسّك الّتي تعرف بها الأشياء ـ وأقررت أنا به هل بدٌّ من أن يكون أحدنا صادقاً والآخر كاذباً ؟ قال : لا .

قلت : أرأيت إن كان القول قولك فهل يخاف عليَّ شيء ممّا اُخوّفك به من عقاب الله ؟ قال : لا.

قلت : أفرأيت إن كان كما أقول والحقّ في يدي ألست قد أخذت فيما كنت اُحاذر من عقاب الخالق بالثقة وأنّك قد وقعت بجحودك وإنكارك في الهلكة ؟ قال : بلى .

قلت : فأيّنا أولى بالحزم و أقرب من النجاة ؟ قال : أنت ، إلّا أنّك من أمرك على ادّعاء و شبهة ، و أنا على يقين وثقة ، لأنّي لاأرى حواسّي الخمس أدركته ، و ما لم تدركه حواسّي فليس عندي بموجود .

قلت : إنّه لمّا عجزت حواسّك عن إدراك الله أنكرته ، وأنا لمّا عجزت حواسّي عن إدراك الله تعالى صدّقت به .

قال : وكيف ذلك ؟ قلت : لأنّ كلّ شيء جرى فيه أثر تركيب لَجسم ، أو وقع عليه بصر لَلون فما أدركته الأبصار ونالته الحواسّ فهو غير الله سبحانه لأنّه لايشبه الخلق ، وأنّ هذا الخلق ينتقل بتغيير وزوال ، وكلّ شيء أشبه التغيير والزوال فهو مثله ، وليس المخلوق كالخالق ولا المحدَث كالمحدِث .

شرح : قوله عليه السلام : والبلاء المحمود عند الخاصّة والعامّة أي النعمة الّتي يحمدها ويقرُّ بها الخاصُّ والعامُّ لنا وهو العلم ، أو النعم الّتي شملت الخاصَّ و العامَّ كما سيفصّله عليه السلام بعد ذلك . قوله عليه السلام : ما اُتي الجهّال أي ماأتاهم الضرر والهلاك إلّا من قبلهم . قال الفيروز آباديُّ : أتى كعنى أشرف عليه العدوّ . و قال الجزريّ : في حديث أبي هريرة : في العدوى إنّي قلت أتيت . أي دهيت وتغيّر عليك حسّك فتوهّمت ماليس بصحيح صحيحاً . قوله عليه السلام : استحوذ الشيطان أي غلب و استولى . قوله عليه السلام : و صنيعة أي احسان ، ويحتمل أن يراد بها هنا الخلقة المصنوعة . قوله عليه السلام : لجسم بفتح اللام أي ألبتّة هو جسم . وكذا قوله : للون . ويدلّ على أنّ التركيب الخارجيّ إنّما يكون في الجسم و أنَّ المبصر بالذات هو اللّون . قوله عليه السلام : أشبه التغيير أي المتغيّر ، أوذا التغيير بتقدير مضاف .

متن : قال : إنّ هذا لقول ، ولكنّي لمنكر مالم تدركه حواسّي فتؤدّيه إلى قلبي ؛ فلمّا اعتصم بهذه المقالة ولزم هذه الحجّة قلت : أمّا إذ أبيت إلّا أن تعتصم بالجهالة ، وتجعل المحاجزة حجّة فقد دخلت في مثل ماعبت وامتثلت ماكرهت ، حيث قلت : إنّي اخترت الدعوى لنفسي لأنّ كلّ شيء لم تدركه حواسّي عندي بلاشيء .

قال : وكيف ذلك ؟ قلت : لأنّك نقمت على الادّعاء و دخلت فيه فادّعيت أمراً لم تحط به خبراً ولم تقله علماً فكيف استجزت لنفسك الدعوى في إنكارك الله ، ودفعك أعلام النبوّة و الحجّة الواضحة وعبتها عليّ ؟ أخبرني هل أحطت بالجهات كلّها وبلغت منتهاها ؟ قال : لا . قلت : فهل رقيت إلى السماء الّتي ترى ؟ أو انحدرت إلى الأرض السفلى فجلت في أقطارها ؟[١] أوهل خضت في غمرات البحور[٢] واخترقت نواحي الهواء فيما فوق السماء وتحتها إلى الارض وما أسفل منها فوجدت ذلك خلاءً من مدبّر حكيم عالم بصير ؟ قال : لا . قلت : فما يدريك لعلّ الّذي أنكره قلبك هو في بعض ما لم تدركه حواسّك ولم يحط به علمك .

قال : لاأدري لعلّ في بعض ماذكرت مدبّراً ، وما أدري لعلّه ليس في شيء من ذلك شيء ؛ قلت : أمّا إذ خرجت من حدّ الإنكار إلى منزلة الشكّ فإنّي أرجو أن تخرج إلى المعرفة .

قال : فإنّما دخل عليّ الشكّ لسؤالك إيّاي عمّا لم يحط به علمي ، ولكن من أين يدخل عليّ اليقين بما لم تدركه حواسّي ؟ قلت : من قبل إهليلجتك هذه .

قال : ذاك إذاً أثبت للحجّة ، لأنّها من آداب الطبّ الّذي اُذعن بمعرفته[٣] قلت : إنّما أردت آن آتيك به من قبلها لأنّها أقرب الأشياء إليك ، ولو كان شيء أقرب إليك منها لأتيتك من قبله ،[٤] لأنّ في كلّ شيء أثر تركيب وحكمة ، وشاهداً يدلّ على

---

(١) وفى نسخة : فدرت فى أقطارها .

(٢) وفى نسخة : هل غصت فى غمرات البحور .

(٣) و فى نسخة : لانها من أداة الطب الذى أدعى معرفته .

(٤) وفى نسخة : لانبأتك من قبله .

الصنعة الدالّة على من صنعها ولم تكن شيئاً ، و يهلكها حتّى لا تكون شيئاً . قلت : فأخبرني هل ترى هذه إهليلجة ؟ قال : نعم .

قلت : أفترى غيب ما في جوفها ؟ قال : لا . قلت : أفتشهد أنّها مشتملة على نواة ولا تراها ؟ قال : مايدريني لعلّ ليس فيها شيء . قلت : أفترى أنّ خلف هذا القشر من هذه الإهليلجة غائب لم تره من لحم أو ذي لون ؟ قال : ما أدري لعلّ ما ثَمّ غير ذي لون ولا لحم . قلت : أفتقرّ أنّ هذه الإهليلجة الّتي تسمّيها الناس بالهند موجودة ؟ لاجتماع أهل الاختلاف من الاُمم على ذكرها . قال : ما أدري لعلّ ما اجتمعوا عليه من ذلك باطل ! قلت : أفتقرّ أنّ الإهليلجة في أرض تنبت ؟ قال : تلك الأرض وهذه واحدة وقد رأيتها . قلت : أفما تشهد بحضور هذه الإهليلجة على وجود ماغاب من أشباهها ؟ قال : ما أدري لعلّه ليس في الدنيا إهليلجة غيرها . فلمّا اعتصم بالجهالة قلت : أخبرني عن هذه الإهليلجة أتقرّ أنّها خرجت من شجرة ، أو تقول : إنّها هكذا وجدت ؟ قال : لا بل من شجرة خرجت . قلت : فهل أدركت حواسّك الخمس ماغاب عنك من تلك الشجرة ؟ قال : لا . قلت : فما أراك إلّا قد أقررت بوجود شجرة لم تدركها حواسّك . قال : أجل ولكنّي أقول : إنّ الإهليلجة والأشياء المختلفة[1] شيء لم تزل تدرك ، فهل عندك في هذا شيء تردّ به قولي ؟ قلت : نعم أخبرني عن هذه الإهليلجة هل كنت عاينت شجرتها وعرفتها قبل أن تكون هذه الإهليلجة فيها ؟ قال : نعم . قلت : فهل كنت تعاين هذه الإهليلجة ؟ قال : لا . قلت : أفما تعلم أنّك كنت عاينت الشجرة وليس فيها الإهليلجه ، ثمّ عدت إليها فوجدت فيها الإهليلجة أفما تعلم أنّه قد حدث فيها ما لم تكن ؟ قال ما أستطيع أن اُنكر ذلك ولكنّي أقول : إنّها كانت فيها متفرّقة . قلت : فأخبرني هل رأيت تلك الإهليلجة الّتي تنبت منها شجرة هذه الإهليلجة قبل أن تغرس ؟ قال : نعم . قلت : فهل يحتمل عقلك أنّ الشجرة الّتي تبلغ أصلها وعروقها وفروعها ولحاؤها وكلّ ثمرة جنيت ،[2] و ورقة سقطت ألف ألف رطل كانت كامنة في هذه الإهليلجة ؟ قال : ما

---

(١) وفي نسخة : والاشياء المؤتلفة .

(٢) جنى الثمر : تناوله من شجرته .

يحتمل هذا العقل ولايقبله القلب . قلت : أقررت أنّها حدثت في الشجرة ؟ قال : نعم و لكنّي لا أعرف أنّها مصنوعة فهل تقدر أن تقرّرني بذلك ؟ قلت : نعم أرأيتَ أنّي إن أريتك تدبيراً أتقرّ أنّ له مدبّراً ، وتصويراً أنّ له مصوّراً ؟ . قال : لابدّ من ذلك .

قلت : ألست تعلم أنّ هذه الإهليلجة لحم ركّب على عظم فوضع في جوف متّصل[1] بغصن مركّب على ساق يقوم على أصل فيقوى بعروق من تحتها على جرم متّصل بعض ببعض؟ قال : بلى . قلت : ألست تعلم أنّ هذه الإهليلجة مصوّرة بتقدير و تخطيط ، وتأليف و تركيب وتفصيل متداخل بتأليف شيء في بعض شيء ، به طبق بعد طبق وجسم على جسم ولون مع لون ، أبيض في صفرة ، ولين على شديد ،[2] في طبائع متفرّقة ، وطرائق مختلفة ، و أجزاء مؤتلفة مع لحاء تسقيها ، و عروق يجري فيها الماء ، و ورق يسترها وتقيها من الشمس أن تحرقها ، ومن البرد أن يهلكها ، والريح أن تذبلها ؟[3] قال : أفليس لو كان الورق مطبقاً عليها كان خيراً لها ؟ قلت : الله أحسن تقديراً لو كان كما تقول لم يصل إليها ريح يروّحها ، ولا برد يشدّدها ، ولعفنت عند ذلك ، ولو لم يصل إليها حرّ الشمس لما نضجت ، ولكن شمس مرّة و ريح مرّة وبرد مرّة قدّر الله ذلك بقوّة لطيفة ودبّره بحكمة بالغة .

قال : حسبي من التصوير فسّر لي التدبير الّذي زعمت أنّك ترينه . قلت : أرأيت الإهليلجة قبل أن تعقد إذ هي في قمعها ماء بغير نواة ولا لحم ولا قشر ولا لون ولا طعم ولا شدّة ؟ قال : نعم . قلت : أرأيت لو لم يرفق الخالق ذلك الماء الضعيف الّذي هو مثل الخردلة في القلّة والذلّة ولم يقوّه بقوّته ويصوّره بحكمته ويقدّره بقدرته هل كان ذلك الماء يزيد على أن يكون في قمعه غير مجموع بجسم وقمع وتفصيل ؟ فإن زاد زاد ماءاً متراكباً غير مصوّر ولا مخطّط ولا مدبّر بزيادة أجزاء ولا تأليف أطباق . قال : قد أريتني من تصوير شجرتها وتأليف خلقتها وحمل ثمرتها وزيادة أجزائها وتفصيل تركيبها أوضح

---

(١) وفي نسخة : موضوع على جرم متصّل .

(٢) في نسخة : ولين مع لين ولين على شدة .

(٣) ذبل النبات . قل ماؤه وذهبت نضارته .

الدلالات ، و أظهر البيّنة على معرفة الصانع ، ولقد صدّقت بانّ الأشياء مصنوعة ، و لكنّي لاأدري لعلّ الإهليلجة والأشياء صنعت أنفسها ؟ قلت : أولست تعلم أنّ خالق الأشياء والإهليلجة حكيم عالم بماعاينت من قوّة تدبيره ؟ قال : بلى . قلت : فهل ينبغي للّذي هو كذلك أن يكون حدثاً ؟ قال : لا . قلت : أفلست قد رأيت الإهليلجة حين حدثت وعاينتها بعد أن لم تكن شيئاً ثمّ هلكت كأن لم تكن شيئاً ؟ قال : بلى ، وإنّما أعطيتك أنّ الإهليلجة حدثت ولم أعطك أن الصانع لايكون حادثاً لايخلق نفسه . قلت : ألم تعطني أنّ الحكيم الخالق لايكون حدثاً ، وزعمت أنّ الإهليلجة حدثت ؟ فقد أعطيتني أنّ الإهليلجة مصنوعة ، فهو عزّ وجلّ صانع الإهليلجة ، وإن رجعت إلى أن تقول : إنّ الإهليلجة صنعت نفسها ودبّرت خلقها فمازدت أن أقررت بما أنكرت ، ووصفت صانعاً مدبّراً أصبت صفته ، و لكنّك لم تعرفه فسمّيته بغير اسمه . قال : كيف ذلك ؟ قلت : لإنّك أقررت بوجود حكيم لطيف مدبّر ، فلمّا سألتك من هو ؟ قلت : الإهليلجة . قد أقررت بالله سبحانه ، ولكنّك سمّيته بغير اسمه ، ولو عقلت و فكّرت لعلمت أنّ الإهليلجة أنقص قوّة من أن تخلق نفسها ، وأضعف حيلةً من أن تدبّر خلقها .

قال : هل عندك غير هذا ؟ قلت : نعم ؛ أخبرني عن هذه الإهليلجة الّتي زعمت أنّها صنعت نفسها ودبّرت أمرها كيف صنعت نفسها صغيرة الخلقة ، صغيرة القدرة ، ناقصة القوّة ، لاتمتنع أن تكسر وتعصر وتؤكل ؟ وكيف صنعت نفسها مفضولة مأكولة مرّة قبيحة المنظر لابهاء لها ولاماء ؟ قال : لأنّها لم تقو إلّا على ماصنعت نفسها أولم تصنع إلّا ما هويت . قلت : أمّا إذ أبيت إلّا التمادي في الباطل فأعلمني متى خلقت نفسها و دبّرت خلقها قبل أن تكون أوبعد أن كانت ؟ فإن زعمت أنّ الإهليلجة خلقت نفسها بعد ما كانت فإنّ هذا لمَن أبين المحال ! كيف تكون موجودة مصنوعة ثمّ تصنع نفسها مرّة اُخرى ؟ فيصير كلامك إلى أنّها مصنوعة مرّتين ؛ ولإن قلت : إنّها خلقت نفسها و دبّرت خلقها قبل أن تكون إنّ هذا من أوضح الباطل وأبين الكذب ؛ لأنّها قبل أن تكون ليس بشيء ، فكيف يخلق لاشيء شيئاً ؟ وكيف تعيب قولي : إنّ شيئاً يصنع لا شيئاً ، ولاتعيب قولك : إنّ لاشيء يصنع لاشيئاً ؟ فانظر أيّ القولين أولى بالحقّ ؟ قال :

قولك . قلت : فما يمنعك منه ؟ قال : قد قبلته واستبان لي حقّه وصدقه بأنّ الأشياء المختلفة والإهليلجة لم يصنعن أنفسهنّ ، ولم يدبّرن خلقهنّ ، ولكنّه تعرّض لي أنّ الشجرة هي الّتي صنعت الإهليلجة لأنّها خرجت منها . قلت : فمن صنع الشجرة ؟ قال : الإهليلجة الاُخرى ! قلت : اجعل لكلامك غاية أنتهي إليها فإمّا أن تقول : هو الله سبحانه فيقبل منك ، وإمّا أن تقول : الإهليلجة فنسألك .

قال : سل . قلت : أخبرني عن الإهليلجة هل تنبت منها الشجرة إلّا بعدما ماتت وبليت وبادت ؟ قال : لا . قلت : إنّ الشجرة بقيت بعد هلاك الإهليلجة مائة سنة ، فمن كان يحميها ويزيد فيها ، ويدبّر خلقها ويربّيها ، وينبت ورقها ؟ مالك بدٌّ من أن تقول : هو الّذي خلقها ، ولإن قلت : الإهليلجة وهي حيّة قبل أن تهلك وتبلى وتصير تراباً ، وقد ربّت الشجرة وهي ميتة أنّ هذا القول مختلف . قال : لا أقول : ذلك . قلت أفتقرُّ بأنّ الله خلق الخلق أم قد بقي في نفسك شيء من ذلك ؟ قال : إنّي من ذلك على حدّ وقوف ما أتخلّص إلى أمر ينفذ لي فيه الأمر . قلت : أمّا إذ أبيت إلّا الجهالة وزعمت أنّ الأشياء لا يدرك إلّا بالحواسّ فإنّي اُخبرك أنّه ليس للحواسّ دلالة على الأشياء ، ولا فيها معرفة إلّا بالقلب ، فإنّه دليلها و معرّفها الأشياء الّتي تدّعي أنّ القلب لا يعرفها إلّا بها .

شرح : قوله عليه السلام : وامتثلت قال الفيروزآباديّ : امتثل طريقته : تبعها فلم يعدها. قوله : نقمت عليّ أي عبت وكرهت . قوله : من لحم قال الفيروزآباديّ : لحم كلّ شيء لبّه . قوله تلك الأرض أي أشار إلى الأرض ، وقال اُقرُّ بوجود هذه الأرض الّتي أرى ، والإهليلجة الواحدة الّتي في يدي . قوله : كانت فيها متفرّقة لعلّه اختار مذهب إنكساغورس ومن تبعه من الدهريّة القائلين بالكمون والبروز ، وأنّ كلّ شيء كامن ؛ و يؤمي إليه جوابه . قوله عليه السلام : في قمعها قال الفيروزآباديّ : القمع محرّكة : بثرة تخرج في اُصول الأشفار ، وقال : القمع بالفتح والكسر وكعنب : ماالتزق بأسفل التمرة والبسرة ونحوهما انتهى . وعلى التقديرين اُستعير لما يبدو من الإهليلجة ابتداءاً في شجرها من القشرة الرقيقة الصغيرة الّتي فيها ماء ، والأوّل أبلغ . قوله عليه السلام : غير مجموع بجسم أي هل كان يزيد بغير أن يضمّ إليه جسم آخر من خارج ، أو قمع آخر مثله ، أو بغير قمعه

أي قلعه وتفصيله أي تفريقه ليدخل فيه شيء أويضمّ إلى شيء . قوله عليه السلام : فإن زاد أي فإن سلم أنّه كان يمكن أن يزيد بطبيعته بغير ماذكر كانت زيادته ماءاً متراكباً بعضه فوق بعض فقط كما كان أوّلاً لابتخطيط وتصوير وتدبير وتأليف إذ يحكم العقل بديهة أنّ مثل تلك الأفاعيل المختلفة المنطبقة على قانون الحكمة لاتصدر عن طبيعة عادمة للشعور و الإرادة . قوله عليه السلام : فهل ينبغي إشارة إلى مايحكم به الوجدان من أنّ من كان على هذا المبلغ من العلم والحكمة والتدبير لايكون ممكناً محدَثاً محتاجاً في العلم وسائر الاُمور إلى غيره ، إلّا أن يفيض عليه من العالم بالذات ، وهو إقرار بالصانع . قوله : ولم أعطك . غفل الهنديّ عمّا كان يلزم من اعترافيه . قوله عليه السلام : وإن رجعت أي إن قلت : إنّ الصانع القديم الحكيم هو طبيعة الإهليلجة صنعت هذا الشخص منها فقد أقررت بالصانع و سمّيته الطبيعة ، إذ هي غير حكيم ولاذات إرادة فقد أقررت بالصانع وأخطأت في التسمية ، أو المراد أنّك بعد الاعتراف بالخالق الحكيم القديم لو قلت : إنّه هذه الإهليلجة فقد أقررت بما أنكرت أي نقضت قولك الأوّل ، وقلت بالنقيضين ، ولامحمل لتصحيحه إلّا أن تقول : سمّيت ماأقررت به بهذا الاسم ، وهذا لايضرّنا بعد ماتيسّر لنا من إقرارك ؛ ويحتمل أن يكون هذا كلاماً على سبيل الاستظهار في المجادلة أي إن تنزّلنا عمّا أقررت به من قدم الحكيم وحدوث الإهليلجة يكفينا إقرارك بكون الخالق حكيماً ، إذ معلوم أنّها ليست كذلك ، فقد سمّيت الصانع الحكيم بهذا الاسم . قوله عليه السلام : مفضولة إذ ظاهر أنّ كثيراً من المخلوقات أفضل وأشرف منها . قوله عليه السلام : هو الّذي خلقها أي لابدّ أن يكون مربّيها هو خالقها ، فإن قلت : إنّ الخالق و المربّي واحد و هي الإهليلجة خلقت عند كونها حيّة ، وربّت بعد موتها فالقول مختلف إذ خلقها تدريجيٌّ ، وعند خلق أيّ مقدار من الشجرة لابدّ من انقلاب بعضها شجرة فلم تكن الإهليلجة باقية بعد تمام خلق ذلك المقدار ، والخلق والتربية ممزوجان لايصلح القول بكونها حيّة عند أحدهما ميتة عند الآخر ؛ و يحتمل أن يكون المراد أنّ القول بأنّ الخالق والمربّي واحد و القول بأنّ الإهليلجة بعد موتها ربّت متنافيان ؛ لأنّ موتها عبارة عن استحالتها بشيء آخر، فالمربّي شيء آخر سوى الإهليلجة . وفي بعض النسخ : وقد رأيت الشجرة . قوله :

ما أتخلّص أي ما أصل إلى أمر يجري فيه أمري أي حكمي، ويمكنني أن أحكم بصحّته.
ثمّ لمّا علم عليه السلام أنّ سبب توقّفه اقتصاره على حكم الحواسّ بيّن عليه السلام أنّ الحواسّ داخلة تحت حكم العقل، ولابدّ من الرجوع إلى العقل في معرفة الأشياء.

متن: فقال: أمّا إذ نطقت بهذا فما أقبل منك إلّا بالتخليص والتفحّص منه بإيضاح وبيان وحجّة وبرهان. قلت: فأوّل ما أبدأ به أنّك تعلم أنّه ربّما ذهب الحواسّ، أو بعضها ودبّر القلب الأشياء الّتي فيها المضرّة والمنفعة من الاُمور العلانية والخفيّة فأمر بها ونهى فنفذ فيها أمره وصحّ فيها قضاؤه.

قال: إنّك تقول في هذا قولاً يشبه الحجّة، ولكنّي اُحبّ أن توضحه لي غير هذا الإيضاح. قلت: ألست تعلم أنّ القلب يبقى بعد ذهاب الحواسّ؟ قال: نعم ولكن يبقى بغير دليل على الأشياء الّتي تدلّ عليها الحواسّ قلت: أفلست تعلم أنّ الطفل تضعه اُمّه مضغة ليس تدلّه الحواسّ على شيء يسمع ولايبصر ولايذاق ولايلمس ولايشمّ؟ قال: بلى. قلت: فأيّة الحواسّ دلّته علي طلب اللّبن إذا جاع، والضحك بعد البكاء إذا روى من اللّبن؟ وأيّ حواسّ سباع الطير ولاقط الحبّ منها دلّها على أن تلقي بين أفراخها اللّحم والحبّ فتهوى سباعها إلى اللّحم، والآخرون إلى الحبّ؟ وأخبرني عن فراخ طير الماء ألست تعلم أنّ فراخ طير الماء إذا طرحت فيه سبحت، وإذا طرحت فيه فراخ طير البرّ غرقت والحواسّ واحدة، فكيف انتفع بالحواسّ طير الماء وأعانته على السباحة ولم تنتفع طير البرّ في الماء بحواسّها؟ وما بال طير البرّ إذا غمستها في الماء ساعة ماتت وإذا أمسكت طير الماء عن الماء ساعة ماتت؟ فلا أرى الحواسّ في هذا إلّا منكسرة عليك، ولاينبغي ذلك أن يكون إلّا من مدبّر حكيم جعل للماء خلقاً وللبرّ خلقاً.

أم أخبرني ما بال الذرّة الّتي لاتعاين الماء قطّ تطرح في الماء فتسبح، وتلقى الإنسان ابن خمسين سنة من أقوى الرجال وأعقلهم لم يتعلّم السباحة فيغرق؟ كيف لم يدلّه عقله ولبّه وتجاربه وبصره بالأشياء مع اجتماع حواسّه وصحّتها أن يدرك ذلك بحواسّه كما أدركته الذرّة إن كان ذلك إنّما يدرك بالحواسّ؟ أفليس ينبغي لك أن تعلم أنّ القلب الّذي هو معدن العقل في الصبيّ الّذي وصفت وغيره ممّا سمعت من الحيوان

هو الّذي يهيّج الصبيّ إلى طلب الرضاع ، والطير اللاّقط على لقط الحبّ ، والسباع على ابتلاع اللّحم ؟.

قال : لست أجد القلب يعلم شيئاً إلّا بالحواسّ ؛ قلت : أمّا إذ أبيت إلّا النزوع إلى الحواسّ فإنّا لنقبل نزوعك إليها بعد رفضك لها ، ونجيبك في الحواسّ حتّى يتقرّر عندك أنّها لاتعرف من سائر الأشياء إلّا الظاهر ممّا هو دون الربّ الأعلى سبحانه و تعالى ، فأمّا مايخفى ولايظهر فليست تعرفه ، و ذلك أنّ خالق الحواسّ جعل لها قلباً احتجّ به على العباد ، وجعل للحواسّ الدلالات على الظاهر الّذي يستدلّ بها على الخالق سبحانه ، فنظرت العين إلى خلق متّصل بعضه ببعض فدلّت القلب على ماعاينت ، وتفكّر القلب حين دلّته العين على ماعاينت من ملكوت السماء وارتفاعها في الهواء بغير عمد يرى ، ولادعائم تمسكها لاتؤخّر مرّة فتنكشط ، ولاتقدّم اُخرى فتزول ، ولاتهبط مرّة فتدنو، ولاترتفع اُخرى فتنأى ،[1] لاتتغيّر لطول الأمد ولاتخلق[2] لاختلاف اللّيالي والأيّام ، ولاتتداعى منها ناحية ، ولاينهار منها طرف ، مع ماعاينت من النجوم الجارية السبعة المختلفة بمسيرها لدوران الفلك ، وتنقّلها في البروج يوماً بعد يوم ، وشهراً بعد شهر وسنة بعد سنة ، منها السريع ، ومنها البطيء ، ومنها المعتدل السير ، ثمّ رجوعها واستقامتها ، وأخذها عرضاً وطولاً ، وخنوسها عند الشمس وهي مشرقة وظهورها إذا غربت ، وجري الشمس والقمر في البروج دائبين لايتغيّران في أزمنتهما وأوقاتهما يعرف ذلك من يعرف بحساب موضوع وأمر معلوم بحكمة يعرف ذووالألباب أنّها ليست من حكمة الإنس ، ولاتفتيش الأوهام ، ولاتقليب التفكّر ، فعرف القلب حين دلّته العين على ماعاينت أنّ لذلك الخلق والتدبير والأمر العجيب صانعاً يمسك السماء المنطبقة أن تهوى إلى الأرض وأنّ الّذي جعل الشمس والنجوم فيها خالق السماء ، ثمّ نظرت العين إلى مااستقلّها من الأرض فدلّت القلب على ماعاينت فعرف القلب بعقله أنّ ممسك الأرض الممتدّة[3] أن تزول أوتهوى في الهواء ــ وهو يرى الريشة يرمى بها فتسقط مكانها وهي في الخفّة على

(١) أى فتبعد . وفى نسخة : فتنأى فلاترى .

(٢) أى لاتبلى ولاترث.

(٣) وفى نسخة : أن ممسك الارض الممهدة .

ماهي عليه - هو الّذي يمسك السماء الّتي فوقها ، وأنّه لولا ذلك لخسفت بما عليها من ثقلها وثقل الجبال والأنام والأشجار والبحور والرمال ، فعرف القلب بدلالة العين أنّ مدبّر الأرض هو مدبّر السماء . ثمّ سمعت الاُذن صوت الرياح الشديدة العاصفة واللّيّنة الطيّبة ، وعاينت العين مايقلع من عظام الشجر ويهدم من وثيق البنيان ، وتسفي[1] من ثقال الرمال ، تخلّى منها ناحية و تصبّها في اُخرى ، بلاسائق تبصره العين ، ولاتسمعه الاُذن ، ولايدرك بشيء من الحواسّ ، وليست مجسّدة تلمس ولامحدودة تعاين ، فلم تزد العين والاُذن وسائر الحواسّ على أن دلّت القلب أنّ لها صانعاً ، وذلك أنّ القلب يفكّر بالعقل الّذي فيه ، فيعرف أنّ الريح لم تتحرّك من تلقائها وأنّها لو كانت هي المتحرّكة لم تكفف عن التحرّك ، ولم تهدم طائفة وتعفّي اُخرى ،[2] ولم تقلع شجرة وتدع اُخرى إلى جنبها ، ولم تصبّ أرضاً وتنصرف عن اُخرى فلمّا تفكّر القلب في أمر الريح علم أنّ لها محرّكاً هو الّذي يسوقها حيث يشاء ، و يسكنها إذا شاء ، و يصيب بها من يشاء ، و يصرفها عمّن يشاء ، فلمّا نظر القلب إلى ذلك وجدها متّصلة بالسماء ، و ما فيها من الآيات فعرف أنّ المدبّر القادر على أن يمسك الأرض والسماء هو خالق الريح ومحرّكها إذا شاء ، وممسكها كيف شاء ، و مسلّطها على من يشاء . وكذلك دلّت العين والاُذن القلبَ على هذه الزلزلة ، وعرف ذلك بغيرهما من حواسّه حين حركته فلمّا دلّ الحواسّ على تحريك هذا الخلق العظيم من الأرض في غلظها وثقلها ، وطولها وعرضها ، وماعليها من ثقل الجبال والمياه والأنام وغير ذلك ، وإنّما تتحرّك في ناحية ولم تتحرّك في ناحية اُخرى[3] وهي ملتحمة جسداً واحداً ، وخلقاً متّصلاً بلافصل ولاوصل ، تهدم ناحية وتخسف بها وتسلم اُخرى ؛ فعندها عرف القلب أنّ محرّك ماحرّك منها هو ممسك ما اُمسك منها ، وهو محرّك الريح وممسكها ، وهو مدبّر السماء والأرض وما بينهما ، و أنّ الأرض لو كانت هي المزلزلة لنفسها لما تزلزلت و لما تحرّكت ، ولكنّه الّذي دبّرها وخلقها حرّك منها ماشاء . ثمّ نظرت العين إلى العظيم من الآيات من السحاب

(١) سفت وأسفت الريح التراب : ذرته أوحملته .
(٢) عفّت الريح المنزل : درسته ومحته . ويمكن أن يكون من أعفى إعفاءاً أى تركه .
(٣) وفي نسخة : و إنها تحرك ناحية وتمسك عن اخرى .

المسخّر بين السماء والأرض بمنزلة الدخان لاجسد له يلمس بشيء من الأرض و الجبال ، يتخلّل الشجرة فلايحرّك منها شيئاً ، ولايهصر منها غصناً ، ولايعلّق منها بشيء يعترض الركبان فيحول بعضهم من بعض من ظلمته وكثافته ، و يحتمل من ثقل الماء و كثرته مالايقدر على صفته ، مع مافيه من الصواعق الصادعة ، والبروق اللامعة ، والرعد والثلج والبرد والجليد مالاتبلغ الأوهام صفته ولاتهتدي القلوب إلى كنه عجائبه ، فيخرج مستقلاً في الهواء يجتمع بعد تفرّقه[١] ويلتحم بعد تزايله ، تفرّقه الرياح[٢] من الجهات كلّها إلى حيث تسوقه بإذن الله ربّها ، يسفل مرّة ويعلو اُخرى ، متمسّك بما فيه من الماء الكثير الّذي إذا أزجاه[٣] صارت منه البحور ، يمرّ على الأراضي الكثيرة والبلدان المتنائية لاتنقص منه نقطة ،[٤] حتّى ينتهي إلى مالايحصى من الفراسخ فيرسل مافيه قطرةً بعد قطرة ، وسيلاً بعد سيل ، متتابع على رسله حتّى ينقع البرك[٥] وتمتلي الفجاج ، و تعتلي الأودية بالسيول كأمثال الجبال غاصّة بسيولها ، مصمخة الآذان لدويّها و هديرها[٦] فتحيى بها الأرض الميتة ، فتصبح مخضرّة بعد أن كانت مغبرّة ، و معشّبة بعد أن كانت مجدبة ، قد كسيت ألواناً من نبات عشب ناضرة زاهرة مزيّنة معاشاً للناس و الأنعام ، فإذا أفرغ الغمام ماءه أقلع وتفرّق وذهب حيث لايعاين ولايدرى أين توارى ، فأدّت العين ذلك إلى القلب فعرف القلب أنّ ذلك السحاب لو كان بغير مدبّر وكان ما وصفت من تلقاء نفسه ما احتمل نصف ذلك من الثقل من الماء ، وإن كان هو الّذي يرسله لما احتمله ألفي فرسخ أوأكثر ، ولأرسله فيما هو أقرب من ذلك ، ولما أرسله قطرة بعد قطرة ، بل كان يرسله إرسالاً فكان يهدم البنيان ويفسد النبات ، ولما جاز إلى بلد و

---

(١) وفي نسخة ينفجر بعد تمسكه .

(٢) وفي نسخة : تصفقه الرياح .

(٣) ازجاه أى دفعه برفق .

(٤) وفي نسخة : لاتقطر منه قطرة .

(٥) بكسر الباء وفتح الراء جمع بركة : مستنقع الماء ، الحوض .

(٦) وفي نسخة : ومصممة الاذان لدويّها وهديرها .

ترك آخر دونه ؛ فعرف القلب بالأعلام المنيرة الواضحة أنّ مدبّر الأُمور واحد ، وأنّه لو كان اثنين أو ثلاثة لكان في طول هذه الأزمنة والأبد والدهر اختلاف في التدبير وتناقض في الأمور ، ولتأخّر بعض وتقدّم بعض ، ولكان تسفّل بعض ماقدعلا ، ولعلا بعض ما قد سفل ، ولطلع شيء وغاب فتأخّر عن وقته أو تقدّم ماقبله فعرف القلب بذلك أنّ مدبّر الأشياء ماغاب منها وما ظهر هوالله الأوّل ، خالق السماء وممسكها ، و فارش الأرض وداحيها ، وصانع مابين ذلك مماعدّدنا وغيرذلك ممّا لم يحص .

وكذلك عاينت العين اختلاف اللّيل والنهار دائبين جديدين لايبليان في طول كرّهما ، ولايتغيّران لكثرة اختلافهما ، ولاينقصان عن حالهما ، النهار في نوره وضيائه ، واللّيل في سواده وظلمته ، يلج أحدهما في الآخر حتّى ينتهي كلّ واحد منهما إلى غاية محدودة معروفة في الطول و القصر على مرتبة واحدة ومجرى واحد ، مع سكون من يسكن في اللّيل ، وانتشار من ينتشر في اللّيل ، وانتشار من ينتشر في النهار ، و سكون من يسكن في النهار ، ثمّ الحرّ والبرد وحلول أحدهما بعقب الآخر حتّى يكون الحرّ برداً ، والبرد حرّاً في وقته وإبّانه ، فكلّ هذا ممّا يستدلّ به القلب على الربّ سبحانه و تعالى ، فعرف القلب بعقله أنّ من دبّر هذه الأشياء هوالواحد العزيز الحكيم الّذي لم يزل ولايزال ، وأنّه لوكان في السماوات والأرضين آلهة معه سبحانه لذهب كلّ إله بماخلق ، ولعلا بعضهم على بعض ، ولفسد كلّ واحد منهم على صاحبه .

وكذلك سمعت الأذن ما أنزل المدبّر من الكتب تصديقاً لما أدركته القلوب بعقولها ، وتوفيق الله إيّاها ، وما قاله من عرفه كنه معرفته بلاولد ولاصاحبة ولاشريك فأدّت الأذن ماسمعت من اللّسان بمقالة الأنبياء إلى القلب .

شرح : قوله عليه السلام : ربّما ذهب الحواسّ إمّا بالنوم كماسيأتي أو بآفة فإنّ العقل لامحالة يدلّه على أن يشير إلى بعض مايصلحه ، ويطلب مايقيمه بأيّ وجه كان ، على أنّ ذهاب الحواسّ الخمس لاينافي بقاء النطق . قوله عليه السلام : إلّا النزوع إلى الحواسّ أي الاشتياق إليها ، والحاصل أنّا نوافقك ونستدلّ لك بما تدلّ عليه الحواسّ ؛ و إن كنت رفضتها وتركيتها وسلّمت فيما مضى كونها معزولة عن بعض الأشياء فنقول : إنّ حكم

العقل بوجود الصانع إنّما هو من جهة مادلّته الحواسّ عليه ممّا نشاهده من آثار صنعه تعالى . قوله عليه السلام : فتنكشط الانكشاط : الانكشاف . و قوله تعالى : و إذا السماء كشطت[1] أي قلعت كما يقلع السقف ، ولعلّ المراد بالتأخّر تأخّرها يحاذي رؤوسنا بحيث يرى ماوراءه ، وبالتقدّم أن يتحرّك جميعها حركةأينيّة حتّى يخرج من بينها ، ويحتمل أن يكون المراد فيهما معاً إمّا الأوّل أوالثاني ، ويكون التعبير عن أحدهما بالانكشاط وعن الآخر بالزوال لمحض تفنّن العبارة ، وعلى التقادير المراد بالزوال الزوال عنّا وعن محاذاتنا . قوله عليه السلام : ولايتداعى قال الجوهريّ : تداعت الحيطان للخراب أي تهادمت . وقال : انهار أي انهدم قوله عليه السلام : ثمّ رجوعها إشارة إلى مايعرض للمتحيّرة من الرجعة والاستقامة والإقامة . وقوله عليه السلام : وأخذها عرضاً وطولاً إشارة إلى كونها تارة عن جنوب المعدّل ، وتارة عن شمالها ، وكون بعضها تارة عن جنوب منطقة البروج وتارة عن شمالها ، وإلى حركة المائل في السفليّين وعرض الوراب والانحراف و الاستواء فيهما ،[2] و إلى ميل الذروة والحضيض في المتحيّرة . و خنوسها : غيبتها و استتارها تحت شعاع الشمس . قوله عليه السلام : المنطبقة أي المحيطة بجميع الخلق ، وفي بعض النسخ المظلّة . و استقلّها أي حملها ورفعها . قوله عليه السلام : متّصلة بالسماء أي داخلة في ذلك النظام شبيهة بها فيه . قوله عليه السلام : يلمس بشيء لعلّ المراد الاصطكاك الّذي يحصل منه صوت ، وفي بعض النسخ كشيء ، و يحتمل أن يكون تصحيف يشبه بشيء . و قال الفيروزآباديّ : الهصر: الجذب . والإمالة . والكسر. والدفع . والإدناء . وعطف شيء رطب كغصن ونحوه وكسره من غير بينونة . وقال : الجليد : مايسقط على الأرض من الندى فيجمد . انتهى . وقوله عليه السلام : أزجاه أي دفعه . والرسل بالكسر: التأنّي والرفق . وينقع بالياء على المعلوم أوبالتاء على المجهول . والبرك كعنب جمع بركة وهي معروفة . والفجاج بالضمّ : الطريق الواسع بين جبلين ، وبالكسر جمع الفجّ بمعناه . والاعتلاء : الارتفاع . و قوله عليه السلام : غاصّة أي ممتلئة . والمصمخة لعلّها مشتقّة من الصماخ أي

---

(١) التكوير : ١١ .

(٢) في نسخة : وعرض الوراب والانحراف والالتواء فيهما .

تؤدّي الصماخ ؛ و الأظهر مصمّمة . قوله عليه السلام : من نبات بالإضافة على أن يكون مصدراً ، أو بالتنوين ليكون عشب بدل بعض له . والإقلاع عن الأمر : الكفّ عنه . و الكرّ : الرجوع . قوله عليه السلام : مع سكون من يسكن في اللّيل أي جعل في معظم المعمورة طول كلّ منهما وقصره على حدّ محدود لا يتجاوزه لئلاّ تفوت مصلحة كلّ منهما من السكون في اللّيل والانتشار في النهار ، ويحتمل أن يكون إشارة إلى أصل الحكمة في حصول اللّيل والنهار . قوله عليه السلام : وانتشار من ينتشر في اللّيل كالخفّاش والبعوضة وسائر ماينتشر في اللّيل من الهوامّ ، وكالخائف والمسافر الّذي تصلحه حركة اللّيل . قوله : إذاً لذهب أي لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كلّ إله منهم بما خلقه واستبدّ به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ؛ ووقع بينهم التجاذب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا إذ يستحيل كونهما واجبين كاملين وهذا شأن الناقص ؛ و يحتمل أن يكون الغرض نفي الآلهة الناقصة الممكنة الّتي جعلوها شريكاً للواجب تعالى شأنه ؛ وسيأتي الكلام فيه في باب التوحيد . وفي بعض النسخ هكذا : « ولعلا بعضهم على بعض ، ولأفسد كلّ واحد منهم على صاحبه ، وكذلك سمعت الاُذن ماأنزل الله من كتبه على ألسن أنبيائه تصديقاً لما أدركته العقول بتوفيق الله إيّاها وعونه لها إذا أرادت ماعنده أنّه الأوّل لاشبيه له ، ولامثل له ، ولاضدّ له ، ولاتحيط به العيون ، ولاتدركه الأوهام كيف هو لأنّه لاكيف له وإنّما الكيف للمكيّف المخلوق المحدود المحدَث غير أنّا نوقن أنّه معروف بخلقه موجود بصنعه فتبارك الله وتعالى اسمه لاشريك له فعرف القلب بعقله أنّه لو كان معه شريك كان ضعيفاً ناقصاً ، ولو كان ناقصاً ماخلق الإنسان ولاختلفت التدابير وانتقضت الاُمور ، مع النقص الّذي يوصف به الأرباب المتفرّدون والشركاء المتعانتون . قال : قد أتيتني ».

متن : فقال : قد أتيتني من أبواب لطيفة بما لم يأتني به أحد غيرك إلّا أنّه لايمنعني من ترك مافي يدي إلّا الإيضاح والحجّة القويّة بما وصفت لي وفسّرت . قلت : أمّا إذا حجبت عن الجواب[1] واختلف منك المقال فسيأتيك من الدلالة من قبل نفسك خاصّة مايستبين لك أنّ الحواسّ لاتعرف شيئاً إلّا بالقلب ؛ فهل رأيت في المنام أنّك تأكل

---

(١) في نسخة : أما إذ حجبت عن الجواب .

و تشرب حتّى وصلت لذّة ذلك إلى قلبك ؟ قال : نعم . قلت : فهل رأيت أنّك تضحك وتبكي وتجول في البلدان الّتي لم ترها والّتي قد رأيتها حتّى تعلم معالم مارأيت منها ؟ قال : نعم مالا اُحصي . قلت : هل رأيت أحداً من أقاربك من أخ أو أب أو ذي رحم قد مات قبل ذلك حتّى تعلمه وتعرفه كمعرفتك إيّاه قبل أن يموت ؟ قال : أكثر من الكثير . قلت : فأخبرني أيّ حواسّك أدرك هذه الأشياء في منامك حتّى دلّت قلبك على معاينة الموتى وكلامهم ، وأكل طعامهم ، والجولان في البلدان ، والضحك والبكاء وغير ذلك ؟ قال : ماأقدر أن أقول لك أيّ حواسّي أدرك ذلك أو شيئاً منه ، وكيف تدرك وهي بمنزلة الميّت لاتسمع ولاتبصر؟ قلت : فأخبرني حيث استيقظت ألست قد ذكرت الّذي رأيت في منامك تحفظه وتقصّه بعد يقظتك على إخوانك لاتنسى منه حرفاً ؟ قال : إنّه كماتقول و ربّما رأيت الشيء في منامي ثمّ لاأمسي حتّى أراه في يقظتي كما رأيته في منامي . قلت : فأخبرني أيّ حواسّك قرّرت علم ذلك في قلبك حتّى ذكّرته بعد ما استيقظت ؟ قال : إنّ هذا الأمر ما دخلت فيه الحواسّ . قلت : أفليس ينبغي لك أن تعلم حيث بطلت الحواسّ في هذا أنّ الّذي عاين تلك الأشياء وحفظها في منامك قلبك الّذي جعل الله فيه العقل الّذي احتجّ به على العباد ؟ قال : إنّ الّذي رأيت في منامي ليس بشيء إنّما هو بمنزلة السراب الّذي يعاينه صاحبه وينظر إليه لايشكّ فيه أنّه ماء فإذا انتهى إلى مكانه لم يجده شيئاً فمارأيت في منامي فبهذه المنزلة !.

قلت : كيف شبّهت السراب بمارأيت في منامك من أكلك الطعام الحلو والحامض ، ومارأيت من الفرح والحزن ؟ قال : لأنّ السراب حيث انتهيت إلى موضعه صار لاشيء ، وكذلك صار مارأيت في منامي حين انتبهت ؛ قلت : فأخبرني إن أتيتك بأمر وجدت لذّته في منامك وخفق لذلك قلبك ألست تعلم أنّ الأمر على ما وصفت لك ؟ قال : بلى .

قلت : فأخبرني هل احتلمت قطّ حتّى قضيت في امرأة نهمتك [١] عرفتها أم لم تعرفها ؟ قال : بلى مالا اُحصيه . قلت : ألست وجدت لذلك لذّةً على قدر لذّتك في يقظتك فتنتبه وقد أنزلت الشهوة حتّى تخرج منك بقدر ما تخرج منك في اليقظة ، هذا كسر لحجّتك في السراب . قال : مايرى المحتلم في منامه شيئاً إلّا ما كانت

(١) قضى منه نهمته أي شهوته .

حواسّه دلّت عليه في اليقظة. قلت: مازدت على أن قوّيت مقالتي، وزعمت أنّ القلب يعقل الأشياء ويعرفها بعد ذهاب الحواسّ وموتها فكيف أنكرت أنّ القلب يعرف الأشياء وهو يقظان مجتمعة له حواسّه، وما الّذي عرّفه إيّاها بعد موت الحواسّ وهو لايسمع ولا يبصر؟ ولكنت حقيقاً أن لاتنكر له المعرفة وحواسّه حيّة مجتمعة إذا أقررت أنّه ينظر إلى الامرأة بعد ذهاب حواسّه حتّى نكحها وأصاب لذّته منها؛ فينبغي لمن يعقل حيث وصف القلب بماوصفه به من معرفته بالأشياء والحواسّ ذاهبة أن يعرف أنّ القلب مدبّر الحواسّ ومالكها ورائسها[1] والقاضي عليها، فإنّه ماجهل الإنسان من شيء فمايجهل أنّ اليد لاتقدر على العين أن تقلعها، ولاعلى اللّسان أن تقطعه، و أنّه ليس يقدر شيء من الحواسّ أن يفعل بشيء من الجسد شيئاً بغير إذن القلب و دلالته و تدبيره لأنّ الله تبارك وتعالى جعل القلب مدبّراً للجسد، به يسمع وبه يبصر وهو القاضي والأمير عليه؛ لايتقدّم الجسد إن هو تأخّر، ولايتأخّر إن هو تقدّم، وبه سمعت الحواسّ وأبصرت، إن أمرها ائتمرت، وإن نهاها انتهت، و به ينزل الفرح والحزن، وبه ينزل الألم، إن فسد شيء من الحواسّ بقي على حاله، وإن فسد القلب ذهب جميعاً حتّى لايسمع ولايبصر.

قال: لقد كنت أظنّك لاتتخلّص من هذه المسألة وقد جئت بشيء لاأقدر على ردّه. قلت: وأنا اُعطيك تصاديق ماأنبأتك به ومارأيت في منامك في مجلسك الساعة. قال: افعل فإنّي قد تحيّرت في هذه المسألة. قلت: أخبرني هل تحدّث نفسك من تجارة أو صناعة أو بناء أو تقدير شيء وتأمر به إذا أحكمت تقديره في ظنّك؟ قال: نعم. قلت: فهل أشركت قلبك في ذلك الفكر شيئاً من حواسّك؟ قال: لا. قلت: أفلا تعلم أنّ الّذي أخبرك به قلبك حقّ؟ قال: اليقين هو؛ فزدني مايذهب الشكّ عنّي ويزيل الشبه من قلبي.

شرح: خفق القلب: اضطرابه. والنهمة: بلوغ الهمّة في الشيء، والنهم بالتحريك إفراط الشهوة في الطعام. أقول: قد عرفت أنّ القلب يطلق في مصطلح الأخبار على النفس الناطقة، و لمّا كان السائل منكراً لإدراك ماسوى الحواسّ الظاهرة نبّهه عليه السلام على خطائه بمدركات الحواسّ الباطنة الّتي هي آلات النفس.

---

(١) الرائس: الوالي، في مقابلة المرؤوس للمستولي عليه.

أقول : ذكر السيّد ابن طاووس قدّس الله روحه في كتاب النجوم من هذه الرسالة جملة ليست فيما عندنا من النسخ فلنذكرها :

« قلت : أخبرني هل يعرف أهل بلادك علم النجوم ؟ قال : إنّك لغافل عن علم أهل بلادي بالنجوم ! قلت : و ما بلغ من علمهم بها ؟ فقال : إنّا نخبرك عن علمهم بخصلتين تكتفي بهما عمّا سواهما . قلت : فأخبرني ولاتخبرني إلّا بحقّ . قال بديني لا اُخبرك إلّا بحقّ وبما عاينت . قلت : هات .

قال : أمّا إحدى الخصلتين فإنّ ملوك الهند لايتّخذون إلّا الخصيان . قلت : و لمَ ذاك ؟ قال : لأنّ لكلّ رجل منهم منجّماً حاسباً فاذا أصبح أتى باب الملك فقاس الشمس وحسب فأخبره بمايحدث في يومه ذلك ، وما حدث في ليلته الّتي كان فيها ، فإن كانت امرأة من نسائه قارفت شيئاً يكرهه أخبره ، فقال : فلان قارف كذا وكذا مع فلانة ، ويحدث في هذا اليوم كذا وكذا .

قلت : فأخبرني عن الخصلة الاُخرى . قال : قوم بالهند بمنزلة الخنّاقين عندكم يقتلون الناس بلاسلاح ولاخنق و يأخذون أموالهم . قلت : وكيف يكون هذا ؟ قال : يخرجون مع الرفقة والتجّار بقدر مافيها من الرجالة فيمشون معهم أيّاماً ليس معهم سلاح ، ويحدّثون الرجال ويحسبون حساب كلّ رجل من التجّار فإذا عرف أجمعهم موضع النفس من صاحبه وكز كلّ واحد منهم صاحبه الّذي حسب به في ذلك الموضع فيقع جميع التجّار موتى ! قلت : إنّ هذا أرفع من الباب الأوّل إن كان ماتقول حقّاً ! قال : أحلف لك بديني إنّه حقّ ولربّما رأيت ببلاد الهند قد اُخذ بعضهم واُمر بقتله .

قلت : فأخبرني كيف كان هذا حتّى اطّلعوا عليه ؟ قال : بحساب النجوم . قلت : فما سمعت كهذا علماً قطّ ، وماأشكّ أنّ واضعه الحكيم العليم ، فأخبرني من وضع هذا العلم الدقيق الّذي لا يدرك بالحواسّ ولا بالعقول ولا بالفكر ؟ قال : حساب النجوم وضعته الحكماء و توارثه الناس» . (١)

---

(١) الى هنا انتهى مايختص به كتاب النجوم ، و يشترك سائر النسخ من قوله : فاذا سألت الرجل منهم . . . .

متن : قلت : أخبرني هل يعلم أهل بلادك علم النجوم ؟ قال : إنّك لغافل عن علم أهل بلادي بالنجوم فليس أحد أعلم بذلك منهم . قلت : أخبرني كيف وقع علمهم بالنجوم وهي ممّا لا يدرك بالحواسّ ولا بالفكر؟ قال : حساب وضعته الحكماء وتوارثته الناس فإذا سألت الرجل منهم عن شيء قاس الشمس ونظر في منازل الشمس والقمر وما للطالع من النحوس ، وما للباطن من السعود ، ثمّ يحسب ولا يخطىء ؛ ويحمل إليه المولود فيحسب له ويخبر بكلّ علامة فيه بغير معاينة وما هو مصيبه إلى يوم يموت . قلت : كيف دخل الحساب في مواليد الناس ؟ قال : لأنّ جميع الناس إنّما يولدون بهذه النجوم ، ولولا ذلك لم يستقم هذا الحساب فمن ثمّ لا يخطىء إذا علم الساعة واليوم والشهر والسنة الّتي يولد فيها المولود . قلت : لقد توصّفت علماً عجيباً[1] ليس في علم الدنيا أدقّ منه ولا أعظم إن كان حقّاً كما ذكرت ، يعرف به المولود الصبيّ وما فيه من العلامات ومنتهى أجله وما يصيبه في حياته ، أوليس هذا حساباً تولد به جميع أهل الدنيا من كان من الناس ؟ قال : لا أشكّ فيه . قلت : فتعال ننظر بعقولنا كيف علم الناس هذا العلم وهل يستقيم أن يكون لبعض الناس إذا كان جميع الناس يولدون بهذه النجوم ، وكيف عرفها بسعودها ونحوسها ، وساعاتها وأوقاتها ، ودقائقها ودرجاتها ، وبطيئها وسريعها ، ومواضعها من السماء ، ومواضعها تحت الأرض ، ودلالتها على غامض هذه الأشياء الّتي وصفت في السماء وما تحت الأرض ، فقد عرفت أنّ بعض هذه البروج في السماء ، وبعضها تحت الأرض ، وكذلك النجوم السبعة منها تحت الأرض ومنها في السماء فما يقبل عقلي أنّ مخلوقاً من أهل الأرض قدر على هذا . قال : وما أنكرت من هذا ؟ قلت : إنّك زعمت أنّ جميع أهل الأرض إنّما يتوالدون بهذه النجوم ، فأرى الحكيم الّذي وضع هذا الحساب بزعمك من بعض أهل الدنيا ، ولاشكّ إن كنت صادقاً أنّه ولد ببعض هذه النجوم والساعات والحساب الّذي كان قبله ، إلّا أن تزعم أنّ ذلك الحكيم لم يولد بهذه النجوم كما ولد سائر الناس . قال : وهل هذا الحكيم إلّا كسائر الناس ؟ قلت : أفليس ينبغي أن يدلّك عقلك على أنّها قد خلقت قبل هذا الحكيم الّذي زعمت أنّه وضع هذا الحساب ، وقد زعمت أنّه ولد ببعض هذه النجوم ؟ قال : بلى .

(١) وفي نسخة : لقد وصفت علماً عجيباً .

قلت : فكيف اهتدى لوضع هذه النجوم ؟ وهل هذا العلم إلّا من معلّم كان قبلهما وهو الّذي أسّس هذا الحساب الّذي زعمت أنّه أساس المولود ، والأساس أقدم من المولود ، والحكيم الّذي زعمت أنّه وضع هذا إنّما يتبع أمر معلّم هو أقدم منه ، وهو الّذي خلقه مولوداً ببعض هذا النجوم ، وهو الّذي أسّس هذه البروج الّتي ولد بها غيره من الناس فواضع الأساس ينبغي أن يكون أقدم منها ، هب إنّ هذا الحكيم عمّر مذ كانت الدنيا عشرة أضعاف ، هل كان نظره في هذه النجوم إلّا كنظرك إليها معلّقة في السماء أوتراه كان قادراً على الدنوّ منها وهي في السماء حتّى يعرف منازلها و مجاريها ، نحوسها وسعودها ، ودقائقها ، وبأيّتها تكسف الشمس و القمر ، وبأيّتها يولد كلّ مولود ، وأيّها السعد وأيّها النحس ، وأيّها البطيىء وأيّها السريع ، ثمّ يعرف بعد ذلك سعود ساعات النهار ونحوسها ، وأيّها السعد وأيّها النحس ، وكم ساعة يمكث كلّ نجم منها تحت الأرض ، وفي أيّ ساعة تغيب ، وأيّ ساعة تطلع ، وكم ساعة يمكث طالعاً ، وفي أيّ ساعة تغيب ، وكم استقام لرجل حكيم كما زعمت من أهل الدنيا أن يعلم علم السماء ممّا لا يدرك بالحواسّ ، ولا يقع عليه الفكر ، ولا يخطر على الأوهام ؟ وكيف اهتدى أن يقيس الشمس حتّى يعرف في أيّ برج ، وفي أيّ برج القمر ، وفي أيّ برج من السماء هذه السبعة السعود والنحوس وما الطالع منها وما الباطن ؟ وهي معلّقة في السماء وهو من أهل الأرض لا يراها إذا توارت بضوء الشمس إلّا أن تزعم أنّ هذا الحكيم الّذي وضع هذا العلم قد رقى إلى السماء ، وأنا أشهد أنّ هذا العالم لم يقدر على هذا العلم إلّا بمن في السماء ، لأنّ هذا ليس من علم أهل الأرض .

قال : ما بلغني أنّ أحدا من أهل الأرض رقى إلى السماء . قلت : فلعلّ هذا الحكيم فعل ذلك ولم يبلغك ؟ قال : و لو بلغني ما كنت مصدّقاً . قلت : فأنا أقول قولك ، هبه رقى إلى السماء هل كان له بدّ من أن يجري مع كلّ برج من هذه البروج ، ونجم من هذه النجوم من حيث يطلع إلى حيث يغيب ، ثمّ يعود إلى الآخر حتّى يفعل مثل ذلك حتّى يأتي على آخرها ؟ فإنّ منها ما يقطع السماء في ثلاثين سنة ، ومنها ما يقطع دون ذلك ، وهل كان له بدّ من أن يجول في أقطار السماء حتّى يعرف مطالع السعود منها والنحوس ،

والبطيء والسريع ، حتّى يحصي ذلك ؟ أوهبه قدرعلى ذلك حتّى فرغ ممّا في السماء هل كان يستقيم له حساب ما في السماء حتّى يحكم حساب ما في الأرض وماتحتها و أن يعرف ذلك مثل ماقدعاين في السماء ؟ لأنّ مجاريها تحت الأرض على غيرمجاريها في السماء ، فلم يكن يقدر على أحكام حسابها ودقائقها وساعاتها إلّا بمعرفة ماغاب عنه تحت الأرض منها ، لأنّه ينبغي أن يعرف أيّ ساعة من الليل يطلع طالعها ، وكم يمكث تحت الأرض ، وأيّة ساعة من النهار يغيب غائبها لأنّه لايعاينها ، ولاماطلع منها ولاماغاب ، ولابدّ من أن يكون العالم بها واحداً وإلّا لم ينتفع بالحساب إلّا تزعم أنّ ذلك الحكيم قددخل في ظلمات الأرضين والبحار فسار مع النجوم و الشمس والقمر في مجاريها على قدرماسار في السماء حتّى علم الغيب منها ، و علم ما تحت الأرض على قدرماعاين منها في السماء .

قال : وهل أريتني أجبتك إلى أنّ أحداً من أهل الأرض رقى إلى السماء وقدرعلى ذلك حتّى أقول : إنّه دخل في ظلمات الأرضين والبحور ؟ قلت : فكيف وقع هذاالعلم الّذي زعمت أنّ الحكماء من الناس وضعوه وأنّ الناس كلّهم مولدون به وكيف عرفوا ذلك الحساب وهو أقدم منهم ؟ .

أقول : في نسخة السيّد ابن طاووس هنا زيادة :

« قال : أرأيت إن قلت لك : إنّ البروج لم تزل وهي الّتي خلقت أنفسها على هذا الحساب ماالّذي تردّ عليّ ؟[1] قلت : أسألك كيف يكون بعضها سعداً وبعضها نحساً ، وبعضها مضيئاً وبعضها مظلماً ، وبعضها صغيراً وبعضها كبيراً ؟ .

قال : كذلك أرادت أن تكون بمنزلة الناس ، فإنّ بعضهم جميل ، وبعضهم قبيح ، وبعضهم قصير ، وبعضهم طويل ، وبعضهم أبيض ، وبعضهم أسود ، وبعضهم صالح ، وبعضهم طالح . قلت : فالعجب منك إنّي أراودك منذاليوم على أن تقرّ بصانع فلم تجبني إلى ذلك حتّى كان الآن أقررت بأنّ القردة والخنازير خلقن أنفسهنّ ! .

قال : لقد بهتّني بما لم يسمع الناس منّي ! قلت : أفمنكر أنت لذلك ؟ قال :

(١) في نسخة : ماالذي يرد علي .

أشدّ إنكار . قلت : فمن خلق القردة والخنازير إن كان الناس والنجوم خلقن أنفسهنّ ؟ فلابدّ من أن تقول : إنّهنّ من خلق الناس ، أوخلقن أنفسهنّ ، أفتقول : إنّها من خلق الناس ؟ قال : لا . قلت : فلابدّ من أن يكون لها خالق أوهي خلقت أنفسها ؛ فإن قلت : إنّها من خلق الناس أقررت أنّ لها خالقاً ، فإن قلت : لابدّ أن يكون لها خالق فقد صدقت وما أعرفنا به ، ولئن قلت : إنّهنّ خلقن أنفسهنّ فقد أعطيتني فوق ماطلبت منك من الإقرار بصانع . ثمّ قلت : فأخبرني بعضهنّ قبل بعض خلقن أنفسهنّ أم كان ذلك في يوم واحد ؟ فإن قلت : بعضهنّ قبل بعض فأخبرني السماوات و ما فيهنّ و النجوم قبل الأرض والإنس والذرّ خلقن أم بعد ذلك ؟ فإن قلت : إنّ الأرض قبل أفلاترى قولك : إنّ الأشياء لم تزل قد بطل حيث كانت السماء بعد الأرض ؟ .

قال : بلى ولكن أقول : معاً جميعاً خلقن . قلت : أفلاترى أنّك قد أقررت أنّها لم تكن شيئاً قبل أن خلقن ، وقد أذهبت حجّتك في الأزليّة ؟ قال : إنّي لعلى حدّ وقوف ، ماأدري ماأُجيبك فيه لأنّي أعلم أنّ الصانع إنّما سمّي صانعاً لصناعته ، والصناعة غير الصانع ، والصانع غير الصناعة لأنّه يقال للرجل : الباني لصناعته البناء ، والبناء غير الباني والباني غير البناء ، وكذلك الحارث غير الحرث والحرث غير الحارث . قلت : فأخبرني عن قولك : إنّ الناس خلقوا أنفسهم فبكمالهم خلقوها أرواحهم وأجسادهم وصورهم وأنفاسهم أم خلق بعض ذلك غيرهم ؟ قال : بكمالهم لم يخلق ذلك ولاشيئاً منهم غيرهم .

قلت : فأخبرني الحياة أحبّ إليهم أم الموت ؟ قال : أوتشكّ أنّه لاشيء أحبّ إليهم من الحياة ، ولاأبغض إليهم من الموت ؟ قلت : فأخبرني من خلق الموت الّذي يخرج أنفسهم الّتي زعمت أنّهم خلقوها ؟ فإنّك لاتنكر أنّ الموت غير الحياة ، وأنّه هو الّذي يذهب بالحياة . فإن قلت : إنّ الّذي خلق الموت غيرهم ، فإنّ الّذي خلق الموت هو الّذي خلق الحياة ؛ ولئن قلت : هم الّذين خلقوا الموت لأنفسهم إنّ هذا لمحال من القول ؛ وكيف خلقوا الأنفسهم مايكرهون إن كانوا كما زعمت خلقوا أنفسهم ؟ هذا مايستنكر من ضلالك أن تزعم أنّ الناس قدروا على خلق أنفسهم بكمالهم وأنّ الحياة أحبّ إليهم من الموت و خلقوا مايكرهون لأنفسهم ! .

قال : ما أجد واحداً من القولين ينقاد لي ولقد قطعته عليّ قبل الغاية الّتي كنت أُريدها . قلت : دعني فإنّ من الدخول في أبواب الجهالات مالاينقاد من الكلام ، و إنّما أسألك عن معلّم هذا الحساب الّذي علّم أهل الأرض علم هذه النجوم المعلّقة في السماء . »

أقول : رجعنا إلى ما في النسخ المشهورة :

قال : ما أجد يستقيم أن أقول : إنّ أحداً من أهل الأرض وضع علم هذه النجوم المعلّقة في السماء . قلت : فلابدّ لك أن تقول : إنّما علّمه حكيم عليم بأمر السماء والأرض ومدبّرهما . قال : إن قلت هذا فقد أقررت لك بإلهك الّذي تزعم أنّه في السماء . قلت : أمّا أنك فقد أعطيتني أنّ حساب هذه النجوم حقّ ، وأنّ جميع الناس ولدوابها . قال : الشاكّ في غير هذا .

قلت : و كذلك أعطيتني أنّ أحداً من أهل الأرض لم يقدر على أن يغيب مع هذه النجوم والشمس والقمر في المغرب حتّى يعرف مجاريها ويطلع معها إلى المشرق . قال : الطلوع إلى السماء دون هذا . قلت : فلا أراك تجد بدّاً من أن تزعم أنّ المعلّم لهذا من السماء . قال : لئن قلت أن ليس لهذا الحساب معلّم لقد قلت إذاً غير الحقّ ، و لئن زعمت أنّ أحداً من أهل الأرض علم ما في السماء وماتحت الأرض لقد أبطلت لأنّ أهل الأرض لايقدرون على علم ماوصفت لك من حال هذه النجوم والبروج بالمعاينة والدنوّ منها[1] فلا يقدرون عليه لأنّ علم أهل الدنيا لايكون عندنا إلّا بالحواسّ ، ومايدرك علم هذه النجوم الّتي وصفت بالحواسّ لأنّها معلّقة في السماء ومازادت الحواسّ على النظر إليها حيث تطلع وحيث تغيب ، فأمّا حسابها ودقائقها و نحوسها و سعودها و بطيئها وسريعها وخنوسها و رجوعها فأنّى تدرك بالحواسّ أو يهتدى إليها بالقياس ؟ .

قلت : فأخبرني لو كنت متعلّماً مستوصفاً لهذا الحساب من أهل الأرض أحبّ إليك أن تستوصفه وتتعلّمه ، أم من أهل السماء ؟ قال : من أهل السماء ، إذ كانت النجوم معلّقة فيها حيث لايعلمها أهل الأرض .

(١) وفي نسخة : فاما الدنو .

قلت : فافهم وأدقّ النظر و ناصح نفسك ألست تعلم أنّه حيث كان جميع أهل الدنيا إنّما يولدون بهذه النجوم على ما وصفت في النحوس والسعود أنّهنّ كنّ قبل الناس ؟ قال : ما أمتنع أن أقول هذا . قلت : أفليس ينبغي لك أن تعلم أنّ قولك : إنّ الناس لم يزالوا ولا يزالون قد انكسر عليك[1] حيث كانت النجوم قبل الناس ؛ فالناس حدث بعدها ، و لئن كانت النجوم خلقت قبل الناس ما تجد بدًّا من أن تزعم أنّ الأرض خلقت قبلهم .

قال : ولم تزعم أنّ الأرض خلقت قبلهم ؟ قلت : ألست تعلم أنّها لو لم تكن الأرض جعل الله لخلقه فراشاً ومهاداً مااستقام الناس ولا غيرهم من الأنام ، ولا قدروا أن يكونوا في الهواء إلّا أن يكون لهم أجنحة ؟ قال : وماذا يغني عنهم الأجنحة إذا لم تكن لهم معيشة ؟ قلت : ففي شكّ أنت من أنّ الناس حدث بعد الأرض و البروج ؟ قال : لا ولكن على اليقين من ذلك .

قلت : آتيك أيضاً بما تبصره . قال : ذلك أنفى[2] للشكّ عنّي . قلت : ألست تعلم أنّ الّذي تدور عليه هذه النجوم والشمس والقمر هذا الفلك ؟ قال : بلى . قلت : أفليس قد كان أساساً لهذه النجوم ؟ قال : بلى . قلت : فما أرى هذه النجوم الّتي زعمت أنّها مواليد الناس إلّا وقد وضعت بعد هذا الفلك لأنّه به تدور البروج وتسفل مرّة وتصعد اُخرى .

قال : قد جئت بأمر واضح لا يشكل على ذي عقل أنّ الفلك الّذي تدور به النجوم هو أساسها الّذي وضع لها لأنّها إنّما جرت به . قلت : أقررت أنّ خالق النجوم الّتي يولد بها الناس سعودهم ونحوسهم هو خالق الأرض لأنّه لو لم يكن خلقها لم يكن ذرءٌ . قال : ما أجد بدًّا من إجابتك إلى ذلك . قلت : أفليس ينبغي لك أن يدلّك عقلك على أنّه لا يقدر على خلق السماء إلّا الّذي خلق الأرض والذرء والشمس والقمر والنجوم ، وأنّه لولا السماء وما فيها لهلك ذرء الأرض .

شرح : أن يكون لبعض الناس أي هذا العلم . اعلم أنّ كلامه واحتجاجه عليه السلام

---

(١) وفي نسخة : قد أنكر عليك .

(٢) وفي نسخة : قال : ذلك أنفى للشك عنى .

مبنيّ على أحد أمرين : الأوّل مايحكم به الوجدان من أنّ العلم بدقائق حركات هذه الكواكب وخواصّ آثارها والمناسبة بينها وبين ماهي علامة لحدوثها لايتأتّى إلّا لخالقها الّذي جعلها كذلك ، أومن ينتهي علمه إليه ، ومعلوم أنّ ماهو الحقّ من هذه العلوم إنّما وصل إلى الخلق من الأنبياء كما اعترفوا به ، ولمّا لم يحيطوا بجميع ذلك وضاع عنهم بعض مااستفادوا من الأنبياء عليهم السلام أيضاً فلذا ترى الرياضيّين يتحيّرون في بعض الحركات الّتي لاتستقيم على اُصولهم ، و يسمّونها مالا ينحلّ ، و ترى المنجّمين يخطؤون في كثير من أحكامهم لذلك . ثمّ ذكر عليه السلام على سبيل التنزّل أنّه لوسلّمنا أنّه يمكن أن يتيسّر ذلك لمخلوق من البشر فلايتأتّى ذلك إلّا لمن كان معها في حركاتها و يعاشرها مدّة طويلة ليعلم كيفيّة حركاتها وجرّب بكثرة المعاشرة خواصّها و آثارها .

و الثاني : أن يكون المراد أنّك إذا اعترفت أنّ كلّ الخلق يولدون بهذه النجوم فلايكون أحد منهم علّة لها ولآثارها لتقدّمها عليهم ، ولاشكّ في أنّه لابدّ من حكيم عالم بجميع الاُمور قادر عليها ، أسّس ذلك الأساس وبنى عليها تلك الآثار والأحكام الّتي أمكن للخلق بها استعلام مالم يأت من الاُمور ، فقد أقررت بالصانع فهو أوّل عالم بهذا العلم لاالحكيم الّذي تزعم أنّه يولد بتلك النجوم .[1] ويحتمل أن يكون المقصود من الكلام الإشارة إلى كلا الدليلين كما لايخفى بعد التأمّل . قوله عليه السلام : مواضعها من السماء أي عند كونها فوق الأرض ، ومواضعها تحت الأرض أي بعد غروبها واستتارها عنّا بالأرض . قوله عليه السلام : إلّا بمن في السماء أي بمن أحاط علمه وقدرته و حكمه بالسماء وما فيها . قوله عليه السلام : فأنا أقول قولك أي أنا أعتقد ما قلت من أنّ الحكماء الّذين تزعمهم عالمين به لم يرقوا إلى السماء ، أوأعتقد أنّه لايمكنهم أن يرقوا إلى السماء بأنفسهم بدون تعلّق إرادة الربّ تعالى به ، ومع ذلك فإن سلّمناه فلايكفي محض الصعود للإحاطة بذلك . قوله عليه السلام : مع كلّ برج أي فيه أوبالحركة السريعة . قوله عليه السلام : في ثلاثين سنة وهو زحل ، وهوأبطأ السيّارات ، وإنّما لم يتعرّض عليه السلام للثوابت مع

---

(١) وبعبارة اخرى إنك بعد مااعترفت بأن جميع الناس يولدون بهذه النجوم ولم يمكن أن يولد أحد من أهل الارض الا بهذه النجوم لانها علته ، فقد اعترفت بأن واضع هذه النجوم غير أهل الدنيا لانهم معلولون لها ، وهذا تسليم واذعان منك بالصانع تعالى .

كونها أبطأ لأنّ مبنى أحكامهم على السيّارات . قوله عليه السلام : لأنّ مجاريها تحت الأرض لمّا ذكر عليه السلام سابقاً سيره مع الكواكب من الطلوع إلى الغروب أشار عليه السلام ههنا إلى أنّه لايكفي ذلك للعلم بجميع الحركات حتّى يسير معها بعد الغروب فيحاذي ماتحت الأرض من البحار والمواضع المظلمة بالبخارات ، أو يسير مع سائر الكواكب عند كون الشمس فوق الأرض حتّى يحاذي ما تحتها الظلمة ، ثمّ بيّن عليه السلام الحاجة إلى ذلك بأنّه لاتكفي الإحاطة ببعض مسيرها للعلم بحركاتها لأنّ حركاتها الخاصّة عندهم مختلفة بالنسبة إلى مركز العالم بسبب التداوير والأفلاك الخارجة المراكز وغيرها ، فتارة تسرع وتارة تبطىء فلا تتأتّى مقايسة بعض حركاتها ببعض .

قوله عليه السلام : كيف يكون بعضها سعداً أي يرجع قولك إلى أنّها مع صفاتها وجدت من غير صانع فكيف صار بعضها هكذا وبعضها هكذا ، فترجّح هذه الأحوال الممكنة و حصولها من غير علّة ممّا يحكم العقل باستحالته ، أو المراد أنّها لو كانت خالقة لأنفسها لكان كلّ منها يختار لنفسه أفضل الأحوال وأشرفها فكان جميعها على حالة واحدة هي أفضل الأحوال ؛ وهذا أظهر . ثمّ لمّا لم يفهم السائل ذلك غيّر الكلام وصرفه إلى ما هو أوضح . وقوله عليه السلام : قد أقررت أنّها لم تكن شيئاً إمّا مبنيٌّ على أنّ الصنع والخلق لايتعلّقان إلّا بالحادث ، أو على ما كان ظاهر كلام السائل أنّ لوجودها مبدءاً ، ثمّ إنّ السائل لمّا تفطّن بفساد كون الشيء صانعاً لنفسه رجع وأقرّ بأنّ العقل يحكم بديهة بأنّ المصنوع غير الصانع ، و الباني غير البناء ؛ و ما ذكره عليه السلام من أنّ خالق الحياة والموت لابدّ أن يكون واحداً ممّا يحكم به الوجدان مع أنّ الظاهر من خالق الحياة من يكون مستقلاً فيه ، و الموت ليس إلّا رفع الحياة ، فلو كان مستنداً إلى غيره لم يكن خالق الحياة مستقلاً فيه .

قوله عليه السلام : دون هذا أي أنا اُنكر الصعود إلى السماء الّذي هو أسهل ممّا ذكرت فكيف اُقرّ به ، أو المراد أنّ الصعود إلى السماء أسهل عليّ من الإقرار بما ذكرت . قوله عليه السلام : إنّهنّ كنّ قبل الناس أي بالعلّيّة والسببيّة كما ظنّ السائل ، أو بالزمان أي تقدّمها على كلّ شخص ، أو على الجميع بناءاً على لزوم التقدّم على كلّ

من الأشخاص التقدمّ على الجميع كما قيل ، أوعلى أنّه عليه السلام كان يعلم أنّ السائل كان قائلاً بذلك فذكره عليه السلام إلزاماً عليه كما اعترف به ؛ وعلى الأوّل يكون المراد بقوله : لم يزالوا ولايزالون عدم استنادهم إلى علّة ، وعلى الثاني فالمراد إمّا قدم مادّتهم أوصورهم أيضاً بناءاً على القول بالكمون ، و على الثالث فالمراد قدم نوعهم . قوله عليه السلام : بعد هذا الفلك أي هي محتاجة إلى الفلك ، و الفلك متقدّمة عليها بالعلّيّة فلا يصحّ كون النجوم علّة لها للزوم الدور . قوله عليه السلام : لم يكن ذرءٌ أي مذروء و مخلوق من الإنس .

ثمّ اعلم أنّ حاصل استدلاله على ما ظهر لهذا القاصر هو أنّه عليه السلام ـ لمّا قرّر السائل سالفاً على أنّ النجوم ليست خالقة لأنفسها ، و آنفاً على أنّها ليست مخلوقة للناس وغيرها ممّا يحدث بزعمه بتأثيرها لتأخّرها عنها ، وعلى أنّ الأرض أيضاً متقدّمة على ما عليها من الخلق فلا تكون مخلوقة لما عليها ، وعلى أنّ الفلك لتقدّمه على النجوم المتقدّمة على الناس لايجوز كونه مخلوقاً لشيء منها ـ استدلّ عليه السلام ههنا على أنّه لابدّ أن يكون خالق السماء والأرض وما في السماء من الشمس و القمر و النجوم وما على الأرض من الخلق واحداً .

أمّا اتّحاد خالق الأرض والنجوم فيمكن تقريره بوجهين : الأوّل : أنّ الناس محتاجون إلى الأرض كما عرفت ، وظاهر أنّها من أعظم مصالحهم فالوجدان الصحيح يحكم بأنّ من خلق شيئاً يعدّ له ما يصلحه ، ويهيّيء له ما سيحتاج إليه فظهر أنّه لابدّ أن يكون خالق الناس و خالق الأرض واحداً ، والناس بزعمك مخلوقون للنجوم و لزمك القول بوجود خالق للنجوم ، فلابدّ من القول بكون الأرض منسوبة إلى خالق النجوم إمّا بلاواسطة أو بواسطة النجوم أو غيرها فثبت المطلوب .

الثاني : أنّا نرى التلازم بين الناس والأرض لحكم العقل بأنّ كلاًّ منهما يرتفع عند ارتفاع الآخر إذ الظاهر أنّ غاية خلق الأرض هو الإنسان ونحوه وهم محتاجون في اُمورهم إليها ، وقد تقرّر أنّ المتلازمين إمّا أن يكون أحدهما علّة للآخر ، أو كلٌّ منهما معلول علّة ثالثة ، ولايجوز أن يكون الناس علّلاً للأرض لما عرفت ، ولا معلولة

لها لانتسابها عندك إلى النجوم فلابدّ من أن يكونا معلولي علّة واحدة . و بأحدهذين التقريرين يثبت اتّحاد خالق السماء و خالق هذه الاُمور السابقة لاحتياج ماعلى الأرض من الخلق إلى السماء ومافيها من النجوم ؛ وإليه أشار عليه السلام بقوله : وإنّه لولا السماء و ما فيها لهلك ذرء الأرض . هذا مـا أحاط به نظري العاثر ، وسيأتي في تضاعيف كلامه عليه السلام توضيح ماقلناه ، والتصريح ببعض ماقرّرناه ، والله يعلم و حججه عليهم السلام حقـائق كلامهم ودقائق مرامهم ؛ ثمّ لايتوهّم متوهّم من كلامه عليه السلام أنّ للنجوم تأثيراً فإنّه ظاهر أنّه عليه السلام إنّماذكرها إلزاماً عليه ، ومماشاةً معه لإتمام الحجّة عليه[1] بل لايمكن الاستدلال على سعودها ونحوسها وكونها علامات للكائنات أيضاً بهذا الوجه لكن ظاهره أنّ لها سعادة ونحوسة و أنّها علامات ، وسيأتي القول في ذلك مفصّلاً في كتاب السماء والعالم .

متن : قال : أشهد أنّ الخالق واحد من غير شكّ لأنّك قد أتيتني بحجّة ظهرت لعقلي وانقطعت بها حجّتي ، وما أرى يستقيم أن يكون واضع هذا الحساب ومعلّم هذه النجوم واحداً من أهل الأرض لأنّها في السماء ، ولا مع ذلك يعرف ماتحت الأرض منها إلّا معلّم مافي السماء منها ، ولكن لست أدري كيف سقط أهل الأرض على هذا العلم الّذي هو في السماء حتّى اتّفق حسابهم على مارأيت من الدقّة والصواب فإنّي لولم أعرف من هذا الحساب ما أعرفه لأنكرته ولأخبرتك أنّه باطل في بدء الأمر فكان أهون عليّ .

قلت : فأعطني موثقاً إن أنا أعطيتك من قبل هذه الإهليلجة الّتي في يدك وماتدّعي من الطبّ الّذي هو صناعتك وصناعة آبائك حتّى يتّصل الإهليلجة ومايشبهها من الأدوية بالسماء لتذعننّ بالحقّ ، ولتنصفنّ من نفسك . قال : ذلك لك . قلت : هل كان الناس على حال وهم لايعرفون الطبّ ومنافعه من هذه الإهليلجة وأشباهها ؟ قال : نعم .

قلت : فمن أين اهتدوا له ؟ قال : بالتجربة وطول المقايسة . قلت : فكيف خطر

---

(١) ماذكره رحمه الله بمعنى التأثير بنحو الاستقلال حق ؛ وأما أصل التأثير بمعنى وجود رابطة السببية و المسببية بين هذه الاشياء فهو مما بنى عليه كلامه عليه السلام من أوله الى آخره كما هو ظاهر . ط

على أوهامهم حتّى همّوا بتجربته ؟ وكيف ظنّوا أنّه مصلحة للأجساد وهم لايرون فيه إلّا المضرّة ؟ أو كيف عزموا على طلب ما لايعرفون ممّا لاتدلّهم عليه الحواسّ ؟ قال : بالتجارب .

قلت : أخبرني عن واضع هذا الطبّ و واصف هذه العقاقير المتفرّقة بين المشرق والمغرب ، هل كان بدٌّ من أن يكون الّذي وضع ذلك ودلّ على هذه العقاقير رجل حكيم من بعض أهل هذه البلدان ؟ .

قال : لابدّ أن يكون كذلك ، وأن يكون رجلاً حكيماً وضع ذلك و جمع عليه الحكماء فنظروا في ذلك وفكّروا فيه بعقولهم . قلت : كأنّك تريد الإنصاف من نفسك والوفاء بما أعطيت من ميثاقك فأعلمني كيف عرف الحكيم ذلك ؟ وهبه قد عرف بما في بلاده من الدواء ، والزعفران الّذي بأرض فارس ، أتراه اتّبع جميع نبات الأرض فذاقه شجرة شجرة حتّى ظهر على جميع ذلك ؟ وهل يدلّك عقلك على أنّ رجالاً حكماء قدروا على أن يتّبعوا جميع بلاد فارس ونباتها شجرة شجرة حتّى عرفوا ذلك بحواسّهم ، وظهروا على تلك الشجرة الّتي يكون فيها خلط بعض هذه الأدوية الّتي لم تدرك حواسّهم شيئاً منها ؟ وهبه أصاب تلك الشجرة بعد بحثه عنها وتتبّعه جميع شجر فارس ونباتها ، كيف عرف أنّه لايكون دواء حتّى يضمّ إليه الإهليلج من الهند ، والمصطكي من الروم ، والمسك من التبّت ، والدارصيني من الصين ، وخصي بيدستر من الترك ، والأفيون من مصر ، والصبر من اليمن ،[1] والبورق من أرمنيّة ،[2] وغير ذلك من أخلاط الأدوية الّتي تكون في أطراف الأرض ؟ وكيف عرف أنّ بعض تلك الأدوية وهي عقاقير مختلفة يكون المنفعة باجتماعها ولايكون منفعتها في الحالات بغير اجتماع ؟ أم كيف اهتدى لمنابت هذه الأدوية وهي ألوان مختلفة وعقاقير متباينة في بلدان متفرّقة ؟ فمنها عروق ، ومنها لحاء[3] ومنها ورق ، ومنها ثمر ، ومنها عصير ، ومنها مائع ، ومنها صمغ ، ومنها دهن ، ومنها

(١) الصبر وزان كتف : عصارة شجر مر .

(٢) البورق بالفتح معرب بوره : شيء يتكون مثل الملح في شطوط الانهار والمياه .

(٣) اللحاء : قشر العود أو الشجر .

مايعصر ويطبخ ، ومنها مايعصرولايطبخ ، ممّا سمّي بلغات شتّى لايصلح بعضها إلّا ببعض ولايصير دواءاً إلّا باجتماعها ؛ ومنها مرائرالسباع والدوابّ البرّيّة والبحريّة ، وأهل هذه البلدان مع ذلك متعادون مختلفون متفرّقون باللّغات ، متغالبون بالمناصبة ،[1] و متحاربون بالقتل والسبي أفترى ذلك الحكيم تتبّع هذه البلدان حتّى عرف كلّ لغة وطاف كلّ وجه ، وتتبّع هذه العقاقير مشرقاً و مغرباً آمناً صحيحاً لايخاف ولايمرض ، سليماً لايعطب ، حيّاً لايموت ، هادياً لايضلّ ، قاصداً لايجور[2] حافظاً لاينسى ، نشيطاً لايملّ ، حتّى عرف وقت أزمنتها ، ومواضع منابتها مع اختلاطها واختلاف صفاتها وتباين ألوانها وتفرّق أسمائها ، ثمّ وضع مثالها على شبهها وصفتها ، ثمّ وصف كلّ شجرة بنباتها وورقها وثمرها وريحها وطعمها ؟ أم هل كان لهذا الحكيم بدّ من أن يتّبع جميع أشجار الدنيا وبقولها وعروقها شجرة شجرة ، وورقة ورقة ، شيئاً شيئاً ؟ فهبه وقع على الشجرة الّتي أراد فكيف دلّته حواسّه على أنّها تصلح لدواء ، والشجر مختلف منه الحلو والحامض والمرّ والمالح ؟ .

وإن قلت : يستوصف في هذه البلدان ويعمل بالسؤال ، فأنّى يسأل عمّا لم يعاين ولم يدركه بحواسّه ؟ أم كيف يهتدي إلى من يسأله عن تلك الشجرة وهو يكلّمه بغير لسانه وبغير لغته والأشياء كثيرة ؟ فهبه فعل كيف عرف منافعها ومضارّها ، وتسكينها و تهييجها ، وباردها وحارّها ، وحلوها و مرارتها وحرافتها ،[3] ولينها و شديدها[4] ؟ فلئن قلت : بالظنّ إنّ ذلك ممّا لايدرك ولا يعرف بالطبائع والحواسّ ، ولئن قلت : بالتجربة و الشرب لقد كان ينبغي له أن يموت في أوّل ماشرب وجرّب تلك الأدوية بجهالته بها وقلّة معرفته بمنافعها ومضارّها وأكثرها السمّ القاتل . ولئن قلت : بل طاف في كلّ بلد ، وأقام في كلّ اُمّة يتعلّم لغاتهم ويجرّب بهم أدويتهم تقتل الأوّل فالأوّل منهم ما كان لتبلغ معرفته الدواء الواحد إلّا بعد قتل قوم كثير، فما كان أهل تلك البلدان

---

(١) في نسخة : متقلبون بالمناصبة .

(٢) في نسخة : قاصداً لايجوز .

(٣) الحرافة : طعم يلذع اللسان بحرارته .

(٤) في نسخة : ولينها ويابسها .

الّذين قتل منهم من قتل بتجربته بالّذين ينقادونه بالقتل ولايدعونه أن يجاورهم ، و هبه تركوه وسلّموا لأمره ولم ينهوه كيف قوي على خلطها ، وعرف قدرها ووزنها و أخذ مثاقيلها و قرط قراريطها ؟ وهبه تتبّع هذا كلّه ، وأكثره سمّ قاتل ، إن زيد على قدرها قتل ، وإن نقص عن قدرها بطل ، وهبه تتبّع هذا كلّه وجال مشارق الأرض و مغاربها ، وطال عمره فيها تتبّعه شجرة شجرة وبقعة بقعة كيف كان له تتبّع مالم يدخل في ذلك من مرارة الطير والسباع ودوابّ البحر؟ هل كان بدٌّ حيث زعمت أنّ ذلك الحكيم تتبّع عقاقير الدنيا شجرة شجرة وثمرة ثمرة حتّى جمعها كلّها فمنها مالايصلح ولايكون دواءاً إلّا بالمرار؟ هل كان بدٌّ من أن يتبع جميع طير الدنيا وسباعها و دوابّها دابّة دابّة وطائراً طائراً يقتلها ويجرّب مرارتها ، كما بحث عن تلك العقاقير على مازعمت بالتجارب ؟ ولو كان ذلك فكيف بقيت الدوابّ وتناسلت وليست بمنزلة الشجرة إذا قطعت شجرة نبتت اُخرى ؟ وهبه أتى على طير الدنيا كيف يصنع بما في البحر من الدوابّ الّتي كان ينبغي أن يتتبّعها بحراً بحراً ودابّة دابّة حتّى أحاط به كما أحاط بجميع عقاقير الدنيا الّتي بحث عنها حتّى عرفها وطلب ذلك في غمرات الماء ؟ فإنّك مهما جهلت شيئاً من هذا فإنّك لاتجهل أنّ دوابّ البحر كلّها تحت الماء فهل يدلّ العقل والحواسّ على أنّ هذا يدرك بالبحث والتجارب ؟ .

قال : لقد ضيّقت عليَّ المذاهب ، فما أدري ما اُجيبك به ! قلت : فإنّي آتيك بغير ذلك ممّا هو أوضح وأبين ممّا اقتصصت عليك ، ألست تعلم أنّ هذه العقاقير الّتي منها الأدوية والمرار من الطير والسباع لايكون دواءاً إلّا بعد الاجتماع ؟ قال . هو كذلك .

قلت : فأخبرني كيف حواسّ هذا الحكيم وضعت هذه الأدوية مثاقيلها وقراريطها ؟ فإنّك من أعلم الناس بذلك لأنّ صناعتك الطبّ ، وأنت تدخل في الدواء الواحد من اللّون الواحد زنة أربع مائة مثقال ، ومن الآخر مثاقيل وقراريط فما فوق ذلك و دونه حتّى يجيىء بقدر واحد معلوم إذا سقيت منه صاحب البطنة بمقدار عقد بطنه ، وإن سقيت صاحب القولنج أكثر من ذلك استطلق بطنه وألان [1] فكيف أدركت حواسّه على هذا ؟

(١) استطلق البطن : مشى . وألان اى جعله ليناً

أم كيف عرفت حواسه أنّ الّذي يسقى لوجع الرأس لاينحدر إلى الرجلين ، والانحدار أهون عليه من الصعود ؟ والّذي يسقى لوجع القدمين لايصعد إلى الرأس ، وهو إلى الرأس عند السلوك أقرب منه ؟ وكذلك كلّ دواء يسقي صاحبه لكلّ عضو لايأخذ إلّا طريقه في العروق الّتي تسقى له ، وكلّ ذلك يصير إلى المعدة ومنها يتفرّق ؟ أم كيف لايسفل منه ماصعد ولايصعد منه ماانحدر ؟ أم كيف عرفت الحواسّ هذا حتّى علم أنّ الّذي ينبغي للاُذن لاينفع العين وماينتفع به العين لايغني من وجع الاُذن ، وكذلك جميع الأعضاء يصير كلّ داء منها إلى ذلك الدواء [١] الّذي ينبغي له بعينه ؟ فكيف أدركت العقول والحكمة والحواسّ هذا وهو غائب في الجوف ، والعروق في اللّحم ، وفوقه الجلد لايدرك بسمع ولا ببصر ولا بشمّ ولا بلمس ولا بذوق ؟ .

قال : لقد جئت بما أعرفه [٢] إلّا أنّا نقول : إنّ الحكيم الّذي وضع هذه الأدوية وأخلاطها كان إذا سقى أحداً شيئاً من هذه الأدوية فمات شقّ بطنه وتتبّع عروقه ونظر مجاري تلك الأدوية و أتى المواضع الّتي تلك الأدوية فيها . قلت : فأخبرني ألست تعلم أنّ الدواء كلّه إذا وقع في العروق اختلط بالدم فصار شيئاً واحداً ؟ قال : بلى .

قلت : أما تعلم أنّ الإنسان إذا خرجت نفسه برد دمه وجمد ؟ قال : بلى . قلت : فكيف عرف ذلك الحكيم دواءه الّذي سقاه للمريض بعد ماصار غليظاً عبيطاً ليس بأمشاج يستدلّ عليه بلون فيه غير لون الدم ؟ قال : لقد حملتني على مطيّة صعبة ماحملت على مثلها قطّ ، ولقد جئت بأشياء لاأقدر على ردّها .

شرح : قوله عليه السلام : خلط بعض هذه الأدوية الخلط بالكسر : ما يخلط بالشيء أي ما يدخل في بعض هذه الأدوية المركّبة . قوله عليه السلام : ثمّ وضع مثالها على شبهها أي ضمّ كلّما وجد من كلّ نوع إلى مثله لأنّه يشبهه ويوافقه في الصفة أو ترك الأشياء الّتي تشبه مايريده ، وإن كانت موافقة له في الصفات فإنّ كثيراً من العقاقير تشتبه بغيرها لاتّفاقهما في كثير من الصفات . قوله عليه السلام : فكيف بقيت لعلّ المفروض أنّ ذلك كان

(١) في نسخة : يصير كل دواء منها إلى ذلك الداء .

(٢) في نسخة : لقد جئت بما أعرف .

في مبادي خلق العالم لقدم ذلك العلم فيلزم من التجارب الكثيرة فناء الحيوانات لقلّتها في تلك الأزمنة . قوله عليه السلام : ليس بأمشاج أي أشياء مختلطة متمايزة .

أقول : كلامه عليه السلام يدلّ على أنّ خواصّ الأدوية وأجناسها ومنافعها ومناسبتها للأمراض إنّما وصل إلى الخلق بإخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ولم يصل الخلق إليها بعقولهم وتجاربهم .

متن : قلت : فأخبرني من أين علم العباد ما وصفت من هذه الأدوية الّتي فيها المنافع لهم حتّى خلطوها وتتبّعوا عقاقيرها في هذه البلدان المتفرّقة ، وعرفوا مواضعها ومعادنها في الأماكن المتباينة ، وما يصلح من عروقها وزنتها من مثاقيلها وقراريطها ، وما يدخلها من الحجارة ومرار السباع وغير ذلك ؟ قال : قد أعييت عن إجابتك[1] لغموض مسائلك وإلجائك إيّاي إلى أمر لا يدرك علمه بالحواسّ ، ولا بالتشبيه والقياس ، ولابدّ أن يكون وضع هذه الأدوية واضع ، لأنّها لم تضع هي أنفسها ، ولا اجتمعت حتّى جمعها غيرها بعد معرفته إيّاها ؛ فأخبرني كيف علم العباد هذه الأدوية الّتي فيها المنافع حتّى خلطوها وطلبوا عقاقيرها في هذه البلدان المتفرّقة ؟ .

قلت : إنّي ضاربٌ لك مثلاً وناصبٌ لك دليلاً تعرف به واضع هذه الأدوية والدالّ على هذه العقاقير المختلفة وباني الجسد وواضع العروق الّتي يأخذ فيها الدواء إلى الداء . قال : فإن قلت ذلك لم أجد بدّاً من الانقياد إلى ذلك . قلت : فأخبرني عن رجل أنشأ حديقة عظيمة ، وبنى عليها حائطاً وثيقاً ، ثمّ غرس فيها الأشجار والأثمار والرياحين والبقول ، وتعاهد سقيها وتربيتها ، ووقاها مايضرّها ، حتّى لا يخفى عليه موضع كلّ صنف منها فإذا أدركت أشجارها وأينعت أثمارها[2] واهتزّت بقولها دفعت إليه[3] فسألته أن يطعمك لوناً من الثمار والبقول سمّيته له أتراه كان قادراً على

(١) أى قد أعجزت عن إجابتك .

(٢) اينع الثمر : أدرك وطاب وحان قطافه . وفى بعض النسخ : ايفع أثمارها . فهو من أيفع الغلام : ترعرع وناهز البلوغ .

(٣) فى نسخة : ذهبت اليه .

أن ينطلق قاصداً مستمراً لايرجع ، ولا يهوي إلى شيء يمرّ به من الشجرة والبقول حتّى يأتي الشجرة الّتي سألته أن يأتيك بثمرها ، و البقلة الّتي طلبتها حيث كانت من أدنى الحديقة أو أقصاها فيأتيك بها ؟ قال : نعم . قلت : أفرأيت لو قال لك صاحب الحديقة حيث سألته الثمرة : ادخل الحديقة فخذ حاجتك فإنّي لا أقدر على ذلك ، هل كنت تقدر أن تنطلق قاصداً لاتأخذ يميناً ولاشمالاً حتّى تنتهي إلى الشجرة فتجتني منها ؟ قال : و كيف أقدر على ذلك ولاعلم لي في أيّ مواضع الحديقة هي ؟ قلت : أفليس تعلم أنّك لم تكن لتصيبها دون أن تهجم عليها بتعسّف وجولان في جميع الحديقة حتّى تستدلّ عليها ببعض حواسّك بعد ماتتصفّح فيها من الشجرة شجرة شجرة و ثمرة ثمرة حتّى تسقط على الشجرة الّتي تطلب ببعض حواسّك إن تأتيها ، وإن لم ترها انصرفت ؟ .

قال : و كيف أقدر على ذلك ولم اُعاين مغرسها حيث غرست ، ولا منبتها حيث نبتت ، ولا ثمرتها حيث طلعت . قلت : فإنّه ينبغي لك أن يدلّك عقلك حيث عجزت حواسّك عن إدراك ذلك إنّ الّذي غرس هذا البستان العظيم فيما بين المشرق والمغرب وغرس فيه هذه الأشجار والبقول هو الّذي دلّ الحكيم الّذي زعمت أنّه وضع الطبّ على تلك العقاقير ومواضعها في المشرق والمغرب ؛ وكذلك ينبغي لك أن تستدلّ بعقلك على أنّه هو الّذي سمّاها وسمّى بلدتها وعرف مواضعها كمعرفة صاحب الحديقة الّذي سألته الثمرة ، وكذلك لايستقيم ولاينبغي أن يكون الغارس والدالّ عليها إلّا الدالّ على منافعها ومضارّها وقراريطها ومثاقيلها .

قال : إنّ هذا لكما تقول . قلت : أفرأيت لو كان خالق الجسد ومافيه من العصب واللّحم والأمعاء والعروق الّتي يأخذ فيها الأدوية إلى الرأس وإلى القدمين وإلى ماسوى ذلك غير خالق الحديقة وغارس العقاقير ، هل كان يعرف زنتها ومثاقيلها وقراريطها وما يصلح لكلّ داء منها ، وما كان يأخذ في كلّ عرق ؟ .

قال : و كيف يعرف ذلك أو يقدر عليه وهذا لايدرك بالحواسّ ، ماينبغي أن يعرف هذا إلّا الّذي غرس الحديقة وعرف كلّ شجرة و بقلة ومافيها من المنافع و المضارّ . قلت : أفليس كذلك ينبغي أن يكون الخالق واحداً ؟ لأنّه لو كان إثنين أحدهما خالق

الدواء والآخر خالق الجسد والداء لم يهتد غارس العقاقير لا يصال دوائه إلى الداء الّذي بالجسد ممّا لاعلم له به ، ولا اهتدى خالق الجسد إلى علم مايصلح ذلك الداء من تلك العقاقير ، فلمّا كان خالق الداء والدواء واحداً أمضى الدواء في العروق الّتي برأ وصوّر إلى الداء الّذي عرف ووضع فعلم مزاجها من حرّها وبردها وليّنها وشديدها ومايدخل في كلّ دواء منه من القراريط والمثاقيل ، ومايصعد إلى الرأس منها ومايهبط إلى القدمين منها وما يتفرّق منه فيما سوى ذلك .

قال : لاأشكّ في هذا لأنّه لو كان خالق الجسد غير خالق العقاقير لم يهتد واحد منهما إلى ماوصفت . قلت : فإنّ الّذي دلّ الحكيم الّذي وصفت أنّه أوّل من خلط هذه الأدوية ودل على عقاقيرها المتفرّقة فيما بين المشرق والمغرب ، ووضع هذا الطبّ على ماوصفت لك هو صاحب الحديقة فيما بين المشرق والمغرب ، وهو باني الجسد ، وهو دلّ الحكيم بوحي منه على صفة كلّ شجرة و بلدها ، ومايصلح منها من العروق والثمار والدهن والورق والخشب واللّحاء ؛ وكذلك دلّه على أوزانها من مثاقيلها و قراريطها وما يصلح لكلّ داء منها ، وكذلك هو خالق السباع والطير والدوابّ الّتي في مرارها المنافع ممّا يدخل في تلك الأدوية فإنّه لو كان غير خالقها لم يدر ماينتفع به من مرارها ومايضرّ ومايدخل منها في العقاقير ؛ فلمّا كان الخالق سبحانه وتعالى واحداً دلّ على ما فيه من المنافع منها فسمّاه باسمه حتّى عرف و ترك مالا منفعة فيه منها ، فمن ثمّ علم الحكيم أيّ السباع والدوابّ والطير فيه المنافع ، وأيّها لامنفعة فيه ، ولولا أنّ خالق هذه الأشياء دلّه عليها مااهتدى بها .

قال : إنّ هذا لكما تقول وقد بطلت الحواسّ والتجارب عند هذه الصفات . قلت أمّا إذا صحّت نفسك فتعال ننظر بعقولنا ونستدلّ بحواسّنا ، هل كان يستقيم لخالق هذه الحديقة وغارس هذه الأشجار وخالق هذه الدوابّ والطير والناس الّذي خلق هذه الأشياء لمنافعهم أن يخلق هذا الخلق ويغرس هذا الغرس في أرض غيره ممّا إذا شاء منعه ذلك ؟ .

قال : ما ينبغي أن تكون الأرض الّتي خلقت فيها الحديقة العظيمة وغرست فيه

الأشجار إلّا لخالق هذا الخلق وملك يده . قلت : فقد أرى الأرض أيضاً لصاحب الحديقة لاتّصال هذه الأشياء بعضها ببعض . قال : ما في هذا شكٌّ . قلت : فأخبرني وناصح نفسك ألست تعلم أنّ هذه الحديقة ومافيها من الخلقة العظيمة من الإنس والدوابّ والطير و الشجر والعقاقير والثمار وغيرها لايصلحها إلّا شربها وريّها من الماء الّذي لاحياة لشيء إلّا به ؟ قال : بلى . قلت : أفترى الحديقة ومافيها من الذرء خالقها واحد ، و خالق الماء غيره يحبسه عن هذه الحديقة إذا شاء ويرسله إذا شاء فيفسد على خالق الحديقة ؟.

قال : ماينبغي أن يكون خالق هذه الحديقة وذارء هذا الذرء الكثير و غارس هذه الأشجار إلا المدبّر الأوّل وماينبغي أن يكون ذلك الماء لغيره ، وإنّ اليقين عندي لهو أنّ الّذي يجري هذه المياه من أرضه وجباله لغارس هذه الحديقة ومافيها من الخليقة لأنّه لو كان الماء لغير صاحب الحديقة لهلك الحديقة ومافيها ، ولكنّه خالق الماء قبل الغرس والذرء وبه استقامت الأشياء وصلحت . قلت : أفرأيت لو لم يكن لهذه المياه المنفجرة في الحديقة مغيض [1] لمايفضل من شربها يحبسه عن الحديقة أن يفيض عليها أليس كان يهلك مافيها من الخلق على حسب ما كانوا يهلكون لو لم يكن لها ماء ؟ قال : بلى ولكنّي لا أدري لعلّ هذا البحر ليس له حابس وأنّه شيء لم يزل . قلت : أمّا أنت فقد أعطيتني أنّه لولا البحر و مغيض المياه إليه لهلكت الحديقة . قال : أجل . قلت : فإنّي أُخبرك عن ذلك بما تستيقن بأنّ خالق البحر هو خالق الحديقة وما فيها من الخليقة ، و أنّه جعله مغيضاً لمياه الحديقة مع ما جعل فيه من المنافع للناس .

قال : فاجعلني من ذلك على يقين كما جعلتني من غيره . قلت : ألست تعلم أنّ فضول ماء الدنيا يصير في البحر؟ قال : بلى . قلت : فهل رأيته زائداً قطّ في كثرة الماء وتتابع الأمطار على الحدّ الّذي لم يزل عليه ؟ أوهل رأيته ناقصاً في قلّة المياه وشدّة الحرّ وشدّة القحط ؟ قال : لا . قلت : أفليس ينبغي أن يدلّك عقلك على أنّ خالقه وخالق الحديقة ومافيها من الخليقة واحد ، وأنّه هو الّذي وضع له حدّاً لايجاوزه لكثرة الماء ولا لقلّته ، وأنّ ممّا يستدلّ على ما أقول أنّه يقبل بالأمواج أمثال الجبال يشرف على

(١) المغيض : مجتمع الماء ومدخله في الارض وفي نسخة : المفيض بالفاء وكذا فيما يأتي بعده .

السهل والجبل فلولم تقبض أمواجه ولم تحبس في المواضع الّتي اُمرت بالاحتباس فيها لأطبقت على الدنيا حتّى إذا انتهت على تلك المواضع الّتي لم تزل تنتهي إليها ذلّت أمواجه وخضع أشرافه .

قال : إنّ ذلك لكما وصفت ولقد عاينت منه كلّ الّذي ذكرت ، ولقد أتيتني ببرهان ودلالات ما أقدر على إنكارها ولا جحودها لبيانها . قلت : وغير ذلك سآتيك به ممّا تعرف اتّصال الخلق بعضه ببعض ، وأنّ ذلك من مدبّر حكيم عالم قدير ، ألست تعلم أنّ عامّة الحديقة ليس شربها من الأنهار والعيون وأنّ أعظم ماينبت فيها من العقاقير والبقول الّتي في الحديقة ومعاش مافيها من الدوابّ والوحش والطير من البراري الّتي لاعيون لها ولا أنهار إنّما يسقيه السحاب ؟ قال : بلى . قلت : أفليس ينبغي أن يدلّك عقلك وما أدركت بالحواسّ الّتي زعمت أنّ الأشياء لاتعرف إلّا بها أنّه لو كان السحاب الّذي يحتمل من المياه إلى البلدان والمواضع الّتي لاتنالها ماء العيون والأنهار وفيها العقاقير والبقول والشجر والأنام لغير صاحب الحديقة لأمسكه عن الحديقة إذا شاء ، ولكان خالق الحديقة من بقاء خليقته الّتي ذرأ وبرأ على غرور ووجل ، خائفاً على خليقته أن يحبس صاحب المطر الماء الّذي لاحياة للخليقة إلّا به ؟ .

قال : إنّ الّذي جئت به لواضح متّصل بعضه ببعض ، وماينبغي أن يكون الّذي خلق هذه الحديقة وهذه الأرض ، وجعل فيها الخليقة وخلق لها هذا المغيض . وأنبت فيها هذه الثمار المختلفة إلّا خالق السماء والسحاب ؛ يرسل منها ماشاء من الماء إذا شاء أن يسقي الحديقة ويحيي ما في الحديقة من الخليقة والأشجار والدوابّ والبقول وغير ذلك ، إلّا أنّي اُحبّ أن تأتيني بحجّة أزداد بها يقيناً وأخرج بها من الشكّ . قلت : فإنّي آتيك بها إن شاء الله من قبل إهليلجتك واتّصالها بالحديقة ، ومافيها من الأشياء المتّصلة بأسباب السماء لتعلم أنّ ذلك بتدبير عليم حكيم .

قال : وكيف تأتيني بما يذهب عنّي الشكّ من قبل الإهليلجة ؟ قلت : فيما اُريك فيها من إتقان الصنع ، وأثر التركيب المؤلّف ، واتّصال مابين عروقها إلى فروعها ، واحتياج بعض ذلك إلى بعض حتّى يتّصل بالسماء . قال : إن أريتني ذلك لم أشكّ . قلت : ألست

تعلم أنّ الإهليلجة نابتة في الأرض وأنّ عروقها مؤلّفة إلى أصل، وأنّ الأصل متعلّق بساق متّصل بالغصون، والغصون متّصلة بالفروع، والفروع منظومة بالأكمام والورق، وملبس ذلك كلّه الورق، ويتّصل جميعه بظلّ يقيه حرّ الزمان وبرده؟.

قال: أمّا الإهليلجة فقد تبيّن لي اتّصال لحائها وما بين عروقها و بين ورقها ومنبتها من الأرض، فأشهد أنّ خالقها واحد لايشركه في خلقها غيره لإتقان الصنع واتّصال الخلق وايتلاف التدبير وإحكام التقدير. قلت: إن أريتك التدبير مؤتلفاً بالحكمة والإتقان معتدلاً بالصنعة، محتاجاً بعضه إلى بعض، متّصلاً بالأرض الّتي خرجت منه الإهليلجة في الحالات كلّها أتقرّ بخالق ذلك؟ قال: إذن لا أشكّ في الوحدانيّة. قلت: فافهم وافقه ماأصف لك: ألست تعلم أنّ الأرض متّصلة بإهليلجتك وإهليلجتك متّصلة بالتراب، والتراب متّصل بالحرّ والبرد، والحرّ والبرد متّصلان بالهواء والهواء متّصل بالريح، والريح متّصلة بالسحاب، والسحاب متّصل بالمطر، والمطر متّصل بالأزمنة، والأزمنة متّصلة بالشمس والقمر، والشمس والقمر متّصلتان بدوران الفلك، والفلك متّصل بما بين السماء والأرض صنعة ظاهرة، وحكمة بالغة، وتأليف متقن، وتدبير محكم، متّصل كلّ هذا مابين السماء والأرض، لايقوم بعضه إلّا ببعض، ولايتأخّر واحد منهما عن وقته، ولو تأخّر عن وقته لهلك جميع من في الأرض من الأنام والنباتات؟ قال: إنّ هذه لهي العلامات البيّنات، والدلالات الواضحات الّتي يجري معها أثر التدبير، بإتقان الخلق والتأليف مع إتقان الصنع، لكنّي لست أدري لعلّ ماتركت غير متّصل بماذكرت. قلت: وماتركت؟ قال: الناس. قلت: ألست تعلم أنّ هذا كلّه متّصل بالناس، سخّره لها المدبّر الّذي أعلمتك أنّه إن تأخّر شيء مماعددت عليك هلكت الخليقة، وباد جميع مافي الحديقة، وذهبت الإهليلجة الّتي تزعم أنّ فيها منافع الناس؟.

قال: فهل تقدر أن تفسّر لي هذا الباب على ما لخّصت لي غيره؟ قلت: نعم أُبيّن لك ذلك من قبل إهليلجتك، حتّى تشهد أنّ ذلك كلّه مسخّر لبني آدم. قال: وكيف ذلك؟ قلت: خلق الله السماء سقفاً مرفوعاً، ولولا ذلك اغتمّ خلقه لقربها، وأحرقتهم

الشمس لدنوّها ، وخلق لهم شهباً ونجوماً يهتدى بها في ظلمات البرّ والبحر لمنافع الناس ، ونجوماً يعرف بها أصل الحساب ، فيها الدلالات على إبطال الحواسّ ، ووجود معلّمها الّذي علّمها عباده ، ممّا لا يدرك علمها بالعقول فضلاً عن الحواسّ ، ولا يقع عليها الأوهام ولا يبلغها العقول إلّا به لأنّه العزيز الجبّار الّذي دبّرها وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ، يسبحان [١] في فلك يدور بهما دائبين ، [٢] يطلعهما تارة ويؤفلهما اُخرى ، فبنى عليه الأيّام والشهور والسنين الّتي هي من سبب الشتاء والصيف والربيع والخريف ، أزمنة مختلفة الأعمال ، أصلها اختلاف اللّيل والنهار اللّذين لو كان واحد منهما سرمداً على العباد لماقامت لهم معايش أبداً ، فجعل مدبّر هذه الأشياء وخالقها النهار مبصرا واللّيل سكناً ، وأهبط فيهما الحرّ والبرد متبائنين لو دام واحد منهما بغير صاحبه مانبتت شجرة ولا طلعت ثمرة ، ولهلكت الخليقة لأنّ ذلك متّصل بالريح المصرّفة في الجهات الأربع ، باردة تبرّد أنفاسهم ، وحارّة تلقح أجسادهم وتدفع الأذى عن أبدانهم ومعايشهم ، ورطوبة ترطب طبائعهم ، ويبوسة تنشف رطوباتهم وبها يأتلف المفترق وبها يتفرّق الغمام المطبق حتّى ينبسط في السماء كيف يشاء مدبّره فيجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله بقدر معلوم لمعاش مفهوم ، وأرزاق مقسومة وآجال مكتوبة ، ولو احتبس عن أزمنته ووقته هلكت الخليقة ويبست الحديقة ، فأنزل الله المطر في أيّامه ووقته إلى الأرض الّتي خلقها لبني آدم ، وجعلها فرشاً ومهاداً ، وحبسها أن تزول بهم ، وجعل الجبال لها أوتاداً ، وجعل فيها ينابيع تجري في الأرض بما تنبت فيها لاتقوم الحديقة والخليقة إلّا بها ، ولا يصلحون إلّا عليها مع البحار الّتي يركبونها ، ويستخرجون منها حلية يلبسونها ولحماً طريّاً وغيره يأكلونه ؛ فعلم أنّ إله البرّ والبحر والسماء والأرض وما بينهما واحدٌ حيٌّ قيّوم مدبّر حكيم ، وأنّه لو كان غيره لاختلفت الأشياء .

وكذلك السماء نظير الأرض الّتي أخرج الله منها حبّاً وعنباً وقضباً ، وزيتوناً

---

(١) سبح في الماء وبالماء : عام وانبسط فيه . ويستعار لمرّ النجوم وجرى الفرس وماشاكل.

(٢) اى مستمرين .

ونخلاً ، وحدائق غلباً ، وفاكهةً وأبّاً ، بتدبير مؤلّف مبيّن ، بتصوير الزهرة والثمرة حياة لبني آدم ، ومعاشاً يقوم به أجسادهم ، وتعيش بها أنعامهم الّتي جعل الله في أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين ، والانتفاع بها والبلاغ على ظهورها معاشاً لهم لا يحيون إلّا به ، وصلاحاً لا يقومون إلّا عليه ، وكذلك ماجهلت من الأشياء فلا تجهل أنّ جميع ما في الأرض شيئان : شيء يولد ، وشيء ينبت ، أحدهما آكل ، والآخر مأكول ، وممّا يدلّك عقلك أنّه خالقهم ماترى من خلق الإنسان وتهيئة جسده لشهوة الطعام ، والمعدة لتطحن المأكول ، ومجاري العروق لصفوة الطعام ، وهيّأ لها الأمعاء ، ولو كان خالق المأكول غيره لماخلق الأجساد مشتهية للمأكول وليس له قدرة عليه .

قال : لقد وصفت صفة أعلم أنّها من مدبّر حكيم لطيف قدير عليم ، قد آمنت وصدّقت أنّ الخالق واحد سبحانه وبحمده ، غير أنّي أشكّ في هذه السمائم القاتلة أن يكون هو الّذي خلقها لأنّها ضارّة غير نافعة ؛ قلت : أليس قد صار عندك أنّها من غير خلق الله ؟ قال : نعم لأنّ الخالق عبيده ولم يكن ليخلق مايضرّهم . قلت : سأُبصّرك من هذا شيئاً تعرفه ولا اُنبّئك إلّا من قبل إهليلجتك هذه وعلمك بالطبّ ، قال : هات . قلت : هل تعرف شيئاً من النبت ليس فيه مضرّة للخلق ؟ قال : نعم . قلت : ماهو ؟ قال : هذه الأطعمة . قلت : أليس هذا الطعام الّذي وصفت يغيّر ألوانهم ، ويهيّج أوجاعهم حتّى يكون منها الجذام والبرص والسلال [1] والماء الأصفر ، وغير ذلك من الأوجاع ؟ قال : هو كذلك ؟ قلت : أمّا هذا الباب فقد انكسر عليك . قال : أجل . قلت : هل تعرف شيئاً من النبت ليس فيه منفعة ؟ قال : نعم .

قلت : أليس يدخل في الأدوية الّتي يدفع بها الأوجاع من الجذام والبرص والسلال وغير ذلك ، ويدفع الداء ويذهب السقم ممّا أنت أعلم به لطول معالجتك قال : إنّه كذلك .

قلت : فأخبرني أيّ الأدوية عندكم أعظم في السمائم القاتلة ؟ أليس الترياق ؟

(١) السل بالكسر في اللغة الهزال ، وفي الطب القديم قرحة في الرية ، وانما سمي المرض به لان من لوازمه هزال البدن ، ولان الحمى الدقية لازمة لهذه القرحة .

قال: نعم هو رأسها و أوّل ما يفرغ إليه عند نهش الحيّات [1] ولسع الهوامّ وشرب السمائم.

قلت: أليس تعلم أنّه لابدّ للأدوية المرتفعة والأدوية المحرقة في أخلاط الترياق إلّا أن تطبخ بالأفاعي القاتلة؟ قال: نعم هو كذلك ولا يكون الترياق المنتفع به الدافع للسمائم القاتلة إلّا بذلك، ولقد انكسر عليّ هذا الباب، فأنا أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، و أنّه خالق السمائم القاتلة و الهوامّ العادية، و بجميع النبت والأشجار، و غارسها ومنبتها، وبارىء الأجساد، وسائق الرياح، و مسخّر السحاب، و أنّه خالق الأدواء الّتي تهيج بالإنسان كالسمائم القاتله الّتي تجري في أعضائه وعظامه، ومستقرّ الأدواء ومايصلحها من الدواء، العارف بالروح ومجرى الدم و أقسامه في العروق واتّصاله بالعصب والأعضاء والعصب والجسد، وأنّه عارف بما يصلحه من الحرّ والبرد، عالم بكلّ عضو بمافيه، و أنّه هو الّذي وضع هذه النجوم وحسابها والعالم بها، والدالّ على نحوسها وسعودها ومايكون من المواليد، وأنّ التدبير واحد لم يختلف متّصل فيما بين السماء و الأرض وما فيها؛ فبيّن لي كيف قلت: هو الأوّل والآخر وهو اللّطيف الخبير و أشباه ذلك؟ قلت: هو الاوّل بلاكيف، و هو الآخر بلانهاية، ليس له مثل، خلق الخلق والأشياء لامن شيء ولاكيف بلاعلاج ولامعاناة ولافكر ولاكيف، كما أنّه لاكيف له، و إنّما الكيف بكيفيّة المخلوق لأنّه الأوّل لابدء له ولاشبه ولامثل ولا ضدّ ولاندّ، لا يدرك ببصر ولايحسّ بلمس، ولايعرف إلا بخلقه تبارك و تعالى.

قال: فصف لي قوّته. قلت: إنّما سمّي ربّنا جلّ جلاله قويّاً للخلق العظيم القويّ الّذي خلق مثل الأرض وما عليها من جبالها و بحارها و رمالها و أشجارها وماعليها من الخلق المتحرّك من الإنس ومن الحيوان، وتصريف الرياح والسحاب المسخّر المثقّل بالماء الكثير، والشمس والقمر وعظمهما وعظم نورهما الّذي لاتدركه الأبصار بلوغاً ولامنتهاً، والنجوم الجارية، و دوران الفلك، وغلظ السماء، وعظم الخلق العظيم

(١) نهش الحية: تناوله بفمه ليعضه فيؤثر فيه ولايجرحه.

والسماء المسقّفة فوقنا راكدة في الهواء ، ومادونها من الأرض المبسوطة ، وماعليها من الخلق الثقيل ، وهي راكدة لاتتحرّك ، غير أنّه ربّما حرّك فيها ناحية ، والناحية الأخرى ثابتة ، وربّما خسف منها ناحية والناحية الأخرى قائمة ؛ يرينا قدرته ويدلّنا بفعله على معرفته ، فلهذا سمّي قويّاً لا لقوّة البطش المعروفة من الخلق ، ولو كانت قوّته تشبه قوّة الخلق لوقع عليه التشبيه ، وكان محتملاً للزيادة ، وما احتمل الزيادة كان ناقصاً وما كان ناقصاً لم يكن تامّاً ، ومالم يكن تامّاً كان عاجزاً ضعيفاً ، والله عزّ وجلّ لايشبّه بشيء ، وإنّما قلنا : إنّه قويّ للخلق القويّ ؛ وكذلك قولنا : العظيم والكبير ؛ ولايشبّه بهذه الأسماء الله تبارك وتعالى .

قال : أفرأيت قوله : سميع بصير عالم ؟ قلت : إنّما يسمّى تبارك و تعالى بهذه الأسماء لأنّه لايخفى عليه شيء ممّا لاتدركه الأبصار من شخص صغير أو كبير ، أو دقيق أو جليل ، ولا نصفه بصيراً بلحظ عين كالمخلوق ؛ وإنّما سمّي سميعاً لأنّه مايكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم ، ولاخمسة إلّا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم أينما كانوا ، يسمع النجوى ، و دبيب النمل على الصفا ،[1] وخفقان الطير في الهواء[2] لاتخفى عليه خافية ولاشيء ممّا أدركته الأسماع والأبصار ومالاتدركه الأسماع والأبصار ، ماجلّ من ذلك ومادقّ ، وما صغر وماكبر ؛ ولم نقل سميعاً بصيراً كالسمع المعقول من الخلق ؛ وكذلك إنّما سمّي عليماً لأنّه لايجهل شيئاً من الأشياء ، لاتخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، علم مايكون ومالايكون ، ومالو كان كيف يكون ، ولم نصف عليماً بمعنى غريزة يعلم بها ، كما أنّ للخلق غريزة يعلمون بها ، فهذا ماأراد من قوله : عليم ؛ فعزّ من جلّ عن الصفات ، ومن نزّه نفسه عن أفعال خلقه فهذا هو المعنى ، ولولا ذلك مافصل بينه وبين خلقه فسبحانه وتقدّست أسماؤه .

قال : إنّ هذا لكما تقول ولقد علمت أنّما غرضي أن أسأل عن ردّ الجواب فيه عند مصرف يسنح عنّي ، فأخبرني لعلّي اُحكمه فيكون الحجّة قد انشرحت للمتعنّت المخالف ، أو السائل المرتاب ، أو الطالب المرتاد ، مع مافيه لأهل الموافقة من الازدياد . فأخبرني عن قوله : لطيف ، وقد عرفت أنّه للفعل ، ولكن قد رجوت أن تشرح لي ذلك بوصفك . قلت : إنّما

(١) الصفا : الحجر الصلد الضخم .
(٢) خفق الطير : ضرب بجناحيه .

سمّيناه لطيفاً للخلق اللّطيف، ولعلمه بالشيء اللّطيف ممّا خلق من البعوض والذرّة،[١] وممّا هو أصغر منهما لايكاد تدركه الأبصار والعقول، لصغر خلقه من عينه وسمعه وصورته، لايعرف من ذلك لصغره الذكر من الأنثى، ولا الحديث المولود من القديم الوالد،[٢] فلمّا رأينا لطف ذلك في صغره وموضع العقل فيه والشهوة للسفاد[٣] والهرب من الموت، والحدب على نسله من ولده، ومعرفة بعضها بعضاً، وما كان منها في لجج البحار، وأعنان السماء، والمفاوز والقفار، وما هو معنا في منزلنا، ويفهم بعضهم بعضاً من منطقهم، ومايفهم من أولادها، ونقلها الطعام إليها والماء، علمنا أنّ خالقها لطيف وأنّه لطيف بخلق اللّطيف،[٤] كما سمّيناه قويّاً بخلق القويّ.

قال: إنّ الّذي جئت به لواضح، فكيف جاز للخلق أن يتسمّوا بأسماء الله تعالى؟ قلت: إنّ الله جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه أباح للناس الأسماء ووهبها لهم، وقد قال القائل من الناس للواحد: واحد، ويقول لله: واحد، ويقول: قويّ والله تعالى قويّ، ويقول: صانع والله صانع، ويقول: رازق والله رازق، ويقول: سميع بصير والله سميع بصير، وما أشبه ذلك، فمن قال للإنسان: واحد فهذا له اسم وله شبيه، والله واحد وهو له اسم ولاشيء له شبيه وليس المعنى واحداً؛ وأمّا الأسماء فهي دلالتنا على المسمّى لأنّا قد نرى الإنسان واحداً وإنّما نخبر واحداً إذا كان مفرداً فعلم أنّ الإنسان في نفسه ليس بواحد في المعنى لأنّ أعضاءه مختلفة وأجزاءه ليست سواءاً، ولحمه غير دمه، وعظمه غير عصبه، وشعره غير ظفره، وسواده غير بياضه، وكذلك سائر الخلق والإنسان واحد في

---

(١) الذر: صغار النمل.

(٢) هذا تنبيه منه عليه السلام على وجود الحيوانات الحية والميكروبات المخفية عن الانظار والعقول، قبل وجود المكبّرات واختراع الميكروسكوب والمنظار بقرون، وغير خفى أن العلم بذلك فى أحد عشر قرناً قبل زماننا لم يك يحصل إلا لذوى النفوس الكاملة والانظار الثاقبة، الذين خصهم الله من بريته بفضله، وأيدهم بحكمته، وانتجبهم لولايته من بين خلقه، وعلّمهم مالا يعلّم غيرهم من عبيده.

(٣) وفى نسخة: والشهوة للبقاء.

(٤) وفى نسخة: لطيف بخلق اللطيف.

الاسم ، وليس بواحد في الاسم والمعنى والخلق ، فإذا قيل الله فهو الواحد الّذي لاواحد غيره لأنّه لااختلاف فيه ، وهو تبارك وتعالى سميع وبصير وقويٌّ وعزيز وحكيم وعليم فتعالى الله أحسن الخالقين .

قال : فأخبرني عن قوله : رؤوفٌ رحيم ، وعن رضاه ومحبّته وغضبه وسخطه . قلت: إنَّ الرحمة ومايحدث لنا منها شفقـة ومنها جود ، وإنَّ رحمة الله ثوابه لخلقه ؛ والرحمة من العباد شيئان : أحدهما يحدث في القلب الرأفة والرقّة لمايرى بالمرحوم من الضرّ والحاجة وضروب البلاء ، والآخر مايحدث منّا من بعد الرأفة واللّطف على المرحوم والرحمة منّا مانزل به ، وقد يقول القائل : انظر إلى رحمة فلان وإنّما يريد الفعل الّذي حدث عن الرقّة الّتي في قلب فلان ، وإنّما يضاف إلى الله عزَّ وجلَّ من فعل ماحدث عنّا من هذه الأشياء ؛ وأمّا المعنى الّذي هو في القلب فهو منفيٌّ عن الله كما وصف عن نفسه فهو رحيم لارحمة رقّة ؛ وأمّا الغضب فهو منّا إذا غضبنا تغيّرت طبائعنا وترتعد أحياناً مفاصلنا و حالت ألواننا ، ثمَّ نجيىء من بعد ذلك بالعقوبات فسمّي غضباً ، فهذا كلام الناس المعروف ؛ والغضب شيئان : أحدهما في القلب ، وأمّا المعنى الّذي هو في القلب فهو منفيٌّ عن الله جلّ جلاله ، وكذلك رضاه وسخطه ورحمته على هذه الصفة جلّ وعزّ لاشبيه له ولامثل في شيء من الأشياء .

قال : فأخبرني عن إرادته . قلت : إنَّ الإرادة من العباد الضمير ومايبدو بعد ذلك من الفعل ، وأمّا من الله عزَّ وجلَّ فالإرادة للفعل إحداثه إنّما يقول له : كن فيكون بلاتعب ولاكيف .

قال : قد بلغت حسبك فهذه كافية لمن عقل ؛ والحمد لله ربّ العالمين ، الّذي هدانا من الضلال ، وعصمنا من أن نشبّهه بشيء من خلقه ، وأن نشكّ في عظمته وقدرته ولطيف صنعه وجبروته ، جلّ عن الأشباه والأضداد ، وتكبّر عن الشركاء والأنداد .

شرح : قوله عليه السلام : دفعت إليه على بناء المجهول أي دفعتك الحاجة و الضرورة إليه ، وفي الأساس : دفع فلان إلى فلان : انتهى إليه . قوله عليه السلام : مغيض هو بفتح الميم و كسر الغين المعجمة : موضع يجري إليه الماء ويغيب أو يجتمع فيه ، وفي الثاني مصدر ميميٌّ

قوله عليه السلام : في الجهات الأربع أي الشمال والجنوب والصبا والدبور ، ويحتمل أن يكون المراد المتغيّرة بسبب الصفات الأربعة الّتي فسّرها عليه السلام . قوله عليه السلام : تلقح أجسادهم أي تنميها ، مستعاراً من لقاح الشجر ، كما قال تعالى : و أرسلنا الرياح لواقح . و في أكثر النسخ بالفاء وهو بمعنى الإحراق ، فيكون كناية عن نضجها . والودق : المطر . قوله : و قضباً يعني الرطبة ، سمّيت بمصدر قضبه إذا قطعه لأنّها تقضب مرّة بعد اُخرى . و حدائق غلباً أي عظاماً ، وصفت به الحدائق لتكاثفها و كثرة أشجارها ، أولأنّها ذات أشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب . وأبّاً : مرعى ، من أبّ إذا أمّ لأنّه يؤمّ وينتجع ، أومن أبّ لكذا : إذا تهيّأ له لأنّه متهيّأ للرعي ، وفاكهة يابسة تؤبّ للشتاء . وقال الجوهريّ : الأثاث : متاع البيت قال الفرّاء : لاواحد له ، و قال أبوزيد : الأثاث : المال أجمع ، الإبل والغنم والعبيد والمتاع ، الواحدة : أثاثة . انتهى . ومتاعاً أي شيئاً ينتفع به . إلى حين إلى أن تقضوا منه أوطاركم أوإلى أن يبلى ويفنى أوإلى أن تموتوا . قوله عليه السلام : و الانتفاع عطف على أصوافها ، أوفي أصوافها . قوله عليه السلام : و مستقرّ اسم مكان معطوف على الأدواء . قوله عليه السلام : هوالأوّل بلا كيف أي كان أزليّاً من غير اتّصاف بكيفيّة ، أومن غير أن تعرف كيفيّة أوّليّته بمقارنة زمان قديم بل بلا زمان . قوله عليه السلام : لامن شيء ولا كيف أي لامن مادّة ولامن شبه ومثال وتصوّر وخيال تمثّل فيه كيفيّة الخلق ثمّ خلق على مثال ذلك كما في المخلوقين . قوله عليه السلام ثانياً : ولا كيف أي ليس لخلقه وإيجاده كيفيّة كما في المخلوقين من حركة ومزاولة عمل فكما أنّه لاكيف لذاته لاكيف لإيجاده ، وإذا وصف خلقه وإيجاده بالكيف فهو يرجع إلى كيفيّة مخلوقه فإذا قيل : كيف خلق الأشياء فالمعنى الصحيح له كيف مخلوقاته لأنّه كيف كان فعله و إيجاده ، وإليه أشار عليه السلام بقوله : وإنّما الكيف بكيفيّة المخلوق ، ثمّ علّل ذلك بأنّ هذه صفات المحدثين ، و هو الأوّل لابدء له ولاشبه له فكيف يتّصف بها . قوله عليه السلام : الّذي خلق خبر مبتداء محذوف أي هو الّذي . وقوله عليه السلام : و تصريف الرياح عطف على الخلق العظيم و يحتمل العطف على قوله : مثل الأرض . قوله عليه السلام : بلوغاً ولا منتهى لعلّ المراد أنّه لايبلغ الأبصار إليهما ، ولاإلى منتهى نورهما ، أومنتهى جسمهما .

قوله عليه السلام: وعظم الخلق العظيم أي السماء أوما عليها من الملائكة. قوله: ولا يشبّه بهذه الأسماء على بناء المجهول من باب التفعيل أي لا يصير إطلاق هذه الأسماء عليه سبباً لأن يظنّ أنّه شبيه بخلقه. قوله: إنّما غرضي أي غرضي من السؤال أن تجيب عمّا يعرض لي من إشكال يصرّفني عن الحقّ، يسنح ويظهر عنّي، وفي بعض النسخ عن ردّ الجواب فيه عند متعرّف غبيّ. أي إنّي قد آمنت وأيقنت، وإنّما المقصود من السؤال أن أقدر على أن اُجيب عن سؤال متعرّف غبيّ جاهل أحمق لأهديه إلى الحقّ؛ وهو أظهر. والحدب: العطف والشفقة، ولعلّ المراد بمافي أعنان السماء مايطير في الهواء. وقد مرّ تفسير بعض الفقرات وسيأتي تفسير بعضها.

﴿ باب ٦ ﴾

(التوحيد ونفي الشريك ومعنى الواحد والاحد والصمد)
(وتفسير سورة التوحيد)

الايات، البقره: وإلهكم إلهٌ واحدٌ لاإله إلّا هو الرحمن الرحيم ١٦٣ «وقال تعالى»: ومن الناس من يتّخذ من دون الله أنداداً [1] يحبّونهم كحبّ الله و الّذين آمنوا أشدّ حبّاً لله ١٦٥ «وقال سبحانه»: الله لاإله إلّا هو الحيّ القيّوم ٢٥٥ «و قال تعالى»: لله مافي السموات ومافي الأرض ٢٨٤

آل عمران: ومامن إله إلّا الله ٦٢ «وقال تعالى»: قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم [2] ألّا نعبد إلّا الله ولا نشرك به شيئاً و لايتّخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون ٦٥ [3]

---

(١) أى من الاصنام أو الرؤساء أوالاعم. يحبونهم أو يعظمونهم ويصفونهم كتعظيمه تعالى والميل إلى طاعته. قوله: أشد حباً لله أى لا تنقطع محبتهم لله؛ بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة تزول بأدنى سبب. منه رحمه الله.

(٢) أى لايختلف فيها الرسل والكتب. منه رحمه الله.

(٣) أى الزمتكم الحجة فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم، و اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل. منه رحمه الله.

النساء : إنّ الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً ٤٨ « وقال تعالى » : و من يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ✡ إن يدعون من دونه إلّا إناثاً وإن يدعون إلّا شيطاناً مريداً ١١٧ « وقال » : ولله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً ١٣٢

انعام : قل أرأيتكم إن أتيكم عذاب الله أوأتتكم الساعة أغيرالله تدعون إن كنتم صادقين ✡ بل إيّاه تدعون فيكشف ماتدعون إليه إن شاء وتنسون ماتشركون ٤٠ ، ٤١ « وقال تعالى» : قل إنّي نهيت أن أعبد الّذين تدعون من دون الله ٥٦

الاعراف : مالكم من إله غيره « في مواضع » ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣

يونس : وما يتّبع الّذين يدعون من دون الله شركاء إن يتّبعون إلّا الظنّ وإن هم إلّا يخرصون ٦٦ «وقال تعالى» : قل ياأيّها الناس إن كنتم في شكّ من ديني فلا أعبد الّذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الّذي يتوفّيكم وأمرت أن أكون من المؤمنين ✡ وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولاتكونن من المشركين ✡ ولاتدع من دون الله مالاينفعك ولا يضرّك فإن فعلت فإنّك إذاً من الظالمين ١٠٤ ـ ١٠٦

هود : ألّا تعبدوا إلّا الله إنّني لكم منه نذير وبشير ٢

يوسف : ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ٣٨ «وقال» : ياصاحبي السجن ءأرباب متفرّقون خير أم الله الواحد القهّار ✡ ما تعبدون من دونه إلّا أسماء سمّيتموها أنتم و آباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلّا لله أمر ألّا تعبدوا إلّا إيّاه ذلك الدين القيّم ولكنّ أكثر الناس لايعلمون ٣٩ ، ٤٠ « و قال » : ومايؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون ١٠٦

الرعد : له دعوة الحقّ والّذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشيء إلّا كباسط كفّيه إلى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه وما دعاء الكافرين إلّا في ضلال ✡ ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدوّ والآصال ✡ قل من ربّ السموات والأرض قل الله قل أفاتّخذتم من دونه أولياء لايملكون لأنفسهم نفعاً ولاضرّاً قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه

فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كلّ شيء وهو الواحد القهّار ١٤ ـ ١٦ «وقال» : قل هو ربّي لا إله إلّا هو عليه توكّلت وإليه متاب ٣٠ «وقال» : أفمن هو قائم على كلّ نفس بما كسبت و جعلوا لله شركاء قل سمّوهم أم تنبّؤنه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زيّن للّذين كفروا مكرهم وصدّوا عن السبيل ٣٣ «وقال» : قل إنّما اُمرت أن أعبد الله ولا اُشرك به إليه أدعوا وإليه مآب ٣٦

ابراهيم : وليعلموا أنّما هو إله واحد ٥٢

النحل : ينزّل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنّه لا إله إلّا أنا فاتّقون ☆ خلق السموات والأرض بالحقّ تعالى عمّا يشركون ٢، ٣ «وقال تعالى» : وقال الله لا تتّخذوا إلهين اثنين إنّما هو إلهٌ واحدٌ فإيّاي فارهبون ☆ وله ما في السموات والأرض وله الدين واصباً أفغير الله تتّقون ☆ وما بكم من نعمة فمن الله ثمّ إذا مسّكم الضرّ فإليه تجئرون ☆ ثمّ إذا كشف الضرّ عنكم إذا فريق منكم بربّهم يشركون ☆ ليكفروا بما آتيناهم فتمتّعوا فسوف تعلمون ☆ و يجعلون لما لا يعلمون نصيباً ممّا رزقناهم تالله لتسألنّ عمّا كنتم تفترون ☆ و يجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ٥١ ـ ٥٧

الاسراء : لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً ☆ و قضى ربّك ألّا تعبدوا إلّا إيّاه ٢٢، ٢٣ «وقال تعالى» : ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنّم ملوماً مدحوراً ٣٩ « وقال تعالى » : قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً ☆ سبحانه وتعالى عمّا يقولون علوًّا كبيراً ٤٢ ، ٤٣ « و قال تعالى » : قل ادعوا الّذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضرّ عنكم ولا تحويلاً ☆ اُولئك الّذين يدعون يبتغون إلى ربّهم الوسيلة أيّهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إنّ عذاب ربّك كان محذوراً ٥٦ ، ٥٧

الكهف : فقالوا ربّنا ربّ السموات و الأرض لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً ☆ هؤلاء قومنا اتّخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بيّن فمن أظلم ممّن افترى على الله كذباً ١٤، ١٥ « وقال الله تعالى» : لكنّا هو الله ربّي ولا اُشرك

بربّي أحداً ٣٨ «وقال تعالى» : ويقول ياليتني لم أُشرك بربّي أحداً ٤٢ «وقال تعالى» : أفحسب[1] الّذين كفروا أن يتّخذوا عبادي من دوني أولياء ١٠٢ «وقال تعالى» : قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنّما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربّه[2] فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك بعبادة ربّه أحداً ١١٠

مريم : واتّخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزّاً ☆ كلّا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدّاً ٨١،٨٢

الانبياء : وله من في السموات والأرض ومن عنده لايستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ☆ يسبّحون اللّيل والنهار لايفترون ☆ أم اتّخذوا آلهةً من الأرض هم ينشرون ☆[3] لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا فسبحان الله ربّ العرش عمّا يصفون ☆ لايسئل عمّا يفعل وهم يسئلون ☆ أم اتّخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لايعلمون الحقّ فهم معرضون ☆ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنّه لا إله إلّا أنا فاعبدون ١٩-٢٥ «وقال تعالى» : وإذا رآك الّذين كفروا إن يتّخذونك إلّا هزواً أهذا الّذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون ٣٦ «وقال تعالى» : قل من يكلؤكم باللّيل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربّهم معرضون ☆ أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لايستطيعون نصر أنفسهم ولاهم منّا يصحبون[4] ٤٢-٤٣ «وقال تعالى» : إنّكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنّم أنتم لها واردون ☆ لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكلّ فيها خالدون ☆ لهم فيها زفير وهم فيها لايسمعون ☆ إنّ الّذين سبقت لهم منّا الحسنى أُولئك عنها مبعدون ٩٨-١٠١ «وقال تعالى» : قل إنّما يوحى إليّ أنّما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون ١٠٨

---

(١) مفعول الثانى «لحسب» مقدر أى نافعهم أو لا اعتدّ بهم، أو سد «أن يتخذوا» مسد المفعولين. منه رحمه الله.

(٢) أى يأمل حسن لقائه يخاف سوء لقائه. منه رحمه الله.

(٣) قوله: هم ينشرون أى الموتى، وهم وإن لم يقرّوا بذلك لكن يلزم ذلك من ادعائهم كونها آلهة. منه رحمه الله.

(٤) أى من عذابه، وقوله: لايستطيعون استينافى لابطال ما اعتقدوه. ولاهم منا يصحبون أى لايجارون من عذابنا ولايصحبهم منا نصر. منه رحمه الله.

الحج : حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنّما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ٣١ « وقال » : ويعبدون من دون الله مالم ينزّل به سلطاناً وماليس لهم به علم وماللظالمين من نصير ٧١

المؤمنون : مااتّخذالله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كلّ إله بماخلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عمّا يصفون ✡ عالم الغيب والشهادة فتعالى عمّا يشركون ٩١ـ ٩٢ « وقال عزّوجلّ » : فتعالى الله الملك الحقّ لاإله إلّا هو ربّ العرش الكريم ✡ ومن يدع مع الله إلهاً آخر لابرهان له به فإنّما حسابه عندربّه إنّه لايفلح الكافرون ١١٦،١١٧

الفرقان : واتّخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرّاً ولانفعاً ولايملكون موتاً ولاحياة ولانشوراً ٣

الشعراء : فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذّبين ٢١٣

النمل : الله لاإله إلّا هو ربّ العرش العظيم ٢٦ « وقال تعالى » : قل الحمدلله و سلام على عباده الّذين اصطفى ءآلله خير أمّا يشركون ✡ أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها ءإله مع الله بل هم قوم يعدلون ✡ [1] أمّن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي [2] وجعل بين البحرين حاجزاً ءإله مع الله بل أكثرهم لايعلمون ✡ أمّن يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ءإله مع الله قليلاً ماتذكّرون ✡ أمّن يهديكم [3] في ظلمات البرّ والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ءإله مع الله تعالى الله عمّا يشركون ✡ أمّن يبدؤ الخلق ثمّ يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض ءإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ٥٩ ـ ٦٤

القصص : ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الّذين كنتم تزعمون ✡ قال الّذين

(١) أى يعدلون عن الحق . منه رحمه الله .

(٢) أى جبالا ثابتة . والبحران : العذب والمالح وبحرا فارس والروم . منه رحمه الله .

(٣) أى بالنجوم وعلامات الارض . بين يدى رحمته أى المطر من السماء والارض أى باسبابها . منه رحمه الله .

حقّ عليهم القول [1] ربّنا هؤلاء الّذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرّ أنا إليك ما كانوا إيّانا يعبدون ✡[2] وقيل ادعوا شركائكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنّهم كانوا يهتدون ٦٢ ، ٦٤ « وقال تعالى » : ولاتكوننّ من المشركين ✡ ولاتدع مع الله إلهاً آخر لاإله إلّا هو كلّ شيء هالك إلّا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ۸۷ ، ۸۸

العنكبوت : وإن جاهداك لتشرك بي ماليس لك به علم فلاتطعهما إليّ مرجعكم فأُنبّئكم بما كنتم تعملون ۸ « وقال عزّ وجلّ » : مثل الّذين اتّخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتّخذت بيتاً وإنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ✡ إنّ الله يعلم مايدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم ✡ وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلّا العالمون ٤١ ـ ٤٣

الروم : ولاتكونوا من المشركين ✡ من الّذين فرّقوا دينهم [3] وكانوا شيعاً كلّ حزب بما لديهم فرحون ✡ وإذا مسّ الناس ضرّ دعوا ربّهم منيبين اليه ثمّ إذا أذاقهم منه رحمةً إذا فريق منهم بربّهم يشركون ✡ ليكفروا بما آتيناهم فتمتّعوا فسوف تعلمون ✡ أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلّم بما كانوا به يشركون ۳۱ ـ ۳٥ « وقال تعالى » : الله الّذي خلقكم ثمّ رزقكم ثمّ يميتكم ثمّ يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عمّا يشركون ٤٠

لقمان : يابنيّ لاتشرك بالله إنّ الشرك لظلم عظيم ۱۳ « وقال » : وإن جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما ۱٥

سبا : قل ادعوا الّذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرّة في السموات ولا

---

(۱) أى حق عليهم الوعيد بالعذاب من الجن والشياطين والذين أغووا الخلق من الانس . ربناهؤلاء الذين أغوينا يعنون اتباعهم . ماكانوا إيانا يعبدون أى لم يكونوا يعبدوننا ، بل كانوا يعبدون الشياطين الذين زينوا عبادتنا ، أو لم يعبدونا باستحقاق . منه رحمه الله .

(۲) أى بحيلة لدفع العذاب أو إلى الحق ، وقيل : « لو » للتمنى أى تمنوا أنهم كانوا مهتدين . منه رحمه الله .

(۳) أى الشياطين حيث أطاعوهم ، وقيل : كانوا يتمثلون ويتخيلون أنهم الملائكة فيعبدونهم . منه رحمه الله .

في الأرض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ٢٢ «وقال تعالى» : قل أروني الّذين ألحقتم به شركاء كلاّ بل هو الله العزيز الحكيم ٢٧ «وقال سبحانه» : ويوم يحشرهم جميعاً ثمّ يقول للملائكة أهؤلاء إيّاكم كانوا يعبدون ☆ قالوا سبحانك أنت وليّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجنّ أكثرهم بهم مؤمنون ٤٠ ـ ٤١

فاطر : يا أيّها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلّا هو فأنّى تؤفكون ٣ «وقال سبحانه» : وما يستوي البحران هـذا عذب فرات [1] سائغ شرابه وهذا ملحٌ أجاج ومن كلّ تأكلون لحماً طريّاً و تستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلّكم تشكرون ☆ يولج اللّيل في النهار ويولج النهار في اللّيل وسخّر الشمس و القمر كلٌّ يجري لأجل مسمّى [2] ذلكم الله ربّكم له الملك والّذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ☆ إن تدعوهم لا يسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم [3] ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبّئك مثل خبير ١٢ ـ ١٤ «وقال تعالى» : قل أرأيتم شركائكم الّذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتاباً فهم على بيّنت منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلّا غروراً ٤٠

يس : واتّخذوا من دون الله آلهة لعلّهم ينصرون ☆ لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون ٧٤، ٧٥

والصافات : و الصافات صفّاً ☆ فالزاجرات زجراً ☆ فالتاليات ذكراً ☆ [4]

---

(١) قيل : الفرات هو الذى ينكسر به العطش ، والسائغ : الذى يسهل انحداره ، و الاجاج : الذى يحرق بملوحته . والمراد بالحلية اللئالى . مواخر أى تشق الماء بجريها . منه رحمه الله .

(٢) الاجل المسمى مدة دوره أى منتهاه ، أو يوم القيامة . القطمير لفافة النواة . منه رحمه الله .

(٣) أى على فرض المحال ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم على الانفاع ، أو لتبريهم منكم مما تدعون لهم . منه رحمه الله .

(٤) اقسم بالملائكة الصافين فى مقام العبودية ، الزاجرين لاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور فيها ، أو الناس عن المعاصى والشياطين عن التعرض لهم ، التالين آيات الله تعالى و أسراره على أنبيائه وأصفيائه . أو بطوائف العلماء الصافين فى العبادات ، الزاجرين عن الكفر والمعاصى ، التالين آيات الله وشرائعه . او بنفوس الغزات الصافين فى الجهاد ، الزاجرين الخيل او العدو ، و التالين ذكر الله لايشغلهم عنه مجاهدة الاعداء . منه قدس سره .

إنّ إلهكم لواحد ۞ ربّ السموات و الأرض وما بينهما و ربّ المشارق ١ ـ ٥

ص : و ما من إله إلّا الله الواحد القهّار ۞ ربّ السموات والأرض و ما بينهما العزيز الغفّار ٦٥،٦٦

الزمر : ذلكم الله ربّكم له الملك لا إله إلّا هو فأنّى تصرفون ٦ «وقال تعالى» : وإذا مسّ الإنسان ضرّ دعا ربّه منيباً إليه ثمّ إذا خوّله نعمةً منه نسي ما كان يدعوا إليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضلّ عن سبيله قل تمتّع بكفرك قليلاً إنّك من أصحاب النار ٨ «و قال تعالى» : قل الله أعبد مخلصاً له ديني ۞ فاعبدوا ما شئتم من دونه ١٤، ١٥ «وقال سبحانه» : ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ٢٩ «وقال تعالى» : قل أفغير الله تأمرونّي أعبد أيّها الجاهلون ۞ و لقد اُوحي إليك و إلى الّذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك و لتكوننّ من الخاسرين ۞ بل الله فاعبد و كن من الشاكرين ٦٤ـ٦٦

المؤمن : ذلكم بأنّه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا ١٢ «وقال» : والله يقضي بالحقّ والّذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء إنّ الله هو السميع البصير ٢٠ «وقال تعالى» : وياقوم مالي أدعوكم إلى النجوة وتدعونني إلى النار ۞ تدعونني لأكفر بالله واُشرك به ماليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفّار ٤١،٤٢ «وقال تعالى» : ذلكم الله ربّكم خالق كلّ شيء لا إله إلّا هو فأنّى تؤفكون ٦٢ «إلى قوله تعالى» : هو الحيّ لا إله إلّا هو فادعوه مخلصين له الدين ٦٥ «إلى قوله تعالى» : فلمّا رأوا بأسنا قالوا آمنّا بالله وحده وكفرنا بما كنّا به مشركين ٨٤

السجدة : قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنّما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه و استغفروه و ويل للمشركين ٦ «إلى قوله تعالى» : قل أئنّكم لتكفرون بالّذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك ربّ العالمين ٩ «وقال تعالى» : إذ جائتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألّا تعبدوا إلّا الله ١٤ «وقال تعالى» : ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذنّاك مامنّا من شهيد ۞ وضلّ عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنّوا مالهم من محيص ٤٧ ، ٤٨ «وقال تعالى» : ومن آياته اللّيل والنهار والشمس والقمر لا

تسجدوا للشمس ولاللقمر واسجدوا لله الّذي خلقهنّ إن كنتم إيّاه تعبدون ✲ فإن استكبروا فالّذين عند ربّك يسبّحون له باللّيل والنهار وهم لايسئمون ٣٧، ٣٨

حمعسق : أم اتّخذوا من دونه أولياء فالله هو الوليّ وهو يحيي الموتى وهو على كلّ شيء قدير ٩ «وقال تعالى» : كبر على المشركين ماتدعوهم إليه ١٣

الزخرف : وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنّني براء ممّا تعبدون ✲ إلّا الّذي فطرني فإنّه سيهدين ٢٦، ٢٧ «وقال تعالى» : وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ٤٥ «وقال تعالى» : ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون ✲ وقالوا ءآلهتنا خير أم هو ماضربوه لك إلّا جدلاً بل هم قوم خصمون ٥٧، ٥٨

الجاثية : ولايغني عنهم ماكسبوا شيئاً ولا ما اتّخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم ١٠

محمد : فاعلم أنّه لا إله إلّا الله ١٩

ق : الّذي جعل مع الله إلهاً آخر فألقياه في العذاب الشديد ٢٦

الذاريات : ولاتجعلوا مع الله إلهاً آخر إنّي لكم منه نذير مبين ٥١

الطور : أم لهم إله غير الله سبحان الله عمّا يشركون ٤٣

الممتحنة : قد كانت لكم اُسوة حسنة في إبراهيم والّذين معه إذ قالوا لقومهم إنّا برآؤ منكم وممّا تعبدون من دون الله ٤

الجن : قل إنّما أدعوا ربّي ولا اُشرك به أحداً ٢٠

المزمل : ربّ المشرق والمغرب لاإله إلّا هو فاتّخذه وكيلاً ٩

التوحيد : قل هو الله أحد ✲ الله الصمد ✲ لم يلد و لم يولد ✲ ولم يكن له كفواً أحد.

١ ـ **يد، ل** : الطالقانيّ، عن محمّد بن سعيد بن يحيى، عن إبراهيم بن الهيثم البلديّ، عن أبيه، عن المعافى بن عمران، عن إسرائيل، عن المقدام بن شريح بن هاني، عن أبيه قال : **إنّ أعرابيّاً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين أتقول : إنّ الله واحد ؟ قال : فحمل الناس عليه وقالوا : يا أعرابيّ أماترى مافيه أمير المؤمنين**

من تقسّم القلب ؟[١] فقال أمير المؤمنين عليه السلام : دعوه فإنّ الّذي يريده الأعرابيّ هو الّذي نريده من القوم ؛ ثمّ قال : يا أعرابيّ إنّ القول في أنّ الله واحد على أربعة أقسام ، فوجهان منها لايجوزان على الله عزّ وجلّ ، ووجهان يثبتان فيه ، فأمّا اللّذان لايجوزان عليه فقول القائل : واحد يقصد به باب الأعداد فهذا مالايجوز ، لأنّ ما لاثاني له لايدخل في باب الأعداد أما ترى أنّه كفر من قال إنّه ثالث ثلاثة ؛ وقول القائل : هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس فهذا مالايجوز لأنّه تشبيه وجلّ ربّنا وتعالى عن ذلك . و أمّا الوجهان اللّذان يثبتان فيه فقول القائل : هو واحد ليس له في الأشياء شبه كذلك ربّنا ؛ وقول القائل : إنّه عزّ وجلّ أحديّ المعنى يعني به أنّه لاينقسم في وجود ولاعقل ولاوهم كذلك ربّنا عزّ وجلّ .

مع : عبدالله بن محمّد بن عبدالوهّاب بن نصر بن عبدالوهّاب بن عطاء بن واصل السنجريّ ، عن أبي الحسن أحمد بن محمّد بن عبدالله بن حمزة الشعرانيّ العمّاريّ - من ولد عمّار بن ياسر - عن أبي محمّد عبيدالله بن يحيى بن عبدالباقي الآذني ، عن أبي المقدام بن شريح ابن هاني ، عن أبيه مثله .

بيان : التقسّم : التفرّق ، والمعنى الأوّل المنفيّ هو الوحدة العدديّة بمعنى أن يكون له ثان من نوعه ، والثاني أن يكون المراد به صنفاً من نوع ، فإنّ النوع يطلق في اللّغة على الصنف ، وكذا الجنس على النوع ، فإذا قيل لروميّ مثلاً : هذا واحد من الناس بهذا المعنى يكون المعنى أنّ صنف هذا صنف من أصناف الناس ، أو هذا من صنف من أصنافهم ، ويحتمل أن يكون المراد بالأوّل الّذي له ثان في الإلهيّة ، وبالثاني الواحد من نوع داخل تحت جنس فالمراد أنّه يريد به أي بالناس أنّه نوع لهذا الشخص ، ويكون ذكر الجنس لبيان أنّ النوع يستلزم الجنس غالباً فيلزم التركيب من الأجزاء العقليّة . والمعنيان المثبتان : الأوّل منهما إشارة إلى نفي الشريك ، والثاني منهما إلى نفي التركيب . وقوله : في وجود أي في الخارج .

---

(١) تقسم الشيء : فرقه . تقسمته الهموم أى وزعت خواطره .

٢ ـ **يد ، مع** : أبي ، عن محمّد العطّار ، عن ابن عيسى ، عن أبي هاشم الجعفري ّ[١] قال : سألت أباجعفر الثاني عليه السلام ما معنى الواحد ؟ قال : المجتمع عليه بجميع الألسن بالوحدانيّة .

سن : أبي ، عن داود بن القاسم مثله .

٣ ـ **ج** : عن أبي هاشم الجعفري ّ ، قال : قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام : قل هو الله أحد ما معنى الأحد ؟ قال : المجمع عليه بالوحدانيّة أما سمعته يقول : ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخّر الشمس و القمر ليقولنّ الله ؛ بعد ذلك له شريك و صاحبة ؟ .

بيان : قوله عليه السلام : بعد ذلك استفهام على الإنكار أي كيف يكون له شريك و صاحبة بعد إجماع القول على خلافه ؟ .

٤ ـ **يد** : ابن عصام والدقّاق معاً ، عن الكليني ّ ، عن علي ّ بن محمّد ومحمّد بن الحسن جميعاً ، عن سهل ، عن أبي هاشم الجعفري ّ قال : سألت أباجعفر الثاني عليه السلام ما معنى الواحد ؟ قال : الّذي اجتماع الألسن عليه بالتوحيد كما قال الله عزّ وجلّ : ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله .[٢]

(١) هو داود بن القاسم بن اسحاق بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رحمه الله ، كان جليل القدر عظيم المنزلة عند الائمة عليهم السلام ، وثقه النجاشي ، وقد شاهد جماعة من الائمة ، منهم الرضا ، والجواد ، والهادي والعسكري ، وصاحب الامر عليهم السلام ، وروى عنهم ، وله أخبار ومسائل ، وله شعر جيد فيهم ، و كان مقدما عند السلطان ، وله كتاب روى عنه أحمد بن أبي عبدالله . وعده ابن طاووس «على ماحكي» في ربيع الشيعة من سفراء الصاحب عليه السلام والابواب المعروفين الذين لاتختلف الاثناعشرية فيهم .

(٢) الظاهر من مضامين الاحاديث الثلاثة أنها متحدة ، وأن أباهاشم الجعفري سئل مرة واحدة عن موضوع واحد ، والاختلاف الذي يترائى فيها جاء من قبل الرواة بعد النقل بالمعنى و نقلها بالتفصيل والاجمال . كما أن الظاهر من الحديث الثاني الذي نقل فيها ألفاظ السائل بتمامها أن المسئول عنه هو معنى الاحد الواقع في سورة الاخلاص ـ بل هو صريح في ذلك ـ لا المعنى الواحد كما في الحديث الاول والثالث المنقولين بالمعنى ؟ وحاصل السؤال استفهام معنى الاحد ، و كانه أراد فهم الفرق بينه و بين معنى الواحد ، فأجابه عليه السلام بأن الاحد هو الذي لايرى ذوي الالسن والمعقول له شريك في وحدته ، واجتمعوا باتصافه بالوحدانية دون غيره ، ثم استشهد عليه السلام لكونه تعالى كذلك بالاية وأن طوائف الناس بأجمعها مذعنة باتصافه بأنه خالق السماوات والارض وأنه إلههما دون غيره . والحاصل كل مايراه الناس بطوائفه وأصنافه أنه واحد في ذاته أو في صفاته ولم يروا في ذلك له شبيه و نظير فهو المسمى بالاحد ، بخلاف الواحد فانه يحتمله وغيره والاول يسمى بالفارسية «يكتا» والثاني «يك» والاول لايقع في مراتب الاعداد بخلاف الثاني .

بيان : يحتمل تلك الأخبار وجوهاً :

الأوّل : أن يكون عليه السلام أحال معنى الواحد على ما هو المعروف بين الناس وأعرض عنه ، واستدلّ عليه بما جبل عليه جميع العقول من الإذعان بتوحيده .

الثاني : أن يكون المراد به أنّ معنى الواحد هو الّذي أقرّ به كلّ ذي عقل إذا صرف عنه الأغراض النفسانيّة .

الثالث : أن يكون هذا اللّفظ بحسب الشرع موضوعاً لهذا المعنى مأخوذاً فيه إجماع الألسن .[1]

ثمّ الظاهر أن يكون الآية احتجاجاً على مشركي قريش حيث كانوا يقرّون بأنّ الخالق لجميع المخلوقات هو الله تعالى ، ومع ذلك كانوا يعبدون الأصنام ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله ؛ ويحتمل أن يكون المراد أنّ غرائز الخلق كلّها مجبولة على الإذعان بتوحيده فإذا رجعوا إلى أنفسهم وتركوا العصبيّة والعناد يرون أنفسهم مذعنةً بذلك ، وينبّه على ذلك أنّهم عند اضطرارهم في المهالك والمخاوف لا يلجؤون إلّا إليه كما نبّه تعالى عليه في مواضع من القرآن المجيد ؛ والأوّل أظهر فإنّ للتوحيد ثلاثة معان : الأوّل توحيد واجب الوجود ، والثاني توحيد صانع العالم و مدبّر النظام ، و الثالث توحيد الإله وهو المستحقّ للعبادة ، وكان مشركوا القريش مخالفين في المعنى الثالث .

٥ - ج : عن هشام بن الحكم أنّه سأل الزنديقُ الصادقَ عليه السلام عن قول من زعم أنّ الله لم يزل معه طينة موذية فلم يستطع التفصّي[2] منها إلّا بامتزاجه بها و دخوله فيها فمن تلك الطينة خلق الأشياء . قال : سبحان الله وتعالى ما أعجز إلهاً يوصف بالقدرة لا يستطيع التفصّي من الطينة ! إن كانت الطينة حيّة أزليّة فكانا إلهين قديمين فامتزجا

---

(١) اما المعنيان الاولان فهما بحسب الدقة واحد وهو الذى جبل عليه العقول ولا تأثير للشهرة العرفية فى هذه المعانى ؛ واما الثالث فاحتمال فاسد من اصله لا يحمل عليه الاخبار اذ لا معنى لدعوة القرآن الى الحقيقة الشرعية من غير بيان ولا إشارة إلغازاً وتعمية . ط

(٢) التفصى : التخلص .

و دبّرا العالم من أنفسهما ، فإن كان ذلك كذلك فمن أين جاء الموت والفناء ، وإن كانت الطينة ميتة فلابقاء للميّت مع الأزليّ القديم والميّت لايجيىء منه حيٌّ.[١] هذه مقالة الديصانيّة أشدّ الزنادقة قولاً و أهملهم مثلاً ، نظروا في كتب قد صنّفتها أوائلهم ، وحبروها[٢] لهم بألفاظ مزخرفة من غير أصل ثابت ، ولاحجّة توجب إثبات ماادّعوا ، كلُّ ذلك خلافاً على الله وعلى رسله ؛ وتكذيباً بماجاؤوا به عن الله .

فأمّا من زعم أنّ الأبدان ظلمة و الأرواح نور وأنّ النور لايعمل الشرّ والظلمة لا تعمل الخير فلايجب عليهم أن يلوموا أحداً على معصية ، ولاركوب حرمة ، ولاإتيان فاحشة ، وأنّ ذلك على الظلمة غير مستنكر لأنّ ذلك فعلها ، ولاله أن يدعو ربّاً ، ولا يتضرّع إليه ، لأنّ النور ربٌّ ، والربّ لايتضرّع إلى نفسه ، ولايستعيذ بغيره ، ولا لأحد من أهل هذه المقالة أن يقول : أحسنت و أسأت ، لأنّ الإساءة من فعل الظلمة و ذلك فعلها ، و الإحسان من النور ، ولا يقول النور لنفسه : أحسنت يا محسن ، و ليس هناك ثالث ، فكانت الظلمة على قياس قولهم أحكم فعلاً وأتقن تدبيراً وأعزّ أركاناً من النور لأنّ الأبدان محكمة فمن صوّر هذا الخلق صورة واحدة على نعوت مختلفة ، و كلّ شيء يرى ظاهراً من الظهر والأشجار والثمار والطير والدوابّ يجب أن يكون إلهاً ثمّ حبست النور في حبسها والدولة لها ، وما ادّعوا بأنّ العاقبة سوف تكون للنور فدعوى ، وينبغي على قياس قولهم أن لايكون للنور فعل لأنّه أسير ، وليس له سلطان فلافعل له ولا تدبير ، وإن كان له مع الظلمة تدبير فماهو بأسير بل هو مطلق عزيز فإن لم يكن كذلك وكان أسير الظلمة فإنّه يظهر في هذا العالم إحسان و خير مع فساد و شرّ ، فهذا يدلّ على أنّ الظلمة تحسن الخير وتفعله كما تحسن الشرّ وتفعله ، فإن قالوا : محال ذلك فلانور يثبت ولاظلمة ، وبطلت دعواهم ويرجع الأمر إلى أنّ الله واحد وماسواه باطل فهذه مقالة «ماني» الزنديق وأصحابه .

و أمّا من قال : النور و الظلمة بينهما حَكم فلابدّ من أن يكون أكبر الثلاثة

---

(١) وفي نسخة : والميت لايجيىء منه حي .

(٢) اى زينوها وحسنوها بألفاظ أباطيل مموهة .

الحَكم ، لأنّه لا يحتاج إلى الحاكم إلّا مغلوب ، أوجاهل ، أومظلوم ، و هذه مقالة المدقونيّة[١] والحكاية عنهم تطول .

قال : فما قصّة ماني ؟ قال : متفحّص أخذ بعض المجوسيّة فشابها ببعض النصرانيّة ،[٢] فأخطأ الملّتين ولم يصب مذهباً واحداً منهما ، وزعم أنّ العالم دبّر من إلهين : نور وظلمة ، وأنّ النور في حصار من الظلمة على ماحكينا منه فكذّبته النصارى وقبلته المجوس . الخبر .[٣]

توضيح و تحقيق : اعلم أنّه عليه السلام أشار في هذا الخبر إلى إبطال مذاهب ثلاث فرق من الثنويّة ولنحقّق أصل مذاهبهم ليتّضح ما أفاده عليه السلام في الردّ عليهم .

الاول : مذهب الديصانيّة وهم أصحاب ديصان ، وهم أثبتوا أصلين : نوراً و ظلاماً ، فالنور يفعل الخير قصداً واختياراً ، والظلام يفعل الشرّ طبعاً و اضطراراً ، فما كان من خير ونفع وطيب وحسن فمن النور ، وما كان من شرّ وضرّ ونتن وقبح فمن الظلام ؛ وزعموا أنّ النور حيّ عالم قادر حسّاس درّاك ، ومنه تكون الحركة والحياة ؛ و الظلام ميّت جاهل عاجز جماد موات ، لافعل لها ولاتمييز ؛ و زعموا أنّ الشرّ يقع منه طباعاً ؛ وزعموا أنّ النور جنس واحد ، وكذلك الظلام جنس واحد ، وأنّ إدراك النور إدراك متّفق ، وأنّ سمعه وبصره هو حواسّه ، وإنّما قيل : سميع بصير لاختلاف التركيب لا لأنّهما في نفسهما شيئان مختلفان .

وزعموا أنّ اللّون هو الطعم وهو الرائحة وهو المجسّة[٤] وأنّما وجده لوناً لأنّ الظلمة خالطته ضرباً من المخالطة ، و وجده طعماً لأنّها خالطته بخلاف ذلك الضرب ، وكذلك يقول في لون الظلمة وطعمها و رائحتها و مجسّتها ؛ و زعموا أنّ النور بياض كلّه ، وأنّ الظلمة سواد كلّها ؛ وزعموا أنّ النور لم يزل يلقي الظلمة بأسفل صفيحة منه ، وأنّ الظلمة لم تزل تلقاه بأعلى صفيحة منها .

---

(١) وفي نسخة : وهذه مقالة المرقوبية .

(٢) اى زادها ببعض النصرانية .

(٣) قال الفيروزآبادى : مجوس كصبور رجل صغير الاذنين وضع ديناً ودعا إليه ؛ معر ب «ميج كوش» .

(٤) المجسّ والمجسّة : موضع اللمس .

واختلفوا في المزاج والخلاص فزعم بعضهم أنّ النور دخل الظلمة، والظلمة تلقاه بخشونة وغلظ فتأذّى بها، وأحبّ أن يرققها ويليّنها ثمّ يتخلّص منها، وليس ذلك لاختلاف جسمها، ولكن كما أنّ المنشار جنسه حديد وصفيحته ليّنة وأسنانه خشنة فاللّين في النور والخشونة في الظلمة وهما جنس واحد، فيلطف النور بلينه حتّى يدخل فيما بين تلك الفرج فما أمكنه إلّا بتلك الخشونة، فلا يتصوّر الوصول إلى كمال ووجود إلّا بلين وخشونة.

وقال بعضهم: بل الظلام لمّا احتال حتّى تشبّث بالنور من أسفل صفيحته ودرجه فاجتهد النور حتّى يتخلّص منه ويدفعها عن نفسه اعتمد عليه فلجج فيه و ذلك بمنزلة الإنسان الّذي يريد الخروج من وحل وقع فيه فيعتمد على رجله ليخرج فيزداد لجوجاً فيه، فاحتاج النور إلى زمان ليعالج التخلّص منه والتفرّد بعالمه.

وقال بعضهم: إنّ النور إنّما دخل الظلام اختياراً ليصلحها ويستخرج منه أجزاء صالحة لعالمه، فلمّا دخل تشبّث به زماناً فصار يفعل الجور والقبيح اضطراراً لا اختياراً، ولو انفرد في عالمه ما كان يحصل منه إلّا الخير المحض و الحسن البحت،[1] و فرق بين الفعل الضروريّ وبين الفعل الاختياريّ.

الثاني: مذهب المانويّة أصحاب ماني الحكيم الّذي ظهر في زمان سابور بن أردشير، و ذلك بعد عيسى عليه السلام أخذ ديناً بين المجوسيّة و النصرانيّة، وكان يقول بنبوّة المسيح عليه السلام، ولا يقول بنبوّة موسى عليه السلام. حكى محمّد بن هارون المعروف بأبي عيسى الورّاق أنّ الحكيم ماني زعم أنّ العالم مصنوع مركّب من أصلين قديمين: أحدهما نور والآخر ظلمة، وأنّهما أزليّان لم يزالا ولن يزالا، و أنكر وجود شيء لا من الأصل قديماً، وزعم أنّهما لم يزالا قويّين حسّاسين، سميعين بصيرين، وهما مع ذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير متضادّان، والخير والشرّ متحاذيان تحاذي الشخص والظلّ؛ والنور جوهره حسن فاضل كريم صاف نقيّ طيّب الريح حسن المنظر، ونفسه خيّرة كريمة حليمة نافعة عالمة، وفعله الخير والصلاح والنفع والسرور والترتيب

(١) البحت: الصرف الخالص.

والنظام والاتّفاق ، وجهته فوق ، وأكثرهم على أنّه مرتفع من ناحية الشمال .

وزعم بعضهم أنّه بجنب الظلمة وأجناسه خمسة : أربعة منها أبدان ، والخامسة روحها : فالأبدان النار والريح والنور والماء ، و روحها النسيم ، وهي تتحرّك في هذه الأبدان ، وصفاته حسنة خيّرة طاهرة زكيّة .

وقال بعضهم : كون النور لم يزل على مثال هذا العالم له أرض وجوّ ، وأرض النور لم تزل لطيفة على غير صورة هذه الأرض بل على صورة جرم الشمس ، وشعاعها كشعاع الشمس ، ورائحتها طيّبة أطيب رائحة ، وألوانها ألوان قوس قزح .

وقال بعضهم : ولا شيء إلّا الجسم ، والأجسام على ثلاثة أنواع : أرض النور ، وهي خمسة . وهناك جسم آخر ألطف منه وهو الجوّ وهو نفس النور ، وجسم آخر ألطف منه وهو النسيم وهو روح النور . قال : ولم يزل يولّد ملائكة و آلهة أولياء ليس على سبيل المناكحة بل كما يتولّد الحكمة من الحكيم ، والنطق الطيّب من الناطق . وملك ذلك العالم هو روحه ، ويجمع عالمه الخير والحمد والنور .

و أمّا الظلمة فجوهرها قبيح ناقص لئيم كدر خبيث منتن الريح قبيح المنظر ، و نفسها شريرة لئيمة سفيهة ضارّة جاهلة ، و فعلها الشرّ و الفساد ، والضرر والغمّ و التشويش والاختلاف ، وجهتها تحت ، وأكثرهم على أنّها منحطّة من جانب الجنوب .

وزعم بعضهم : أنّها بجنب النور ، وأجناسها خمسة : أربعة منها أبدان والخامسة روحها ، فالأبدان هي الحريق والظلمة والسموم و الضباب ، و روحها الدخان ، وهو يتحرّك في هذه الأبدان ، وأمّا صفاتها فهي خبيثة شريرة نجسة دنسة .

وقال بعضهم : كون الظلمة لم يزل على مثال هذا العالم له أرض وجوّ ، فأرض الظلمة لم تزل كثيفة على غير صورة هذه الأرض بل هي أكثف وأصلب ، ورائحتها كريهة أنتن الروائح وألوانها السواد .

و قال بعضهم : ولا شيء إلّا الجسم ، والأجسام على ثلاثة أنواع : أرض الظلمة ، وجسم آخر أظلم منه وهو الدخان ، وجسم آخر أظلم منه وهو السموم ، وقال : ولم يزل تولّد الظلمة شياطين و عفاريت لا على سبيل المناكحة بل كما يتولّد الحشرات من

العفونات القذرة ، قال : و ملك ذلك العالم هوروحه ، ويجمع عالمه الشرّ والذميمة و الظلمة .

ثمّ اختلفت المانويّة في المزاج وسببه ، والخلاص وسببه ؛ قال بعضهم إنّ النور والظلام امتزجا بالخبط والاتّفاق لابالقصد والاختيار ، وقال أكثرهم : إنّ سبب الامتزاج أنّ أبدان الظلمة تشاغلت عن روحها بعض التشاغل فنظرت الروح فرأت الأبدان على ممازجة النور ، فأجابتها لإسراعها إلى الشرّ ، فلمّا رأى ذلك ملك النور وجّه إليها ملكاً من ملائكته في خمسة أجزاء من أجناسها الخمسة ، فاختلطت الخمسة النوريّة بالخمس الظلاميّة ؛ فخالط الدخان النسيم ، وإنّما الحياة والروح في هذا العالم من النسيم ، والهلاك والآفات من الدخان ؛ وخالط الحريق النار ؛ والنور الظلمة ؛ والسموم الريح ؛ والضباب الماء . فما في العالم من منفعة وخير وبركة فمن أجناس النور ، ومافيه من مضرّة وشرّ وفساد فمن أجناس الظلمة ، فلمّا رأى ملك النور هذه الامتزاج أمر ملكاً من ملائكته فخلق هذا العالم على هذه الهيئة ليخلص أجناس النور من أجناس الظلمة ، وإنّما سارت الشمس والنجوم والقمر لاستصفاء أجزاء النور من أجزاء الظلمة . هذا ماذكر الشهرستانيّ من تحقيق مذهبهم مع خرافات آخر نقلها عنهم .

وقال ابن أبي الحديد : قالت المانويّة : إنّ النور لانهاية له من جهة فوق وأمّا من جهة تحت فله نهاية ؛ والظلمة لانهاية لها من جهة أسفل و أمّا من جهة فوق فلها نهاية ؛ وكان النور و الظلمة هكذا قبل خلق العالم وبينهما فرجة ، و إنّ بعض أجزاء النور اقتحم تلك الفرجة لينظر إلى الظلمة فأشرقت الظلمة فأقبل عالم كثير من النور فجاءت الظلمة ليستخلص المأمورين من تلك الأجزاء ،[1] وطالت الحرب واختلط كثير من أجزاء النور بكثير من أجزاء الظلمة ، فاقتضى حكمة نور الأنوار وهو الباري سبحانه عندهم أن عمل الأرض من لحوم القتلى ، والجبال من عظامهم ، والبحار من صديدهم[2] و دمائهم ، والسماء من جلودهم ، وخلق الشمس والقمر وسيّرهما لاستصفاء ما في العالم

---

(١) وفي نسخة : ليتخلص المأمورين من تلك الاجزاء .

(٢) الصديد : القيح المختلط بالدم .

من أجزاء النور المختلطة بأجزاء الظلمة ، وجعل حول العالم خندقاً خارج الفلك الأعلى يطرح فيه الظلام المستصفى ، فهو لايزال يزيد ويتضاعف ويكثر في ذلك الخندق وهو ظلام صرف قد استصفى نوره .

و أمّا النور المستخلص فيلحق بعد الاستصفاء بعالم الأنوار فلاتزال الأفلاك متحرّكة والعالم مستمرّاً إلى أن يتمّ استصفاء النور الممتزج ، وحينئذ يبقى من النور الممتزج شيء منعقد باطل لاتقدر النيران على استصفائه ، فعند ذلك تسقط الأجسام العالية - وهي الأفلاك - على الأجسام السافلة - وهي الأرضون - وتفور نار تضطرم في تلك الأسافل وهي المسمّاة بجهنّم ، ويكون الاضطرام مقدار ألف وأربعمائة سنة . فتحلّل بتلك النار تلك الأجزاء المنعقدة من النور الممتزجة بأجزاء الظلمة الّتي عجز الشمس والقمر عن استصفائها فيرتفع إلى عالم الأنوار ويبطل حينئذ ، ويعود النور كلّه إلى حاله الأولى قبل الامتزاج و كذلك الظلمة .

الثالث : المرقوبيّة أثبتوا أصلين متضادّين : أحدهما النور ، والثاني الظلمة ، و أثبتوا أصلاً ثالثاً هو المعدّل الجامع و هو سبب المزاج ، فإنّ المتنافرين المتضادّين لايمتزجان إلّا بجامع ، و قالوا : الجامع دون النور في الرتبة ، وفوق الظلمة وحصل من الاجتماع والامتزاج هذا العالم .

و منهم من يقول : الامتزاج إنّما يحصل بين الظلمة و المعدّل إذ هو قريب منها فامتزج به ليتطيّب به ويلتذّ ملاذّه فبعث النور إلى العالم الممتزج روحاً مسيحيّة وهو روح الله وابنه تحنّناً على المعدّل السليم الواقع في شبكة الظلام الرجيم حتّى يخلّصه من حبائل الشياطين ، فمن اتّبعه فلم يلامس النساء ولم يقرب الزهومات أفلت ونجا ، و من خالفه خسر وهلك . قالوا : وإنّما أثبتنا المعدّل لأنّ النور الّذي هو الله تعالى لا تجوز عليه مخالطة الشيطان ، فإنّ الضدّين يتنافران طبعاً ، ويتمانعان ذاتاً ونفساً فكيف يجوز اجتماعهما وامتزاجهما ؛ فلابدّ من معدّل تكون منزلته دون النور وفوق الظلام فيقع المزاج معه . كذا ذكره الشهرستانيّ .

وقال ابن أبي الحديد : قول المجوس هو أنّ الغرض من خلق العالم أن يتحصّن

الخالق جلّ اسمه من العدوّ[1] وأن يجعل العالم شبكة له ليوقع العدوّ فيه ، ويجعله في ربط ووثاق . والعدوّ عندهم هو الشيطان وبعضهم يعتقد قدمه وبعضهم حدوثه .

قال قوم منهم : إنّ الباري عزّ وجلّ استوحش ففكر فكرة رديّة فتولّد منها الشيطان . وقال آخرون : بل شكّ شكّاً رديّاً فتولّد الشيطان من شكّه . وقال آخرون : بل تولّد من عفونة رديّة قديمة .

وزعموا أنّ الشيطان حارب الباري سبحانه ؛ وكان في الظلمة لم يزل بعيداً عن سلطان الباري سبحانه فلم يزل يزحف حتّى رأى النور فوثب وثبة عظيمة فصار في سلطان الله تعالى في النور ، وأدخل معه البلايا والشرور فبنى الله سبحانه هذه الأفلاك والأرض والعناصر شبكة له ، وهو فيها محبوس لا يمكنه الرجوع إلى سلطانه الأوّل والظلمة فهو أبداً يضطرب ويرمي الآفات على خلق الله سبحانه فمن أحياه الله رماه الشيطان بالموت ، ومن أصحّه رماه الشيطان بالسقم ، ومن سرّه رماه الشيطان بالحزن والكآبة فلا يزال كذلك . وكلّ يوم ينتقص سلطانه وقوّته لأنّ الله تعالى يحتال له كلّ يوم ويضعّفه إلى أن تذهب قوّته كلّها ، ويخمد ويصير جماداً جامداً هوائيّاً ، ويجمع الله تعالى أهل الأديان فيعذّبهم بقدر ما يطهّرهم ويصفّيهم من طاعة الشيطان ، ويغسّلهم من الأدناس ثمّ يدخلهم الجنّة وهي لا أكل فيها ولا شرب ولا تمتّع ، ولكنّها موضع لذّة وسرور .

أقول : لمّا عرفت هذه المذاهب السخيفة المزخرفة الّتي يغني تقريرها عن التعرّض لإبطالها وتزييفها فلنرجع إلى توضيح الخبر .

فنقول : يظهر من كلامه عليه السلام أنّ الديصانيّة قالوا : بقدم الطينة أي الظلمة ، وبحدوث الامتزاج ، ويحتمل أن يكون إشارة إلى ما نسبه الشهرستانيّ إلى الزروانيّة حيث قال : زعم بعضهم أنّه كان لم يزل مع الله شيء رديّ إمّا فكرة رديّة ، وإمّا عفونة رديّة ، وذلك هو مصدر الشيطان ، وزعموا أنّ الدنيا كانت سليمة من الشرور والآفات ، وكان أهلها في خير محض ونعيم خالص فلمّا حدث «أهرمن» حدثت الشرور والآفات والفتن ،[2] وكان بمعزل من السماء فاحتال حتّى خرق السماء وصعد .

(١) وفي نسخة : أن ينحصر الخالق جل اسمه من العدو .
(٢) وفي نسخة : والافات والمحن .

ثمّ إنّه استدلّ عليه السلام على إبطال مذهبهم بوجهين : الأوّل أنّ قولكم : إنّه تعالى كان لم يزل متأذّياً من تلك الطينة ولم يستطع التفصّي منها يستلزم عجزه تعالى، والعجز نقص يحكم العقل ببراءة صانع مثل هذا النظام عنه ، و أيضاً يوجب الاحتياج إلى من يرفع و يدفع ذلك عنه ، وهو ينافي وجوب الوجود الّذي قام البرهان على اتّصاف الصانع تعالى به .

والثاني : أنّه لايخلو إمّا أن تكون تلك الطينة الأزليّة حيّة عالمة قادرة ، فيكون كلٌّ منهما إلهاً واجباً بالذات ، لما قد ثبت بالعقل والنقل أنّ الممكن لايكون قديماً فإذا حصل العالم من امتزاجهما فلايجوز على شيء من أجزاء العالم الموت والفناء إذ انتفاء المركّب إنّما يكون بانتفاء أحد أجزائه والجزآن هنا قديمان . ويحتمل أن يكون هذا إلزاماً عليهم حيث أثبتوا الظلمة و جعلوها ميتة جاهلة عاجزة جماداً لينسبوا إليها الموت والفناء ؛ زعماً منهم أنّ مثل هذه الاُمور لايصدر عن النور الحيّ العالم القادر ، وإمّا أن تكون ميتة أي عادمة للقدرة والعلم والإرادة ، وهذا محال إذ القدم يستلزم وجوب الوجود ، وهو يستلزم الاتّصاف بالعلم والقدرة وسائر الكمالات ، وإليه أشار عليه السلام بقوله فلابقاء للميّت مع الأزليّ القديم . ثمّ أبطل عليه السلام ذلك بوجه آخر ، و هو أنّهم ينسبون خلق المؤذيات كالحيّات والعقارب و السباع إلى الظلمة ، ولو كانت ميتة لايجوز نسبة خلقها إليها إذ العقل يحكم ببديهة أنّه يجب أن يكون الصانع أشرف من المصنوع من جميع الجهات وكيف يفيض الحياة و العلم و القدرة ممّن لم يكن له حظٌّ منها .

و أمّا المانويّة فيظهر من كلامه عليه السلام في تقرير مذهبهم غير ما مرّ من نقل الناقلين لمذهبهم ولاعبرة بنقلهم ، فانّهم كثيراً ما ينسبون أشياء إلى جماعة من الشيعة وغيرهم ممّا قد نعلم خلافها ، مع أنّه يحتمل أن يكون كلامهم مرموزاً ، وعلم عليه السلام أنّ مرادهم بالنور الروح ، و بالظلمة الجسد ؛ والنور هو الربّ تعالى . ويؤيّده أنّه كان الملعون نصرانيّاً و مذهب النصارى في المسيح عليه السلام قريب من ذلك ، و يحتمل أن يكون ما ذكره عليه السلام مذهباً لجماعة من قدمائهم ، ثمّ غيّروه إلى ما نقل عنهم ؛ وكون النور أسيراً

للظلمة يحتمل أن يكون كناية عن عدم استقلاله في التدبير و معارضة أهرمن له في كثير ممّا يريده . وقد استدلّ عليه السلام على بطلان مذهبهم بوجوه :

الأوّل : أن لا يكون الناس قادرين على ترك الشرور والمساوي و المعاصي لأنّها من فعل الجسد الّذي هو الظلمة ، ولايتأتّى منه الخير ، ولا يستحقّ أحد الملامة على الشرّ ، لكونه مجبوراً عليه ، وقد نراهم يلومون الناس على الشرور و المساوي ، فهذا دليل على بطلان مذهبهم .

الثاني : أنّهم يستحسنون التضرّع إلى الربّ تعالى و عبادته والاستعانة به ، و أمثال تلك الأعمال فعل الروح الّذي هو الربّ بزعمهم فكيف يعبد نفسه و يستعين بنفسه و يتضرّع إليها ؟ و إن قالوا : إنّه يتضرّع إلى الظلمة فكيف يليق بالربّ أن يستعيذ بغيره ؟.

الثالث : أنّه يلزم أن لا يجوز أن يقول أحد لأحد : أحسنت و لا أسأت ، و هذا باطل اتّفاقاً و بديهةً ؛ وأمّا بيان الملازمة فلأنّ الحاكم بذلك إمّا النور أو الظلمة ، إذ المفروض أنّه لاشيء غيرهما . وكلاهما باطلان : أمّا الأوّل فلأنّ الظاهر من هذا الكلام المغايرة بين المادح والممدوح و المفروض اتّحادهما ، ويحتمل أن يكون هذا منبّهاً على ما يحكم به العقل بديهة من المغايرة بين الأشخاص ، مع أنّهم يقولون : بأنّ أرواح جميع الخلق شخص واحد هو النور و هو الربّ تعالى ، وهذا قريب من الوحدة الّتي قالت به الصوفيّة . وأمّا الثاني فلأنّ الظلمة فعلها الإساءة وتعدّها حسنة ، فكيف تحكم بقبحها ؟.

ويمكن تقرير الملازمة بوجه آخر بأن يقال : ظاهر أنّ التحسين والتشنيع من فعل النور ، ولا يتصوّر منه شيء منهما لأنّ المخاطب في «أسأت» هو الظلمة وهو مجبور على فعل القبيح بزعمهم فلا يستحقّ اللّوم ، و هو المراد بقوله : وذلك فعلها ، والمخاطب في « أحسنت » هو النور لأنّ الحسن فعله فيتّحد المادح والممدوح .

الرابع : أنّهم يحكمون بأنّ النور هو الربّ تعالى ، ويجب على هذا أن يكون أقوى و أحكم وأتقن من الظلمة الّتي هي مخلوقة ، و يلزمهم بمقتضى أقوالهم الفاسدة

عكس ذلك لأنّ الأبدان عندهم من فعل الظلمة ، ولانحكم بقدرة الربّ وعلمه وحكمته إلّا بما نشاهد من تلك الأبدان المختلفة ، و الأشجار و الثمار ، والطيور والدوابّ ، ولا نشاهد ممّا يقولون من الأرواح شيئاً ؛ فيلزمهم على قياس ذلك أن تكون الظلمة إلهاً قادراً حكيماً عليماً . فقوله عليه السلام : من صوّر مبتداء ، و قوله : يجب أن يكون إلهاً خبره . و قوله : كلّ شيء معطوف على قوله : هذا الخلق .

الخامس : قولهم : بأنّ النور في حبس الظلمة ينافي القول بربوبيّته لانّ كونه محبوساً يستلزم عجزه و نقصه ، وكلّ منهما ينافي الربوبيّة كمامرّ ، وماادّعوا من أنّه في القيامة يغلب النور عليها فمع أنّه لاينفع في دفع الفساد فهو دعوى من غير حجّة . وأيضاً يلزمهم أن لايكون للنور فعل لإنّه أسير . وإن قالوا : بأنّ له أيضاً فعلاً من الخلق و التدبير فليس بأسير لأنّ العقل يحكم بأنّ الخالق المدبّر لابدّ من أن يكون عزيزاً منيعاً قادراً قاهراً على كلّ من سواه فلمّا ثبت على قياس قولهم أنّه أسير فيلزمهم بما قرّرنا أن يكون ما في العالم من الإحسان والخير أيضاً من فعل الظلمة ، فإن حكموا باستحالة ذلك أي كون الخير من الظلمة فقد بطل أصل كلامهم ، وهو الحكم بتوزيع الخلق ، وثبت ما قلناه : من أنّ الربّ تعالى واحد لا يشاركه ولا يضادّه في ملكه أحد .

و أمّا مذهب المرقوبيّة فقد بيّن عليه السلام بطلانه بأنّ القول بالحَكم ينافي القول بربوبيّة النور ، لأنّ الحَكم يكون قاهراً والنور مقهوراً ، وبديهة العقل حاكمة ببطلان كون الربّ مقهوراً . وأيضاً يلزم أن يكون الحَكم اعلم بالحكمة من النور الّذي حكمتم أنّه ربّ ، والضرورة قاضية بأنّ الربّ الخالق لمثل هذا الخلق المدبّر لهذا النظام لايكون جاهلاً . هذا جملة القول في هذا الخبر على ما ناله فهمي القاصر ، وبسط القول فيه يحتاج إلى كتاب مفرد معمول لذلك . والله الموفّق لكلّ خير .

٦ ـ **فس** : ثمّ ردّ على الثنويّة الّذين قالوا بإلهين فقال تعالى : ما اتّخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كلّ إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض . قال : لو كان إلهين كما زعمتم لكانا يخلقان ، فيخلق هذا ولايخلق هذا ، ويريد هذا ولا يريد هذا ، ولطلب كلّ واحد منهما الغلبة ، و إذا أراد أحدهما خلق إنسان و أراد الآخر

خلق بهيمة فيكون إنساناً و بهيمة في حالة واحدة وهذا غير موجود ، فلمّا بطل هذا ثبت التدبير ، والصنع لواحد ؛ ودلّ أيضاً التدبير وثباته وقوام بعضه ببعض على أنّ الصانع واحد جلّ جلاله ، و ذلك قوله : ما اتّخذ الله من ولد الآية ، ثمّ قال أنفاً : سبحان الله عمّا تصفون .

بيان : أنفاً بالتحريك أي استنكافاً و تنزّهاً .

٧ ـ **يد** ، **مع** : أبي ، عن سعد ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ، عن الربيع بن محمّد قال : سمعت أبا الحسن عليه السلام ـ وسئل عن الصمد ـ فقال : الصمد الّذي لا جوف له .

٨ ـ **يد** ، **مع** : الدقّاق ، عن الكلينيّ ، عن علاّن ، عن سهل ، عن محمّد بن وليد ـ و لقبه شبّاب الصيرفي ـ عن داود بن القاسم الجعفريّ قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : جعلت فداك ما الصمد ؟ قال : السيّد المصمود إليه[1] في القليل والكثير .

٩ ـ **يد** : ابن الوليد ، عن محمّد العطّار ، عن الأشعريّ ، عن الميثميّ ، عن صفوان بن يحيى ، عن أبي أيّوب ، عن محمّد بن مسلم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ اليهود سألوا رسول الله صلّى الله عليه وآله فقالوا : انسب لنا ربّك فلبث ثلاثاً لا يجيبهم ، ثمّ نزلت هذه السورة إلى آخرها فقلت : ما الصمد ؟ فقال : الّذي ليس بمجوّف .

١٠ ـ **يد** : أبي ، عن سعد ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ، عن الحسن بن أبي السريّ ، عن جابر بن يزيد قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من التوحيد ، فقال : إنّ الله تباركت أسماؤه الّتي يدعا بها ، وتعالى في علوّ كنهه ، واحد توحّد بالتوحيد في علوّ توحيده ،[2] ثمّ أجراه على خلقه فهو واحد صمد قدّوس ، يعبده كلّ شيء ، ويصمد إليه كلّ شيء ، ووسع كلّ شيء علماً .

ايضاح : واحد خبر «إنّ» والجملتان معترضتان أي تطهّرت أسماؤه عن النقائص أو كثرت صفات جلاله و عظمته ، أو ثبت ولا يعتريها التغيّر ، وكلمة «في» في قوله : في علوّ كنهه تعليليّة . و قوله عليه السلام : توحّد بالتوحيد أي لم يكن في الأزل أحد يوحّده

(١) صمد إليه : قصده .

(٢) وفي نسخة : في علو توحده .

فهو كان يوحّد نفسه فكان متفرّداً بالوجود ، متوحّداً بتوحيد نفسه ، ثمّ بعد الخلق عرّفهم نفسه ، وأمرهم أن يوحّدوه ، أو المراد أنّ توحّده لايشبه توحّدغيره ، فهومتفرّد بالتوحيد ،[1] أو كان قبل الخلق كذلك ، وأجرى سائر أنواع التوحيد على خلقه ، إذالوحدة تساوق الوجود أوتستلزمه لكن وحداتهم مشوبة بأنواع الكثرة .

١١ - يد : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن عيسى ، عن عليّ بن سيف بن عميرة ، عن محمّد بن عبيد قال : دخلت على الرضا عليه السلام فقال لي : قل للعباسيّ[2] يكفّ عن الكلام في التوحيد وغيره ، ويكلّم الناس بما يعرفون ، ويكفّ عمّا ينكرون ، وإذا سألوك عن التوحيد فقل - كما قال الله عزّ وجلّ - : قل هو الله أحد ۞ الله الصمد ۞ لم يلد ولم يولد ۞ ولم يكن له كفواً أحد ۞ وإذا سألوك عن الكيفيّة فقل - كما قال الله عزّ وجلّ - : ليس كمثله شيء ؛ وإذا سألوك عن السمع فقل - كما قال الله عزّ وجلّ - : هو السميع العليم ؛ كلّم الناس بما يعرفون .

١٢ - يد : حدّثنا أبو محمّد جعفر بن عليّ بن أحمد الفقيه القمّي ثمّ الإيلاقيّ رضي الله عنه ، قال حدّثنا أبو سعيد عبدان بن الفضل ، قال : حدّثني أبو الحسن محمّد بن يعقوب بن محمّد بن يوسف بن جعفر بن إبراهيم بن محمّد بن عليّ بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بمدينة خجندة ، قال : حدّثني أبو بكر محمّد بن أحمد بن شجاع الفرغانيّ ، قال حدّثني أبو محمّد الحسن بن حمّاد القبريّ بمصر ، قال : حدّثني إسماعيل بن عبد الجليل البرقيّ ، عن أبي البختريّ وهب بن وهب القرشيّ ، عن أبي عبدالله الصادق جعفر بن محمّد ، عن أبيه محمّد بن عليّ الباقر عليهما السلام في قول الله عزّ وجلّ : قل هو الله أحد ، قال : «قل» أي أظهر ما أوحينا إليك و نبّأناك به بتأليف الحروف الّتي قرأناها لك ، ليهتدي بها من ألقى السمع وهو شهيد ، و «هو» إسم مشار ومكنّى إلى غائب ، فالهاء تنبيه عن معنى ثابت ، والواو إشارة إلى الغائب عن الحواسّ كما أنّ قولك : « هذا » إشارة إلى الشاهد عند الحواسّ ، وذلك أنّ

---

(١) وفي نسخة : فهو متفرد بالتوحد .

(٢) العباسي لقب جمع كثير مشترك بين الثقة والضعيف منهم إبراهيم بن هاشم ، وهشام بن ابراهيم الراشدي الهمداني ، وهشام بن إبراهيم البغدادي المشرقي وغيرهم ، والظاهر من الوحيد البهبهاني أن الواقع في الحديث هو المشرقي ، وأنه ثقة .

الكفّار نبّهوا عن آلهتهم بحرف إشارة الشاهد المدرك ، فقالوا : هذه آلهتنا المحسوسة المدركة بالأبصار فأشر أنت يا محمّد إلى إلهك الّذي تدعو إليه حتّى نراه وندركه و لا نأله فيه ، فأنزل الله تبارك وتعالى : قل هو الله أحد . فالهاء تثبيت للثابت والواو إشارة إلى الغائب عن درك الأبصار ولمس الحواسّ ، والله تعالى عن ذلك[(١)] بل هو مدرك الأبصار ومبدع الحواسّ .

حدّثني أبي ، عن أبيه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : رأيت الخضر عليه السلام في المنام قبل : بدر بليلة ، فقلت له : علّمني شيئاً أنصر به على الأعداء ، فقال : قل : ياهو يامن لا هو إلّاهو . فلمّا أصبحت قصصتها على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : لي يا عليّ علّمت الاسم الأعظم ؛ وكان على لساني يوم بدر ، وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام قرأ قل هو الله أحد[(٢)] فلمّا فرغ قال : ياهو يامن لاهو إلّاهو اغفرلي وانصرني على القوم الكافرين .

وكان عليّ عليه السلام يقول ذلك يوم صفّين وهويطارد ،[(٣)] فقال له عمّار بن ياسر : ياأمير المؤمنين ماهذه الكنايات ؟ قال : اسم الله الأعظم ، وعماد التوحيد لله لا إله إلّاهو ، ثمّ قرأ : شهد الله أنّه لا إله إلّاهو ، وأواخر الحشر ، ثمّ نزل فصلّى أربع ركعات قبل الزوال .

قال : وقال أمير المؤمنين عليه السلام : الله معناه المعبود الّذي يأله فيه الخلق ،[(٤)] ويؤله إليه ، والله هو المستور عن درك الأبصار ، المحجوب عن الأوهام والخطرات .

قال الباقر عليه السلام : الله معناه المعبود الّذي أله الخلق عن درك مائيّته والإحاطة بكيفيّته ، ويقول العرب : أله الرجل : إذا تحيّر في الشيء فلم يحط به علماً ، ووله : إذا فزع إلى شيء ممّا يحذره ويخافه ، فالإله هو المستور عن حواسّ الخلق .

قال الباقر عليه السلام : الأحد الفرد المتفرّد ، والأحد والواحد بمعنى واحد[(٥)] وهو

(١) وفي نسخة : وأنه تعالى عن ذلك .

(٢) وفي نسخة : قرأ يوم بدر قل هو الله أحد .

(٣) طارد الاقران : حمل بعضهم على بعض .

(٤) وفي نسخة : تأله فيه الخلق .

(٥) لعل المراد أن الاحد والواحد الذان يتصف بهما الله تعالى معناهما واحد ، لامطلقهما حيث يستعمل . أو أن الواحد الذي يستعمل في غير باب الاعداد والاجناس مترادف مع الواحد في المعنى . كما تقدم تفصيل ذلك في الحديث الاول فتامل .

المتفرّد الّذي لانظير له ، والتوحيد الإقرار بالوحدة وهو الانفراد ، والواحد المتبائن الّذي لاينبعث من شيء ولايتّحد بشيء ، ومن ثمّ قالوا : إنّ بناء العدد من الواحد ، وليس الواحد من العدد ، لأنّ العدد لايقع على الواحد بل يقع على الإثنين ، فمعنى قوله : الله أحد أي المعبود الّذي يأله الخلق عن إدراكه والإحاطة بكيفيّته فرد بإلهيّته ، متعال عن صفات خلقه .

قال الباقر عليه السلام : وحدّثني أبي زين العابدين ، عن أبيه الحسين بن عليّ عليهم السلام أنّه قال : الصمد : الّذي لاجوف له . والصمد : الّذي قد انتهى سودده . والصمد : الّذي لايأكل ولايشرب . والصمد : الّذي لاينام . والصمد : الدائم الّذي لم يزل ولايزال .

قال الباقر عليه السلام : كان محمّد بن الحنفيّة رضي الله عنه يقول : الصمد القائم بنفسه الغنيّ عن غيره . وقال غيره : الصمد : المتعالي عن الكون والفساد ، والصمد : الّذي لا يوصف بالتغاير .

قال الباقر عليه السلام : الصمد السيّد المطاع الّذي ليس فوقه آمر وناه .

قال : وسئل عليّ بن الحسين زين العابدين عليهما السلام عن الصمد فقال : الصمد : الّذي لاشريك له ، ولايؤوده حفظ شيء[1] ، ولايعزب عنه شيء .[2]

١٣ ـ قال وهب بن وهب القرشيّ : قال زيد بن عليّ عليه السلام : الصمد الّذي إذا أراد شيئاً قال له : كن فيكون ، والصمد الّذي أبدع الأشياء فخلقها أضداداً و أشكالاً و أزواجاً ، وتفرّد بالوحدة بلا ضدّ ولاشكل ولامثل ولا ندّ .

١٤ ـ قال وهب بن وهب القرشيّ : وحدّثني الصادق جعفر بن محمّد ، عن أبيه الباقر ، عن أبيه عليهما السلام أنّ أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن عليّ عليهما السلام يسألونه عن الصمد ، فكتب إليهم : بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد فلا تخوضوا في القرآن ، ولاتجادلوا فيه ، ولا تتكلّموا فيه بغير علم ، فقد سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار ؛ وأنّه سبحانه قد فسّر الصمد[3] فقال : الله أحد الله الصمد ،

(١) أى لايضنكه ولايثقل عليه حفظ شيء .
(٢) أى لايغيب ولايخفى عنه شيء .
(٣) وفي نسخة . وأنّ الله سبحانه قد فسر الصمد .

ثمّ فسّره فقال : لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . لم يلد لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وسائر الأشياء الكثيفة الّتي تخرج من المخلوقين ، ولاشيء لطيف كالنفس ، ولا يتشعّب منه البداوات ،[1] كالسنة والنوم ، والخطرة والهمّ ، والحزن والبهجة ، والضحك والبكاء ، و الخوف و الرجاء ، و الرغبة والسأمة ، و الجوع و الشبع ؛ تعالى أن يخرج منه شيء ، وأن يتولّد منه شيء كثيف أولطيف . ولم يولد لم يتولّد من شيء ، ولم يخرج من شيء كما تخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها كالشيء من الشيء ، والدابّة من الدابّة ، والنبات من الأرض ، والماء من الينابيع ، والثمار من الأشجار ، ولا كما تخرج الأشياء اللّطيفة من مراكزها ، كالبصر من العين ، والسمع من الاُذن ، والشمّ من الأنف ، والذوق من الفم ، والكلام من اللّسان ، والمعرفة والتمييز من القلب ، وكالنار من الحجر. لا بل هو الله الصمد الّذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء ، مبدع الأشياء وخالقها ، و منشىء الأشياء بقدرته ، يتلاشى ماخلق للفناء بمشيئته ، ويبقى ماخلق للبقاء بعلمه ، فذلكم الله الصمد الّذي لم يلد ولم يولد ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ، ولم يكن له كفواً أحد .

١٥ ـ قال وهب بن وهب القرشيّ : سمعت الصادق عليه السلام يقول : قدم وفد من فلسطين[2] على الباقر عليه السلام فسألوه عن مسائل فأجابهم ، ثمّ سألوه عن الصمد فقال : تفسيره فيه الصمد خمسة أحرف ، فالألف دليل على إنّيّته ، وهو قوله عزّ وجلّ : شهد الله أنّه لا إله إلّا هو، وذلك تنبيه وإشارة إلى الغائب عن درك الحواسّ ، واللّام دليل على إلهيّته بأنّه هو الله ، والألف واللّام مدغمان لا يظهران على اللّسان ولا يقعان في السمع ، ويظهران في الكتابة دليلان على أنّ إلهيّته لطيفة خافية لا يدرك بالحواسّ ، ولا يقع في لسان واصف ، ولا اُذن سامع لأنّ تفسير الإله هو الّذي أله الخلق عن درك ماهيّته وكيفيّته بحسّ أو بوهم ، لا بل هو مبدع الأوهام وخالق الحواسّ ، وإنّما يظهر ذلك عند الكتابة فهو دليل على أنّ الله سبحانه أظهر ربوبيّته في إبداع الخلق ، وتركيب أرواحهم اللّطيفة

(١) البداوات : الاراء المختلفة . ولعله أراد به الحالات المختلفة ؛ وفي بعض النسخ : البدوات .
(٢) الوفد بفتح الواو وسكون الفاء : قوم يجتمعون فيردون البلاد .

في أجسادهم الكثيفة ، فإذا نظر عبد إلى نفسه لم ير روحه ، كما أنّ لام الصمد لا تتبيّن ولا تدخل في حاسّة من حواسّه الخمس ، فإذا نظر إلى الكتابة ظهر له ما خفي ولطف ، فمتى تفكّر العبد في مائيّة الباري و كيفيّته أله فيه وتحيّر ولم تحط فكرته بشيء يتصوّر له ، لأنّه عزّ وجلّ خالق الصور ، فإذا نظر إلى خلقه ثبت له أنّه عزّ وجلّ خالقهم ، ومركّب أرواحهم في أجسادهم ؛ و أمّا الصاد فدليل على أنّه عزّ وجلّ صادق ، و قوله صدق و كلامه صدق ، ودعا عباده إلى اتّباع الصدق بالصدق ، ووعد بالصدق دار الصدق ؛ وأمّا الميم فدليل على ملكه ، وأنّه الملك الحقّ ، لم يزل ولا يزال ولا يزول ملكه ؛ وأمّا الدال فدليل على دوام ملكه ، وأنّه عزّ وجلّ دائم تعالى عن الكون والزوال ، بل هو الله عزّ وجلّ مكوّن الكائنات الّذي كان بتكوينه كلّ كائن .

ثمّ قال عليه السلام : لو وجدت لعلمي الّذي آتاني الله عزّ وجلّ حملة لنشرت التوحيد والإسلام والإيمان والدين والشرائع من الصمد ، وكيف لي بذلك ولم يجد جدّي أمير المؤمنين عليه السلام حملة لعلمه حتّى كان يتنفّس الصعداء [1] ويقول على المنبر : سلوني قبل أن تفقدوني فإنّ بين الجوانح منّي علماً جمّاً ، هاه هاه ، ألا لا أجد من يحمله ، ألا وإنّي عليكم من الله الحجّة البالغة ، فلا تتولّوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفّار من أصحاب القبور .

ثمّ قال الباقر عليه السلام : الحمد لله الّذي منّ علينا ووفّقنا لعبادته الأحد الصمد الّذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وجنّبنا عبادة الأوثان ، حمداً سرمداً و شكراً واصباً . وقوله عزّ وجلّ : لم يلد ولم يولد يقول الله عزّ وجلّ : لم يلد فيكون له ولد يرثه ملكه ، ولم يولد فيكون له والد يشركه في ربوبيّته وملكه ، و لم يكن له كفواً أحد فيعازّه في سلطانه . [2]

بيان : روي في معاني الأخبار ما يتعلّق بتأويل الصمد من هذا الخبر بهذا الإسناد . ثمّ اعلم أنّ تحقيق معنى «هو» بهذا الوجه غير معروف ، ولا يبعد أن يكون في أصل الوضع

(١) الصعداء : التنفس الطويل من هم أو تعب .

(٢) وفي نسخة : فيعاونه في سلطانه .

كذلك . وقوله : ولانأله صيغة المتكلّم من أله بمعنى تحيّر . واختلف في لفظ الجلالة فالمشهور أنّه عربيّ مشتقّ ، إمّا من أله بمعنى عبد ، أومن أله : إذا تحيّر ، إذالعقول تتحيّر في معرفته ، أومن ألهت إلى فلان أي سكنت إليه ، لأنّ القلوب تطمئنّ بذكره ، والأرواح تسكن إلى معرفته ، أو من أله : إذا فزع من أمر نزل عليه ، وألهه غيره : أجاره ، إذالعابد يفزع إليه وهو يجيره ، أومن أله الفصيل : إذا ولع بأُمّه ، إذ العباد يولعون بالتضرّع إليه في الشدائد ، أومن وله : إذاتحيّر وتخبّط عقله ، وكان أصله و لاه فقلبت الواوهمزة لاستثقال الكسرة عليها ، أومن لاه مصدر لاه يليه ليهاً ولاهاً : إذا احتجب و ارتفع لأنّه تعالى محجوب عن إدراك الأبصار ، ومرتفع على كلّ شيء وعمّا لايليق به ، وقيل : إنّه غيرمشتقّ وهو علم للذات المخصوصة وضع لها ابتداءاً . وقيل : أصله «لاها» بالسريانيّة فعرّب بحذف الألف الأخيرة وإدخال اللّام عليه .

وقال الرازيّ : ذكروا في الفرق بين الواحد والأحد وجوهاً ؛ أحدها : أنّ الواحد يدخل في العدد والأحد لايدخل فيه . وثانيها : أنّك إذا قلت : فلان لايقاومه واحد جاز أن يقال : لكنّه يقاومه اثنان بخلاف الأحد . و ثالثها : أنّ الواحد يستعمل في الإثبات والأحد في النفي . انتهى .

وقوله عليه السلام : ومن ثمّ لبيان أنّ الواحد الحقيقيّ هوالّذي لايكون فيه شيء من أنحاء التعدّد لأنّ الوحدة تقابل العدد .

ثمّ اعلم أنّهم اختلفوا في معنى الصمد ، فقيل : إنّه فعل بمعنى المفعول من صمد إليه : إذا قصده ، وهو السيّد المقصود إليه في الحوائج . وروت العامّة عن ابن عبّاس أنّه لمّا نزلت هذه الآية قالوا : ما الصمد ؟ قال صلّى الله عليه وآله : هوالسيّد الّذي يصمد إليه في الحوائج . وقيل : إنّ الصمد هوالّذي لاجوف له ؛ وقال ابن قتيبة : الدال فيه مبدلة من التاء وهوالصمت ؛[1] وقال بعض اللّغويّين : الصمد : هوالأملس من الحجر لايقبل الغبار ولايدخله ولايخرج منه شيء .

---

(١) قال الشيخ قدس سره في كتابه التبيان : ومن قال : الصمد بمعنى المصمت فقد جهل الله ، لان المصمت هوالمتضاغط الاجزاء ، وهذا تشبيه وكفر بالله تعالى .

فعلى الأوّل عبارة عن وجوب الوجود والاستغناء المطلق و احتياج كلّ شيء في جميع اُموره إليه أي الّذي يكون عنده مايحتاج إليه كلّ شيء ، ويكون رفع حاجة الكلّ إليه ، ولم يفقد في ذاته شيئاً ممّا يحتاج إليه الكلّ ، وإليه يتوجّه كلّ شيء بالعبادة و الخضوع ، وهو المستحقّ لذلك ، وإليه يؤمي خبر الجعفري .

و أمّا على الثاني فهو مجاز عن أنّه تعالى أحديّ الذات أحديّ المعنى ليست له أجزاء ليكون بين الأجزاء جوف ، ولاصفات زائدة فيكون بينها وبين الذات جوف ؛ أو عن أنّه الكامل بالذات ليس فيه جهة استعداد وإمكان ولاخلوّ له عمّا يليق به ، فلايكون له جوف يصلح أن يدخله ماليس له في ذاته فيستكمل به ، فالجوف كناية عن الخلوّ عمّا لايصحّ اتّصافه به .

وأمّا على الثالث فيكون كناية عن عدم الانفعال والتأثّر عن الغير ، وكونه محلاً للحوادث كما سيأتي في جواب من سأل الصادق عليه السلام عن رضا الله وسخطه ، فقال : ليس ذلك على مايوجد من المخلوقين ، وذلك أنّ الرضا دخال يدخل عليه فينقله من حال إلى حال لأنّ المخلوق أجوف ، معتمل ، مركّب ، للأشياء فيه مدخل ؛ و خالقنا لامدخل للأشياء فيه لأنّه واحد وأحديّ الذات وأحديّ المعنى ، وهذا الخبر يؤيّد بعض المعاني السابقة أيضاً .

وقد نقل بعض المفسّرين عن الصحابة و التابعين والأئمّة واللّغويّين قريباً من عشرين معنى ،[1] ويمكن إدخال جميعها فيما ذكرنا من المعنى الأوّل لأنّه لاشتماله على

---

(١) تقدمت جملة من المعانى المروية عن الائمة عليهم السلام فى الخبر ١٣ و ١٤ . وأما مانقل من المعنى عن غيرهم فقد نقل عن سعيد بن جبير أن المعنى : هو الكامل فى جميع صفاته و أفعاله . وعن قتادة : هو الباقى بعد فناء خلقه . وعن ربيع : هو الذى لايعتريه الافات . وعن مقاتل بن حيان : هو الذى لاعيب فيه . وعن الاصم : هو الخالق للاشياء . وعن السدى : هو المقصود فى الرغائب ، المستغاث به عند المصائب . وعن الحسين بن الفضل البجلى : هو الذى يفعل مايشاء ويحكم مايريد ، لامعقب لحكمه ولا راد لقضائه وعن ابى بن كعب : هو الذى لايموت ولايورث وله ميراث السماوات والارض و عن يمان وأبى مالك : هو الذى لاينام ولايسهو . وعن ابن كيسان : هو الذى لا يوصف بصفة أحد . وعن أبى بكر الوراق : انه الذى آيس الخلائق من الاطلاع على كيفيته . وعن غيرهم : انه السيد المعظم ، و انه العالم بجميع المعلومات ، وانه الحليم ، وانه الفرد الماجد لايقضى فى أمر دونه ، وانه الذى لاتدركه الابصار ، وانه المنزه عن قبول النقصانات والزيادات ، وعن ان يكون مورداً للتغيرات والتبدلات ، وعن احاطة الازمنة والامكنة والانات والجهات . وسياتى فى الحديث ٢٠ و ٢١ معنى آخر .

الوجوب الذاتي يدلّ على جميع السلوب ، ولدلالته على كونه مبدءاً للكلّ يدلّ على اتّصافه بجميع الصفات الكماليّة ، وبهذا الوجه يمكن الجمع بين الأخبار المختلفة الواردة في هذا المعنى .

وقوله عليه السلام : لايوصف بالتغاير أي بالصفات الموجودة المغايرة للذات ، ويحتمل على بعد أن يكون مأخوذاً من الغيرة كناية عن أنّه ليس له ضدٌّ ولاندٌّ ؛ و فيما رواه الطبرسيُّ رحمه الله : لايوصف بالنظائر . والبدوات بالفتحات : مايبدو ويسنح ويظهر من الحوادث والحالات المتغيّرة والآراء المتبدّلة ، يقال : بدا أي ظهر ، وبداله في الأمر : نشأله فيه رأي ، وهو ذوبدوات . والإنّيّة : التحقّق والوجود . والصعداء بضمّ الصاد و فتح العين : تنفّس طويل . والجوانح : الضلوع تحت الترائب ممايلي الصدر . والواصب : الدائم والثابت . والمعازّة : المغالبه .

١٦ ـ يد : ابن إدريس ، عن أبيه ، عن ابن هاشم ، عن ابن بزيع ، عن يونس ، عن الحسن بن السريّ ، عن جابر قال : قال أبوجعفر عليه السلام : إنّ الله عزّ وجلّ ـ تباركت أسماؤه وتعالى في علوّ كنهه ـ أحد توحّد بالتوحيد في توحّده ، ثمّ أجراه على خلقه ، فهو أحد صمد ملك قدوّس يعبده كلّ شيء ويصمد إليه ، وفوق الّذى عسينا أن نبلغ ، ربّنا وسع كلّ شيء علماً .

سن : اليقطينيّ ، عن يونس ، عن الحسن بن السريّ مثله .

١٧ ـ يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن ابن فضّال ، عن الحلبيّ وزرارة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله تبارك وتعالى أحد صمد ، ليس له جوف ، وإنّما الروح خلق من خلقه نصر وتأييد وقوّة يجعله الله في قلوب الرسل والمؤمنين .

١٨ ـ يد : ابن عبدوس ، عن ابن قتيبة ، عن الفضل بن شاذان قال : سأل رجل من الثنويّة أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام ـ وأنا حاضر ـ فقال له : إنّي أقول : إنّ صانع العالم اثنان ، فما الدليل على أنّه واحد ؟ فقال : قولك : إنّه اثنان دليل على أنّه واحد لأنّك لم تدع الثاني إلّا بعد إثباتك الواحد ، فالواحد مجمع عليه ، وأكثر من واحد مختلف فيه .

قال الصدوق رحمه‌الله : الدليل على أنّ الصانع واحد لاأكثر من ذلك أنّهما لو كانا اثنين لم يخل الأمر فيهما من أن يكون كلّ واحد منهما قادراً على منع صاحبه ممّا يريد أو غير قادر ، فإن كانا كذلك فقد جاز عليهما المنع ، ومن جاز عليه ذلك فمحدث ، كما أنّ المصنوع محدث ؛ وإن لم يكونا قادرين لزمهما العجز والنقص ، وهما من دلالات الحدث ، فصحّ أنّ القديم واحد .

و دليل آخر : وهو أنّ كلّ واحد منهما لايخلو من أن يكون قادراً على أن يكتم الآخر شيئاً ، فإن كان كذلك فالّذي جاز الكتمان عليه حادث ، وإن لم يكن قادراً فهو عاجز ، والعاجز حادث بما بيّنّاه .[1] وهذا الكلام يحتجّ به في إبطال قديمين صفة كلّ واحد منهما صفة القديم الّذي أثبتناه . فأمّا ماذهب إليه ماني وابن ديصان من خرافاتهما في الامتزاج ، ودانت به المجوس من حماقاتها في أهرمن ففاسد بما به يفسد قدم الأجسام ، ولدخولهما في تلك الجملة اقتصرت على الكلام فيهما ولم أفرد كلاًّ منهما بما يسئل عنه منه .

١٩ ـ يد : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن عيسى ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن الحكم قال : قلت لأبي عبدالله عليه‌السلام ما الدليل على أنّ الله واحد ؟ قال : اتّصال التدبير وتمام الصنع ، كما قال عزّ وجلّ : لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا .

بيان : إمّا إشارة إلى برهان التمانع أو إلى التلازم ، وسيأتي بعض تقريراتهما .

٢٠ ـ **ف** : عن داود بن القاسم قال : سألت أباجعفر عليه‌السلام عن الصمد ، فقال : الّذي لاسرّة له . قلت : فإنّهم يقولون : إنّه الّذي لاجوف له ، فقال : كلّ ذي جوف له سرّة .

بيان : الغرض أنّه ليس فيه تعالى صفات البشر وسائر الحيوانات ، وهو أحد أجزاء معنى الصمد كما عرفت وهو لايستلزم كونه تعالى جسماً مصمتاً .

---

(١) العجتان مدخولتان لان عموم القدرة في الواجب لايستلزم تعلقها بكل امر ؛ فمن الجائز ان يكون المنع المفروض والكتمان المفروض محالين لاتتعلق بهما القدرة ؛ فلا يلزمه نقص الواجب وحدوثه . ط

٢١ ـ **جع** : سئل ابن الحنفيّة عن الصمد . فقال : قال عليّ عليه السلام : تأويل الصمد لااسم ولاجسم ، ولامثل ولاشبه ، ولاصورة ولاتمثال ، ولاحدّ ولاحدود ، ولاموضع ولا مكان ، ولاكيف ولا أين ، ولاهنا ولاثمّة ، ولاملأ ولاخلأ ، ولاقيام ولاقعود ، ولاسكون ولاحركة ، ولاظلمانيّ ولانورانيّ ، ولاروحانيّ ولانفسانيّ ، ولايخلو منه موضع ولايسعه موضع ، ولاعلى لون ، ولاعلى خطر قلب ، ولاعلى شمّ رائحة ، منفيّ عنه هذه الأشياء .

٢٢ ـ ج : عن هشام بن الحكم أنّه قال : من سؤال الزنديق عن الصادق عليه السلام أن قال : لمَ لايجوز أن يكون صانع العالم أكثر من واحد ؟ قال أبوعبدالله عليه السلام : لايخلو قولك : إنّهما اثنان من أن يكونا قديمين قويّين ، أو يكونا ضعيفين ، أو يكون أحدهما قويّاً و الآخر ضعيفاً ، فإن كانا قويّين فلمَ لايدفع كلّ واحد منهما صاحبه ويتفرّد بالربوبيّة ؟ [1] وإن زعمت أنّ أحدهما قويّ والآخر ضعيف ثبت أنّه واحد ـ كما نقول ـ للعجز الظاهر في الثاني ، وإن قلت : إنّهما اثنان لم يخل من أن يكونا متّفقين من كلّ جهة ، أو مفترقين من كلّ جهة ، فلمّا رأينا الخلق منتظماً ، والفلك جارياً ، [2] واختلاف اللّيل والنهار والشمس والقمر ، دلّ صحّة الأمر والتدبير وايتلاف الأمر على أنّ المدبّر واحد .

يد : الدقّاق ، عن أبي القاسم العلويّ ، عن البرمكيّ ، عن الحسين بن الحسن ، عن إبراهيم بن هاشم القميّ ، عن العبّاس بن عمرو الفقيميّ ، عن هشام بن الحكم مثله ؛ وزاد فيه : ثمّ يلزمك إن ادّعيت اثنين فلابدّ من فرجة بينهما حتّى يكونا اثنين فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قديماً معهما فيلزمك ثلاثة ، وإن ادّعيت ثلاثة لزمك ماقلنا في الاثنين حتّى يكون بينهم فرجتان فيكونوا خمسة ، ثمّ يتناهى في العدد إلى مالانهاية له في الكثرة .

كا : عليّ ، عن أبيه مثله .

بيان : ولنشر ههنا إلى بعض براهين التوحيد على وجه الاختصار ، ثمّ لنذكر ما يمكن أن يقال في حلّ هذا الخبر الّذي هو من غوامض الأخبار .

---

(١) وفي نسخة : ويتفرد بالتدبير .

(٢) وفي نسخة بعد قوله : والفلك جارياً : والتدبير واحداً .

فأمّا البراهين : فالأوّل أنّه لمّا ثبت كون الوجود عين حقيقة الواجب فلو تعدّد لكان امتياز كلٌّ منهما عن الآخر بأمر خارج عن الذات فيكونان محتاجين في تشخّصهما إلى أمر خارج ، وكلٌّ محتاج ممكن .

والثاني : أنّه لو تعدّد الواجب لذاته فإمّا أن يكون امتياز كلّ منهما عن الآخر بذاته فيكون مفهوم واجب الوجود محمولاً عليهما بالحمل العرضيّ ، والعارض معلول للمعروض فيرجع إلى كون كلّ منهما علّةً لوجوب وجوده وقد ثبت بطلانه . وإمّا أن يكون ذلك الامتياز بالأمر الزائد على ذاتهما وهو أفحش ، فإنّه إمّا أن يكون معلولاً لماهيّتهما أو لغيرهما ، وعلى الأوّل إن اتّحد ماهيّتهما كان التعيّن مشتركاً و هذا خلف ، وإن تعدّدت الماهيّة كان كلّ منهما شيئاً عرض له وجوب الوجود أعني الوجود المتأكّد للواجب ، وقد تبيّن بدلائل عينيّة الوجود بطلانه ، وعلى الثاني يلزم الاحتياج إلى الغير والإمكان ؛ وبالجملة لو كان الواجب متعدّداً لكان نسبة الوجوب إليهما نسبة العوارض فكان ممكناً لا واجباً .

الثالث : أنّه لو كان لله سبحانه شريك لكان لمجموع الواجبين وجود غير وجود الآحاد ، سواء كان ذلك الوجود عين مجموع الوجودين ، أو أمراً زائداً عليه ، و لكان هذا الوجود محتاجاً إلى وجود الأجزاء ، و المحتاج إلى الغير ممكن محتاج إلى مؤثّر و المؤثّر في الشيء يجب أن يكون مؤثّراً في واحد من أجزائه ، و إلّا لم يكن مؤثّراً في ذلك الشيء ، وقد ادّعوا الضرورة فيه ، ولا يمكن التأثير فيما نحن فيه في شيء من الأجزاء لكون كلّ من الجزئين واجباً ، فالشريك يستلزم التأثير فيما لا يمكن التأثير فيه ، أو إمكان ما فرض وجوبه إلى غير ذلك من المفاسد .

الرابع : برهان التمانع وأظهر تقريراته أنّ وجوب الوجود يستلزم القدرة و القوّة على جميع الممكنات قوّة كاملة بحيث يقدر على إيجاده ودفع ما يضادّه مطلقاً ، وعدم القدرة على هذا الوجه نقص ، و النقص عليه تعالى محال ضرورة بدليل إجماع العقلاء عليه ، ومن المحال عادةً إجماعهم على نظريّ ، ولئن لم يكن ضروريّاً فنظريّ ظاهر متّسق الطريق ، واضح الدليل ، واستحالة إجماعهم على نظريّ لا يكون كذلك أظهر ؛ فنقول

حينئذ : لو كان في الوجود واجبان لكانا قويّين ، وقوّتهما يستلزم عدم قوّتهما لأنّ قوّة كلّ منهما على هذا الوجه يستلزم قوّته على دفع الآخر عن إرادة ضدّ ما يريده نفسه من الممكنات ، والمدفوع غير قويّ بهذا المعنى الّذي زعمنا أنّه لازم لسلب النقص .

فإن قلت : هذا إنّما يتمّ لو كان إرادة كلّ منهما للممكن بشرط إرادة الآخر لضدّه ممكناً و بالعكس ؛ وليس كذلك بل إرادة كلّ منهما له بشرط إرادة الآخر لضدّه ممتنع ، و نظير ذلك أنّ إرادة الواجب للممكن بشرط وجود ضدّه محال ، ولايلزم منه نقص . قلت : امتناع الإرادة بشرط إرادة الآخر هو الامتناع بالغير ، و امتناعه بالغير تحقّق النقص والعجز ـ تعالى عن ذلك ـ و أمّا امتناع إرادة الشيء بشرط وجود ضدّه فمن باب امتناع إرادة المحال الذاتيّ ، وإن كان امتناع الإرادة امتناعاً بالغير ؛ ومثله غير ملزوم للنقص بخلاف ما نحن فيه فإنّ المراد ممتنع بالغير .

فإن قلت : وجود الشيء كما يمتنع بشرط ضدّه ونقيضه كذلك يمتنع بشرط ملزوم ضدّه و نقيضه ، والأوّل امتناع بالذات ، والثاني امتناع بالغير ، و كما أنّ إرادة الأوّل منه تعالى محال ولانقص فيه ، كذلك إرادة الثاني ؛ وظاهر أنّ إرادة إيجاد الممكن بشرط إرادة الآخر له من قبل الثاني فينبغي أن لايكون فيه نقص . قلت : فرق بين الأمرين فإنّ وجود الممكن إذا قيّد واشترط بملزوم نقيضه كان ممتنعاً ولو بالغير ولم يتعلّق به إرادة ضرورة ، وأمّا إذا لم يقيّد الوجود به بل أطلق فغير ممتنع فيمكن تعلّق الإرادة به ولو في زمان وجود ملزوم النقيض بأن يدفع الملزوم ، وإن لم يندفع هو من قبل نفسه أومن دافع آخر ؛ بخلاف إرادة الآخر له فإنّه لولم يندفع من قبل نفسه ولم يدفعه دافع آخر لم يتعلّق به الإرادة ضرورة فهو مدفوع ، و إلّا فالآخر مدفوع فصار حاصل الفرق حينئذ أنّ الصانع تعالى قادر على إيجاد أحد الضدّين في زمان الضدّ الآخر بدون حاجة إلى واسطة غير مستندة إليه تعالى ، وهو أي الحاجة إلى الواسطة المستندة إلى الفاعل لاينافي الاستقلال والقدرة كما لاينافي الاحتياج إلى الواسطة المستندة إلى الذات الوجوب الذاتيّ بخلاف ما نحن فيه فإنّه احتياج إلى واسطة غير مستندة إلى الذات .

لا يقال : لعلّ انتفاء إرادة الآخر واجب بنفسه ، ولانسلّم منافاة توسّط الواجب بالذات بين الفاعل و فعله ، لاستقلاله و استلزامه النقص . لأنّا نقول : الأوّل بيّن البطلان فإنّ تحقّق إرادة الآخر وانتفاعها ممكن في نفسه لكنّه ينتفي فيما نحن فيه من قبل ذي الإرادة لو انتفى فيكون واسطة ممكنة غير صادرة عن الفاعل ولامستندة إليه ؛ وأمّا الثاني فربّما تدّعي البداهة في استلزامه النقص وهو غير بعيد و بهذا التقرير يندفع كثير من الشكوك والشبه .

الخامس : تقرير آخر لبرهان التمانع ذكره المحقق الدوانيّ ، و هو أنّه لايخلو أن يكون قدرة كلّ واحد منهما وإرادته كافية في وجود العالم ، أولا شيء منهما كاف ، أو أحدهما كاف فقط ، وعلى الأوّل يلزم اجتماع المؤثّرين التامّين على معلول واحد ، وعلى الثاني يلزم عجزهما لأنّهما لايمكن لهما التأثير إلا باشتراك الآخر ، وعلى الثالث لايكون الآخر خالقاً فلايكون إلهاً ؛ أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ .

لايقال : إنّما يلزم العجز إذا انتفت القدرة على الإيجاد بالاستقلال أمّا إذا كان كلٌّ منهما قادراً على الإيجاد بالاستقلال ولكن اتّفقا على الإيجاد بالاشتراك فلايلزم العجز كما أنّ القادرين على حمل خشبة بالانفراد قد يشتركان في حملها ، وذلك لايستلزم عجزهما لأنّ إرادتهما تعلّقت بالاشتراك ، و إنّما يلزم العجز لو أرادا الاستقلال ولم يحصل . لأنّا نقول : تعلّق إرادة كلّ منهما إن كان كافياً لزم المحذور الأوّل ، و إن لم يكن كافياً لزم المحذور الثاني ، والملازمتان بيّنتان لا تقبلان المنع ، وما أوردتم من المثال في سند المنع لا يصلح للسنديّة إذ في هذه الصورة ينقص ميل كلّ واحد منهما من الميل الّذي يستقلّ في الحمل قدر ما يتمّ الميل الصادر من الآخر حتى تنقل الخشبة بمجموع الميلين ، وليس كلّ واحد منهما بهذا القدر من الميل فاعلاً مستقلاً ، وفي مبحثنا هذا ليس المؤثّر إلّا تعلّق القدرة والإرادة ؛ ولايتصوّر الزيادة والنقصان في شيء منهما

السادس : أنّ كلّ من جاء من الأنبياء وأصحاب الكتب المنزلة إنّما ادّعى الاستناد إلى واحد أسند إليه الآخر ، ولو كان في الوجود واجبان لكان يخبر مخبر من قبله بوجوده وحكمه ، واحتمال أن يكون في الوجود واجب لايرسل إلى هذا العالم أولا يؤثّر ولا

يدبّر أيضاً فيه مع تدبيره ووجود خبره في عالم آخر أو عدمه ممّا لايذهب إليه وهم واهم ، فإنّ الوجوب يقتضي العلم والقدرة وغيرهما من الصفات ، ومع هذه الصفات الكماليّة يمتنع عدم الإعلام ونشر الآثار بحيث يبلغ إلينا وجوده ، و أمّا ما زعمت الثنويّة من الإله الثاني فليس بهذه المثابة . وممّا يرسل ويحكم فيهم وإن قالوا بوجود الواجب الآخر فقد نفوا لازمه فهو باطل بحكم العقل .

وقد أثبتنا في كتاب الروضه فيما أوصى به أمير المؤمنين ابنه الحسن صلوات الله عليهما ما يؤمي إلى هذا الدليل ، حيث قال عليه السلام : و اعلم أنّه لو كان لربّك شريك لأتتك رسله ، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ، ولعرفت صفته وفعاله ، ولكنّه إله واحد كما وصف نفسه ، لايضادّه في ذلك أحد ولايحاجّه ، و أنّه خالق كلّ شيء .

السابع : الأدلّة السمعيّة من الكتاب والسنّة وهي أكثر من أن تحصى ، وقدمرّ بعضها ، ولامحذور في التمسّك بالأدلّة السمعيّة في باب التوحيد ، و هذه هي المعتمد عليها عندي . وبسط الكلام في تلك الأدلّة وما سواها ممّا لم نشر إليها موكول إلى مظانّها ، ولنرجع إلى حلّ الخبر وشرحه ، وقد قيل فيه وجوه :

الاول : أنّ المراد بالقويّ القويّ على فعل الكلّ بالإرادة مع إرادة استبداده به ، والمراد بالضعيف الّذي لايقوى على فعل الكلّ ، ولايستبدّ به ولايقاوم القويّ ، فان كانا قويّين فلم لايدفع كلّ منهما صاحبه ويتفرّد به ، أي يلزم من قوّتهما انفراد كلّ بالتدبير ، ويلزم منه عدم وقوع الفعل ، وإن زعمت أنّ أحدهما قويّ والآخر ضعيف ثبت أنّه واحد أي المبدأ للعالم واحد لعجز الضعيف عن المقاومة والتأثير ، وثبت احتياج الضعيف إلى العلّة الموجدة لأنّ القويّ أقوى وجوداً من الضعيف ، وضعف الوجود لايتصوّر إلّا بجواز خلوّ الماهيّة عن الوجود ، ويلزم منه الاحتياج إلى المبدأ المبائن الموجد له .

وإن قلت : إنّهما اثنان أي المبدأ اثنان ، وهذا هو الشقّ الثاني ، أي كونهما ضعيفين بأن يقدر ويقوى كلّ منهما على بعض ، أو يفعل بعضاً دون بعض بالإرادة ، وإن كان يقدر على الكلّ وفي هذا الشقّ لايخلو من أن يكونا متّفقين أي في الحقيقة من كلّ جهة ، ويلزم من هذا عدم الامتياز بالتعيّن للزوم المغايرة بين الحقيقة والتعيّنين المختلفين ، واستحالة

استنادهما إلى الحقيقة، واستحالة استنادهما إلى الغير فيكون لهما مبدء، أو مختلفين مفترقين من كلّ جهة وذلك معلوم الانتفاء فإنّا لمّا رأينا الخلق منتظماً، والفلك جارياً، والتدبير واحداً، واللّيل والنهار والشمس والقمر دلّ صحّة الأمر والتدبير وايتلاف الأمر على أنّ المدبّر واحد لا اثنان مختلفان من كلّ جهة، ثمّ ذلك المدبّر الواحد لايجوز أن يكون واحداً بجهة من حيث الحقيقة مختلفاً بجهة اُخرى فيكون المدبّر اثنين، ويلزمك إن ادّعيت اثنين فرجة ما بينهما لأنّ لهما وحدة فلا يتمايزان إلّا بمميّز فاصل بينهما حتّى يكونا اثنين، لامتناع الاثنينيّة بلا مميّز بينهما، وعبّر عن الفاصل المميّز بالفرجة حيث إنّ الفاصل بين الأجسام يعبّر عنه بالفرجة، واُولئك الزنادقة لم يكونوا يدركون غير المحسوسات تنبيهاً على أنّكم لا تستحقّون أن تخاطبوا إلّا بما يليق استعماله في المحسوسات، وذلك المميّز لابدّ أن يكون وجوديّاً داخلاً في حقيقة أحدهما، إذ لا يجوز التعدّد مع الاتّفاق في تمام الحقيقة كما ذكرنا، ولا يجوز أن يكون ذلك المميّز ذا حقيقة يصحّ انفكاكها عن الوجود وخلوّها عنه ولو عقلاً، وإلّا لكان معلولاً محتاجاً إلى المبدأ فلا يكون مبدءاً ولا داخلاً فيه، فيكون المميّز الفاصل بينهما قديماً موجوداً بذاته كالمتّفق فيه فيكون الواحد المشتمل على المميّز الوجوديّ اثنين لا واحداً، ويكون الاثنان اللّذان ادّعيتهما ثلاثة، فإن قلت به وادّعيت ثلاثة لزمك ما قلت في الاثنين من تحقّق المميّز بين الثلاثة، ولابدّ من مميّزين وجوديّين حتّى تكون بين الثلاثة فرجتان ولابدّ من كونهما قديمين كما مرّ فيكونوا خمسة، وهكذا، ثمّ يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة، أي يتناهى الكلام في التعدّد إلى القول بما لا نهاية له في الكثرة، أو يبلغ عدده إلى كثرة غير متناهية؛ أو المراد أنّه يلزمك أن يتناهى المعدود المنتهي ضرورة بمعروض ما ينتهي إليه العدد أي الواحد إلى كثير لا نهاية له في الكثرة فيكون عدداً بلا واحد وكثرة بلا وحدة، وعلى هذا يكون الكلام برهانيّاً لا يحتاج إلى ضميمة، وعلى الأوّلين يصير بضمّ ما ذكرناه من ثالث الاحتمالات برهانيّاً.

الثاني: أن يكون إشارة إلى ثلاثة براهين، وتقرير الأوّل ـ بعد ما تقرّر أنّ ما لا يكون قويّاً على إيجاد أيّ ممكن كان لا يكون واجباً بالذات ـ أن يقال: لا يصحّ أن يكون الواجب بالذات اثنين، وإلّا كان كلّ منهما قويّاً على إيجاد أيّ ممكن كان،

وكلّ ممكن بحيث يكون استناده إلى أيّ منهما كافياً في تصحّح خروجه من القوّة إلى الفعل ، وحينئذ لم يكن محيص إمّا من لزوم استناد كلّ معلول شخصيّ إلى علّتين مستبدّتين بالإفاضة وذلك محال ؛ أو من لزوم الترجّح بلا مرجّح وهو فطريّ الاستحالة . أو من كون أحدهما غير واجب بالذات وهو خلاف المفروض ، وهذا البرهان يتمّ عند قوله عليه السلام : للعجز الظاهر في الثاني .

وقوله عليه السلام : وإن قلت إلى قوله : على أنّ المدبّر واحد إشارة إلى برهان ثان ، وهو أحد الوجوه البرهانيّة في قوله تعالى : لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا ؛ وتلخيص تقريره أنّ التلازم بين أجزاء النظام الجمليّ المنتظم المتّسق كما بين السماء والأرض مثلاً على ما قد أحقّته القوانين الحكميّة لا يستتبّ إلّا بالاستناد إلى فاعل واحد يصنع الجميع بحكمته وقدرته إذ التلازم بين شيئين لا يتصحّح إلّا بعلّيّة أحدهما للآخر ، أو بمعلوليّتهما لعلّة واحدة موجبة ، فلو تعدّد اختلّ الأمر وفسد النظام .

وتقرير الثالث هو أنّك لو ادّعيت اثنين كان لا محالة بينهما انفصال في الوجود ، وافتراق في الهويّة ، ويكون هناك موجود ثالث هو المركّب من مجموع الاثنين ، وهو المراد بالفرجة ، لأنّه منفصل الذات والهويّة ، وهذا المركّب لتركّبه عن الواجبات بالذات المستغنيات عن الجاعل موجود لا من تلقاء الصانع إذ افتقار المركّب إلى الجاعل بحسب افتقار أجزائه فإذا لم تفتقر أجزاؤه لم يفتقر هو بالضرورة فإذن قد لزمك أن يكون هذا الموجود الثالث أيضاً قديماً فيلزمك ثلاثة وقد ادّعيت اثنين وهكذا ؛ ويرد عليه مع بعد إطلاق الفرجة بهذا المعنى أنّه يلزم في الفرض الثاني سبعة لا خمسة .

الثالث : أن يكون إشارة إلى حجّتين : إحديهما عاميّة مشهوريّة ، والأخرى خاصّيّة برهانيّة : أمّا الأولى فقوله : لا يخلو قولك إلى قوله : في الثاني ومعناه أنّه لو فرض قديمان فلا يخلو أن يكون كلاهما قويّين أو كلاهما ضعيفين أو أحدهما قويّاً والآخر ضعيفاً ، والثلاثة بأسرها باطلة أمّا الأوّل فلأنّه إذا كانا قويّين وكلّ منهما في غاية القوّة من غير ضعف وعجز كما هو المفروض ـ والقوّة يقتضي الغلبة والقهر على كلّ شيء سواه ـ فما السبب المانع لأن يدفع كلّ واحد منهما صاحبه حتّى يتفرّد بالتدبير والقهر على

غيره ؛ إذ اقتضاء الغلبة والاستعلاء مركوزة في كلّ ذي قوّة على قدر قوّته والمفروض أنّ كلاًّ منهما في غاية القوّة . وأمّا فساد الشقّ الثاني فهو ظاهر عند جمهور الناس ، لما حكموا بالفطرة من أنّ الضعف ينافي الإلهيّة ، ولظهوره لم يذكره عليه‌السلام . وأيضاً يعلم فساده بفساد الشقّ الثالث ، وهو قوله : وإن زعمت أنّ أحدهما قويّ والآخر ضعيف ثبت أنّه أي الإله واحد - كما نحن نقول - للعجز الظاهر في المفروض ثانياً لأنّ الضعف منشأ العجز ، والعاجز لا يكون إلهاً بل مخلوقاً محتاجاً لأنّه محتاج إلى من يعطيه القوّة والكمال والخيريّة .

وأمّا الحجّة البرهانيّة فأشار إليها بقوله : «وإن قلت : إنّهما اثنان» وبيانه أنّه لو فرض موجودان قديمان فإمّا أن يتّفقا من كلّ جهة ، أو يختلفا من كلّ جهة ، أو يتّفقا بجهة ويختلفا بأُخرى والكلّ محال : أمّا بطلان الأوّل فلأنّ الاثنينيّة لا تتحقّق إلّا بامتياز أحد الاثنين عن صاحبه ولو بوجه من الوجوه ؛ وأمّا بطلان الثاني فلما نبّه عليه بقوله : فلمّا رأينا الخلق منتظماً ، وتقريره أنّ العالم كلّه كشخص واحد كثير الأجزاء والأعضاء مثل الإنسان ، فإنّا نجد أجزاء العالم مع اختلاف طبائعها الخاصّة وتباين صفاتها وأفعالها المخصوصة يرتبط بعضها ببعض ، ويفتقر بعضها إلى بعض ، وكلّ منها يعين بطبعه صاحبه ، وهكذا نشاهد الأجرام العالية وما ارتكز فيها من الكواكب النيّرة في حركاتها الدوريّة وأضوائها الواقعة منها نافعة للسفليّات ، محصّلة لأمزجة المركّبات الّتي يتوقّف عليها صور الأنواع ونفوسها ، وحياة الكائنات ونشوء الحيوان والنبات ، فإذا تحقّق ما ذكرنا من وحدة العالم لوحدة النظام واتّصال التدبير دلّ على أنّ إلهه واحد ، وإليه أشار بقوله : دلّ صحّة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر على أنّ المدبّر واحد .

وأمّا بطلان الشقّ الثالث - وهو أنّهما متّفقان من وجه ومختلفان من وجه آخر - فبأن يقال - كما أشار إليه عليه‌السلام بقوله : « ثمّ يلزمك» - : إنّه لابدّ فيهما من شيء يمتاز به أحدهما عن صاحبه وصاحبه عنه ، وذلك الشيء يجب أن يكون أمراً وجوديّاً يوجد في أحدهما ولم يوجد في الآخر ، أو أمران وجوديّان يختصّ كلّ منهما بواحد فقط ، وأمّا كون الفارق المميّز لكلّ منهما عن صاحبه أمراً عدميّاً فهو ممتنع بالضرورة إذ الأعدام

بماهي أعدام لاتمايز بينها ولاتمييز بها ، فإذا فرض قديمان فلا أقلّ من وجود أمر ثالث يوجد لأحدهما ، و يسلب عن الآخر ، وهو المراد بالفرجة إذبـه يحصل الانفراج أي الافتراق بينهما لوجوده في أحدهما وعدمه في الآخر ، وهوأيضاً لامحالة قديم موجود معهما ، وإلّا لم يكونا اثنين قديمين فليزم أن يكون القدماء ثلاثة وقدفرض اثنان وهذا خلف ، ثمّ يلزم من فرض كونهم ثلاثة أن يكونوا خمسة ، وهكذا إلى أن يبلغ عددهم إلى مالانهاية له وهومحال .

أقول : الأظهر على هذا التقرير أن تحمل الوحدة في قوله عليه السلام : على أن المدبّر واحد على الأعمّ من الوحدة النوعيّة والشخصيّة ، ولو حملت على الشخصيّة يمكن أن يستخرج منه ثلاث حجج بهذا التقرير ولايخفى توجيهها .

الرابع : أن يكون إشارة إلى ثلاث حجج لكن على وجه آخر ، وتقرير الأوّل أنّه لو كان اثنين فإمّا أن يكونا قويّين أي مستقلّين بالقدرة على كلّ ممكن في نفسه سواء كان موافقاً للمصلحة أومخالفاً ، و هو إنّما يتصوّر بكونهما قديمين ؛ وإمّا أن يكونا ضعيفين أي غير مستقلّين بالقدرة على ممكن ما في نفسه ؛ وإمّا أن يكون أحدهما قويّاً والآخر ضعيفاً ؛ والأوّل محال لاشتماله على التناقض ، لأنّ كون كلّ منهما قويّاً بهذا المعنى يستلزم أن يكون قويّاً على دفع الآخر عن أن يصدر عنه مراد الأوّل بعينه أومثله أو ضدّه في محلّه لأنّ عدم المنافي شرط في صدور كلّ ممكن ، وعدم القوّة على الشرط ينافي القوّة على المشروط ولاشكّ أنّ المدفوع كذلك ضعيف مسخّر ، فقوّة كلّ منهما في فعل صدر عنه يستلزم دفعه الآخر فيه وضعف ذلك الآخر ، و في فعل تركه حتّى فعل الآخر ضدّه يستلزم تمكينه الآخر في فعله ، و هذا تفرّد بالتدبير ، فالاستفهام في لمَ لا يدفع إنكاريّ أي معلوم ضرورة أنّه يدفع كلّ منهما الآخر ويتفرّد بالتدبير ؛ و بطلان الشقّ الثالث لكونه مستلزماً لعجز أحدهما أي ضعفه ، وعدم كونه ممّن ينتهي إليه شيء من تدبير العالم يستلزم بطلان الشقّ الثاني بطريق أولى . وتقرير الثاني هو أنّه لو كان المدبّر اثنين فنسبة معلول معلول إليهما إمّا متساوية من جميع الوجوه بأن لا يكون في واحد منهما ولا في كلّ منهما ما يختصّ به و يرجّح صدوره عنه على صدوره عن الآخر من الداعي والمصلحة

و نحوهما و إمّا غير متساوية من جميع الوجوه و كلاهما باطل .

أمّا الأوّل فلأنّه إمّا أن يكون ترك كلّ منهما لذلك المعلول مستلزماً لفعل الآخر إيّاه لحكمة كلّ منهما أم لا ، فعلى الأوّل إحداث أحدهما ذلك المعلول يستلزم الترجيح بلا مرجّح ، لأنّ إحداث كلّ منهما ذلك المعلول ليس أولى بوجه من تركه إيّاه وإحداث الآخر إيّاه ، وعلى الثاني إمّا أن يكون ترك التارك له مع تجويزه الترك على الآخر قبيحاً وخلاف الحكمة أم لا ، والأوّل يستلزم النقص ، والثاني يستلزم عدم إمكان رعاية المصالح الّتي لاتحصى في خلق العالم ، لأنّه اتّفاقيّ حينئذ ، ومعلوم بديهة أنّ الاتّفاقيّ لايكون منتظماً في أمر سهل ، كصدور مثل قصيدة من قصائد البلغاء المشهورين عمّن لم يمارس البلاغة ، وإن كان يمكن أن يصدر عنه اتّفاقاً مصراع بليغ ، أو مصراعان فضلاً عمّا نحن فيه .

وأمّا بطلان الثاني فلأنّه يستلزم أن يكون مختلفة من جميع الوجوه بأن لايكون أحدهما قادراً عليه أصلاً لأنّ اختلاف نسبة قادرين إلى معلول واحد شخصيّ إنّما يتصوّر فيما يمكن أن يكون صدوره عن أحدهما أصلح وأنفع من صدوره عن الآخر ، و هذا إنّما يتصوّر فيما كان نفع فعله راجعاً إليه كالعباد ، وأمّا إذا كان القادران بريئين من الانتفاع كما فيما نحن فيه فلا يتصوّر ذلك فيه بديهة ، و ينبّه عليه أنّ الغنيّ المطلق إنّما يفعل ما هو الخير في نفسه من غير أن يكون له فيه نفع سواء كان لغيره فيه نفع كما في ثواب المطيع أو لم يكن ، ومثاله عقاب الكافر إن لم يكن للمطيعين فيه نفع .

وتقرير الثالث أنّه إن كان المدبّر اثنين فنسبة معلول معلول إليهما إمّا متساوية من جميع الوجوه أولا وكلاهما باطل ، أمّا الأوّل فلأنّ صدور بعض المعلولات عن أحدهما وبعض آخر منها عن الآخر منهما حينئذ يحتاج إلى ثالث هو الفرجة بينهما اى مايميز ويعيّن كلّ معلول معلول لواحد معيّن منهما حتّى يكون المدبران اثنين لامتناع الترجيح من جهة الفاعلين بلا مرجّح أي بلاداع أصلاً كما هو المفروض فيلزم خلاف الفرض و هو أن يكون المدبّر ثلاثة ثمّ ننقل الكلام إلى الثلاثة وهكذا إلى مالانهاية له في الكثرة ويلزم التسلسل . وإنّما لم يكتف عليه السلام بعد نقل الكلام الى الثلاثة بالاحتياج الى فرجة

واحدة للتميّزين حتّى يكون المجموع أربعة لاخمسة ، وإن كان المطلوب وهو لزوم التسلسل حاصلاً به أيضاً لأنّ هناك ثلاثة تمييزات ، وتخصيص واحد منهما بمميّز كما هو المفروض واشتراك اثنين منهما بواحد مع اتّحاد النسبة تحكّم . وأمّا بطلان الثاني فلما مرَّ في بيان بطلان الشقّ الثاني من الدليل الثاني .

أقول : لايخفى بعد هذا التقرير عن الأفهام واحتياجه إلى تقدير كثير من المقدّمات في الكلام .

الخامس : أن يكون الأوّل إشارة إلى برهان التمانع بأحد تقريراته المشهورة و الثاني إلى التلازم كما مرَّ ، والثالث يكون إلزاماً على المجسّمة المشركة القائلين بإلهين مجسّمين متباعدين في المكان كما هو الظاهر من كلام المجوس لعنهم الله ، ويكون الفرجة محمولة على معناها المتبادر من جسم يملأ البعد بينهما لبطلان الخلأ أوسطح فاصل بينهما لتحقّق الاثنينيّة . هذا ما قيل أو يمكن أن يقال في حلّ هذا الخبر الّذي تحيّرت فيه الأفهام والفكر ، ولم نتعرّض لبسط الكلام في كلّ وجه ، ولا لإيراد ما يرد على كلّ منها من الإشكالات و الاعتراضات احترازاً عن الإسهاب و الإطناب والله الموفّق للصواب .

٢٣ ـ **يد** : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن عبّاد بن سليمان ، عن سعد بن سعد قال : سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن التوحيد ، فقال : هو الّذي أنتم عليه .

٢٤ ـ **يد** : أبي ، عن سعد ، عن إبراهيم بن هاشم ، ويعقوب بن يزيد ، عن ابن فضّال ، عن ابن بكير ، عن زرارة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته وهو يقول ـ في قوله عزّ وجلّ : « وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً » قال : هو توحيدهم لله عزّ وجلّ .

٢٥ ـ **يد** : الأشنانيّ ، عن ابن مهرويه ، عن الفرّاء ، عن الرضا ، عن آبائه ، عن عليّ عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : التوحيد نصف الدين ، واستنزلوا الرزق بالصدقة .

قال الصدوق في كتاب التوحيد بعد نقل خبر الأعرابيّ : سمعت من أثق بدينه ومعرفته باللّغة والكلام يقول : إنّ قول القائل : واحد واثنان وثلاثة إلى آخره إنّما وضع في أصل اللّغة للإبانة عن كمّيّة ما يقال عليه لالأنّ له مسمّى يتسمّى به بعينه ، أو لأنّ

له معنى سوى مايتعلمه الإنسان لمعرفة الحساب، ويدور عليه عقد الأصابع عند ضبط الآحاد والعشرات والمئات والألوف، ولذلك متى أراد مريد أن يخبر غيره عن كمية شيء بعينه سماه باسمه الأخص، ثم قرن لفظة الواحد به وعلقه عليه يدل به على كميته لا على ماعدا ذلك من أوصافه، ومن أجله يقول القائل : درهم واحد، وإنما يعني به أنه درهم فقط، وقد يكون الدرهم درهماً بالوزن ودرهماً بالضرب فإذا أراد المخبر أن يخبر عن وزنه قال : درهم واحد بالوزن، وإذا أراد أن يخبر عن عدده أو ضربه قال : درهم واحد بالعدد، ودرهم واحد بالضرب. وعلى هذا الأصل يقول القائل : هو رجل واحد، وقد يكون الرجل واحداً بمعنى أنه إنسان وليس بإنسانين، ورجل ليس برجلين، وشخص ليس بشخصين، ويكون واحداً في الفضل، واحداً في العلم، واحداً في السخاء، واحداً في الشجاعة، فإذا أراد القائل أن يخبر عن كميته قال : هو رجل واحد فدل ذلك من قوله على أنه رجل وليس هو برجلين، وإذا أراد أن يخبر عن فضله قال : هذا واحد عصره، فدل ذلك على أنه لا ثاني له في الفضل، وإذا أراد أن يدل على علمه قال : إنه واحد في علمه ؛ فلو دل قوله : واحد بمجرده على الفضل والعلم كما دل بمجرده على الكمية لكان كل من اطلق عليه لفظة واحد أراد فاضلاً لا ثاني له في فضله، وعالماً لا ثاني له في علمه ؛ وجواداً لا ثاني له في جوده، فلما لم يكن كذلك صح [(١)] أنه بمجرده لا يدل إلا على كمية الشيء دون غيره، وإلا لم يكن لما اُضيف إليه من قول القائل : واحد عصره ودهره فائدة، ولا كان لتقييده بالعلم والشجاعة معنى لأنه كان يدل بغير تلك الزيادة وبغير ذلك التقييد على غاية الفضل وغاية العلم والشجاعة ؛ فلما احتيج معه إلى زيادة لفظ واحتيج إلى التقييد بشيء صح ماقلناه . فقد تقرر أن لفظة القائل واحد إذا قيل على الشيء دل بمجرده على كميته في اسمه الأخص، ويدل بما يقترن به على فضل المقول عليه وعلى كماله وعلى توحده بفضله وعلمه وجوده، وتبين أن الدرهم الواحد قد يكون درهماً واحداً بالوزن، ودرهماً واحداً بالعدد، ودرهماً واحداً بالضرب، وقد يكون بالوزن درهمين، وبالضرب درهماً واحداً، ويكون بالدوانيق ستة دوانيق، وبالفلوس

(١) في نسخة : فلما لم يكن كذلك وضح .

ستّين فلساً ، ويكون بالأجزاء كثيراً ، وكذلك يكون العبد عبداً واحداً ولا يكون عبدين بوجه ، ويكون شخصاً واحداً ولا يكون شخصين بوجه ، ويكون أجزاءاً كثيرة وأبعاضاً كثيرة ، وكلّ بعض من أبعاضه يكون جواهر كثيرة متّحدة اتّحد بعضها ببعض وتركّب بعضها مع بعض ، ولايكون العبد واحداً وإن كان كلّ واحد منه في نفسه إنّما هو عبد واحد ، وإنّما لم يكن العبد واحداً لأنّه مامن عبد إلّا وله مثل في الوجود أو في المقدور ، وإنّما صحّ أن يكون للعبد مثل لأنّه لم يتوحّد بأوصافه الّتي من أجلها صار عبداً مملوكاً ، ووجب لذلك أن يكون الله عزّ وجلّ متوحّداً بأوصافه العلى وأسمائه الحسنى ليكون إلهاً واحداً فلايكون له مثل ويكون واحداً لاشريك له ولا إله غيره ، فالله تبارك وتعالى إله واحد لاإله إلّاهو ، وقديم واحد لاقديم إلّاهو ، وموجود واحد ليس بحالّ ولا محلّ ، ولا موجود كذلك إلّا هو ، وشيء واحد لايجانسه ولا يشاكله شيء ولايشبهه شيء ، ولاشيء كذلك إلّاهو ، فهو كذلك موجود غير منقسم في الوجود ولا في الوهم ، وشيء لايشبهه شيء بوجه ، وإله لاإله غيره بوجه ، وصار قولنا : ياواحد ياأحد في الشريعة اسماً خاصّاً له دون غيره ، لايسمّى به إلّاهو عزّ وجلّ ، كما أنّ قولنا : الله اسم لايسمّى به غيره .

وفصل آخر في ذلك وهو أنّ الشيء قد يعدّ مع ماجانسه وشاكله وماثله ، يقال : هذا رجل ، وهذان رجلان ، وثلاثة رجال . و هذا عبد ، وهذا سواد ، وهذان عبدان ، و هذان سوادان ولايجوز على هذا الأصل أن يقال : هذان إلهان إذلاإله إلّا إله واحد ، فالله لايعدّ على هذا الوجه ، ولايدخل في العدد من هذا الوجه بوجه . و قد يعدّ الشيء مع مالايجانسه ولايشاكله ، يقال : هذا بياض ، وهذان بياض وسواد ، وهذا محدَث ، و هذان محدَثان ، وهذان ليسا بمحدَثين ولا بمخلوقين . بل أحدهما قديم والآخر محدَث ، وأحدهما ربّ والآخر مربوب ، فعلى هذا الوجه يصحّ دخوله في العدد ، وعلى هذا النحو قال الله تبارك وتعالى : « مايكون من نجوى ثلاثة إلّاهو رابعهم ولاخمسة إلّا هو سادسهم ولاأدنى من ذلك ولاأكثر إلّا هو معهم أينما كانوا » الاية . وكما أنّ قولنا : فلان إنّما هو رجل واحد لا يدلّ على فضله بمجرّده كذلك قولنا : فلان ثاني فلان لا يدلّ بمجرّده إلّا على كونه ؛ وإنّما يدلّ على فضله متى قيل : إنّه ثانيه في الفضل ، أو في الكمال ، أو العلم .

(١) المجادلة : ٧ .

فأمّا توحيد الله تعالى ذكره فهو توحيده بصفاته العلى[١] وأسمائه الحسنى ، و لذلك كان إلهاً واحداً لاشريك له ولاشبيه ، والموحّدهو من أقرّ به على ماهو عليه عزّ وجلّ من أوصافه العلى وأسمائه الحسنى على بصيرة منه ومعرفة وإيقان و إخلاص ، و إذاكان ذلك كذلك فمن لم يعرف الله عزّوجلّ متوحّداً بأوصافه العلى وأسمائه الحسنى ولم يقرّ بتوحيده بأوصافه العلى فهوغيرموحّد ؛ وربّما قال جاهل من الناس : إنّ من وحّدالله و أقرّ أنّه واحد فهو موحّد و إن لم يصفه بصفاته الّتي توحّد بها ، لأنّ من وحّد الشيء فهوموحّد في أصل اللّغة فيقال له : أنكرنا ذلك لأنّ من زعم أنّ ربّه إله واحد و شيء واحد ثمّ أثبت معه موصوفاً آخر بصفاته الّتي توحّد بها فهو عند جميع الاُمّة وسائر أهل الملل ثنوي غير موحّد ، ومشرك مشبّه غيرمسلم ، وإن زعم أنّ ربّه إله واحد ، وشيء واحد ، وموجود واحد ، وإذاكان كذلك وجب أن يكون الله تبارك و تعالى متوحّداً بصفاته الّتي تفرّد بالإلهيّة من أجلها ، وتوحّد بالوحدانيّة لتوحّده بها ليستحيل أن يكون إله آخر ، ويكون الله واحداً والإله واحداً لاشريك له ولاشبيه لأنّه إن لم يتوحّد بها كان له شريك وشبيه كما أنّ العبد لمّا لم يتوحّد بأوصافه الّتي من أجلها كان عبداً كان له شبيه ، ولم يكن العبد واحداً و إن كان كلّ واحد منّا عبداً واحداً ، و إذاكان كذلك فمن عرفه متوحّداً بصفاته ، وأقرّ بماعرفه ، واعتقد ذلك كان موحّداً وبتوحيد ربّه عارفاً ، والأوصاف الّتي توحّدالله تعالى بها وتوحّد بربوبيّته لتفرّده بها في الأوصاف الّتي يقتضي كلّ واحد منها أن لايكون الموصوف بها إلّا واحداً لايشاركه فيه غيره ولايوصف به إلّا هو ؛ وتلك الأوصاف هي كوصفنا له بأنّه موجود واحد لا يصحّ أن يكون حالّاً في شيء ، ولا يجوز أن يحلّه شيء ، ولايجوز عليه العدم والفناء والزوال ؛ مستحقّ للوصف بذلك بأنّه أوّل الأوّلين ، و آخر الآخرين ، قادر يفعل مايشاء ، لايجوز عليه ضعف ولاعجز ؛ مستحقّ للوصف بذلك بأنّه أقدر القادرين ، وأقهر القاهرين ، عالم لايخفى عليه شيء ، ولايعزب عنه شيء ، لايجوز عليه جهل ولاسهو، ولا شكّ ولانسيان ؛ مستحقّ للوصف بذلك بأنّه أعلم العالمين ، حيّ لايجوز عليه موت ولانوم ،

---

(١) في نسخة : فهو توحده بصفاته العلى .

ولاترجع إليه منفعة ، ولاتناله مضرّة ؛ مستحقّ للوصف بذلك بأنّه أبقى الباقين ، وأكمل الكاملين ، فاعل لايشغله شيء عن شيء ، ولايعجزه شيء ، ولايفوته شيء ؛ مستحقّ للوصف بذلك بأنّه إله الأوّلين والآخرين ، وأحسن الخالقين ، وأسرع الحاسبين ، غنيّ لايكون له قلّة ، مستغن لايكون له حاجة ، عدل لاتلحقه مذمّة ، ولاترجع إليه منقصة ، حكيم لايقع منه سفاهة ، رحيم لايكون له رقّة ويكون في رحمته سعة ، حليم لايلحقه موجدة ،[1] ولا يقع منه عجلة ؛ مستحقّ للوصف بذلك بأنّه أعدل العادلين ، و أحكم الحاكمين ، وأسرع الحاسبين ، وذلك لأنّ أوّل الاوّلين لايكون إلّا واحداً ، وكذلك أقدر القادرين ، وأعلم العالمين ، وأحكم الحاكمين ، وأحسن الخالقين ، وكلّ ماجاء على هذا الوزن ؛ فصحّ بذلك ماقلناه ، وبالله التوفيق ومنه العصمة و التسديد .

﴿باب ٧﴾

☼(عبادة الاصنام والكواكب و الاشجار والنيرين وعلة حدوثها)☼
☼(وعقاب من عبدها أوقرب اليها قرباناً)☼

الايات ، الانعام : قل أندعوا من دون الله مالاينفعنا ولايضرّنا ٧١

الاعراف : أيشركون مالايخلق شيئاًوهم يخلقون ☼ ولايستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون ☼ و ن تدعوهم إلى الهدى لايتّبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون ☼ إنّ الّذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ☼ ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركائكم ثمّ كيدون فلاتنظرون ☼ إنّ وليّي الله الّذي نزّل الكتاب وهو يتولّى الصالحين ☼ والّذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون ☼ و إن تدعوهم إلى الهدى لايسمعوا و تراهم ينظرون إليك و هم لا يبصرون ١٩١ ـ ١٩٨

يونس : ويعبدون من دون الله مالايضرّهم ولاينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عندالله قل أتنبّؤن الله بما لايعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عمّا يشركون ١٨

(١) الموجدة بفتح الميم وسكون الواو : الغضب .

« و قال تعالى » : قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثمّ يعيده قل الله يبدؤا الخلق ثمّ يعيده فأنّى تؤفكون ☆ قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحقّ قل الله يهدى للحقّ أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع أمّن لا يهدّي إلّا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون ٣٤، ٣٥

هود : فلا تك في مرية ممّا يعبد هؤلاء ما يعبدون إلّا كما يعبد آباؤهم من قبل و إنّا لموفّوهم نصيبهم غير منقوص ١٠٩

النحل : أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكّرون ١٧ « و قال تعالى » : والّذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ☆ أموات غير أحياء وما يشعرون أيّان يبعثون ☆ إلهكم إله واحد فالّذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ٢٠-٢٢ « وقال تعالى » : والله فضّل بعضكم على بعض في الرزق فما الّذين فضّلوا برادّي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمت الله يجحدون ٧١ « وقال تعالى » : و يعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون ☆ فلا تضربوا لله الأمثال إنّ الله يعلم وأنتم لا تعلمون ☆ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء و من رزقناه منّا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سرّاً و جهراً هل يستون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ☆ وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كلّ على موليه أينما يوجّهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ٧٣-٧٦

مريم : يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ٤٢

الحج : يدعوا من دون الله ما لا يضرّه وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد ☆ يدعوا لمن ضرّه أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ١٢، ١٣ « وقال » : يا أيّها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إنّ الّذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب و المطلوب ☆ ماقدروا الله حقّ قدره إنّ الله لقويّ عزيز ٧٣ ، ٧٤

الفرقان : وإذا رأوك إن يتّخذونك إلّا هزواً أهذا الّذي بعث الله رسولاً ☆ إن كاد ليضلّنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضلّ سبيلاً ☆

أرأيت من اتّخذ إلهه هويه أفأنت تكون عليه وكيلاً ٤١ ـ ٤٣ « وقال الله تعالى » : ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرّهم وكان الكافر على ربّه ظهيراً ٥٥

الشعراء : واتل عليهم نبأ إبراهيم ✡ إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ✡ قالوا نعبد أصناماً فنظلّ لها عاكفين ✡ قال هل يسمعونكم إذ تدعون ✡ أو ينفعونكم أو يضرّون ✡ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ✡ قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون ✡ أنتم وآباؤكم الأقدمون ✡ فإنّهم عدوّ لي إلّا ربّ العالمين ✡ « إلى قوله تعالى » : و برّزت الجحيم للغاوين ✡ وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون ✡ من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون ✡ فكبكبوا فيها هم والغاون ✡ وجنود إبليس أجمعون ✡ قالوا وهم فيها يختصمون ✡ تالله إن كنّا لفي ضلال مبين ✡ إذ نسوّيكم بربّ العالمين ✡ وما أضلّنا إلّا المجرمون ✡ فما لنا من شافعين ✡ ولا صديق حميم ✡ فلو أنّ لنا كرّة فنكون من المؤمنين ٦٩ـ١٠٢

النمل : وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله و زيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل فهم لا يهتدون ✡ ألّا يسجدوا لله الّذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون ✡ الله لا إله إلّا هو ربّ العرش العظيم ٢٤،٢٦

العنكبوت : إنّما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً إنّ الّذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون ١٧ « إلى قوله تعالى » : و قال إنّما اتّخذتم من دون الله أوثاناً مودّة بينكم في الحياة الدنيا ثمّ يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأويكم النار ومالكم من ناصرين ١٧ ـ ٢٥

الروم : ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ✡ ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين « إلى قوله تعالى » : ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصّل الآيات لقوم يعقلون ١٢ ـ ٢٨

يس : ءأتّخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضرّ لاتغن عنّي شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون ✡ إنّي إذاً لفي ضلال مبين ٢٣ ، ٢٤

الصافات : إنّهم كانوا إذا قيل لهم لاإله إلّاالله يستكبرون ۞ ويقولون أئنّا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ٣٥، ٣٦ « وقال تعالى » : أئفكاً آلهة دون‌الله تريدون ۞ فماظنّكم بربّ العالمين«إلى‌قوله» : أتعبدون‌ماتنحتون۞والله خلقكم‌وماتعملون٨٦ـ٩٦ « وقال تعالى » : أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين ۞ الله ربّكم وربّ آبائكم الأولين١٢٥، ١٢٦

ص : أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنّ هذا لشيء عجاب ۞ وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إنّ هذالشيء يراد ۞ ماسمعنابهذا في‌الملّة الآخرة إن هذا إلّا اختلاق ٥ ـ٧

الزمر : فاعبدالله مخلصاً له الدين ۞ ألا لله الدين الخالص والّذين اتّخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلّاليقرّبونا إلى‌الله‌زلفى إنّ‌الله يحكم‌بينهم‌فيماهم‌فيه يختلفون٢،٣ « وقال عزّوجلّ » : ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله قل أفرأيتم ماتدعون من دون‌الله إن أرادني الله بضرّ هل‌هنّ كاشفات ضرّه أوأرادني‌برحمة هل‌هنّ ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكّل المتوكّلون ٣٨ « وقال تعالى » : أم اتّخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لايملكون شيئاً ولا يعقلون ۞ قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض ثمّ إليه ترجعون ۞ وإذا ذكرالله وحده اشمأزّت قلوب‌الّذين لايؤمنون بالآخرة وإذاذكرالّذين من دونه إذاهم‌يستبشرون ٤٣ ـ ٤٥

المؤمن : قل إنّي نهيت أن أعبدالّذين تدعون من دون الله لماجاءني البيّنات من ربّي‌واُمرت‌أن‌اُسلم لربّ العالمين٦٦«إلى‌قوله‌تعالى» إذالأغلال‌في‌أعناقهم‌والسلاسل يسحبون ۞ في الحميم ثمّ في النار‌يسجرون ۞ ثمّ قيل لهم أين‌ماكنتم تشركون ۞ من دون‌الله قالوا ضلّوا عنّا بل لم‌نكن ندعوامن‌قبل شيئاًكذلك يضلّ الله الكافرين٧١ـ٧٤

السجدة : لاتسجدوا للشمس‌ولاللقمر‌واسجدوا لله الّذي خلقهنّ إن كنتم إيّاه تعبدون ٣٧

حمعسق : والّذين اتّخذوا من‌دونه‌أولياء الله حفيظ عليهم ٦

الزخرف : ولا يملك الّذين يدعون من دونه الشفاعة إلّا من شهد بالحقّ وهم

يعلمون ✿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله فأنّى يؤفكون ٨٦ ، ٨٧

الجاثية : أفرأيت من اتّخذ إلهه هويه ٢٣

الاحقاف : قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أوأثارة من علم إن كنتم صادقين ✿ ومن أضلّ ممّن يدعومن دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون ✿ وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين ٤ ـ ٦ «وقال تعالى» : ألّا تعبدوا إلّا الله إنّي أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ✿ قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين « إلى قوله تعالى » : فلولا نصرهم الّذين اتّخذوا من دون الله قرباناً آلهة بل ضلّوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون ٢١ ـ ٢٨

النجم : أفرأيتم اللّات والعزّى ✿ ومنوة الثالثة الاُخرى ✿ ألكم الذكر وله الاُنثى ✿ تلك إذاً قسمة ضيزى ✿ إن هى إلّا أسماء سمّيتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ١٩ـ٢٣

الجحد : قل ياأيّها الكافرون ✿ لا أعبد ما تعبدون « إلى آخر السورة » .

أقول : سيأتي الآيات الكثيرة في ذلك في كتاب النبوّة وكتاب الاحتجاج وكتاب المعاد .

١ ـ **فس** : قوله : « وقالوا لاتذرنّ آلهتكم ولا تذرنّ ودًّا ولاسواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً » قال : كان قوم مؤمنون قبل نوح عليه السلام فماتوا فحزن عليهم الناس فجاء إبليس فاتّخذ لهم صورهم ليأنسوابها فأنسوابها ، فلمّا جاءهم الشتاء أدخلوهم البيوت فمضى ذلك القرن وجاء القرن الآخر فجائهم إبليس فقال لهم : إنّ هؤلاء آلهة كانوا آباؤكم يعبدونها فعبدوهم وضلّ منهم بشر كثير ؛ فدعا عليهم نوح فأهلكهم الله .

٢ ـ **فس** : «ولاتذرنّ ودًّا ولاسواعاً ولايغوث ويعوق ونسراً » قال : كانت ودّ صنماً لكلب ،[1] وكانت سواع لهذيل ،[2] ويغوث لمراد ،[3] وكانت يعوق لهمدان ، وكانت

---

(١) بدومة الجندل .

(٢) كانت لهم برهاط من أرض ينبع ـ وينبع عرض من أعراض المدينة ـ وكان سدنتها بنو لحيان .

(٣) ثم لبنى غطيف بالجرف عند سبا .

نسر لحصين .[١]

٣ ـ ب : هارون ، عن ابن صدقة ، عن جعفر ، عن أبيه أنّ عليّاً صلوات الله عليه سئل عن أساف و نائلة وعبادة قريش لهما ، فقال : نعم كانا شابّين صبيحين ، وكان بأحدهما تأنيث ، وكانا يطوفان بالبيت فصادفا من البيت خلوة فأراد أحدهما صاحبه ففعل فمسخهما الله حجرين فقالت قريش : لولا أنّ الله تبارك وتعالى رضي أن يعبدا معه ماحوّ لهما عن حالهما .[٢]

٤ ـ ع : في أسؤلة الشاميّ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سئل عن أوّل من كفر وأنشأ الكفر فقال عليه السلام : إبليس لعنه الله .

٥ ـ ع : أبي ، عن سعد ، عن ابن أبي الخطّاب وابن عيسى ، عن محمّد بن سنان ، عن إسماعيل بن جابر ، وكرام بن عمرو ، عن عبدالحميد بن أبي الديلم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ قابيل لمّا رأى النار قد قبلت قربان هابيل قال له إبليس : إنّ هابيل كان يعبد تلك النار ، فقال قابيل : لا أعبد النار الّتي عبدها هابيل ، ولكن أعبد ناراً اُخرى ، واُقرّب قرباناً لها فتقبّل قرباني ، فبنى بيوت النار فقرّب ؛ ولم يكن له علم بربّه عزّ وجلّ ، ولم يرث منه ولده إلّا عبادة النيران .

ص : بالإسناد إلى الصدوق ، عن ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن أبي الخطّاب عن ابن سنان مثله .

٦ ـ ع : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن ابن النعمان ، عن بريد العجليّ قال : قال أبو جعفر عليه السلام : إنّما سمّي العود خلافاً لانّ إبليس عمل صورة سواع على خلاف صورة ودّ فسمّي العود خلافاً . وهذا في حديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

بيان : إنّما سمّي العود أي الشجرة المعهودة خلافاً ؛ لأنّ إبليس عمل سواعاً منها على خلاف ودّ فلذلك سمّيت بها .

---

(١) كذا في النسخ ولكن الصحيح « لحمير » عبدوه بارض يقال لها : بلخع ، وكان لحمير أيضا بيت بصنعاء يقال له : رئام ، يعظمونه ويتقربون عنده بالذبائح . وفي القاموس النسر : صنم كان لذي الكلاع بأرض حمير

(٢) الحديث موضوع وهو قصة تاريخية خرافية ط .

٧ ـ ع : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن محمّد البرقيّ ، عن حمّاد بن عيسى ، عن حريز ، [١] عن جعفر بن محمّد عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : و قالوا لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرنّ ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ، قال : كانوا يعبدون الله عزّ وجلّ فماتوا فضجّ قومهم وشقّ ذلك عليهم ، فجاءهم إبليس لعنه الله فقال لهم : أتّخذ لكم أصناماً على صورهم فتنظرون إليهم وتأنسون بهم وتعبدون الله ، فأعدّ لهم أصناماً على مثالهم فكانوا يعبدون الله عزّ وجلّ ، وينظرون إلى تلك الأصنام ، فلمّا جاءهم الشتاء والأمطار أدخلوا الأصنام البيوت فلم يزالوا يعبدون الله عزّ وجلّ حتّى هلك ذلك القرن ونشأ أولادهم ، فقالوا : إنّ آباءنا كانوا يعبدون هؤلاء ، فعبدوهم من دون الله عزّ و جلّ ؛ فذلك قول الله تبارك و تعالى : « ولا تذرنّ ودّاً ولا سواعاً » الآية .

٨ ـ ص : بالإسناد عن الصدوق رحمه الله ، عن ابن المتوكّل ، عن الحميريّ ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن الأحول ، عن بريد بن معاوية قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في مسجد النبيّ صلّى الله عليه وآله : إنّ إبليس اللّعين هو أوّل من صوّر صورة على مثال آدم عليه السلام ليفتن به الناس ، ويضلّهم عن عبادة الله تعالى ، وكان ودّ في ولد قابيل وكان خليفة قابيل على ولده وعلى من بحضرتهم في سفح الجبل يعظّمونه ويسوّدونه ، فلمّا أن مات ودّ جزع عليه إخوته و خلف عليهم إبناً يقال له : «سواع» فلم يغن غناء أبيه منهم فأتاهم ابليس في صورة شيخ فقال : قد بلغني ما أصبتم به من موت ودّ عظيمكم ، فهل لكم في أن اُصوّر لكم على مثال ودّ صورة تستريحون إليها وتأنسون بها ؟ قالوا : افعل . فعمد الخبيث إلى الآنك [٢] فأذابه حتّى صار مثل الماء ، ثمّ صوّر لهم صورة مثال ودّ في بيته فتدافعوا على الصورة يلثمونها ويضعون خدودهم عليها ويسجدون لها ، وأحبّ سواع أن يكون التعظيم والسجود له . فوثب على صورة ودّ فحكّها حتّى لم يدع منها

---

(١) لايخلو الحديث عن احتمال ارسال ، لان الكشي روى عن إبن مسعود ، عن محمد بن نصير ، عن محمد بن قيس ، عن يونس قال : لم يسمع حريز بن عبدالله من أبي عبدالله عليه السلام إلا حديثاً أو حديثين . انتهى . مع أنا نرى عنه أحاديث كثيرة .

(٢) الآنك بالمد وضم النون : الاسرب أو أبيضه أو أسوده أو خالصه .

شيئاً ، و همّوا بقتل سواع ، فوعظهم و قال : أنا أقوم لكم بما كان يقوم به ودّ ، و أنا ابنه ، فإن قتلتموني لم يكن لكم رئيس ، فمالوا إلى سواع بالطاعة والتعظيم فلم يلبث سواع أن مات ، وخلف إبناً يقال له : «يغوث» فجزعوا على سواع فأتاهم إبليس وقال: أنا الّذي صوّرت لكم صورة ودّ ، فهل لكم أن أجعل لكم مثال سواع على وجه لايستطيع أحد أن يغيّره ؟ قالوا : فافعل ، فعمد إلى عود فنجره و نصبه لهم في منزل سواع ، وإنّما سمّي ذلك العود خلافاً ، لأنّ إبليس عمل صورة سواع على خلاف صورة ودّ، قال : فسجدوا له و عظّموه ، و قالوا ليغوث : مانأمنك على هذا الصنم أن تكيده كما كاد أبوك مثال ودّ ، فوضعوا على البيت حرّاساً وحجّاباً ، ثمّ كانوا يأتون الصنم في يوم واحد ، ويعظّمونه أشدّ ما كانوا يعظّمون سواعاً ، فلمّا رأى ذلك يغوث قتل الحرسة والحجّاب ليلاً ، وجعل الصنم رميماً ، فلمّا بلغهم ذلك أقبلوا ليقتلوه فتوارى منهم إلى أن طلبوه ورأّسوه وعظّموه ثمّ مات و خلف إبناً يقال له : يعوق فأتاهم إبليس فقال : قد بلغني موت يغوث ، و أنا جاعل لكم مثاله في شيء لايقدر أحد أن يغيّره قالوا : فافعل ، فعمد الخبيث إلى حجر أبيض فنقره بالحديد حتّى صوّر لهم مثال يغوث فعظّموه أشدّ ممّا مضى ، وبنوا عليه بيتاً من حجر ، وتبايعوا أن لايفتحوا باب ذلك البيت إلّا في رأس كلّ سنة ، و سمّيت البيعة يومئذ لأنّهم تبايعوا وتعاقدوا عليه ؛ فاشتدّ ذلك على يعوق فعمد إلى ريطة وخلق فألقاها في الحائر، ثمّ رماها بالنار ليلاً فأصبح القوم وقد احترق البيت والصنم والحرس و أرفض الصنم ملقى فجزعوا و همّوا بقتل يعوق فقال لهم : إن قتلتم رئيسكم فسدت اُموركم ، فكفّوا فلم يلبث أن مات يعوق و خلف إبناً يقال له : نسر ، فأتاهم إبليس فقال : بلغني موت عظيمكم فأنا جاعل لكم مثال يعوق في شيء لايبلى فقالوا : افعل فعمد إلى الذهب وأوقد عليه النار حتّى صار كالماء ، وعمل مثالاً من الطين على صورة يعوق ثمّ أفرغ الذهب فيه ، ثمّ نصبه لهم في ديرهم واشتدّ ذلك على نسر، ولم يقدر على دخول تلك الدير فانحاز عنهم في فرقة قليلة من إخوته يعبدون نسراً ، والآخرون يعبدون الصنم حتّى مات نسر ، وظهرت نبوّة إدريس فبلغه حال القوم و أنّهم يعبدون جسماً على مثال يعوق ، وأنّ نسراً كان يعبد من دون الله ، فسار إليهم بمن معه حتّى نزل مدينة

نسروهم فيها فهزمهم ،[1] وقتل من قتل ، وهرب من هرب فتفرّقوا في البلاد ، وأمر بالصنم فحمل وألقي في البحر ، فاتّخذت كلّ فرقة منهم صنماً ، وسمّوها بأسمائها فلم يزالوا بعد ذلك قرناً بعد قرن لا يعرفون إلّا تلك الأسماء ثمّ ظهرت نبوّة نوح عليه السلام [2] فدعاهم إلى عبادة الله وحده ، وترك ما كانوا يعبدون من الأصنام ؛ فقال بعضهم : لاتذرنّ آلهتكم ولاتذرنّ ودّاً ولاسواعاً ولايغوث ويعوق و نسراً .

بيان : ارفضاض الشيء : تفرّقه ، وترفّض : تكسّر . وانحازعنه : عدل .

٩ ـ **ثو** : أبي ، عن سعد ، عن البرقيّ ، عن أبي الجوزاء ، عن الحسين بن علوان ، عن منذر ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ذكر أنّ سلمان قال : إنّ رجلاً دخل الجنّة في ذباب وآخر دخل النار في ذباب . فقيل له : وكيف ذلك يا أباعبدالله ؟ قال : مرّا على قوم في عيد لهم ، وقد وضعوا أصناماً لهم لايجوز بهم أحد حتّى يقرّب إلى أصنامهم قرباناً قلّ أم كثر ، فقالوا لهما ، لا تجوزا حتّى تقرّبا كما يقرّب كلّ من مرّ ، فقال أحدهما : ما معي شيء اُقرّبه ، وأخذ أحدهما ذباباً فقرّبه ، ولم يقرّب الآخر ، فقال: لا اُقرّب إلى غير الله جلّ وعزّ شيئاً فقتلوه فدخل الجنّة ، ودخل الآخر النار .

١٠ ـ **شي** : عن الزهريّ قال : أتى رجل أباعبدالله عليه السلام فسأله عن شيء فلم يجبه ، فقال له الرجل : فإن كنت ابن أبيك فإنّك من أبناء عبدة الأصنام ؛ فقال له : كذبت إنّ الله أمر إبراهيم أن ينزل إسماعيل بمكّة ففعل ، فقال إبراهيم : ربّ اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام . فلم يعبد أحد من ولد إسماعيل صنماً قطّ ، ولكنّ العرب عبدة الأصنام ، و قالت بنو إسماعيل : هؤلاء شفعاؤنا عندالله فكفرت ولم تعبد الاصنام .

بيان : لعلّ المراد أنّهم أقرّوا بوحدانيّة الصانع ، وإن أشركوا من جهة العبادة والسجود لها ، فنفى عليه السلام عنهم أعظم أنواع الشرك وهو الشرك في الربوبيّة ، وقدمرّت الإشارة إلى الفرق بينهما في الباب السابق .[3]

(١) وفى نسخة : فهزموهم .
(٢) وفى نسخة : فظهرت نبوة نوح عليه السلام .
(٣) والرواية مع ذلك لاتخلو عن شيء ؛ فان توحيد الصانع بهذا المعنى أساس الثنوية ؛ واتخاذ الاصنام آلهة وعبادتها ليس الا القول بكونهم شفعاء . ط

١١ ـ **كا** : محمّد بن يحيى ، عن بعض أصحابه ، عن العبّاس بن عامر ، عن أحمد بن رزق الغمشاني ، عن عبد الرحمن بن الأشلّ بيّاع الأنماط ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كانت قريش تلطّخ الأصنام الّتي كانت حول الكعبة بالمسك والعنبر ، وكان يغوث قبالة الباب ، وكان يعوق عن يمين الكعبة ، وكان نسراً عن يسارها ، وكانوا إذا دخلوا خرّوا سجّداً ليغوث ، ولا ينحنون[1] ثمّ يستديرون بحيالهم إلى يعوق ، ثمّ يستديرون بحيالهم إلى نسر ، ثمّ يلبّون فيقولون : لبّيك اللّهم لبّيك ، لبّيك لاشريك لك ، إلّا شريك هو لك ، تملكه وما ملك . قال : فبعث الله ذباباً أخضر له أربعة أجنحة ، فلم يبق من ذلك المسك والعنبر شيئاً إلّا أكله ، وأنزل الله عزّ و جلّ : يا أيّها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إنّ الّذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب .

١٢ ـ **فس** : قال عليّ بن إبراهيم في قوله : «أفرأيت من اتّخذ إلهه هويه » قال : نزلت في قريش و ذلك أنّه ضاق عليهم المعاش فخرجوا من مكّة وتفرقوا ، وكان الرجل إذا رأى شجرة حسنة ، أوحجراً حسناً هواه فعبده ، وكانوا ينحرون لها النعم ، ويلطّخونها بالدم ويسمّونها سعد صخرة ، وكان إذا أصابهم داء في إبلهم وأغنامهم جاؤوا إلى الصخرة فيتمسّحون بها الغنم والإبل ؛ فجاء رجل من العرب بإبل له يريد أن يتمسّح بالصخرة إبله ويبارك عليها ، فنفرت إبله و تفرّقت ، فقال الرجل شعراً :

أتيت إلى سعد ليجمع شملنا ✿ فشتّتنا سعد فما نحن من سعد
وما سعد إلّا صخرة مسوّدة ✿ من الأرض لاتهدي لغيّ ولارشد

ومرّ به رجل من العرب والثعلب يبول عليه فقال شعراً :

أربٌّ يبول الثعلبان برأسه ؟ ✿ لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب !

---

(١) وفي نسخة : ولا يحيّون .

﴿باب ٨﴾

(نفي الولد والصاحبة)

الايات ، النساء : يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولاتقولوا على الله إلّا الحقّ إنّما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولاتقولوا ثلثة انتهوا خيراً لكم إنّما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً ✿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقرّبون ١٧١،١٧٢

المائدة : لقد كفر الّذين قالوا إنّ الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأُمّه ومن في الأرض جميعاً ولله ملك السموات والأرض ومابينهما يخلق مايشاء والله على كلّ شيء قدير ✿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناؤ الله وأحبّاؤه قل فلمَ يعذّبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممّن خلق يغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء ولله ملك السموات والأرض ومابينهما وإليه المصير ١٧،١٨

أقول : سيأتي كثير من الآيات المتعلّقة بعيسى عليه السلام في كتاب النبوّة ، وكثير منها في أبواب الاحتجاجات .

التوبة : وقالت اليهود عزيرٌ ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهؤن قول الّذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنّى يؤفكون ✿ اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما اُمروا إلّا ليعبدوا إلهاً واحداً لاإله إلّا هو سبحانه عمّا يشركون ٣٠ـ٣١

يونس : قالوا اتّخذ الله ولداً سبحانه هو الغنيّ له ما في السموات ومافي الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله مالاتعلمون ٦٨

الاسرى : أفأصفيكم ربّكم بالبنين واتّخذ من الملائكة إناثاً إنّكم لتقولون قولاً عظيماً ٤٠

الكهف : وينذر الّذين قالوا اتّخذ الله ولداً ✿ مالهم به من علم ولالآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلّا كذباً ٤ ، ٥

مريم : ماكان لله أن يتّخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنّما يقول له كن فيكون ٣٥ » وقال تعالى » : وقالوا اتّخذ الرحمن ولداً ✿ لقد جئتم شيئاً إدّاً ✿ تكاد السموات يتفطّرن منه وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدّاً ✿ أن دعوا للرحمن ولداً ✿ وما ينبغي للرحمن أن يتّخذ ولداً ✿ إن كلّ من في السموات والأرض إلّا آتي الرحمن عبداً ✿ لقد أحصاهم وعدّهم عدّاً ٨٨ ـ ٩٤

الانبياء : وقالوا اتّخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون ✿ لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ✿ يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولايشفعون إلّا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ✿ ومن يقل منهم إنّي إله من دونه فذلك نجزيه جهنّم كذلك نجزي الظالمين ٢٦ـ ٢٩

الصافات : فاستفتهم ألربّك البنات ولهم البنون ✿ أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون ✿ ألا إنّهم من إفكهم ليقولون ✿ ولد الله وإنّهم لكاذبون ✿ أصطفى البنات على البنين ✿ مالكم كيف تحكمون ✿ أفلا تذكّرون ✿ أم لكم سلطان مبين ✿ فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين ✿ وجعلوا بينه و بين الجنّة نسباً ولقد علمت الجنّة إنّهم لمحضرون ✿ سبحان الله عمّا يصفون ✿ إلّا عباد الله المخلصين ✿ فإنّكم وماتعبدون ✿ ما أنتم عليه بفاتنين ✿ إلّا من هو صال الجحيم ✿ ومامنّا إلّا له مقام معلوم ✿ وإنّا لنحن الصافّون ✿ وإنّا لنحن المسبّحون ١٤٩ـ ١٦٦

الزمر: لوأراد الله أن يتّخذ ولداً لاصطفى ممّا يخلق مايشاء سبحانه هو الله الواحد القهّار ٤

الزخرف : وجعلوا له من عباده جزءاً إنّ الإنسان لكفور مبين ✿ أم اتّخذ ممّا يخلق بنات وأصفيكم بالبنين ✿ وإذا بشّر أحدهم بماضرب للرحمن مثلاً ظلّ وجهه مسودّاً وهو كظيم ✿ أومن ينشّؤ في الحلية وهو في الخصام غيرمبين ✿ وجعلوا الملائكة الّذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون ✿ وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم مالهم بذلك من علم إن هم إلّا يخرصون ✿ أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون ✿ بل قالوا إنّا وجدنا آبائنا على اُمّة وإنّا على آثارهم مهتدون ١٥ـ٢٢

«وقال تعالى» : قل إن كان للرحمن ولد فأنا أوّل العابدين * سبحان ربّ السموات والأرض ربّ العرش عمّا يصفون ٨١ ، ٨٢

الطور : أم له البنات ولكم البنون ٣٩

النجم : ألكم الذكر وله الاُنثى * تلك إذاً قسمة ضيزى ٢١،٢٢ «وقال تعالى» : إنّ الذين لايؤمنون بالآخرة ليسمّون الملائكة تسمية الاُنثى * ومالهم به من علم إن يتّبعون إلّا الظنّ وإنّ الظنّ لايغني من الحقّ شيئاً ٢٧ ، ٢٨

الجن : وأنّه تعالى جدّ ربّنا ما اتّخذ صاحبةً ولا ولداً ٣

١ ـ **فس** : جعفر بن أحمد ، عن عبيدالله بن موسى ، عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة ، عن أبيه ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت : قوله تعالى : «وقالوا اتّخذ الرحمن ولداً» قال : هذا حيث قالت قريش : إنّ لله ولداً ، وإنّ الملائكة إناث ، فقال الله تبارك وتعالى ردّاً عليهم : «لقد جئتم شيئاً إدّاً» أي عظيماً «تكاد السموات يتفطّرن منه» ممّا قالوا : أن دعوا للرحمن ولداً ، فقال الله تبارك وتعالى : «وما ينبغي للرحمن أن يتّخذ ولداً إن كلّ من في السموات والأرض إلّا آتي الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدّهم عدّاً وكلّهم آتيه يوم القيامة فرداً» واحداً واحداً .

٢ ـ **يد** : ماجيلويه ، عن عمّه ، عن البرقيّ ، عن اليقطينيّ ، عن سليمان بن رشيد ، عن أبيه ، عن المفضّل قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : الحمد لله الّذي لم يلد فيورث ولم يولد فيشارك .

٣ ـ **فس** : قوله : قل إن كان للرحمن ولد فأنا أوّل العابدين ، يعني أوّل الآنفين له أن يكون له ولد .[1]

بيان : هذا أحد الوجوه في تأويل هذه الآية . قال الجوهريّ : قال أبو زيد : العبد بالتحريك : الغضب والأنف ، والاسم العبدة مثل الأنفة ، وقد عبد أي أنف . وقال أبو عمرو : قوله تعالى : فأنا أوّل العابدين من الأنف والغضب انتهى . وثانيها أن يكون من قبيل

(١) أنف من العار : ترفع وتنزه عنه . كرهه . وفي الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام : أنا أول العابدين أى الجاحدين .

تعليق المحال بالمحال أي ليس له ولد ، إذ لو كان له ولد لكنت أوّل العابدين له ، فإنّ النبيّ يكون أعلم بالله وبما يصحّ له وما لا يصحّ ، وأولى بتعظيم ما يجب تعظيمه ، ومن حقّ تعظيم الوالد تعظيم ولده . وثالثها : أنّ المعنى : إن كان له ولد في زعمكم فأنا أوّل العابدين لله ، الموحّدين له ، المنكرين لقولكم . ورابعها : أنّ «إن» بمعنى «ما» للنفي ؛ والمعنى : ما كان للرحمن ولد ، فأنا أوّل العابدين لله المقرّين بذلك .

أقول : سيأتي ما يتضمّن نفي الصاحبة والولد في باب جوامع التوحيد ، وسنذكر احتجاج النبيّ صلّى الله عليه وآله على القائلين بالولد في المجلّد الرابع .

﴿باب ٩﴾

(النهي عن التفكر في ذات الله تعالى ، والخوض في مسائل التوحيد) (واطلاق القول بأنه شيء)

الايات ، الزمر : وما قدروا الله حقّ قدره ٦٧

١ - **شي** : عن مسعدة بن صدقة ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه أنّ رجلاً قال لأمير المؤمنين عليه السلام : هل تصف ربّنا نزداد له حبّاً وبه معرفة ؟ فغضب وخطب الناس ، فقال فيما قال : عليك يا عبدالله بما دلّك عليه القرآن من صفته ، وتقدّمك فيه الرسول من معرفته فائتمّ به واستضيء بنور هدايته ، فإنّما هي نعمة وحكمة اُوتيتها فخذ ما اُوتيت وكن من الشاكرين ، وما كلّفك الشيطان علمه ممّا ليس عليك في الكتاب فرضه ولا في سنّة الرسول و أئمّة الهداة أثره فكل علمه إلى الله ولا تقدر عليه عظمة الله [1] واعلم يا عبدالله أنّ الراسخين في العلم هم الّذين أغناهم الله عن الاقتحام على السدد المضروبة دون الغيوب ، إقراراً بجهل ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب ، فقالوا : آمنّا به كلٌّ من عند ربّنا ، وقد مدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً ، وسمّى تركهم التعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عن كنهه رسوخاً .

(١) وفي نسخة : ولا تقدر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين .

بيان : الاقتحام : الهجوم والدخول مغالبة . والسدد جمع السدّة وهي الباب المغلق وفيه إشكال لدلالته على أنّ الراسخين في العلم في الآية غير معطوف على المستثنى ، كما دلّت عليه الأخبار الكثيرة ، وسيأتي القول فيه في كتاب الإمامة ،[1] إلّا أن يقال : إنّ هذا إلزام على من يفسّر الآية كذلك ، أو يقال : بالجمع بين التفسيرين على وجهين مختلفين ؛ وسيأتي تمام القول في ذلك في محلّه إن شاء الله تعالى .

٢ ــ ج : روي عن هشام أنّه سأل الزنديق عن الصادق عليه السلام : أنّ الله تعالى ما هو؟ فقال عليه السلام : هو شيء بخلاف الأشياء ،[2] أرجع بقولي : شيء إلى أنّه شيء بحقيقة الشيئيّة غير أنّه لا جسم ولا صورة ، ولا يحسّ ولا يجسّ ،[3] ولا يدرك بالحواسّ الخمس ، لا تدركه الأوهام ، ولا تنقصه الدهور ، ولا تغيّره الأزمان . الخبر .

بيان : اعلم أنّ الشيء مساو للموجود إذا اُخذ الوجود أعمّ من الذهنيّ والخارجيّ ، والمخلوط بالوجود من حيث الخلط شيء ، وشيئيّته كونه ماهيّة قابلة له ؛ وقيل : إنّ الوجود عين الشيئيّة . فإذا عرفت هذا فالمراد بقوله : بحقيقة الشيئيّة أي بالشيئيّة الحقّة الثابتة له في حدّ ذاته لأنّه تعالى هو الّذي يحقّ أن يقال له : شيء أو موجود ، لكون وجوده بذاته ممتنع الانفكاك عنه ، وغيره تعالى في معرض العدم والفناء ، وليس وجودهم إلّا من غيرهم ، أو المراد أنّه يجب معرفته بمحض أنّه شيء ، لا أن يثبت له حقيقة معلومة مفهومة يتصدّى لمعرفتها فإنّه يمتنع معرفة كنه ذاته وصفاته ؛ وقيل : إنّه إشارة إلى أنّ الوجود عين ذاته تعالى .

---

(١) قد بينا في تفسير «الميزان» انه هو المتيقن في الاية ، وتكلمنا في الاخبار الكثيرة التي يشير إليها . ط

(٢) أي هو موجود يخالف سائر الموجودات ، فان سائر الموجودات لها وجود وماهية زائدة على وجودها ، ولكن الله تعالى حقيقته صرف الوجود ، وعين الوجود ، وله حقيقة الشيئية وهي الوجود . ثم بين عليه السلام وجه اختلافه تعالى مع سائر الاشياء بقوله : غير أنه لا جسم الخ . ولعله عليه السلام أشار بقوله : هو شيء بخلاف الاشياء إلى أنه لا يعرف أحد حقيقة ذاته وصفاته ، وإنما يعرف بمفهوم سلبيّ وهو أنه موجود مغاير لخلقه في الذات والصفات ، مثل الامكان والحدوث والجسمية وغيرها .

(٣) بالجيم إما من جسّه بيده أي مسّه بيده ليتعرفه ، أو بعينه أي أحدّ النظر إليه ليتبينه ، وإما من جسّ الاخبار والامور أي بحث و تفحص عنها .

٣ ـ **لي** : أبي ، عن الحميري ، عن ابن عيسى ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن محمد ابن حمران ، عن أبي عبيدة الحذاء قال : قال أبوجعفر عليه السلام : يازياد إياك والخصومات ، فإنها تورث الشك ، وتحبط العمل ، وتردي صاحبها ، وعسى أن يتكلم الرجل بالشيء لايغفر له ؛ يازياد إنه كان فيمامضى قوم تركوا علم ماوكلوا به ،[1] و طلبوا علم ما كفوه ،[2] حتى انتهى بهم الكلام إلى الله عز وجل فتحيروا ، فإن كان الرجل ليدعى من بين يديه فيجيب من خلفه ، أويدعى من خلفه فيجيب من بين يديه .

سن : أبي ، عن ابن أبي عمير مثله .

٤ ـ **لي** : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن صفوان بن يحيى ، عن أبي البسع ،[3] عن سليمان بن خالد قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : إياكم و التفكر في الله ، فإن التفكر في الله لايزيد إلا تيهاً[4] إن الله عز وجل لاتدركه الأبصار ولايوصف بمقدار .

٥ ـ **ن** : ابن إدريس ، عن أبيه ، عن ابن بندار ، عن محمد بن علي الكوفي ، عن محمد ابن عبدالله الخراساني ـ خادم الرضا عليه السلام ـ قال : قال بعض الزنادقة لأبي الحسن عليه السلام : هل يقال لله : أنه شيء ؟ فقال : نعم ، وقد سمى نفسه بذلك في كتابه فقال : « قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم » فهو شيء ليس كمثله شيء .

٦ ـ **فس** : قوله : «وأن إلى ربك المنتهى» حدثني أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا انتهى الكلام إلى الله فامسكوا ، وتكلموا فيما دون العرش ولا تكلموا فيما فوق العرش ، فإن قوماً تكلموا فيما فوق العرش فتاهت عقولهم حتى

---

(١) أى علم ماكلفوا به ، وهو العلم بماأمرالله به و نهاه عنه ، والعلم بمحبوباته ومبغوضاته .

(٢) أى علم ماكفاهم الله مؤونته ـ ان كان من الكفاية ـ أوعلم ماصرفه الله عنهم ـ ان كان من الكف ـ والمراد التفحص عماكانت أفهام البشر عن دركه قاصرة ، كالكلام فى العرش ومافوقه ، والكلام فى كنه الذات والصفات .

(٣) الظاهر هوعيسى بن السرى أبواليسع الكرخى البغدادى ، وثقه النجاشى وغيره ، روى عن أبى عبدالله عليه السلام ، له كتاب .

(٤) أى تحيراً وضلالا .

كان الرجل ينادى من بين يديه فيجيب من خلفه ، وينادى من خلفه فيجيب من بين يديه

بيان : التكلّم فيما فوق العرش كناية عن التفكّر في كنه ذاته و صفاته تعالى ، فالمراد إمّا الفوقيّة المعنويّة ؛ أو بناءاً على زعمهم حيث قالوا : بالجسم والصورة ؛ ويحتمل على بعد أن يكون المراد التفكّر في الخلأ البحت بعد انتهاء الأبعاد .

٧ـ **شي** : عن ربعي، عمّن ذكره ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله : «وإذا رأيت الّذين يخوضون في آياتنا» قال : الكلام في الله والجدال في القرآن «فأعرض عنهم حتّى يخوضوا في حديث غيره » قال : منهم القصّاص .

بيان : القصّاص علماء المخالفين فإنّهم كرواة القصص و الأكاذيب فيما يبنون عليه علومهم ، وهم يخوضون في تفاسير الآيات وتحقيق صفات الذات بالظنون والأوهام لانحرافهم عن أهل البيت عليهم السلام .

٨ ـ **يد** ، **مع** : أبي ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن العبّاس بن عمرو الفقيميّ[1] عن هشام ابن الحكم ، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال للزنديق ـ حين سأله عن الله ما هو ؟ ـ : قال هو شيء بخلاف الأشياء ، أرجع بقولي : شيء إلى إثبات معنىً ، وإنّه شيء بحقيقة الشيئيّة ، غير أنّه لا جسم ولا صورة .

٩ ـ **يد** ، **مع** : أبي ، عن سعد ، عن البرقيّ ، عن محمّد بن عيسى ، عمّن ذكره ، رفعه إلى أبي جعفر عليه السلام أنّه سئل أيجوز أن يقال : إنّ الله عزّ وجلّ شيء ؟ قال : نعم تخرجه من الحدّين : حدّ التعطيل ، وحدّ التشبيه .

ج : مرسلاً مثله .

بيان : حدّ التعطيل هو عدم إثبات الوجود و الصفات الكماليّة و الفعليّة و الإضافيّة له تعالى ، وحدّ التشبيه الحكم بالاشتراك مع الممكنات في حقيقة الصفات وعوارض الممكنات .

١٠ ـ **يد** : العطّار ، عن أبيه ، عن سهل قال : كتبت إلى أبي محمّد عليه السلام ـ سنة خمس

(١) نسبة إلى فقيم ـ وزان هذيل ـ بطن من دارم وهم بنو فقيم بن جرير بن دارم ، وأمّا النسبة إلى فقيم كنانة «فقمي» كعربي ، نص على ذلك في القاموس وغيره .

وخمسين ومائتين - : قد اختلف ياسيّدي أصحابنا في التوحيد ، منهم من يقول : هو جسم ، ومنهم من يقول : هو صورة ، فإن رأيت ياسيّدي أن تعلّمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه فعلت متطوّلاً على عبدك .

فوقّع بخطّه - عليه السلام - : سألت عن التوحيد وهذا عنكم معزول ، الله تعالى واحد ، أحد ، صمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، خالق وليس بمخلوق ، يخلق تبارك وتعالى ما يشاء من الأجسام وغير ذلك ، ويصوّر مايشاء ، وليس بمصوّر ، جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه ، وتعالى عن أن يكون له شبه ، هو لاغيره ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

بيان : وهذا عنكم معزول أي لايجب عليكم التفكّر في الذات والصفات بل عليكم التصديق بما وصف تعالى به نفسه .

١١ - **سر** : السيّاري [1] قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : ليس العبادة كثرة الصوم والصلاة ، إنّما العبادة في التفكّر في الله .

بيان : أي التفكّر في قدرته وعظمته بالتفكّر في عظمة خلقه ، كما فسّر به في الأخبار الاُخر ، أو بالتفكّر فيما جاء عن الله وحججه عليهم السلام في ذلك .

١٢ - **يد** : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن معروف ، عن ابن أبي نجران ، عن حمّاد بن عثمان ، عن عبدالرحيم القصير قال : كتبت على يدي عبدالملك بن أعين إلى أبي عبدالله عليه السلام بمسائل ، فيها : أخبرني عن الله عزّ وجلّ هل يوصف بالصورة وبالتخطيط ، فإن رأيت - جعلني الله فداك - أن تكتب إليّ بالمذهب الصحيح من التوحيد .

فكتب صلّى الله عليه على يدي عبدالملك بن أعين : سألت رحمك الله عن التوحيد وماذهب فيه من قبلك ، فتعالى الله الّذي ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، تعالى الله عمّا يصفه الواصفون المشبّهون الله تبارك وتعالى بخلقه ، المفترون على الله . واعلم رحمك الله أنّ المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله عزّ و جلّ ، فأنف

---

(١) هو أحمد بن محمد بن سيار أبوعبدالله الكاتب ، بصرى ، كان من كتاب آل طاهر في زمن أبي عبدالله عليه السلام ، ضعيف الحديث ، فاسد المذهب . نص على ذلك النجاشي .

عن الله البطلان والتشبيه ، فلا نفي ولا تشبيه ، هو الله الثابت الموجود ، تعالى الله عمّا يصفه الواصفون ، ولا تعد القرآن فتضلّ بعد البيان .

بيان : على يدي عبد الملك أي كان هو الرسول والحامل للكتاب والجواب .

١٣ - ضا : إيّاك و الخصومة فإنّها تورث الشكّ ، و تحبط العمل ، و تردي صاحبها ،[1] وعسى أن يتكلّم بشيء لا يغفر له .[2]

١٤ - ونروي أنّه كان فيما مضى قوم انتهى بهم الكلام إلى الله جلّ وعزّ فتحيّروا ، فإن كان الرجل ليدعى من بين يديه فيجيب من خلفه .[3]

١٥ - و أروي : تكلّموا فيما دون العرش فإنّ قوماً تكلّموا في الله جلّ و عزّ فتاهوا .

١٦ - وأروي عن العالم عليه السلام - وسألته عن شيء من الصفات - فقال : لا تتجاوز ممّا في القرآن .

١٧ - وأروي أنّه قرئ بين يدي العالم عليه السلام قوله : «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار» فقال : إنّما عنى أبصار القلوب وهي الأوهام ، فقال : لا تدرك الأوهام كيفيّته وهو يدرك كلّ وهم ، وأمّا عيون البشر فلا تلحقه ، لأنّه لا يحدّ فلا يوصف ؛ هذا ما نحن عليه كلّنا .

١٨ - **يد** : الدقّاق ، عن الأسديّ ، عن البرمكيّ ، عن الحسين بن الحسن ، عن بكر بن صالح ، عن الحسين بن سعيد قال : سئل أبو جعفر الثاني عليه السلام يجوز أن يقال لله : إنّه شيء ؟ فقال : نعم ، تخرجه من الحدّين : حدّ التعطيل وحدّ التشبيه .[4]

١٩ - **يد** : ابن مسرور ، عن ابن بطّة ، عن عدّة من أصحابه ، عن اليقطينيّ قال : قال لي أبو الحسن عليه السلام : ما تقول : إذا قيل لك : أخبرني عن الله عزّ وجلّ ، أشيء هو أم لا شيء هو ؟ قال : فقلت له : قد أثبت عزّ وجلّ نفسه شيئاً حيث يقول : « قل أيّ شيء أكبر

---

(١) أي تهلك صاحبها وتضلها .

(٢) تقدم الحديث مسنداً تحت رقم ٣ .

(٣) الظاهر أنه قطعة من الحديث السادس .

(٤) الظاهر اتحاده مع ما تقدم تحت رقم ٩ .

شهادة قل الله شهيد بيني و بينكم » فأقول : إنّه شيء لا كالأشياء ؛ إذ في نفي الشيئيّة عنه إبطاله و نفيه . قال لي : صدقت و أصبت .

ثمّ قال الرضا عليه السلام : للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب : نفي ، و تشبيه ، و إثبات بغير تشبيه ، فمذهب النفي لا يجوز ، و مذهب التشبيه لا يجوز لأنّ الله تبارك و تعالى لا يشبهه شيء ، والسبيل في الطريقة الثالثة إثبات بلا تشبيه .

شي : عن هشام المشرقيّ ، عنه عليه السلام مثله . وزاد في آخره وهو كما وصف نفسه أحد صمد نور .

٢٠ ـ **يد** : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن النضر ، عن يحيى الحلبيّ ، عن ابن مسكان ، عن زرارة قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : إنّ الله تبارك و تعالى خلو من خلقه ، و خلقه خلو منه ، و كلّما وقع عليه اسم شيء ما خلا الله عزّ و جلّ فهو مخلوق ، والله خالق كلّ شيء ، تبارك الّذي ليس كمثله شيء .

يد : حمزة بن محمّد العلويّ ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عليّ بن عطيّة ، عن أبي جعفر عليه السلام مثله إلى قوله : خالق كلّ شيء .

يد : ماجيلويه ، عن عليّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ، عن أبي المعزّا رفعه عن أبي جعفر عليه السلام مثله إلى قوله : فهو مخلوق ما خلا الله عزّ و جلّ .

ايضاح : الخلو بكسر الخاء و سكون اللاّم : الخالي . وقوله عليه السلام : خلو من خلقه أي من صفات خلقه أو من مخلوقاته ، فيدلّ على نفي الصفات الموجودة الزائدة لأنّها لابدّ أن تكون مخلوقة لله تعالى بانضمام المقدّمتين الأخيرتين المبنيّتين على التوحيد ، و اتّصافه بمخلوقه مستحيل لما تقرّر من أنّ الشيء لا يكون فاعلاً و قابلاً لشيء واحد ، و يدلّ أيضاً على بطلان ما ذهب إليه جماعة من كونه تعالى معروضاً لماهيّات الممكنات . وقوله عليه السلام : وخلقه خلو منه أي من صفاته ، أو المراد أنّه لا يحلّ في شيء بوجه من الوجوه ، فينفي كونه عارضاً لشيء أو حالاًّ فيه أو متمكّناً فيه إذ ما من شيء إلّا وهو مخلوق له بحكم المقدّمتين الأخيرتين .

٢١ ـ **يد** : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن

النضر، عن ابن حميد رفعه قال : سئل عليّ بن الحسين عليه السلام عن التوحيد فقال : إنّ الله تعالى علم أنّه يكون في آخر الزمان أقوام متعمّقون فأنزل الله تعالى : «قل هو الله أحد الله الصمد» والآيات من سورة الحديد إلى قوله : «وهو عليم بذات الصدور» فمن رام ماوراء ذلك فقد هلك .

بيان : ظاهره المنع عن التفكّر والخوض في مسائل التوحيد والوقوف مع النصوص ، وقيل : المراد أنّه تعالى بيّن لهم صفاته ليتفكّروا فيها ؛ ولا يخفى بعده .

٢٢ ـ سن : أبي ، عن صفوان ، وابن أبي عمير معاً ، عن عبدالرحمن بن الحجّاج ، عن سليمان بن خالد قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : ياسليمان إنّ الله يقول : «وأنّ إلى ربّك المنتهى» فإذا انتهى الكلام إلى الله فامسكوا .

٢٣ ـ سن : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن محمّد بن يحيى ، عن عبدالرحيم القصير قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن شيء من الصفة فقال : فرفع يديه إلى السماء ثمّ قال : تعالى الله الجبّار ، إنّه من تعاطى ماثمّ هلك . يقولها مرّتين .

بيان : تعالى الله الجبّار أي عن أن يكون له جسم أوصورة أويوصف بصفة زائدة على ذاته ، وأن يكون لصفاته الحقيقيّة بيان حقيقيّ ؛ من تعاطى أي تناول بيان ماثمّ من صفاته الحقيقيّة هلك وضلّ ضلالاً بعيداً .

٢٤ ـ سن : بعض أصحابنا ، عن حسين بن ميّاح ،[1] عن أبيه قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : من نظر في الله كيف هو هلك .

٢٥ ـ سن : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي أيّوب الخزّاز ، عن محمّد بن مسلم قال : قال أبوجعفر عليه السلام : يامحمّد إنّ الناس لايزال لهم المنطق حتّى يتكلّموا في الله ، فإذا سمعتم ذلك فقولوا : لاإله إلّا الله الواحد الّذي ليس كمثله شيء .

---

(١) قال العلامة في القسم الثاني من الخلاصة : الحسين بن مياح ـ بالياء المنقطة تحتها نقطتين المشددة بعد الميم ، والحاء غير المعجمة بعد الالف ـ المدائني ، روى عن أبيه ، قال ابن الغضائري : إنه ضعيف غال انتهى . وقال النجاشي في ترجمة أبيه : مياح المدائني ضعيف جداً له كتاب يعرف برسالة مياح ، وطريقها أضعف منها وهو محمد بن سنان .

بيان : أي إذا سمعتم الكلام في الله فاقتصروا على التوحيد ونفي الشريك منبّهاً على أنّه لايجوز الكلام فيه ، وتبيين معرفته إلّا بسلب التشابه والتشارك بينه وبين غيره ؛ وإذا أجروا الكلام في الجسم والصورة فقولوا ذلك تنزيهاً له عمّا يقولون .

٢٦ ـ **سن** : ابن فضّال ، عن ثعلبة ، عن الحسن الصيقل ، عن محمّد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : تكلّموا فيما دون العرش ، ولا تكلّموا فيما فوق العرش ، فإنّ قوماً تكلّموا في الله فتاهوا ، حتّى كان الرجل ينادى من بين يديه فيجيب من خلفه ،

٢٧ ـ **سن** : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن حفص اخي مرازم ، عن الفضل بن يحيى قال : سأل أبي أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن شيء من الصفة ، فقال : لاتجاوز عمّا في القرآن .

٢٨ ـ **سن** : أبو أيّوب المدنيّ ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن بكير ، عمّن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ ملكاً كان في مجلسه فتناول الربّ تبارك وتعالى ففقد فمايدرى أين هو .

بيان : أي فقد من مكانه سخطاً من الله عليه ؛ أو تحيّر وسار في الأرض فلم يعرف له خبر. وقيل : هو على المعلوم أي ففقد ما كان يعرف وكان لايدري في أيّ مكان هو من الحيرة ؛ ولايخفى مافيه .

٢٩ ـ **سن** : محمّد بن عيسى ، عمّن ذكره رفعه قال : سئل أبوجعفر عليه السلام أيجوز أن يقال لله : أنّه موجود ؟ قال : نعم تخرجه من الحدّين : حدّ الإبطال وحدّ التشبيه .

٣٠ ـ **م** : لقد مرّ أمير المؤمنين عليه السلام على قوم من أخلاط المسلمين ، ليس فيهم مهاجريّ ولا أنصاريّ ، وهم قعود في بعض المساجد في أوّل يوم من شعبان ، وإذاهم يخوضون في أمر القدر وغيره ممّا اختلف الناس فيه ، قدارتفعت أصواتهم واشتدّ فيه جدالهم ، فوقف عليهم وسلّم فردّوا عليه ووسّعوا له ، وقاموا إليه يسألونه القعود إليهم ، فلم يحفل بهم ،[1] ثمّ قال لهم ـ وناداهم ـ : يامعاشر المتكلّمين ألم تعلموا أنّ لله عباداً قد أسكتتهم خشيته من غير عيّ ولابكم ؟ وأنّهم هم الفصحاء البلغاء الألبّاء ،[2] العالمون بالله وأيّامه

(١) أى فلم يبال بهم ولم يهتم لهم .
(٢) الالباء جمع اللبيب : العاقل .

ولكنّهم إذا ذكروا عظمة الله انكسرت ألسنتهم ، وانقطعت أفئدتهم ، وطاشت عقولهم ، وتاهت حلومهم ، إعزازاً لله وإعظاماً وإجلالاً ، فإذا أفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله بالأعمال الزاكية يعدّون أنفسهم مع الظالمين والخاطئين ، وأنّهم برآء من المقصّرين والمفرطين ألا إنّهم لا يرضون الله بالقليل ، ولا يستكثرون لله الكثير ، ولا يدلّون عليه بالأعمال ، فهم إذا رأيتهم مهيّمون مروّعون ، خائفون ، مشفقون ، وجلون ؛ فأين أنتم منهم يا معشر المبتدعين ألم تعلموا أنّ أعلم الناس بالضرر أسكتهم عنه ، وأنّ أجهل الناس بالضرر أنطقهم فيه ؟ .

بيان : لا يدلّون من قولهم : أدلّ عليه أي أوثق بمحبّته فأفرط عليه . والهيام : الجنون من العشق .

٣١ ـ **كش** : عليّ بن محمّد ، عن محمّد بن موسى الهمدانيّ ، عن الحسن بن موسى الخشّاب ، عن غيره ، عن جعفر بن محمّد بن حكيم الخثعميّ قال : اجتمع ابن سالم ، وهشام بن الحكم ، وجميل بن درّاج ، وعبدالرحمن بن الحجّاج ، ومحمّد بن حمران ، وسعيد بن غزوان ، ونحو من خمسة عشر من أصحابنا فسألوا هشام بن الحكم أن يناظر هشام بن سالم فيما اختلفوا فيه من التوحيد ، وصفة الله عزّ وجلّ ، وعن غير ذلك ، لينظروا أيّهم أقوى حجّة ، فرضي هشام بن سالم أن يتكلّم عند محمّد بن أبي عمير ، ورضي هشام بن الحكم أن يتكلّم عند محمّد بن هشام فتكالما وساقا ما جرى بينهما ، وقال : قال عبدالرحمن بن الحجّاج لهشام بن الحكم : كفرت والله بالله العظيم وألحدت فيه ، ويحك ما قدرت أن تشبه بكلام ربّك إلّا العود يضرب به . قال جعفر بن محمّد بن حكيم فكتب إلى أبي الحسن موسى عليه السلام يحكي له مخاطبتهم وكلامهم ، ويسأله أن يعلّمهم ما القول الّذي ينبغي أن يدين الله به من صفة الجبّار فأجابه في عرض كتابه : فهمت رحمك الله ، واعلم رحمك الله أنّ الله أجلّ وأعلى وأعظم من أن يبلغ كنه صفته ، فصفوه بما وصف به نفسه وكفّوا عمّا سوى ذلك .

٣٢ ـ **يد** : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن اليقطينيّ ، عن ابن أبي نجران قال : سألت أبا جعفر الثاني عليه السلام عن التوحيد فقلت : أتوهّم شيئاً ؟ فقال : نعم غير معقول ولا محدود ، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه ، لا يشبهه شيء ولا تدركه الأوهام ، كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يعقل وخلاف ما يتصوّر في الأوهام ؟ إنّما يتوهّم شيء غير معقول ولا محدود .

بيان : اعلم أنّ من المفهومات مفهومات عامّة شاملة لايخرج منها شيء من الأشياء لاذهناً ولاعيناً كمفهوم الشيء والموجود والمخبرعنه ، وهذه معان اعتباريّة يعتبرها العقل لكلّ شيء ؛ إذاتقرّر هذا فاعلم : أنّ جماعة من المتكلّمين ذهبوا إلى مجرّد التعطيل ، و منعوا من إطلاق الشيء والموجود و أشباههما عليه ، محتجّين بأنّه لو كان شيئاً شارك الأشياء في مفهوم الشيئيّة وكذا الموجود وغيره . و ذهب إلى مثل هذا بعض معاصرينا فحكم بعدم اشتراك مفهوم من المفهومات بين الواجب والممكن ، وبأنّه لايمكن تعقّل ذاته وصفاته تعالى بوجه من الوجوه ، وبكذب جميع الأحكام الايجابيّة عليه تعالى . و يردّ قولهم الأخبار السالفة ، وبناء غلطهم على عدم الفرق بين مفهوم الأمر ومـا صدق عليه ، وبين الحمل الذاتيّ والحمل العرضيّ ، و بين المفهومات الاعتباريّة و الحقـائق الموجودة .

فأجاب عليه السلام بأنّ ذاته تعالى وإن لم يكن معقولاً لغيره ولامحدوداً بحدّ إلّا أنّه ممّا يصدق عليه مفهوم شيء ، لكن كلّ مايتصوّر من الأشياء فهو بخلافه لأنّ كلّ مايقع في الأوهام والعقول فصورها الإدراكيّة كيفيّات نفسانيّة ، وأعراض قائمة بالذهن ، و معانيها ماهيّات كلّيّة قابلة للاشتراك والانقسام فهو بخلاف الأشياء .[1]

﴿باب ١٠﴾

﴿أدنى مايجزى من المعرفة في التوحيد ، وانه لايعرف الله الابه﴾

١ ـ **يد** ، **ن** : ماجيلويه ، عن عليّ بن إبراهيم ، عن مختار بن محمّد بن مختار الهمدانيّ ، عن الفتح بن يزيد الجرجانيّ ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : سألته عن أدنى المعرفة فقال : الإقرار بأنّه لا إله غيره ، ولاشبه له ولانظير له ، وأنّه قديم مثبت ، موجود غير فقيد ، وأنّه ليس كمثله شيء .

(١) اعلم أن هذا الخبر ومايساوقه في البيان من اخبار التوحيد من غرر الاخبار الواردة عن معادن العلم والحكمة ـ عليهم السلام ـ . وماذكره المصنف في هذا البيان ومايشابهه من البيانات متألفة من مقدمات كلامية أوفلسفية عامية غيروافية لايضاح تمام المراد منها وإن لم تكن أجنبية عنها بالكلية ، ولبيان لب المراد منها مقام آخر . ط

بيان : قوله عليه السلام : موجود إمّا من الوجود أو من الوجدان أي معلوم . وكذا **قوله** : غير فقيد أي غير مفقود زائل الوجود ، أو لا يفقده الطالب . وقيل : أي غير مطلوب عند الغيبة حيث لا غيبة له .

٢ ـ **يد** ، **ن** : الدقّاق ، عن محمّد الأسديّ ، عن البرمكيّ ، عن الحسين بن الحسن ، عن بكر بن زياد ، عن عبدالعزيز بن المهتديّ قال : سألت الرضا عليه السلام عن التوحيد ، فقال : كلّ من قرأ قل هو الله أحد وآمن بها فقد عرف التوحيد . قلت : كيف يقرأها ؟ قال : كما يقرأها الناس . وزاد فيه : كذلك الله ربّي ، كذلك الله ربّي ، كذلك الله ربّي .

٣ ـ **يد** : الدقّاق والورّاق معاً ، عن الصوفيّ ، عن الرويانيّ ، عن عبدالعظيم الحسنيّ قال : دخلت على سيّدي عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام فلمّا بصربي قال لي : مرحباً بك يا أبا القاسم أنت وليّنا حقّاً . قال : فقلت له : يا ابن رسول الله إنّي اُريد أن أعرض عليك ديني ، فإن كان مرضيّاً ثبتت عليه حتّى ألقى الله عزّ وجلّ . فقال : هاتها أبا القاسم .

فقلت : إنّي أقول : إنّ الله تبارك وتعالى واحد ليس كمثله شيء ، خارج من الحدّين : حدّ الإبطال ، وحدّ التشبيه ، وأنّه ليس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا جوهر ، بل هو مجسّم الأجسام ، ومصوّر الصور ، وخالق الأعراض والجواهر ، وربّ كلّ شيء ومالكه وجاعله ومحدثه ، وإنّ محمّداً عبده ورسوله خاتم النبيّين فلا نبيّ بعده إلى يوم القيامة ، وأقول : إنّ الإمام والخليفة ووليّ الأمر بعده أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، ثمّ الحسن ، ثمّ الحسين ، ثمّ عليّ بن الحسين ، ثمّ محمّد بن عليّ ، ثمّ جعفر بن محمّد ، ثمّ موسى ابن جعفر ، ثمّ عليّ بن موسى ، ثمّ محمّد بن عليّ ، ثمّ أنت يا مولاي .

فقال عليه السلام : ومن بعدي الحسن ابني ، فكيف للناس بالخلف من بعده ؟ قال : فقلت : وكيف ذلك يا مولاي ؟ قال : لأنّه لا يرى شخصه ولا يحلّ ذكره باسمه حتّى يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

قال : فقلت : أقررت وأقول : إنّ وليّهم وليّ الله ، وعدوّهم عدوّ الله ، وطاعتهم طاعة الله ، ومعصيتهم معصية الله ، وأقول : إنّ المعراج حقّ ، والمسائلة في القبر حقّ ، وإنّ

الجنّة حقّ، والنار حقّ، والصراط حقّ، والميزان حقّ، وإنّ الساعة آتية لاريب فيها وإنّ الله يبعث من في القبور؛ وأقول: إنّ الفرائض الواجبة بعد الولاية الصلاة، والزكاة، والصوم، والحجّ، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

فقال عليّ بن محمّد عليه السلام: يا أبا القاسم هذا والله دين الله الّذي ارتضاه لعباده، فاثبت عليه ثبّتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

٤ ـ يد: ماجيلويه، عن عمّه، عن محمّد بن عليّ القرشيّ، عن محمّد بن سنان، عن محمّد بن يعلى الكوفيّ، عن جويبر، عن الضحّاك، عن ابن عبّاس قال: جاء أعرابيّ إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله علّمني من غرائب العلم. قال: ما صنعت في رأس العلم حتّى تسأل عن غرائبه؟ قال الرجل: ما رأس العلم يا رسول الله؟ قال: معرفة الله حقّ معرفته. قال الأعرابيّ: وما معرفة الله حقّ معرفته؟ قال: تعرفه بلا مثل ولا شبه ولا ندّ، وأنّه واحد أحد ظاهر باطن أوّل آخر، لا كفو له ولا نظير، فذلك حقّ معرفته.

بيان: الندّ بالكسر: المثل.

٥ ـ يد: أبي و ابن الوليد معاً، عن محمّد العطّار، و أحمد بن إدريس معاً، عن الأشعريّ، عن بعض أصحابنا، عن محمّد بن عليّ الطاحن، عن طاهر بن حاتم بن ماهويه قال: كتبت إلى الطيّب ـ يعني أبا الحسن عليه السلام ـ ما الّذي لا يجتزى في معرفة الخالق جلّ جلاله بدونه؟ فكتب عليه السلام:

ليس كمثله شيء، لم يزل سميعاً وعليماً وبصيراً، وهو الفعّال لما يريد.[1]

---

(١) رواه الكليني في الكافي في باب أدنى المعرفة عن علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن طاهر بن حاتم في حال استقامته. اقول: قوله: في حال استقامته إشارة إلى تغير حاله، لانه كان مستقيما ثم تغير وأظهر القول بالغلو، نص على ذلك الشيخ في الفهرست حيث قال: طاهر بن حاتم بن ماهويه كان مستقيماً ثم تغير وأظهر القول بالغلو، وله روايات، أخبرنا برواياته حال استقامته جماعة عن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، ومحمد بن الحسن، عن عبدالله بن جعفر الحميري، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن طاهر بن حاتم في حال استقامته. انتهى. وقال النجاشي: طاهر بن حاتم بن ماهويه القزويني أخو فارس بن حاتم كان صحيحاً ثم خلط عليه الخ.

بيان : المشهور أنّ الكاف زائدة ، وقيل : أي ليس مثل مثله شيء فيدلّ على نفي مثله بالكناية الّتي هي أبلغ ، لأنّه مع وجود المثل يكون هو مثل مثله ، أو المعنى : أنّه ليس مايشبه أن يكون مثلاً له فكيف مثله حقيقة .

٦ ـ يد : الدقّاق ، عن الكلينيّ ، عن محمّد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن صفوان بن يحيى ، عن منصور بن حازم قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام إنّي ناظرت قوماً فقلت لهم : إنّ الله أكرم و أجلّ من أن يعرف بخلقه ، بل العباد يعرفون بالله (١) . فقال : رحمك الله .

٧ ـ يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن ابن أبي عمير ، عن محمّد بن حمران ، عن الفضل بن السكن ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : اعرفوا الله بالله ، والرسول بالرسالة ، وأُولي الأمر بالمعروف والعدل والإحسان . (٢)

٨ ـ يد : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن البرقيّ ، عن بعض أصحابنا ، عن عليّ بن عقبة رفعه قال : سئل أمير المؤمنين عليه السلام بم عرفت ربّك ؟ فقال : بما عرّفني نفسه . قيل :

---

(١) على صيغة المعلوم أى العباد يعرفون الله بالله ، أى يعرفون الله بتوفيقه وهدايته ، أو بما وصف نفسه وعرفهم من الصفات اللائقة بجماله وجلاله ، أو يكون الاشارة إلى البرهان المسمى ببرهان الصديقين الذى هو أشرف البراهين وأسدها ، و هو الاستدلال به تعالى عليه ، و الاستشهاد بذاته تعالى على صفاته ، و بصفاته على أفعاله « أو لم يكف بربك أنه على كل شيء قدير » . ولعله إليه أشار الامام زين العابدين عليه السلام بقوله : بك عرفتك وأنت دللتنى عليك ، ودعوتنى إليك ، ولولا أنت لم أدر ما أنت . وبقوله : يا غفار بنورك اهتدينا . وتأتى هذه الاحتمالات فى قوله : اعرفوا الله بالله . أو على صيغة المجهول ويكون المراد ـ على ما قيل ـ أنه تعالى لا يعرف حق المعرفة إلى خلقه والاستدلال بهم عليه ، بل الخلق يعرفون بنور ربهم ، كما تعرف الذرات بنور الشمس دون العكس ، وليس نور الله فى آفاق النفوس بأقل من نور الشمس فى آفاق السماء ، قال عزمن قائل : « وأشرقت الارض بنور ربها » فضوؤه قاطع لرين أرباب الضمائر ، ونوره ساطع فى أبصار أصحاب البصائر .

(٢) رواه الكلينى فى الكافى ـ فى باب أنه لا يعرف إلا به ـ عن على بن محمد ، عمن ذكره ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن حمران ، عن الفضل بن السكن ، عن أبى عبدالله عليه السلام . وقال فى ذيله : يعنى ان الله خلق الاشخاص والانوار والجواهر والاعيان . إلى آخر ما يأتى ذيل الخبر الاتى من الصدوق ، وظاهره أن المعنى من الكلينى لا من الامام عليه السلام .

وكيف عرّفك نفسه ؟ فقال : لاتشبهه صورة ،(١) ولايحسّ بالحواسّ، ولايقاس بالناس ، قريبٌ في بُعده ، بعيدٌ في قربه ، فوق كلّ شيء ولايقال شيء فوقه ، أمام كلّ شيء ولا يقال له ، أمام ، داخل في الأشياء لاكشيء في شي داخل ، و خارج من الأشياء لاكشيء من شيء خارج ، سبحان من هو هكذا ولاهكذا غيره ، ولكلّ شيء مبدأ .(٢)

سن : بعض أصحابنا ، عن صالح بن عقبة ، عن قيس بن سمعان ، عن أبي ربيحة - مولى رسول الله صلّى الله عليه وآله -(٣) رفعه قال : سئل أمير المؤمنين عليه السلام وذكر مثله .

بيان : قريب من حيث إحاطة علمه وقدرته بالكلّ . في بعده أي مع بعده عن الكلّ من حيث المباينة في الذات والصفات فظهر أنّ قربه ليس بالمكان ، بعيد عن إحاطة العقول والأوهام والأفهام به مع قربه حفظاً وتربيةً ولطفاً ورحمةً ، وقدس سرّه أنّه يحتمل أن يكون إشارة إلى أنّ جهة قربه أي بالعلّيّة واحتياج الكلّ إليه هي جهة بعده عن مشابهة مخلوقاته إذ الخالق لايشابه المخلوق ، وكذا العكس . فوق كلّ شيء أي بالقدرة والقهر والغلبة ، و بالكمال والاتّصاف بالصفات الحسنة ، ولايقال : شيء فوقه في الأمرين ، وفيه إشعار بأنّه ليس المراد به الفوقيّة بحسب المكان وإلّا لأمكن أن يكون شيء فوقه . أمام كلّ شيء أي علّة كلّ شيء و مقدّم عليها ، ويحتاج إليه كلّ موجود ، و يتضرّع إليه و يعبده كلّ مكلّف ، أو كلّ شيء متوجّه نحوه في الاستكمال ، والتشبّه به في صفاته الكماليّة ؛ و

---

(١) وفي نسخة : لايشبهه صورة .

(٢) وفي نسخة : ولكل شيء مبتدء .

(٣) هكذا في البحار والمحاسن المطبوعين . والصحيح - كما في الكافي - : علي بن عقبة بن قيس بن سمعان بن أبي ربيحة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله . فالسند مصحف بتبديل « ابن » « بعن » في موضعين وتبديل « علي » « بصالح » . وضبط عقبة بضم العين المهملة ، وسكون القاف ، وفتح الباء ثم الهاء . واختلف في ضبط ربيحة . قال الفاضل المامقاني في رجاله : ربيحة بالراء المهملة المضمومة ، والباء الموحدة المفتوحة ، والمثناة الساكنة ، والحاء المهملة المفتوحة ، والهاء . وفي بعض النسخ : زنحة بالزاي والنون والحاء المهملة ، وعن بعض كتب الرجال : بريحة بالباء الموحدة ثم الراء المهملة ، وقيل : إن نسخ الكافي في كتاب التوحيد : أبو بريحة بالباء الموحدة المضمومة ، والراء المفتوحة و الياء المثناة من تحت بعدها حاء مهملة ، وكذا ضبطه في الايضاح وقال : كذا وجدناها معربة في كتاب البرقي . انتهى .

الكلام في قوله : ولايقال له : أمام كمامرّ. داخل في الأشياء أي لايخلو شيء من الأشياء ولاجزءٌ من الأجزاء عن تصرّفه وحضوره العلميّ وإفاضة فيضه وجوده عليه ، لاكدخول الجزء في الكلّ ، ولاكدخول العارض في المعروض ، ولاكدخول المتمكّن في المكان . خارج من الأشياء بتعالي ذاته عن ملابستها ومقارنتها والاتّصاف بصفتها و الايتلاف منها ، لا كخروج شيء من شيء بالبعد المكانيّ أوالمحلّيّ . وقوله : ولكلّ شيء مبدء أي علّة في ذواتها وصفاتها كالتعليل لماسبق .

٩ ـ يد : محمّد بن إبراهيم بن اسحاق الفارسيّ ، عن أحمد بن محمّد بن سعيد النسويّ ، عن أحمد بن محمّد بن عبدالله الصغديّ ـ بمرو ـ [١] عن محمّد بن يعقوب بن الحكم العسكريّ ، و أخيه معاذ بن يعقوب ، عن محمّد بن سنان الحنظليّ ، عن عبدالله بن عاصم ، عن عبدالرحمن ابن قيس ، عن ابن هاشم الرمّانيّ ، عن زاذان ، [٢] عن سلمان الفارسيّ رضي الله عنه في حديث طويل يذكر فيه قدوم الجاثليق المدينة مع مائة من النصارى ، وماسأل عنه أبابكر فلم يجبه ، ثمّ اُرشد إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام فسأله عن مسائل فأجابه عنها ، وكان فيماسأله أن قال له : أخبرني عرفت الله بمحمّد ، أم عرفت محمّداً بالله ؟

فقال عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام : ماعرفت الله عزّ وجلّ بمحمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ ولكن عرفت محمّداً بالله عزّ وجلّ ، حين خلقه وأحدث فيه الحدود من طول وعرض فعرفت أنّه مدبّرٌ مصنوعٌ باستدلال و إلهام منه و إرادة ، كما ألهم الملائكة طاعته و عرّفهم نفسه بلاشبه ولاكيف . والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

وحدّثنا عليّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقّاق رحمه الله قال : سمعت محمّد بن يعقوب يقول : معنى قوله : اعرفوا الله بالله يعني أنّ الله عزّ وجلّ خلق الأشخاص والألوان و الجواهر والأعيان ، فالأعيان : الأبدان ، والجواهر : الأرواح ، وهو جلّ وعزّ لايشبه

(١) قال الفيروز آبادى : صغد بالضم : موضع بسمرقند ، وموضع ببخارا .

(٢) بالزاى المعجمة والالف والذال المعجمة والالف والنون ، عده الشيخ من أصحاب أمير المومنين عليه السلام وقال : يكنى أبا عمرة الفارسى . وعدّه العلامة فى خاتمة القسم الاول من الخلاصة من خواص أمير المؤمنين عليه السلام من مضر ، ولكن كناه بأبى عمرو الفارسى .

جسماً ولا روحاً ، وليس لأحد في خلق الروح الحسّاس الدرّاك أثرٌ ولاسببٌ ، هو المتفرّد بخلق الأرواح والأجسام ، فمن نفى عنه الشبهين : شبه الأبدان وشبه الأرواح فقد عرف الله بالله ، ومن شبّهه بالروح أو البدن أو النور فلم يعرف الله بالله .

أقول : قال الصدوق رحمه الله في كتاب التوحيد : القول الصواب في هذا الباب هو أن يقال : عرفنا الله بالله ، [1] لأنّا إن عرفناه بعقولنا فهو عزّ وجلّ واهبها ، وإن عرفناه عزّ وجلّ بأنبيائه و رسله وحججه عليهم السلام فهو عزّ وجلّ باعثهم و مرسلهم و متّخذهم حججاً ، وإن عرفناه بأنفسنا فهو عزّ وجلّ محدثنا فبه عرفناه ؛ وقد قال الصادق عليه السلام : لولا الله ماعرفناه ، ولولا نحن ماعرف الله . ومعناه : لولا الحجج ماعرف الله حقّ معرفته ، و لولا الله ماعرف الحجج . وقد سمعت بعض أهل الكلام يقول : لو أنّ رجلاً ولد في فلاة من الأرض ولم ير أحداً يهديه ويرشده حتّى كبر وعقل ونظر إلى السماء والأرض لدلّه ذلك على أنّ لهما صانعاً ومحدثاً . فقلت : إنّ هذا شيء لم يكن ، وهو إخبار بمالم يكن ان لو كان كيف كان يكون ، ولو كان ذلك لكان لايكون ذلك الرجل إلّا حجّة الله - تعالى ذكره - على نفسه كما في الأنبياء عليهم السلام ، منهم من بُعث إلى نفسه ، ومنهم من بُعث إلى أهله وولده ، ومنهم من بعث إلى أهل محلّته ، ومنهم من بعث إلى أهل بلده ، ومنهم من بعث إلى الناس كافّة .

وأمّا استدلال إبراهيم الخليل عليه السلام بنظره إلى الزهرة ، ثمّ إلى القمر ، ثمّ إلى الشمس ، وقوله - فلمّا أفلت - : ياقوم إنّي بريء ممّا تشركون فإنّه عليه السلام كان نبيّاً ملهماً مبعوثاً مرسلاً ، وكان جميع قوله إلى آخره بإلهام الله عزّ وجلّ إيّاه ، وذلك قوله عزّ وجلّ : «وتلك حجّتنا آتيناها إبراهيم على قومه» وليس كلّ أحد كإبراهيم عليه السلام ؛ ولو استغني في معرفة التوحيد بالنظر عن تعليم الله عزّ وجلّ وتعريفه لما أنزل الله عزّ وجلّ ما أنزل من قوله : فاعلم أنّه لا إله إلّا الله ، ومن قوله : قل هو الله أحد إلى آخره ؛ ومن قوله : بديع السموات و الأرض أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ، إلى قوله : وهو اللّطيف الخبير ، وآخر الحشر وغيرها من آيات التوحيد .

---

(١) سيجيىء حق معنى معرفة الله بالله في رواية عبدالاعلى على نحو الاشارة ، وأما ماذكره رحمه الله زعماً منه أن المعرفة مستندة إلى الله وليست بمكتسبة فبمعزل عن مراد الرواية . ط

تبيين و تحقيق : اعلم أنّ هذه الأخبار لاسيّما خبر ابن السكن تحتمل وجوهاً :
الأوّل : أن يكون المراد بالمعرّف به ما يعرف الشيء به بأنّه هو هو فمعنى اعرفوا الله بالله : اعرفوه بأنّه هو الله مسلوباً عنه جميع ما يعرف به الخلق من الجواهر والأعراض ومشابهته شيء منها ، وهذا هو الّذي ذكره الكلينيّ رحمه الله ، و على هذا فمعنى قوله : والرسول بالرسالة : معرفة الرسول بأنّه اُرسل بهذه الشريعة وهذه الأحكام ، وهذا الدين ، وهذا الكتاب ، و معرفة كلّ من اُولي الأمر بأنّه الآمر بالمعروف ، والعالم العامل به ، و بالعدل أي لزوم الطريقة الوسطى في كلّ شيء ، والإحسان أي الشفقة على خلق الله و التفضّل عليهم و دفع الظلم عنهم . أو المعنى : اعرفوا الله بالله أي بما يناسب اُلوهيّته من التنزيه والتقديس ، والرسول بما يناسب رسالته من العصمة والفضل والكمال ، واُولي الأمر بما يناسب درجتهم العالية الّتي هي الرئاسة العامّة للدنيا والدين ، وبما يحكم العقل به من اتّصاف صاحب تلك الدرجة القصوى به من العلم والعصمة والفضل والمزيّة على من سواه ؛ ويحتمل أن يكون الغرض عدم الخوض في معرفته تعالى ورسوله وحججه بالعقول الناقصة فينتهي إلى نسبة مالايليق به تعالى إليه ، و إلى الغلوّ في أمر الرسول و الأئمّة صلوات الله عليهم .

وعلى هذا يحتمل وجهين : الأوّل أن يكون المراد : اعرفوا الله بعقولكم بمحض أنّه خالقٌ إله ، والرسول بأنّه رسول أرسله الله إلى الخلق ، واُولي الأمر بأنّه المحتاج إليه لإقامة المعروف والعدل والإحسان ، ثمّ عوّلوا في صفاته تعالى و صفات حججه عليهم السلام على ما بيّنوا ووصفوا لكم من ذلك ولا تخوضوا فيها بعقولكم والثاني أن يكون المعنى : اعرفوا الله بما وصف لكم في كتابه وعلى لسان نبيّه ، والرسول بما أوضح لكم من وصفه في رسالته إليكم ، والإمام بما بيّن لكم من المعروف والعدل والإحسان كيف اتّصف بتلك الأوصاف والأخلاق الحسنة . ويحتمل الأخيرين وجهاً ثالثاً ، و هو أن يكون المراد لاتعرفوا الرسول بما يخرج به عن الرسالة إلى درجة الاُلوهيّة ، وكذا الإمام .

الثاني : أن يكون المراد بما يعرف به مايعرف باستعانته من قوى النفس العاقلة و المدركة ومايكون بمنزلتها ويقوم مقامها ، فمعني اعرفوا الله بالله : اعرفوه بنور الله المشرق

على القلوب بالتوسّل إليه والتقرّب به، فإنّ العقول لاتهتدي إليه إلّا بأنوار فيضه تعالى واعرفوا الرسول بتكميله إيّاكم برسالته، وبمتابعته فيما يؤدّي إليكم من طاعة ربّكم فإنّها توجب الروابط المعنويّة بينكم وبينه، وعلى قدر ذلك يتيسّر لكم من معرفته، وكذا معرفة اُولي الأمر إنّما تحصل بمتابعتهم في المعروف والعدل والإحسان و باستكمال العقل بها.

الثالث: أن يكون المرادما يعرف بها من الأدلّة والحجج، فمعنى اعرفوا الله بالله أنّه إنّما تتأتّى معرفته لكم بالتفكّر فيما أظهر لكم من آثار صنعه وقدرته وحكمته بتوفيقه وهدايته، لا بما اُرسل به الرسول من الآيات والمعجزات فإنّ معرفتها إنّما تحصل بعد معرفته تعالى، واعرفوا الرسول بالرسالة أي بما اُرسل به من المعجزات والدلائل أو بالشريعة المستقيمة الّتي بعث بها، فإنّها لانطباقها على قانون العدل والحكمة يحكم العقل بحقّيّة من اُرسل بها، واعرفوا اُولي الأمر بعلمهم بالمعروف، وإقامة العدل و الإحسان، وإتيانهم بها على وجهها، وهذا أقرب الوجوه؛ ويؤيّده خبر سلمان وكذا خبر ابن حازم، إذ الظاهر أنّ المراد به أنّ وجوده تعالى أظهر الأشياء، وبه ظهر كلّ شيء، وقد أظهر الآيات للخلق على وجوده وعلمه وقدرته، و أظهر المعجزات حتّى علم بذلك حقّيّة حججه عليهم السلام، فالعباد معروفون به، ولايحتاج في معرفة وجوده إلى بيان أحد من خلقه. ويمكن أن يقرأ «يعرفون» على بناء المعلوم أيضاً.

وأمّا ماذكره الصدوق رحمه الله فيرجع إلى أنّ المعنى أنّ جميع مايعرف الله به ينتهي إليه سبحانه. ويرد عليه أنّه على هذا تكون معرفة الرسول واُولي الأمر أيضاً بالله فما الفرق بينهما وبين معرفة الله في ذلك؟ وأيضاً لايلائمه قوله: اعرفوا الله بالله، إلّا أن يقال: الفرق باعتبار أصناف المعرفة، فالمعرفة بالرسالة صنف من المعرفة بالله، والمعرفة بالمعروف صنف آخر منها، ومعرفة الله فيها أصناف لااختصاص لها بصنف، والمراد باعرفوا الله بالله: حصّلوا معرفة الله الّتي تحصل بالله؛ هكذا حقّقه بعض الأفاضل. ثمّ إنّ في كلامه تشويشاً وتناقضاً، ولعلّ مراده أخيراً نفي معرفة صفاته الكماليّة حقّ معرفتها بدون إرسال الرسل ونصب الحجج إلّا أنّ التصديق بوجوده تعالى يتوقّف على ذلك وإن كان بعض كلماته يدلّ عليه.

﴿باب ١١﴾

۞(الدين الحنيف والفطرة وصبغة الله والتعريف في الميثاق)۞

الايات ، البقرة : صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون ١٣٨

الروم : فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله الّتي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكنّ أكثر الناس لايعلمون ٣٠

١ ـ **مع :** أبي ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن اُذينة ، عن زرارة قال : سألت أباجعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : « حنفاء لله غير مشركين به » فقلت : ما الحنيفيّة ؟ قال : هي الفطرة .(١)

بيان : أي الملّة الحنيفيّة هي التوحيد الّذي فطر الله الخلق عليه ، ويؤمي إليه قوله تعالى : «فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله الّتي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم» واختلف في معنى ذلك الفطرة فقيل : المعنى أنّه خلقهم على نوع من الجبلّة والطبع المتهيّأ لقبول الدين ، فلو ترك عليها لاستمرّ على لزومها ، ولم يفارقها إلى غيرها ، و إنّما يعدل عنه من يعدل لآفة من الآفات ، وتقليد الآباء والاُمّهات . وقيل : كلّهم مفطورون على معرفة الله والإقرار به فلاتجد أحداً إلّا وهو يقرّ بأنّ الله تعالى صانع له ، و إن سمّاه بغير اسمه أوعبد معه غيره . وقيل : المعنى أنّه خلقهم لها لأنّه خلق كلّ الخلق لأن يوحّدوه و يعبدوه . قال الجزريّ : فيه : خلقت عبادي حنفاء أي طاهري الأعضاء من المعاصي لأنّه خلقهم كلّهم مسلمين ، لقوله تعالى : « هو الّذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن » .

و قيل : أراد أنّه خلقهم حنفاء مؤمنين لمّا أخذ عليهم الميثاق : «ألست بربّكم قالوا بلى » فلا يوجد أحد إلّا و هو مقرّ بأنّ له ربّاً و إن أشرك به ؛ و الحنفاء جمع

(١) الظاهر أنه متحد مع الحديث الاتي تحت الرقم ١١ و١٢ .

حنيف ، وهو المائل إلى الإسلام الثابت عليه ، و الحنيف عندالعرب من كان على دين إبراهيم ؛ وأصل الحنف : الميل . انتهى .

أقول : الّذي يظهر من الأخبار هوأنّ الله تعالى قرّر عقول الخلق على التوحيد و الإقرار بالصانع في بدء الخلق عند الميثاق ، فقلوب جميع الخلق مذعنة بذلك و إن جحدوه معاندة . وسيأتي تمام الكلام في ذلك في كتاب العدل إن شاءالله تعالى .

٢ ـ **فس** : الحسين بن محمّد ، عن معلّى بن محمّد ، عن محمّد بن جمهور ، عن جعفر بن بشير ، عن عليّ بن أبي حمزة ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : فأقم وجهك للدين حنيفاً قال : الولاية .

٣ ـ **فس** : الحسن بن عليّ بن زكريّا ، عن الهيثم بن عبدالله الرمّانيّ ، عن عليّ ابن موسى الرضا صلوات الله عليه ، عن أبيه ، عن جدّه محمّد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام في قوله : «فطرة الله الّتي فطر الناس عليها » قال : هو لا إله إلّا الله ، محمّد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ عليّ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ إلى ههنا التوحيد .

٤ ـ **يد** أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن محمّد بن سنان ، عن علاء بن الفضيل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن قول الله عزّ وجلّ : «فطرة الله الّتي فطر الناس عليها» قال : التوحيد .

٥ ـ **يد** : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن هاشم ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت : « فطرة الله الّتي فطر الناس عليها » قال : التوحيد .

٦ ـ **يد** : بالإسناد عن ابن هاشم ، وابن يزيد معاً ، عن ابن فضّال ، عن ابن بكير[1] عن زرارة ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : « فطرة الله الّتي فطر الناس عليها » قال : فطرهم على التوحيد .[2]

يد : أبي ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن ابن فضّال ، عن أبي جميلة ، عن محمّد الحلبيّ ، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله .

---

(١) في التوحيد المطبوع : بكير عن زرارة ، والظاهر أنه غير صحيح .

(٢) الظاهر اتحاده مع ما يأتي تحت رقم ٨ و ١٠ و ١٣ .

سن : ابن فضّال ، عن ابن بكير ، عن زرارة مثله .

٧ ـ يد : ابن المتوكّل ، عن عليّ بن إبراهيم ، عن اليقطينيّ ، عن يونس ، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن قول الله عزّ وجلّ : «فطرة الله الّتي فطر الناس عليها» ما تلك الفطرة ؟ قال : هي الإسلام فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد ، فقال : ألست بربّكم و فيهم المؤمن والكافر .

٨ ـ يد : أبي ، عن سعد ، عن أحمد وعبدالله ابني محمّد بن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن ابن رئاب ، عن زرارة قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : «فطرة الله الّتي فطر الناس عليها» قال : فطرهم جميعاً على التوحيد .

٩ ـ يد : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن عليّ بن حسّان ،[1] عن الحسن بن يونس ،[2] عن عبدالرحمن بن كثير ،[3] عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : «فطرة الله الّتي فطر الناس عليها» قال : التوحيد ، ومحمّد رسول الله ، وعليّ أمير المؤمنين .

ير : أحمد بن موسى ، عن الخشّاب ، عن عليّ بن حسّان ، عن عبد الرحمن بن كثير مثله .

١٠ ـ يد : أبي ، عن سعد ، عن أحمد بن محمّد ، عن أبيه ، عن ابن المغيرة ، عن ابن مسكان ، عن زرارة قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : أصلحك الله قول الله عزّ وجلّ في كتابه «فطرة الله الّتي فطر الناس عليها» قال : فطرهم على التوحيد عند الميثاق على معرفته أنّه ربّهم . قلت : وخاطبوه ؟ قال : فطأطأ رأسه ثمّ قال : لولا ذلك لم يعلموا من ربّهم ولا من رازقهم .

---

(١) هو علي بن حسان الواسطي كما في التوحيد المطبوع ، وسيأتي الحديث عنه عن عبدالرحمن بن كثير تحت رقم ١٩ . وستأتي ترجمته ههنا .

(٢) عده الشيخ في رجاله من اصحاب الصادق عليه السلام وظاهره كونه إمامياً .

(٣) مولى عباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس ، كان ضعيفاً ، غمز أصحابنا عليه ، وقالوا : كان يضع الحديث ، له كتاب فضائل سورة إنا أنزلناه ، وكتاب صلح الحسن عليه السلام . وكتاب فدك ، وكتاب الاظلة كتاب فاسد مختلط . قاله النجاشي . و استظهر الوحيد البهبهاني وثاقته من رواية الثقاة كتبه وإيراد المشايخ رواياته في كتب الاخبار واعتناؤهم بها فتأمل .

١١ ـ يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن هاشم ، وابن أبي الخطّاب ، وابن يزيد جميعاً عن ابن أبي عمير ، عن ابن اُذينة ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن قول الله عزّ وجلّ : «حنفاء لله غير مشركين به» وعن الحنيفيّة ، فقال : هي الفطرة الّتي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، قال : فطرهم الله على المعرفة .

قال زرارة : وسألته عن قول الله : « وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم » الآية قال : أخرج من ظهر آدم ذرّيّته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذرّ فعرّفهم وأراهم صنعه و لولا ذلك لم يعرف أحدٌ ربّه . وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : كلّ مولود يولد على الفطرة ، يعني على المعرفة بأنّ الله عزّ وجلّ خالقه ، فذلك قوله : « ولئن سألتهم من خلق السموات و الأرض ليقولنّ الله » .

١٢ ـ سن : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن اُذينة ، عن زرارة قال : سألت أبا جعفر عليه السلام من قول الله : «حنفاء لله غير مشركين به» ما الحنيفيّة ؟ قال : هي الفطرة الّتي فطر الناس عليها ، فطر الله الخلق على معرفته .[١]

١٣ ـ سن : أبي ، عن عليّ بن النعمان ، عن ابن مسكان ، عن زرارة قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : « فطرة الله الّتي فطر الناس عليها » قال : فطرهم على معرفته أنّه ربّهم ، ولولا ذلك لم يعلموا ـ إذا سئلوا ـ من ربّهم ولا من رازقهم .[٢]

١٤ ـ سن : المحسّن بن أحمد ،[٣] عن أبان الأحمر ،[٤] عن أبي جعفر الأحول ، عن محمّد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : عروة الله الوثقى : التوحيد ، والصبغة : الإسلام .

---

(١) الظاهر اتحاده مع صدر الحديث المتقدم .

(٢) الظاهر اتحاد ذلك مع ما تقدم تحت رقم ٦ و٨ و١٠ .

(٣) محسن بفتح السين المشددة كما في المحكي من الايضاح ، و بكسرها كما في المحكي عن تاج العروس هو محسن بن أحمد البجلي يكنى أبا محمد ؛ أورده الشيخ في رجاله في أصحاب الرضا عليه السلام ، و قال النجاشي : محسن بن أحمد القيسي من موالي قيس عيلان ، روى عن الرضا عليه السلام ، أخبرنا محمد بن محمد قال : حدثنا أحمد بن محمد الزراري ، عن علي بن الحسن السعد آبادي ، عن أحمد بن محمد ابن خالد ، عن محسن بن أحمد بكتابه . انتهى . وظاهرهما كون الرجل إماميا .

(٤) هو أبان بن عثمان الاحمر البجلي أبو عبدالله ، عده الكشي من الذين اجتمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنهم .

بيان : قال البيضاوي في قوله تعالى : صبغة الله : أي صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله الّتي فطر الناس عليها ، فإنّها حلية الإنسان ، كما أنّ الصبغة حلية المصبوغ ، أو هدانا هدايته وأرشدنا حجّته ، أو طهّر قلوبنا بالإيمان تطهيره . وسمّاه صبغة لأنّه ظهر أثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ ، وتداخل قلوبهم تداخل الصبغ الثوب ، أو للمشاكلة فإنّ النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمّونه العموديّة ويقولون هو تطهير لهم وبه تحقّق نصرانيّتهم .[١]

١٥ ـ **مع** : أبي ، عن سعد ، عن أحمد بن محمّد ، عن أبيه ، عن فضالة ، عن أبان ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » قال : هي الإسلام .

١٦ ـ **سن** : ابن فضّال ، عن ابن بكير ، عن زرارة قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله : « وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى » قال : ثبتت المعرفة في قلوبهم ، ونسوا الموقف ، وسيذكرونه يوماً ، ولولا ذلك لم يدر أحدٌ من خالقه ولا من رازقه .

١٧ ـ **سن** : البزنطيّ ، عن رفاعة ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله : « وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى » قال : نعم لله الحجّة على جميع خلقه أخذهم يوم أخذ الميثاق هكذا ـ وقبض يده ـ .

١٨ ـ **شف** : من كتاب القاضي القزوينيّ ، عن هارون بن موسى التلعكبريّ عن محمّد بن سهل ، عن الحميريّ ، عن ابن يزيد ، عن عليّ بن حسّان ،[٢] عن عبدالرحمن بن

(١) قال الشيخ الطوسى فى كتابه التبيان ـ بعد ذكر ذلك المعنى من الفراء ـ : وقال قتادة : اليهود تصبغ أبناءها يهودا ، والنصارى تصبغ أبناءها نصارى . فهذا غير المعنى الاول ، و انما معناه أنهم يلقنون أولادهم اليهودية و النصرانية فيصبغونهم بذلك لمايشربون قلوبهم منه ، فقيل : صبغة الله التى أمر بها ورضيها يعنى الشريعة لا صبغتكم . وقال الجبائى : سمى الدين صبغة لانه هيئة تظهر بالمشاهدة من أثر الطهارة والصلاة وغير ذلك من الاثار الجميلة التى هى كالصبغة .

(٢) هو على بن حسان بن كثير الهاشمى مولى عباس بن محمد بن على بن عبدالله بن العباس ابن أخى عبد الرحمن بن كثير ، قال النجاشى : ضعيف جدا ، ذكره بعض أصحابنا فى الغلاة ، فاسد الاعتقاد له كتاب تفسير الباطن تخليط كله . انتهى . وحكى عن ابن الغضائرى أنه لايروى إلا عن عمه . أقول : الظاهر اتحاد الحديث مع ما تقدم فى الباب تحت الرقم ١٠ وتقدم ترجمة عبدالرحمن ههنا .

كثير ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : «فطرة الله الّتي فطر الناس عليها» قال : هي التوحيد ، وأنّ محمّداً رسول الله - صلّى الله عليه وآله - وأنّ عليّاً أمير المؤمنين - عليه السلام - .

١٩ - شي : عن زرارة ، عن أبي جعفر وحمران ، عن أبي عبدالله عليهما السلام قال : الصبغة الإسلام .

٢٠ - شي : عن عبدالرحمن بن كثير ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله : «صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة» قال : الصبغة معرفة أمير المؤمنين عليه السلام بالولاية في الميثاق .

٢١ - شي : عن الوليد ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الحنيفيّة هي الإسلام .

٢٢ - غو : قال النبيّ صلّى الله عليه وآله : كلّ مولود يولد على الفطرة حتّى يكون أبواه يهوّدانه وينصّرانه .[1]

بيان : قال السيّد المرتضى رحمه الله في كتاب الغرر و الدرر - بعد نقل بعض التأويلات عن المخالفين في هذا الخبر - : والصحيح في تأويله أنّ قوله : يولد على الفطرة يحتمل أمرين : أحدهما أن تكون الفطرة ههنا الدين ، ويكون «على» بمعنى اللاّم فكأنّه قال : كلّ مولود يولد للدين ومن أجل الدين ؛ لأنّ الله تعالى لم يخلق من يبلغه مبلغ المكلّفين إلّا ليعبده فينتفع بعبادته ، يشهد بذلك قوله تعالى : «وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون» والدليل على أنّ «على» يقوم مقام اللاّم ما حكاه يعقوب بن السكّيت عن أبي يزيد عن العرب أنّهم يقولون : صف عليّ كذا وكذا حتّى أعرفه ، بمعنى صف لي ، ويقولون: ما أغبطك عليّ يريدون ما أغبطك لي ، والعرب تقيم بعض الصفات مقام بعض ، و إنّما ساغ أن يريد بالفطرة الّتي هي الخلقة في اللّغة الدين من حيث كان هو المقصود بها ؛ وقد يجري على الشيء اسم ماله به هذا الضرب من التعلّق والاختصاص ، وعلى هذا يتأوّل قوله تعالى : «وأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله الّتي فطر الناس عليها» أراد دين الله

---

(١) رواه السيد المرتضى فى أول الجزء الرابع من أماليه مرسلا عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله . ورواه أبو يعلى فى مسنده والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى السنن عن الاسود بن سريع واللفظ هكذا : كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه الخ قاله السيوطى فى ج ٢ ص ٩٤ من الجامع الصغير .

الّذي خلق الخلق له ، وقوله تعالى : «لاتبديل لخلق الله » أراد به أنّ ماخلق الله العباد له من العبادة والطاعه ليس ممّا يتغيّر ويختلف حتّى يخلق قوماً للطاعة و آخرين للمعصية و يجوز أن يريد بذلك الأمر وإن كان ظاهره ظاهر الخبر ، فكأنّه قال : لا تبدّلوا ما خلقكم الله له من الدين والطاعة بأن تعصوا وتخالفوا

و الوجه الآخر في تأويل قوله عليه السلام : الفطرة أن يكون المراد به الخلقة ، و تكون لفظة «على» على ظاهرها لم يرد بها غيره ، ويكون المعنى : كلّ مولود يولد على الخلقة الدالة على وحدانيّة الله تعالى وعبادته والإيمان به ؛ لأنّه جلّ وعزّ قد صوّر الخلق وخلقهم على وجه يقتضي النظر فيه معرفته و الإيمان به ، و إن لم ينظروا و يعرفوا ؛ فكأنّه عليه السلام قال : كلّ مخلوق ومولود فهو يدلّ بخلقته وصورته على عبادة الله تعالى وإن عدل بعضهم فصار يهوديّاً أو نصرانيّاً ، وهذا الوجه أيضاً يحتمله قوله تعالى : فطرة الله الّتي فطر الناس عليها . وإذا ثبت ماذكرناه في معنى الفطرة فقوله عليه الصلاة والسلام : حتّى يكون أبواه يهوّدانه وينصّرانه يحتمل وجهين : أحدهما أنّ من كان يهوديّاً أو نصرانيّاً ممّن خلقته لعبادتي و ديني فإنّما جعله أبواه كذلك ، أومن جرى مجراهما ممّن أوقع له الشبهة و قلّده الضلال عن الدين ، و إنّما خصّ الأبوين لأنّ الأولاد في الأكثر ينشأون على مذاهب آبائهم ويألفون أديانهم ونحلهم ، ويكون الغرض بالكلام تنزيه الله تعالى عن ضلال العباد وكفرهم ، وأنّه إنّما خلقهم للإيمان فصدّهم عنه آباؤهم ، أومن جرى مجراهم . والوجه الآخر: أن يكون معنى يهوّدانه وينصّرانه أي يلحقانه بأحكامهما ، لأنّ أطفال أهل الذمّة قد ألحق الشرع أحكامهم بأحكامهم فكأنّه عليه السلام قال : لاتتوهّموا من حيث لحقت أحكام اليهود والنصارى أطفالهم أنّهم خلقوا لدينهم بل لم يخلقوا إلّا للإيمان والدين الصحيح ، لكن آباؤهم هم الّذين أدخلوهم في أحكامهم ؛ وعبّر عن إدخالهم في أحكامهم بقوله : يهوّدانه وينصّرانه .

﴿ باب ١٢ ﴾

☼(اثبات قدمه تعالى و امتناع الزوال عليه)☼

١ ـ **لي** : ابن المتوكّل ، عن السعدآباديّ ، عن البرقيّ ، عن البزنطيّ ،[1] عن أبي الحسن الموصليّ ، عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال : جاء حبر من الأحبار إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين متى كان ربّك ؟ فقال له : ثكلتك اُمّك ومتى لم يكن حتّى يقال : متى كان ، كان ربّي قبل القبل بلا قبل ، ويكون بعد البعد بلا بعد ، ولا غاية ولا منتهى لغايته ، انقطعت الغايات عنه فهو منتهى كلّ غاية .

ج : مرسلاً بزيادة قوله : فقال : يا أمير المؤمنين أفنبيٌّ أنت ؟ فقال : ويلك إنّما أنا عبد من عبيد محمّد صلّى الله عليه وآله .

يد : بالإسناد المتقدّم مع تلك الزيادة .

وقال الصدوق بعده : يعني بذلك عبد طاعة لاغير ذلك .

بيان : لمّا كان «متى كان» سؤالاً عن الزمان المخصوص من بين الأزمنة لوجوده ، ولا يصحّ فيما لا اختصاص لزمان به أجابه عليه السلام بقوله : متى لم يكن حتّى يقال متى كان ، ونبّه على بطلان الاختصاص الّذي اخذ في السؤال ، ثمّ بيّن عليه السلام سرمديّته ، فقال : كان ربّي قبل القبل أي هو قبل كلّ ماهو قبل شيء ولا قبل بالنسبة إليه ، وبعد كلّ ماهو بعد شيء ولاشيء بعده ، أو هو قبل الموصوف بالقبليّة والبعديّة لذاته أي الزمان وبعده بلازمان إذ هو مبدأ كلّ شيء وغايةٌ له ، والغاية : نهاية الامتداد ، وقد يطلق على نفس الامتداد ، والمعنى : أنّه لاغاية لوجوده وسائر كمالاته أزلاً وأبداً ، ولعلّ المراد بها ثانياً نفس الامتداد أي ليس لما يتوهّم له من الامتداد نهاية .

---

(١) في بعض نسخ الكافي : عن أبي إبراهيم ، عن أبي الحسن الموصلي . ولعله كان بدلا عن أبي الحسن ، لان المكرر في أسناد الكافي رواية البزنطي عن أبي الحسن الموصلي بدون واسطة ، ولم نعرف لابي الحسن هذا إسماً ، واحتمال كونه كنية لعبد العزيز بن عبدالله بن يونس الموصلي لايلائم رواية التلعكبري عنه ، وسماعه منه في سنة ست وعشرين وثلاثمائة ، مع كون الرجل راويا عن أبي عبدالله عليه السلام .

ويحتمل أن يكون المراد بها أوّلاً أيضاً الامتداد فيكون مجروراً أي بلاامتداد زمانيّ ، ويحتمل أن يكون المراد بها ثانياً أيضاً النهاية ، أي كلّ ما توهّمت أنّه غاية له فهو موجود بعده ، ولا ينتهي إليه وجوده فكلّ غاية أي امتداد أو نهاية ينقطع عنه لوجوده تعالى قبله وبعده فهو منتهى كلّ غاية أي بعدها ، أوهو علّة لها وإليه ينتهي وجودها ، فكيف تكون غاية له ؟ ويحتمل أن يكون المراد بالغايات نهايات أفكار العارفين فإنّها منقطعة عنه لا تصل إليه ، وبكونه منتهى كلّ غاية أنّه منتهى رغبات الخلائق و حاجاتهم ، ويمكن أن يحمل الغاية في الأخيرتين على العلّة الغائيّة أيضاً ، والله يعلم .

٢ ـ مع : ابن المتوكّل ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن اُذينة ، عن محمّد بن حكيم ، عن ميمون البان[1] قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام ـ وقد سئل عن قوله جلّ وعزّ : «هو الأوّل والآخر» ـ فقال : الأوّل لاعن أوّل قبله ولاعن بدء سبقه ، وآخر لا عن نهاية كما يعقل من صفات المخلوقين ، ولكن قديم أوّل آخر ، لم يزل و لا يزال بلا بدء ولا نهاية ، لايقع عليه الحدوث ، ولا يحول من حال إلى حال ، خالق كلّ شيء .

بيان : لا عن أوّل قبله أي لا مبتدء عن أوّل يكون قبله زماناً ولاعن بدء على وزن فعل ، أو بديء على وزن فعيل أي مبتدأ سبقه رتبة بالعلّيّة . وقوله : لاعن نهاية أي لامعها مجازاً . ويحتمل أن تكون «عن» تعليليّة أي ليست آخريّته بسبب أنّ له نهاية بعد نهاية غيره . وقوله : لايقع عليه الحدوث ناظر إلى الأوّل . وقوله عليه السلام : ولايحول من حال إلى حال ناظر إلى الآخر أي آخريّته بأنّه أبديّ بجميع صفاته لا يعتريه تغيّر في شيء من ذلك . وسيأتي تحقيقه في باب الأسماء

٣ ـ ج : سأل نافع بن الأزرق أباجعفر عليه السلام قال : أخبرني عن الله عزّ وجلّ متى كان ؟ فقال له : ويلك أخبرني أنت متى لم يكن حتّى اُخبرك متى كان ؟[2] سبحان من

(١) بالباء الموحدة والالف والنون المخففة ، عده الشيخ في رجاله من أصحاب السجاد والصادقين عليهم السلام ، وظاهره كونه اماميا الا أنه مجهول .

(٢) لان ما يصح أن يسئل عن وجوده «بمتى» يصح أن يسئل عن عدمه أيضا بذلك ، فما لا يصح أن يسئل عن عدمه بمتى ، لايصح أن يسئل عن وجوده أيضا بذلك . والله تبارك و تعالى حيث لم يكن زمانيا ـ بل يكون وجوده أزليا غير مسبوق بالعدم وأبديا غير ملحوق به ـ فلايصح أن يسئل عن وجوده أو عدمه بمتى .

لم يزل ولا يزال فرداً صمداً لم يتّخذ صاحبة و لا ولداً .

يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن الثمالي مثله .

فس : أبي ، عن ابن محبوب ، عن الثمالي ، عن أبي الربيع مثله .

٤ ـ يد : أبي ، عن سعد ، عن محمّد بن الحسين ، عن محمّد بن سنان ، عن إسحاق بن حرث ،[1] عن أبي بصير قال : أخرج أبوعبدالله عليه السلام حقّاً[2] فأخرج منه ورقة فإذا فيها: سبحان الواحد الّذي لا إله غيره ،[3] القديم المبدئ الّذي لابدء له ، الدائم الّذي لانفاد له ، الحيّ الّذي لايموت ، الخالق مايرى ومالايرى ، العالم كلّ شيء بغير تعليم ، ذلك الله الّذي لاشريك له .

٥ ـ يد : ابن المتوكّل ، عن محمّد العطّار ، عن محمّد بن أحمد ، عن عبدالله بن محمّد ، عن عليّ بن مهزيار قال : كتب أبوجعفر عليه السلام إلى رجل بخطّه ـ وقرأته ـ في دعاء كتب به أن يقول : ياذا الّذي كان قبل كلّ شيء ، ثمّ خلق كلّ شيء ، ثمّ يبقى ويفنى كلّ شيء ، وياذا الّذي ليس في السماوات العلى ولا في الأرضين السفلى ولا فوقهنّ ولا بينهنّ ولاتحتهنّ إله يعبد غيره .

٦ ـ يد : محمّد بن الفضل بن محمّد بن إسحاق المذكّر ، عن إبراهيم بن محمّد بن سفيان ، عن عليّ بن سلمة اللّبقيّ ،[4] عن إسماعيل بن يحيى ، عن عبدالله بن عبدالله بن طلحة ، عن سعد بن سنان ،[5] عن الضحّاك ، عن النزال بن سبرة قال : جاء يهوديّ إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين متى كان ربّنا ؟ قال : فقال له عليّ عليه السلام : إنّما يقال : متى كان لشيء لم يكن فكان ، و ربّنا هو كائن بلا كينونة كائن ، كان بلا كيف يكون ، كان لم

---

(١) لم نجد له ذكراً في كتب التراجم .

(٢) في القاموس الحقه ـ بالضم ـ : وعاء من خشب .

(٣) وفي نسخة : فاذا فيها سبحان الله الواحد الذي لااله غيره .

(٤) في التوحيد المطبوع : علي بن سلمة الليقي .

(٥) الاسناد في التوحيد المطبوع هكذا : إسماعيل بن يحيى بن عبدالله ، عن عبدالله بن طلحة بن هجيم قال : حدثنا ابن (أبو) سنان (أبوسفيان) الشيباني سعيد بن سنان الخ أقول : رجال الحديث كلها من العامة .

يزل بلالم يزل وبلا كيف يكون تبارك وتعالى ليس له قبل هو قبل القبل بلاقبل وبلاغاية ولامنتهى غاية ولاغاية إليها غاية انقطعت الغايات عنه فهو غاية كلّ غاية .

بيان : بلا كينونة كائن أي كان ولم يحدث حادث بعداً ولا على نحو حدوث الحوادث قال الفيروزآبادي : الكون : الحدث كالكينونة . قوله : بلا كيف يكون أي صفة موجودة زائدة ، ولعلّ الوصف بقوله : يكون للإشعار بأنّه إذا كان له كيف يكون حادثاً لامحالة . قوله عليه السلام : بلالم يزل أي بلازمان قديم موجود يسمّى بلم يزل ليكون معه قديماً ثانياً . وقوله عليه السلام ثانياً : بلاكيف يكون تأكيد لماسبق ، ويحتمل أن يكون الأوّل لنفي الكيفيّات الجسمانيّة أو الحادثة ، والثاني لنفي الصفات الحقيقيّة الزائدة أو القديمة ؛ ويحتمل أن يكون المراد بالأخير أنّه ليس لوجوده في الأزل واتّصافه بها كيف ، فيكون إشارة إلى نفي معلوليّة الوجود أو زيادته . وفي الكافي بسند آخر : كيف يكون له قبل . وهو أظهر كما سيأتي أيضاً . قوله عليه السلام : بلاغاية أي امتداد وزمان موجود . ولامنتهى غاية أي في الأزل . ولاغاية أي منتهى ينتهي إليها غاية أي امتداد في لايزال .

٧ ـ يد : ابن المتوكّل ، عن محمّد العطّار ، عن سهل ، عن عمرو بن عثمان ، عن محمّد بن يحيى الخزّاز ، عن محمّد بن سماعة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رأس الجالوت لليهود : إنّ المسلمين يزعمون أنّ عليّاً من أجدل الناس وأعلمهم ، اذهبوا بنا إليه لعلّي أسأله عن مسألة اُخطّئه فيها . فأتاه فقال : يا أميرالمؤمنين إنّي اُريد أن أسألك عن مسألة . قال : سل عمّا شئت . قال : يا أميرالمؤمنين متى كان ربّنا ؟ قال : يايهوديّ إنّما يقال «متى كان» لمن لم يكن فكان ؛ هو كائن بلا كينونة كائن ، كان بلا كيف ، [1] يايهوديّ كيف يكون له قبل وهو قبل القبل ؟ بلاغاية ولامنتهى غاية ، ولاغاية إليها غاية ، انقطعت الغايات عنه فهو غاية كلّ غاية . فقال : أشهد أنّ دينك الحقّ وأنّ ماخالفه باطل .

أقول : قد أثبتنا خبر محمّد بن عبدالله الخراسانيّ في باب إثبات الصانع ، وسيأتي كثير من الأخبار في باب نفي الزمان والمكان ، وسائر الأبواب مشحونة بما يناسب الباب من الأخبار .

---

(١) في الكافي : بلى يا يهودي ثم بلى يا يهودي كيف يكون الخ .

﴿باب ١٢﴾

(نفي الجسم والصورة والتشبيه والحلول والاتحاد)

(وأنه لايدرك بالحواس والاوهام ، والعقول والافهام)

الايات : الأنعام «٩١» والحجّ «٧٤» والزمر «٦٧» : ماقدروا الله حقّ قدره

حمعسق : ليس كمثله شيء وهوالسميع البصير ١١

١ ـ **ما** : محمّد بن أحمد بن شاذان القميّ ، عن أبيه ، عن محمّد بن الحسن ، عن سعد ، عن محمّد بن عيسى ، عن عليّ بن بلال ،[1] عن محمّد بن بشير الدهّان ،[2] عن محمّد بن سماعة قال : سأل بعض أصحابنا الصادق عليه السلام فقال له : أخبرني أيّ الأعمال أفضل ؟ قال : توحيدك لربّك ، قال : فماأعظم الذنوب ؟ قال : تشبيهك لخالقك .

٢ ـ **نص** : عليّ بن الحسين ، عن هارون بن موسى ، عن محمّد بن همّام ، عن الحميريّ ، عن عمر بن عليّ العبديّ ، عن داود بن كثير الرقّيّ ، عن يونس بن ظبيان قال : دخلت على الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام فقلت : ياابن رسول الله إنّي دخلت على مالك[3] وأصحابه فسمعت بعضهم يقول : إنّ لله وجهاً كالوجوه وبعضهم يقول : له يدان ! واحتجّوا لذلك بقول الله تبارك وتعالى : « بيديّ استكبرت » وبعضهم يقول : هو كالشابّ من أبناء ثلاثين سنة ! فماعندك في هذا ياابن رسول الله ؟ قال : ـ وكان متّكئاً فاستوى جالساً ـ وقال : اللّهم عفوك عفوك . ثمّ قال : يايونس من زعم أنّ لله وجهاً كالوجوه فقد أشرك ، ومن زعم أنّ لله جوارح كجوارح المخلوقين فهو كافر بالله فلاتقبلوا شهادته ولاتأكلوا

---

(١) البغدادي الثقة ، عده الشيخ في رجاله من أصحاب الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام .

(٢) لم نجده في التراجم بهذا العنوان .

(٣) أحد الائمة الاربعة للعامة ، حكى عن ابن النديم في فهرسه أنه قال : مالك بن أنس بن أبي عامر من حمير ، و عداده في بني تميم بن مرة من قريش ، وحمل به ثلاثين سنين ! وكان شديد البياض إلى الشقرة ، طويلا عظيم الهامّة أصلع الرأس ، يلبس الثياب العدنيّة الجياد ويكثر حلق شاربه ولايغيّر شيبه ، وكان يأتي المسجد ويشهد الصلوات ويعود المرضى ويقضي الحقوق ، ثم ترك الجلوس في المسجد وكان يصلي في منزله وترك اتباع الجنائز فكان يعاتب على ذلك ، وكان يقول : ليس يقدر كل أحد يقول عذره ، وكان فقيه الحجاز وسيدها في وقته ، توفي سنة تسع وسبعين ومائة ، وهو ابن خمس وثمانين و دفن بالبقيع .

ذبيحته ، تعالى الله عمّا يصفه المشبّهون بصفة المخلوقين ، فوجه الله أنبياؤه وأولياؤه[١] وقوله : «خلقت بيديّ استكبرت» اليد : القدرة ، كقوله : وأيدكم بنصره ، فمن زعم أنّ الله في شيء ، أو على شيء ، أو يحول من شيء إلى شيء ، أو يخلو منه شيء ، أو يشتغل به شيء فقد وصفه بصفة المخلوقين ؛ والله خالق كلّ شيء لا يقاس بالقياس ، ولا يشبه بالناس ، لا يخلو منه مكان ، ولا يشتغل به مكان ، قريبٌ في بعده ، بعيدٌ في قربه ذلك الله ربّنا لا إله غيره ، فمن أراد الله وأحبّه بهذه الصفة فهو من الموحّدين ، ومن أحبّه بغير هذه الصفة فالله منه بريء ونحن منه برآء .

٣ ـ **لي** : محمّد بن محمّد بن عاصم ، عن الكلينيّ ، عن علاّن ،[٢] عن محمّد بن الفرج الرخجيّ[٣] قال : كتبت إلى أبي الحسن عليّ بن محمّد عليهما السلام أسأله عمّا قال هشام بن الحكم في الجسم ، وهشام بن سالم في الصورة . فكتب عليه السلام : دع عنك حيرة الحيران واستعذ بالله من الشيطان ، ليس القول ماقال الهشامان .

يد : الدقّاق ، عن الكلينيّ ، عن عليّ بن محمّد رفعه عن الرخجيّ مثله .

بيان : لاريب في جلالة قدر الهشامين وبراءتهما عن هذين القولين ، وقد بالغ السيّد المرتضى قدّس الله روحه في براءة ساحتهما عمّا نسب إليهما في كتاب الشافي ، مستدلًّا عليها بدلائل شافية ، ولعلّ المخالفين نسبوا إليهما هذين القولين معاندةً كما نسبوا المذاهب الشنيعة إلى زرارة وغيره من أكابر المحدّثين ، أو لعدم فهم كلامهما ؛ فقد قيل : إنّهما قالا بجسم لا كالأجسام ، وبصورة لا كالصور ، فلعلّ مرادهما بالجسم الحقيقة القائمة بالذات ، وبالصورة الماهيّة ، وإن أخطئا في إطلاق هذين اللّفظين عليه تعالى .

---

(١) لانّ العباد يتوجهون بهم إلى الله تعالى والله تعالى يخاطب العباد ويواجههم بهم عليهم السلام .

(٢) الظاهر أنه هو على بن محمد بن إبراهيم بن أبان الرازى الكلينى ، استاد محمد بن يعقوب الكلينى وخاله . قال النجاشى : يكنى أبا الحسن ثقة ، عين . أقول : علان بالعين المهملة المفتوحة ثم اللام المشددة . وحكى عن الشهيد الثانى رحمه الله فى تعليقته على الخلاصة أن علان مخفف اللام .

(٣) بالراء المهملة المضمومة والخاء المعجمة المفتوحة والجيم والياء نسبة إما إلى «رخج» كورة و مدينة من نواحى كابل ، وقد يشدد الخاء ، أو إلى الرخجة أو الرخجية بتشديد الخاء فيهما ، قرية على نحو فراسخ من بكلواذى .

قال المحقّق الدواني: المشبّهة منهم من قال: إنّه جسم حقيقة، ثمّ افترقوا فقال بعضهم: إنّه مركّب من لحم ودم. وقال بعضهم: هو نور متلألئ كالسبيكة البيضاء، طوله سبعة أشبار بشبر نفسه. ومنهم من قال: إنّه على صورة إنسان؛ فمنهم من يقول: إنّه شابّ أمرد جعد قطط؛[1] ومنهم من قال: إنّه شيخ أشمط الرأس واللّحية؛[2] ومنهم من قال: هو في جهة الفوق مماسّ للصفحة العليا من العرش، ويجوز عليه الحركة والانتقال وتبدّل الجهات، وتئطّ العرش تحته أطيط الرحل الجديد تحت الراكب الثقيل، وهو يفضل عن العرش بقدر أربع أصابع؛ ومنهم من قال: هو محاذ للعرش غير مماسّ له، وبعده عنه بمسافة متناهية، و قيل: بمسافة غير متناهية، ولم يستنكف هذا القائل عن جعل غير المتناهي محصوراً بين حاصرين؛ ومنهم من تستّر بالكفّة[3] فقال: هو جسم لا كالأجسام وله حيّز لا كالأحياز، ونسبته إلى حيّزه ليس كنسبة الأجسام إلى أحيازها، وهكذا ينفي جميع خواصّ الجسم عنه حتّى لا يبقى إلّا اسم الجسم؛ و هؤلاء لا يكفرون بخلاف المصرّحين بالجسميّة. انتهى.

وقال الشهرستانيّ: حكى الكعبيّ عن هشام بن الحكم أنّه قال: هو جسم ذو أبعاض، له قدر من الأقدار، ولكن لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا تشبهه. ونقل عنه أنّه قال: هو سبعة أشبار بشبر نفسه، وأنّه في مكان مخصوص وجهة مخصوصة، وأنّه يتحرّك وحركته فعله، وليست من مكان إلى مكان، وقال: هو متناه بالذات غير متناه بالقدر!.

وحكى عنه أبو عيسى الورّاق أنّه قال: إنّ الله تعالى مماسّ لعرشه لا يفضل منه شيء من العرش ولا يفضل عنه شيء.

و قال هشام بن سالم: إنّه تعالى على صورة إنسان، أعلاه مجوّف، و أسفله مصمت، وهو نور ساطع يتلألأ، وله حواسّ خمس ويد ورجل وأنف واُذن وعين وفم وله وفرة سوداء،[4] وهو نور أسود لكنّه ليس بلحم ولا دم.

(١) الجعد من الشعر: خلاف الاسترسال. وقط الشعر: كان قصيراً جعداً فهو قطط.

(٢) شمط شمطاً: خالط بياض رأسه سواد فهو [أشمط].

(٣) الكفّة - بضم الكاف - حاشية الشيء، وكفّة القميص ما استدار حول الذيل. وفي نسخة: «البلفكة» ولم نجد له معنى.

(٤) الوفرة: ما سال من الشعر على الاذنين.

ثمّ قال : وغلا هشام بن الحكم في حقّ عليّ عليه السلام حتّى قال : إنّه إله واجب الطاعة وهذا هشام بن الحكم صاحب غور في الأصول ، لايجوز أن يغفل عن إلزاماته على المعتزلة فإنّ الرجل وراء مايلزمه على الخصم ، و دون مايظهره من التشبيه ، و ذلك أنّه ألزم العلّاف فقال : إنّك تقول : إنّ الباري تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته فيشارك المحدثات في أنّه عالم بعلم ويباينها في أنّ علمه ذاته فيكون عالماً لا كالعالمين ، فلم لاتقول : هو جسم لا كالأجسام ؟ وصورة لا كالصور ، وله قدر لا كالأقدار ، إلى غير ذلك . انتهى .

أقول : فظهر أنّ نسبة هذين القولين إليهما إمّا لتخطئة رواة الشيعة وعلمائهم لبيان سفاهة آرائهم ، أو أنّهم لمّا ألزموهم في الاحتجاج أشياء إسكاتاً لهم نسبوها إليهم ، والأئمّة عليهم السلام لم ينفوها عنهم إمّا للتبرّي عنهم إبقاءاً عليهم ، أو لمصالح اُخر . ويمكن أن يحمل هذا الخبر على أنّ المراد : ليس هذا القول الّذي تقول ما قال الهشامان بل قولهما مباين لذلك . ويحتمل أن يكون هذان مذهبهما قبل الرجوع إلى الأئمّة عليهم السلام والأخذ بقولهم ، فقد قيل : إنّ هشام بن الحكم كان قبل أن يلقى الصادق عليه السلام على رأي جهم بن صفوان ، فلمّا تبعه عليه السلام تاب ورجع إلى الحقّ ، ويؤيّده ماذكره الكراجكيّ في كنز الفوائد في الردّ على القائلين بالجسم بمعنييه حيث قال : وأمّا موالاتنا هشاماً رحمه الله فهي لماشاع عنه واستفاض من تركه للقول بالجسم الّذي كان ينصره ، ورجوعه عنه ، وإقراره بخطائه فيه وتوبته منه ؛ و ذلك حين قصد الإمام جعفر بن محمّد عليهما السلام إلى المدينة فحجبه ، وقيل له : إنّه أمرنا أن لانوصلك إليه مادمت قائلاً بالجسم ، فقال : و الله ما قلت به إلّا لأنّي ظننت أنّه وفاق لقول إمامي ، فأمّا إذا أنكره عليّ فإنّني تائبٌ إلى الله منه ؛ فأوصله الإمام عليه السلام إليه ودعا له بخير وحفظ .

٤ ـ عن الصادق عليه السلام أنّه قال لهشام : إنّ الله تعالى لايشبه شيئاً ولايشبهه شيء ، وكلّ ماوقع في الوهم فهو بخلافه .

٥ ـ و روي عنه أيضاً أنّه قال : سبحان من لايعلم أحد كيف هو إلّا هو ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، لايحدّ ولايحسّ ، ولايدركه الأبصار ، ولا يحيط به شيء ، ولاهو جسم ولاصورة ولابذي تخطيط ولاتحديد .

٦ - **شي** : عن جابر الجعفي قال : قال محمد بن علي عليهما السلام : يا جابر ما أعظم فرية أهل الشام على الله ، يزعمون أن الله تبارك وتعالى حيث صعد إلى السماء وضع قدمه على صخرة بيت المقدس ، ولقد وضع عبد من عباد الله قدمه على حجر فأمرنا الله تبارك و تعالى أن نتخذها مصلى ، يا جابر إن الله تبارك وتعالى لا نظير له ولا شبيه ، تعالى عن صفة الواصفين ، و جل عن أوهام المتوهمين ، و احتجب عن عين الناظرين ، ولا يزول مع الزائلين ، ولا يأفل مع الآفلين ، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم .

٧ - **شي** : عن هشام المشرقي ،[1] عن أبي الحسن الخراساني قال : إن الله ـ كما وصف نفسه ـ أحد صمد نور ، ثم قال : بل يداه مبسوطتان . فقلت له : أفله يدان هكذا ؟ ـ وأشرت بيدي إلى يده ـ فقال : لو كان هكذا كان مخلوقاً .

٨ - **ج** : في سؤال الزنديق برواية هشام ، عن الصادق عليه السلام : لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يجس ، ولا يدرك بالحواس الخمس ، لا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدهور ، ولا تغيره الأزمان . الخبر .

٩ - **ج** : قال الرضا عليه السلام : إن النبي صلى الله عليه وآله قال : قال الله جل جلاله : ما آمن بي من فسر برأيه كلامي ، وما عرفني من شبهني بخلقي ، ولا على ديني من استعمل القياس في ديني .

يد ، **ن** ، **لي** : ابن المتوكل ، عن علي ، عن أبيه ، عن الريان بن الصلت ، عن علي بن موسى الرضا عليه السلام ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله جل جلاله مثله .

١٠ - **يد** ، **لي** : ابن المتوكل ، عن علي ، عن أبيه ، عن الصقر بن دلف[2] قال : سألت أبا الحسن علي بن محمد عليهما السلام عن التوحيد و قلت له : إني أقول بقول هشام بن الحكم ، فغضب عليه السلام ثم قال : مالكم و لقول هشام ؟ إنه ليس منا من زعم أن الله

---

(١) ضبطه الاكثر بالقاف وجزم المحقق الداماد أنه بالفاء .

(٢) الموجود في التوحيد المطبوع والبحار : الصقر بن دلف ؛ والموجود في التراجم : الصقر ابن أبي دلف . وضبط الصقر بالصاد المهملة المفتوحة والقاف الساكنة ، ودلف بالدال المهملة واللام المفتوحتين والفاء .

جسم ، ونحن منه برآء في الدنيا والآخرة ، يا ابن دلف إنّ الجسم محدَث ، والله محدثه و مجسّمه .

١١ - **كش** : عليّ بن محمّد ، عن محمّد بن أحمد ، عن ابن يزيد ، عن الحسين بن بشّار ، عن يونس بن بهمن[1] قال : قال لي يونس : اكتب إلى أبي الحسن عليه السلام فاسأله عن آدم هل فيه من جوهريّة الله شيء ؟ قال : فكتبت إليه ، فأجاب : هذه المسألة مسألة رجل على غير السنّة . فقلت ليونس ؟ فقال : لا يسمع ذا أصحابنا فيبرؤون منك . قال : قلت ليونس : يتبرّؤون منّي أو منك ؟ .

١٢ - **كش** : طاهر بن عيسى ،[2] عن جعفر بن أحمد ، عن الشجاعيّ ،[3] عن ابن يزيد ، عن الحسين بن بشّار ، عن الوشّاء ، عن يونس بن بهمن قال : قال يونس بن عبد الرحمن : كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام سألته عن آدم هل كان فيه من جوهريّة الربّ شيء ؟ فكتب إليّ جواب كتابي : ليس صاحب هذه المسألة على شيء من السنّة ، زنديق .

بيان : الكلام في يونس وما نسب إليه أيضاً كما مرّ في الهشامين . وقال الشهرستانيّ : إنّه زعم أنّ الملائكة تحمل العرش والعرش يحمل الربّ وهو من مشبّهة الشيعة . انتهى .

١٣ - **لي** : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن معروف ، عن عليّ بن مهزيار قال : كتبت إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام : جعلت فداك اُصلّي خلف من يقول بالجسم ، ومن يقول : بقول يونس - يعني ابن عبد الرحمن - ؟ فكتب عليه السلام لا تصلّوا خلفهم ولا تعطوهم من الزكاة وابرؤوا منهم ، برأ الله منهم .

---

(١) بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء وفتح الميم بعدها نون . حكى عن الغضائرى أنه قال : يونس بن بهمن غال خطابى كوفى يضع الحديث روى عن أبى عبدالله عليه السلام .

(٢) أورده الشيخ فى رجاله فى باب من لم يرو عنهم عليهم السلام قال : طاهر بن عيسى الوراق يكنى أبا محمد من أهل كش ، صاحب كتب ، روى عنه الكشى ، و روى هو عن جعفر بن أحمد الخزاعى ، عن محمد بن الحسين بن أبى الخطاب . انتهى . أقول : ليس فى كتب التراجم ما يلحق الرجل وراويه جعفر بن أحمد الخزاعى بالموثقين .

(٣) قال التفرشى فى نقد الرجال : اسمه على بن الشجاع كما يظهر من الكشى ، ويحتمل أن يطلق على الحسن بن الطيب أيضا ، ويظهر من النجاشى - عند ترجمة محمد بن إبراهيم بن جعفر - أنه يطلق على محمد بن على أيضا . انتهى .

١٤ ـ **لى** : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن البرقيّ ، عن أبي هاشم الجعفريّ قال : سمعت عليّ بن موسى الرضا عليه السلام يقول : إلهي بدت قدرتك ولم تبد هيئته فجهلوك . و به قدّروك و التقدير على غيرما به وصفوك ، وإنّي بريءٌ يا إلهي من الّذين بالتشبيه طلبوك ، ليس كمثلك شيء ، إلهي ولن يدركوك ، وظاهر مابهم من نعمك دليلهم عليك لو عرفوك ، وفي خلقك يا إلهي مندوحة أن يتناولوك ، بل سوّوك بخلقك فمن ثمّ لم يعرفوك ، واتّخذوا بعض آياتك ربّاً فبذلك وصفوك ، تعاليت ربّي عمّا به المشبّهون نعتوك .

بيان : و به أي وبالجهل . قوله : والتقدير على غيرما به وصفوك أي التقدير بما قدّروا به من المقادير الجسمانيّة ينافي ماوصفوك به من الربوبيّة ، ويحتمل أن يكون المراد بالتقدير مطلق التوصيف أي ينبغي ويجب توصيفك على غيرما وصفوك به من الجسم و الصورة . والمندوحة : السعة أي في التفكّر في خلقك و الاستدلال به على عظمتك و تقدّسك عن صفات المخلوقين مندوحة عن أن يتفكّروا في ذاتك فينسبوا إليك مالايليق بجنابك . أوالمعنى : أنّ التفكّر في الخلق يكفي في أن لاينسبوا إليك هذه الأشياء .

يد : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن البرقيّ ، عن بعض أصحابنا [١] قال : مرَّ أبوالحسن الرضا عليه السلام بقبر من قبور أهل بيته فوضع يده عليه ، ثمّ قال : إلهي بدت قدرتك . وذكر نحوه .

١٥ ـ **شا** : جاءت الرواية أنّ عليّ بن الحسين عليه السلام كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم ، إذ سمع قوماً يشبّهون الله بخلقه ففزع لذلك وارتاع له ونهض حتّى أتى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فوقف عنده ودفع صوته يناجي ربّه ، فقال في مناجاته له : إلهي بدت قدرتك ولم تبد هيئته فجهلوك وقدّروك بالتقدير على غيرما به أنت شبّهوك . إلى آخر ما مرَّ .

١٦ ـ **ن** : ابن المتوكّل ، عن عليّ بن إبراهيم ، عن الصقر بن دلف ، [٢] عن ياسر

---

(١) لعله هوأبوهاشم الجعفرى ، والظاهر اتحاد الخبرمع ماتقدم .

(٢) قدمر ذيل الخبر العاشر أن الموجود فى التراجم الصقر بن أبي دلف .

الخادم قال : سمعت أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام يقول : من شبّه الله بخلقه فهو مشرك ، ومن نسب إليه مانهى عنه فهو كافر .

١٧ ـ يد : الدقّاق ، عن الكلينيّ ، عن علاّن ، عن سهل ، عن إبراهيم بن محمّد الهمدانيّ قال : كتبت إلى الرجل ـ يعني أبا الحسن عليه السلام ـ : أنّ من قبلنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد فمنهم من يقول : جسم ، و منهم من يقول : صورة ، فكتب عليه السلام بخطّه : سبحان من لا يحدّ ولا يوصف ، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم أوقال : البصير .

١٨ ـ يد ، ن : الفاميّ ـ في مسجد الكوفة ـ عن محمّد الحميريّ ، عن أبيه ، عن إبراهيم ابن هاشم ، عن عليّ بن معبد ،(١) عن الحسين بن خالد ، عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام قال : قلت له : يا ابن رسول الله إنّ الناس ينسبونا إلى القول بالتشبيه والجبر لما روي من الأخبار في ذلك عن آبائك الأئمّة عليهم السلام ، فقال : يا ابن خالد أخبرني عن الأخبار الّتي رويت عن آبائي الأئمّة عليهم السلام في التشبيه والجبر أكثر أم الأخبار الّتي رويت عن النبيّ صلّى الله عليه وآله في ذلك ؟ فقلت : بل ما روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله في ذلك أكثر قال : فليقولوا : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يقول في التشبيه و الجبر إذاً . فقلت له : إنّهم يقولون : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لم يقل من ذلك شيئاً و إنّما روي عليه . قال : فليقولوا في آبائي الأئمّة عليهم السلام : إنّهم لم يقولوا من ذلك شيئاً و إنّما روي عليهم . ثمّ قال عليه السلام : من قال بالتشبيه والجبر فهو كافر مشرك ، و نحن منه برآء في الدنيا والآخرة ، يا ابن خالد إنّما وضع الأخبار عنّا في التشبيه والجبر الغلاة الّذين صغّروا عظمة الله تعالى ، فمن أحبّهم فقد أبغضنا ، ومن أبغضهم فقد أحبّنا ، ومن والاهم فقد عادانا ، ومن عاداهم فقد والانا ، ومن وصلهم فقد قطعنا ، ومن قطعهم فقد وصلنا ، ومن جفاهم فقد برّنا ، ومن برّهم فقد جفانا ، ومن أكرمهم فقد أهاننا ، ومن أهانهم فقد أكرمنا ، ومن قبلهم فقد ردّنا ، ومن ردّهم فقد قبلنا ، ومن أحسن إليهم فقد أساء إلينا ، ومن أساء إليهم فقد أحسن إلينا ، ومن صدّقهم فقد كذّبنا ، و من كذّبهم فقد صدّقنا ، و من أعطاهم فقد حرّمنا ، ومن حرّمهم فقد أعطانا . يا ابن خالد من كان من شيعتنا فلا يتّخذنّ منهم وليّاً ولا نصيراً .

(١) وزان مسكن اومنبر .

ج : عن الحسين بن خالد عنه عليه السلام مثله .

۱۹ ـ ج : الحسن بن عبدالرحمن الحماني قال : قلت لأبي إبراهيم عليه السلام : إنّ هشام بن الحكم زعم أنّ الله تعالى جسم ليس كمثله شيء ، عالم سميع بصير ، قادر متكلّم ناطق ، والكلام والقدرة والعلم يجري مجرى واحد ليس شيء منها مخلوقاً . فقال : قاتله الله أما علم أنّ الجسم محدود والكلام غير المتكلّم ؟ معاذالله وأبرأ إلى الله من هذا القول ، لاجسم ولاصورة ولا تحديد ، وكلّ شيء سواه مخلوق ، و إنّما تكوّن الأشياء بإرادته ومشيئته من غير كلام ولاتردّد في نفس ولانطق بلسان .

يد : الدقّاق ، عن محمّد الأسديّ ، عن البرمكيّ ، عن عليّ بن العبّاس ، عن الحسين ابن عبدالرحمن الحماني مثله .(۳)

بيان : قوله : ليس كمثله شيء يومي إلى أنّه لم يقل بالجسميّة الحقيقيّة ، بل أطلق عليه لفظ الجسم ونفى عنه صفات الأجسام ، ويحتمل أن يكون مراده أنّه لايشبهه شيء من الأجسام بل هو نوع مباين لسائر أنواع الأجسام ، فعلى الأوّل نفى عليه السلام إطلاق هذا اللّفظ عليه تعالى بأنّ الجسم إنّما يطلق على الحقيقة الّتي يلزمها التقدير والتحديد فكيف يطلق عليه تعالى ؟ .

و قوله : يجري مجرى واحد إشارة إلى عينيّة الصفات وكون الذات قائمة مقامها فنفى عليه السلام كون الكلام كذلك ، ثمّ نبّه على بطلان مايوهم كلامه من كون الكلام من أسباب وجود الأشياء ، فلفظة «كن» في الآية الكريمة كناية عن تسخيره للأشياء و انقيادها له ، من غير توقّف على التكلّم بها . ثمّ نفى عليه السلام كون الإرادة على نحو إرادة المخلوقين من خطور بال ، أو تردّد في نفس . ويحتمل أن يكون المقصود بمانسب إلى هشام كون الصفات كلّها مع زيادتها مشتركة في عدم الحدوث والمخلوقيّة ، فنفاه عليه السلام بإثبات المغايرة أوّلاً ثمّ بيان أنّ كلّ شيء سواه مخلوق ، والأوّل أظهر ؛ ولفظة «تكوّن» يمكن أن تقرأ على المعلوم وعلى المجهول من باب التفعيل .

۲۰ ـ ج : عن يعقوب بن جعفر ، عن أبي إبراهيم عليه السلام أنّه قال : لا أقول : إنّه قائم فاُزيله عن مكان ، ولا أحدّه بمكان يكون فيه ، ولا أحدّه أن يتحرّك في شيء من

---

(۱) الموجود في التوحيد المطبوع : الحسن بن الحسين بن عبدالله .

الأركان و الجوارح ، ولا أحدّه بلفظ شقّ فم ، ولكن كما قال عزّ و جلّ : إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، بمشيئته من غير تردّد في نفس ، صمداً فرداً لم يحتج إلى شريك يدبّر له ملكه ، ولايفتح له أبواب علمه .

بيان : فأزيله عن مكانه أي فأقول : إنّه يجوز أن يزول ويتحرّك من مكان إلى آخر فيلزم مع كونه تعالى جسماً محتاجاً تبدّل الأحوال عليه . أو المعنى : أنّ القيام نسبة إلى المكان يخلو بعض المكان عن بعض القائم عنه ، وشغل بعضه ببعضه ، مع أنّ نسبته تعالى إلى جميع الأمكنة على السواء ولايشتغل به مكان . وقوله : في شيء من الأركان أي بشيء من الأعضاء والجوارح ، ويحتمل أن يكون «في» بمعناه ويكون المراد بها الحركة الكمّيّة . وقوله عليه السلام : بلفظ شقّ فم أي بكلمة تخرج من فلقة الفم عند تكلّمه بها .

٢١ ــ **فس** : محمّد بن أبي عبدالله ، عن محمّد بن إسماعيل ، عن عليّ بن العبّاس ، عن جعفر بن محمّد ، عن الحسن بن اسيد ،[١] عن يعقوب بن جعفر قال : سمعت موسى بن جعفر صلوات الله عليه يقول : إنّ الله تبارك وتعالى أنزل على عبده محمّد صلّى الله عليه وآله أنّه لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم ، ويسمّى بهذه الأسماء[٢] الرحمن الرحيم العزيز الجبّار العليّ العظيم ، فتاهت هنالك عقولهم ، واستخفّت حلومهم ، فضربوا له الأمثال ، وجعلوا له أنداداً ، وشبّهوه بالأمثال ، ومثّلوه أشباهاً ، وجعلوه يزول ويحول ، فتاهوا في بحر عميق لايدرون ما غوره ولايدركون كمّيّة بعده .[٣]

٢٢ ــ **ب** : ابن عيسى ، عن البزنطيّ قال : قلت له : جعلت فداك هم يقولون في الصفة فقال لي ــ هو ابتداءاً ــ : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا اُسري به أوقفه جبرئيل عليه السلام موقفاً لم يطأه أحد قطّ فمضى النبيّ صلّى الله عليه وآله فأراه الله من نور عظمته ما أحبّ . فوقّفته على

---

(١) أقول : الصحيح كما فى نسخة من «فس» الحسن بن أسد ، وفى نسخة اخرى منه الحسين بن اسيد ، ولعل كلمة «اسيد» تصحيف لاسد ، أورد الشيخ فى رجاله الحسن بن اسد البصرى فى أصحاب الرضا عليه السلام ، والحسين بن أسد فى أصحاب الجواد والهادى عليهما السلام ، وحكى عن ابن الغضائرى تضعيف الحسن ، واحتمل الميرزا وغيره اتحادهما .

(٢) وفى نسخة : وسمى بهذه الاسماء .

(٣) وفى نسخة : ولايدركون كنه بعده .

التشبيه فقال : سبحان الله ! دع ذا لاينفتح عليك منه أمر عظيم .

بيان : فقال لي هوابتداءاً أي من غير أن أذكر ما وصفوه من التشبيه ، فوقّفته على التشبيه أي فذكرت له مايقولون في التشبيه فأجابه عليه السلام بتنزيهه تعالى عن ذلك ، ونهاه عن القول بذلك ، والتفكّر فيه لئلاّ ينفتح عليه من ذلك أمر عظيم هو الكفر و الخروج عن الدين .

٢٣ ـ يد : المفسّر بإسناده إلى أبي محمد العسكري ، عن أبيه ، عن جدّه عليهم السلام قال : قام رجل إلى الرضا عليه السلام قال له : يا ابن رسول الله صف لنا ربّك فإنّ من قبلنا قد اختلفوا علينا . فقال الرضا عليه السلام : إنّه من يصف ربّه بالقياس لايزال الدهر في الالتباس ، مائلاً عن المنهاج ، ظاعناً في الإعوجاج ، ضالاً عن السبيل ، قائلاً غير الجميل ، أعرفه بما عرّف به نفسه من غير رؤية ، و أصفه بما وصف به نفسه من غير صورة ، لا يدرك بالحواسّ ، ولايقاس بالناس ، معروف بغير تشبيه ، [1] ومتدان في بعده لابنظير ، لايمثّل بخليقته ، ولا يجوز في قضيّته ، الخلق إلى ما علم منقادون ، وعلى ما سطر في المكنون من كتابه ماضون لايعملون خلاف ماعلم منهم ولاغيره يريدون ، فهو قريب غير ملتزق ، وبعيد غير متقصّ ، يحقّق ولايمثّل ، و يوحّد ولا يبعّض ، يعرف بالآيات و يثبت بالعلامات فلا إله غيره الكبير المتعال . ثمّ قال عليه السلام ـ بعد كلام آخر تكلّم به ـ : حدّثني أبي ، عن أبيه ، عن جدّه عن أبيه عليهم السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : ماعرف الله من شبّهه بخلقه ، ولاوصفه بالعدل من نسب إليه ذنوب عباده .

بيان : الظعن : السير ، والتقصّي : البعد وبلوغ الغاية . يحقّق على المجهول أي يثبت وجوده . ولايمثّل أي لايوجد كنهه في الذهن .

٢٤ ـ ضه : روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال لرجل : أين المعبود ؟ فقال عليه السلام : لايقال له : أين لأنّه أيّن الأينيّة ، ولايقال له : كيف لأنّه كيّف الكيفيّة ولا يقال له : ماهو لأنّه خلق الماهيّة ، سبحانه من عظيم تاهت الفطن في تيّار أمواج عظمته ، [2]

(١) في نسخة : معروف بغير شبيه ، وفي اخرى : معروف بغير تنبيه .

(٢) التيار : موج البحر الهائج .

وحصرت الألباب عند ذكر أزليّته ، و تحيّرت العقول في أفلاك ملكوته .

٢٥ ـ وروي عنه أيضاً ـ عليه السلام ـ أنّه قال : اتّقوا أن تمثّلوا بالربّ الّذي لامثل له أو تشبّهوه من خلقه ، أو تلقوا عليه الأوهام ، أو تعملوا فيه الفكر ، وتضربوا له الأمثال ، أو تنعتوه بنعوت المخلوقين فإنّ لمن فعل ذلك ناراً .

٢٦ ـ يد : الدقّاق ، عن الأسديّ ، عن النخعيّ ، عن النوفليّ ، عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير ، عن عبدالله بن جرير العبديّ ، عن جعفر بن محمّد عليهما السلام أنّه كان يقول : الحمد لله الّذي لايحسّ ولايجسّ ولا يمسّ ، ولا يدرك بالحواسّ الخمس ، ولايقع عليه الوهم ، ولا تصفه الألسن ، فكلّ شيء حسّته الحواسّ ، أو جسّته الجواسّ ،[1] أو لمسته الأيدي فهو مخلوق ، والله هو العليّ حيث ما يبتغى يوجد ، والحمد لله الّذي كان قبل أن يكون ، كان لم يوجد لوصفه كان ،[2] بل كان أزلاً كان كائناً ،[3] لم يكوّنه مكوّن جلّ ثناؤه ، بل كوّن الأشياء قبل كونها فكانت كما كوّنها ، علم ما كان وما هو كائن ، كان إذ لم يكن شيء ، ولم ينطق فيه ناطق ، فكان إذ لا كان .

بيان : نفي كان إمّا لإشعاره بالحدوث كما مرّ ، أو لعدم كونه زمانيّاً بناءاً على أنّ الزمان يخصّ المتغيّرات . ويدلّ الخبر على حدوث العالم .

٢٧ ـ يد : الدقّاق ، عن الأسديّ ، عن محمّد بن جعفر البغداديّ ، عن سهل ، عن أبي الحسن عليّ بن محمّد عليهما السلام أنّه قال : إلهي تاهت أوهام المتوهّمين و قصر طرف الطارفين وتلاشت أوصاف الواصفين ، واضمحلّت أقاويل المبطلين عن الدرك لعجيب شأنك ، أو الوقوع بالبلوغ إلى علوّك ، فأنت الّذي لاتتناهى ، ولم يقع عليك عيون بإشارة ولا عبارة ، هيهات ثمّ هيهات يا أوّليّ ياوحدانيّ يافردانيّ ، شمخت في العلوّ بعزّ الكبر ، وارتفعت من وراء كل غورة و نهاية بجبروت الفخر .

بيان : أو الوقوع أي عليك ، و يحتمل تعلّق قوله : بالبلوغ بالوقوع بأن تكون

(١) جس الاخبار والامور : بحث عنها . الجواس : هي الحواس الخمس .

(٢) وفي نسخة : كان لا يوجد لوصفه كان .

(٣) وفي نسخة : بل كان اولا كان كائناً .

الباء ظرفيّة ، ويحتمل أيضاً تنازع الوقوع والبلوغ في قوله : إلى علوّك . فأنت الّذي لا تتناهى أي ليس لمعرفتك و معرفة صفاتك حدود تنتهي إليها ، أولعلمك و قدرتك و رحمتك وغيرها نهاية تقف عندها . والمراد بالعيون الجواسيس ؛ أو بالفتح بمعنى حديد البصر إنساعده الاستعمال ، و إذا حمل على العيون ـ جمع العين بمعنى الباصرة ـ فإسناد العبارة إليها مجازيٌّ ، ويحتمل أن تكون العبارة متعلّقة بقوله . لا تتناهى على اللفّ و النشر غير المرتّب . وشمخ : علا وطال . والغور : القعر من كلّ شيء أي ارتفعت عن أن يدرك كنه ذاتك و صفاتك بالوصول إلى غور الأفكار و نهايتها بسبب جبروت و عظمة ذاتيّة توجب الفخر .

٢٨ ـ يد : ابن المتوكّل ، عن السعدآباديّ ، عن البرقيّ ، عن داود بن القاسم قال : سمعت عليّ بن موسى الرضا عليه السلام يقول : من شبّه الله بخلقه فهو مشرك ، ومن وصفه بالمكان فهو كافر ، ومن نسب إليه مانهى عنه فهو كاذب . ثمّ تلا هذه الآية : « إنّما يفتري الكذب الّذين لا يؤمنون بآيات الله واُولئك هم الكاذبون » .

٢٩ ـ يد : الفاميّ ، عن محمّد الحميريّ ، عن أبيه ، عن ابن عيسى ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن غير واحد ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من شبّه الله بخلقه فهو مشرك ، ومن أنكر قدرته فهو كافر .

٣٠ ـ يد : الفاميّ ، عن محمّد الحميريّ ، عن أبيه ، عن ابن عيسى ، عن محمّد البرقيّ ، عن ابن أبي عمير ، عن المفضّل بن عمر ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من شبّه الله بخلقه فهو مشرك ، إنّ الله تبارك و تعالى لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء ، وكلّ ما وقع في الوهم فهو بخلافه .

قال الصدوق رحمه الله : الدليل على أنّ الله سبحانه لا يشبه شيئاً من خلقه من جهة من الجهات : أنّه لا جهة لشيء من أفعاله إلّا محدثة ، ولا جهة محدثة إلّا و هي تدلّ على حدوث من هي له ، فلو كان الله جلّ ثناؤه يشبه شيئاً منها لدلّت على حدوثه من حيث دلّت على حدوث من هي له ، إذ المتماثلان في العقول يقتضيان حكماً واحداً من حيث تماثلا منها ، وقد قام الدليل على أنّ الله عزّ وجلّ قديم ، ومحال أن يكون قديماً من جهة حادثاً من اُخرى . ومن الدليل على أنّ الله تبارك وتعالى قديم : أنّه لو كان حادثاً لوجب

أن يكون له محدث لأنّ الفعل لايكون إلّا بفاعل ، ولكان القول في محدثه كالقول فيه ، وفي هذا وجود حادث قبل حادث لاإلى أوّل ، وهو محال ، فيصحّ أنّه لابدّ من صانع قديم ، و إذا كان ذلك كذلك فالّذي يوجب قدم ذلك الصانع ويدلّ عليه يوجب قدم صانعنا ويدلّ عليه .

٣١ ـ يد : ابن الوليد ، عن محمّد العطّار ، عن ابن أبان ، عن ابن اورمة ، عن إبراهيم ابن الحكم بن ظهير ،[١] عن عبدالله بن جوين العبديّ ،[٢] عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه كان يقول : الحمدلله الّذي لايحسّ ولايجسّ ولايمسّ ، ولايدرك بالحواسّ الخمس ، ولايقع عليه الوهم ، ولاتصفه الألسن ، وكلّ شيء حسّته الحواسّ أولمسته الأيدي فهو مخلوق ؛ الحمدلله الّذي كان إذ لم يكن شيء غيره ، وكوّن الأشياء فكانت كما كوّنها ، وعلم ما كان وماهو كائن .

٣٢ ـ يد : الهمدانيّ ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن القاسم ،[٣] عن جدّه ، عن يعقوب ابن جعفر قال : سمعت أبا إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام ـ وهو يكلّم راهباً من النصارى ـ فقال له في بعض ما ناظره : إنّ الله تبارك وتعالى أجلّ وأعظم من أن يحدّ بيد ، أورجل ، أوحركة ، أوسكون ، أويوصف بطول ، أوقصر ، أوتبلغه الأوهام ، أوتحيط بصفته العقول ، أنزل مواعظه ووعده و وعيده ، أمر بلا شفة ولا لسان ، ولكن كما شاء أن يقول : كن فكان خيراً كما أراد في اللّوح .

٣٣ ـ يد : حمزة بن محمّد العلويّ ، عن عليّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ، عن محمّد بن حكيم قال : وصفت لأبي الحسن عليه السلام قول هشام الجواليقيّ و ما يقول في الشابّ الموفق ، ووصفت له قول هشام بن الحكم فقال : إنّ الله عزّوجلّ لايشبهه شيء .[٤]

---

(١) ظهير وزان زبير ، أورد النجاشي ترجمته في ص ١١ من رجاله ، قال : ابراهيم بن الحكم ابن ظهير الفزاري ، أبو اسحاق صاحب التفسير عن السدي ، له كتب منها كتاب الملاحم وكتاب الخطب الخ . أقول : ظاهره كون الرجل اماميا .

(٢) في نسخة من التوحيد «جون» بدلا عن «جوين» . وتقدم الحديث باسناد آخر تحت رقم ٢٦ ، وفيه : عبدالله بن جرير العبدي . والرجل ليس مذكوراً في كتب رجالنا .

(٣) هو قاسم بن يحيى وجده الحسن بن راشد .

(٤) يأتي الحديث باسناد آخر مفصلا تحت رقم ٣٧ .

بيان : الموفق : هوالّذي أعضاؤه موافقة لحسن الخلقة ؛ أوالمستوي من قولهم : أوفقت الإبل : إذا اصطفت واستوت . وقيل : إنّه تصحيف الريق أي ذاالبهجة والبهاء وقيل : هو تصحيف الموقّف ـ بتقديم القاف ـ بمعنى المزيّن ، فإنّ الوقف سوارمن عاج ، ووقّفت يديها بالحنّاء نقّطتها ، ويحتمل أن يكون تصحيف المونق .(١)

٣٤ ـ يد : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن سهل ، عن حمزة بن محمّد قال : كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن الجسم والصورة فكتب عليه السلام : سبحان من ليس كمثله شيء لاجسم ولاصورة .

يد : العطّار ، عن أبيه ، عن سهل ، عن بعض أصحابه مثله .

يد : العطّار ، عن أبيه ، عن سهل ، عن حمزة بن محمّد إلى قوله : شيء .

أقول : رواه الكراجكيّ عن الحسين بن عبيدالله الواسطيّ ، عن التلعكبريّ ، عن الكلينيّ ، عن محمّد بن الحسن ، عن سهل .

٣٥ ـ يد : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، عن محمّد بن عبدالجبّار ، عن صفوان بن يحيى ، عن عليّ بن أبي حمزة(٢) قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : سمعت هشام بن الحكم يروي عنكم أنّ الله جلّ وعزّ جسم صمديّ نوريّ ، معرفته ضرورة ، يمنّ بها على من يشاء من خلقه . فقال عليه السلام : سبحان من لايعلم كيف هو إلّا هو ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ،(٣) لايحدّ ولايحسّ ولايجسّ ولايمسّ ، ولايدركه الحواسّ ، ولايحيط به شيء لاجسم ولاصورة ولا تخطيط ولاتحديد .

بيان : معرفته ضرورة أي تقذف في القلب من غير اكتساب ، أوتحصل بالرؤية تعالى الله عن ذلك . وقد يأوّل كلامه بأنّ مراده بالجسم الحقيقة العينيّة القائمة بذاتها لابغيرها ، وبالصمديّ مالايكون خالياً في ذاته عن شيء فيستعدّ أن يدخل هو فيه ، أو مشتملاً على شيء يصحّ عليه خروجه عنه ، وبالنوريّ مايكون صافياً عن ظلم الموادّ و قابليّاتها بل عن الماهيّة المغائرة للوجود وقابليّاتها له .

---

(١) المونق : الحسن المعجب .

(٢) هو البطائني الواقفي الضعيف ، وقد ورد أحاديث كثير في ذمه .

(٣) وفي نسخة : وهو السميع العليم .

٣٦ ـ يد : الدقّاق ، عن محمّد الأسديّ ، عن البرمكيّ ، عن الحسين بن الحسن ، و الحسين بن عليّ ، عن صالح بن أبي حمّاد ،[١] عن بكر بن صالح ،[٢] عن الحسين بن سعيد ، عن عبدالله بن المغيرة ، عن محمّد بن زياد قال : سمعت يونس بن ظبيان[٣] يقول : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت له : إنّ هشام بن الحكم يقول قولاً عظيماً إلّا أنّي أختصر لك منه أحرفاً ؛ يزعم أنّ الله جسم لأنّ الأشياء شيئان : جسم ، وفعل الجسم ، فلا يجوز أن يكون الصانع بمعنى الفعل ، ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل . فقال أبوعبدالله عليه السلام : ويله ! أما علم أنّ الجسم محدودٌ متناه ، والصورة محدودةٌ متناهيةٌ ، فإذا احتمل الحدّ احتمل الزيادة والنقصان ، وإذا احتمل الزيادة والنقصان كان مخلوقاً . قال : قلت : فما أقول ؟ قال عليه السلام : لاجسم ولاصورة ، وهو مجسّم الأجسام ، ومصوّر الصور لم يتجزّأ ولم يتناه ولم يتزايد ولم يتناقص ؛ لو كان كما يقول لم يكن بين الخالق والمخلوق فرق ، ولا بين المنشىء والمنشأ ، لكنّ هو المنشىء ، فرق بين من جسّمه وصوّره وأنشأه ، إذ كان لا يشبهه شيء ، ولا يشبه هو شيئاً .

ايضاح : استدلّ عليه السلام على نفي جسميّته تعالى بأنّه لو كان جسماً لكان محدوداً بحدود متناهياً إليها ، لاستحالة لاتناهي الأبعاد ، وكلّ محتمل للحدّ قابل للانقسام بأجزاء متشاركة في الاسم و الحدّ ، فله حقيقة كلّيّة غير متشخّصة بذاتها ولا موجودة بذاتها

---

(١) قال النجاشي فى ص ١٤٠ من رجاله : صالح بن أبى حمّاد أبوالخير الرازى ، واسم أبى الخير زاذويه ، لقى أباالحسن العسكرى عليه السلام وكان أمره ملبسا ، يعرف وينكر الخ اقول : و حكى عن ابن الغضائرى تضعيفه .

(٢) ضعفه النجاشى وابن الغضائرى والعلامة وغيرهم .

(٣) قال العلامة فى القسم الثانى من الخلاصة : يونس ظبيان ـ بالظاء المعجمة المفتوحة ، والباء المنقطة تحتها نقطة ، قبل الياء والنون أخيراً ـ قال أبوعمرو الكشى : قال الفضل بن شاذان فى بعض كتبه : الكذابون المشهورون : أبوالخطاب ، ويونس بن ظبيان ، ويزيد الصائغ ، ومحمد بن سنان ، وأبو سمينة أشهرهم ؛ و قال النجاشى : انه مولى ، ضعيف جدا ، لا يلتفت الى ماورواه ، كل كتبه تخليط ؛ قال ابن الغضائرى : يونس بن ظبيان كوفى غال كذاب وضاع للحديث ، روى عن أبى عبدالله عليه السلام ، فانا لاأعتمد على روايته لقول هؤلاء المشايخ العظماء فيه .

أو هو مركّب من أجزاء حال كلّ واحد منها ما ذكر فيكون مخلوقاً ، أو بأنّ كلّ قابل للحدّ والنهاية قابل للزيادة والنقصان لا يتأبّى عنهما في حدّ ذاته ، وإن استقرّ على حدّ معيّن فإنّما استقرّ عليه من جهة جاعل . ثمّ استدلّ عليه‌السلام بوجه آخر وهو ما يحكم به الوجدان من كون الموجد أعلى شأناً وأرفع قدراً من الموجَد ، وعدم المشابهة والمشاركة بينهما ، وإلّا فكيف يحتاج أحدهما إلى العلّة دون الآخر ؟ وكيف صار هذا موجداً لهذا بدون العكس ؟ ويحتمل أن يكون المراد عدم المشاركة والمشابهة فيما يوجب الاحتياج إلى العلّة فيحتاج إلى علّة اُخرى . قوله : فرق بصيغة المصدر أي الفرق حاصل بينه وبين من صوّره ؛ ويمكن أن يقرأ على الماضي المعلوم .

٣٧ ـ يد : عليّ بن أحمد بن عبدالله بن أحمد بن أبي عبدالله البرقيّ ، عن أبيه ، عن جدّه أحمد ، عن البزنطيّ ، عن محمّد بن حكيم قال : وصفت لأبي إبراهيم عليه‌السلام قول هشام الجواليقيّ ، وحكيت له قول هشام بن الحكم : إنّه جسم فقال : إنّ الله لا يشبهه شيء ؛ أيّ فحش أو خناء أعظم من قول من يصف خالق الأشياء بجسم ، أو صورة ، أو بخلقة ، او بتحديد وأعضاء ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً .

بيان : الخناء : الفحش في القول ، ويحتمل أن يكون الترديد من الراوي .

٣٨ ـ يد : ابن المتوكّل ، عن محمّد العطّار ، عن سهل ، عن محمّد بن عليّ القاسانيّ قال : كتبت إليه عليه‌السلام : أنّ من قبلنا قد اختلفوا في التوحيد . قال : فكتب عليه‌السلام : سبحان من لا يحدّ ولا يوصف ولا يشبهه شيء ، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

٣٩ ـ يد : ما جيلويه ، عن محمّد العطّار ، عن الأشعريّ ، عن عمران بن موسى ، عن الحسن بن جريش الرازيّ ، عن بعض أصحابنا ، عن الطيّب ـ يعني عليّ بن محمّد ـ وعن أبي جعفر عليهما‌السلام أنّهما قالا : من قال بالجسم فلا تعطوه من الزكاة ولا تصلّوا وراءه .

٤٠ ـ نص : أبو المفضّل الشيبانيّ ، عن أحمد بن مطوّق بن سوار ، عن المغيرة بن محمّد بن المهلب ، عن عبدالغفّار بن كثير ، عن إبراهيم بن حميد ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد ، عن ابن عبّاس قال . قدم يهوديّ على رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ـ يقال له : نعثل ـ فقال : يا محمّد إنّي سائلك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين ، فإن أنت أجبتني عنها أسلمت على يدك

قال : سل يا أبا عمّارة . فقال : يا محمّد صف لي ربّك ، فقال عليه السلام : إنّ الخالق لايوصف إلّا بما وصف به نفسه ، و كيف يوصف الخالق الّذي يعجز الحواسّ أن تدركه ، و الأوهام أن تناله ، و الخطرات أن تحدّه ، و الأبصار عن الإحاطة به ، جلّ عمّا يصفه الواصفون ، نأى في قربه ، وقرب في نأيه كيّف الكيفيّة فلايقال له : كيف ، وأيّن الأين فلايقال له : أين ، هومنقطع الكيفوفيّة والأينونيّة ، فهوالأحد الصمد كما وصف نفسه والواصفون لايبلغون نعته ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

قال : صدقت يا محمّد أخبرني عن قولك : إنّه واحد لاشبيه له ، أليس الله واحد و الإنسان واحد ؟ فوحدانيّته اشبهت وحدانيّة الإنسان . فقال عليه السلام : الله واحد و أحديّ المعنى ، والإنسان واحد ثنويّ المعنى ، جسم وعرض ، و بدن و روح ، فإنّما التشبيه في المعاني لاغير ، قال : صدقت يا محمّد .

٤١ ـ يد : ابن الوليد ، عن محمّد العطّار ، عن الأشعري ، عن محمّد بن عيسى ، عن هشام بن إبراهيم العبّاسيّ قال : قلت له ـ يعني أباالحسن عليه السلام ـ : جعلت فداك أمرني بعض مواليك أن أسألك عن مسألة ، قال : ومن هو ؟ قلت : الحسن بن سهل قال : وفي أيّ شيء المسألة ؟ قلت : في التوحيد ، قال : وأيّ شيء من التوحيد ؟ قال : يسألك عن الله جسم أولاجسم ؟ فقال لي : إنّ للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب : إثبات بتشبيه ، ومذهب النفي ، و مذهب إثبات بلاتشبيه ، فمذهب الإثبات بتشبيه لايجوز ، و مذهب النفي لايجوز ، والطريق في المذهب الثالث إثبات بلاتشبيه .

٤٢ ـ يد : ابن المتوكّل ، عن الحميريّ ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن يعقوب السرّاج قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إنّ بعض أصحابنا يزعم أنّ لله صورة مثل الإنسان و قال آخر إنّه في صورة أمرد جعد قطط ؛ فخرّ أبوعبدالله عليه السلام ساجداً ثمّ رفع رأسه فقال : سبحان الله الّذي ليس كمثله شيء ، ولاتدركه الأبصار ، ولا يحيط به علم ، لم يلد لأنّ الولد يشبه أباه ، ولم يولد فيشبه من كان قبله ، ولم يكن له من خلقه كفواً أحد ، تعالى عن صفة من سواه علوّاً كبيراً .

بيان : الجعد : ضدّ السبط ، قال الجزريّ في صفة شعره عليه السلام : ليس بالسبط

ولاالجعد القطط ؛ السبط من الشعر: المنبسط المسترسل ، والقطط : الشديدة الجعودة .

٤٣ ـ **كش** : محمد بن مسعود ، عن علي بن محمد القمي ، عن البرقي ، عن محمد بن موسى ابن عيسى ، [١] عن اسكيب بن أحمد الكيساني ، [٢] عن عبدالملك بن هشام الخياط [٣] قال : قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام أسألك جعلني الله فداك ؟ قال : سل يا جبلي ، عما ذا تسألني؟ فقلت : جعلت فداك زعم هشام بن سالم أن الله عز وجل صورة ، وأن آدم خلق على مثال الرب ، فيصف هذا ويصف هذا ـ وأومأت إلى جانبي وشعر رأسي ـ وزعم يونس مولى آل يقطين وهشام بن الحكم أن الله شيء لا كالأشياء ، وأن الأشياء بائنة منه ، وأنه بائن من الأشياء ، وزعما أن إثبات الشيء أن يقال : جسم ، فهو جسم لا كالأجسام ، شيء لا كالأشياء ، ثابت موجود غير مفقود ولامعدوم ، خارج عن الحدين : حد الإبطال ، وحد التشبيه ، فبأي القولين أقول ؟ قال : فقال أبوعبدالله عليه السلام : أراد هذا الإثبات ، و هذا شبه ربه تعالى بمخلوق ، تعالى الله الذي ليس له شبه ولامثل ولاعدل ولانظير ، ولاهو بصفة المخلوقين ، لاتقل بمثل ماقال هشام بن سالم ، وقل بما قال مولى آل يقطين وصاحبه . قال : فقلت : يعطى الزكاة من خالف هشاماً في التوحيد ؟ فقال برأسه : لا .

بيان : أراد هذا الإثبات أي يونس وهشام بن الحكم ، ولعله عليه السلام إنما صوب قولهما في المعنى لا في إطلاق لفظ الجسم عليه تعالى ، ويظهر مما زعما « من أن إثبات الشيء أن يقال جسم » أن مرادهم بالجسم أعم من المعنى المصطلح كما مر .

---

(١) الظاهر هو أبوجعفر السمان الهمداني الذي قال النجاشي في حقه : ضعفه القميون بالغلو وكان ابن الوليد يقول : إنه كان يضع الحديث والله أعلم . أقول : حكى عن ابن الغضائري أيضاً تضعيفه وأنه يروي عن الضعفاء ، ويجوز أن يخرج شاهداً ، تكلم القميون فيه بالرد . واستثنوا من نوادر الحكمة مارواه .

(٢) لم نجد له ذكراً في التراجم ، والموجود في الكشي : اسكيب بن عبدك الكيساني .

(٣) لم نجد له ذكراً في التراجم ، نعم قال صاحب تنقيح المقال : عبد الملك بن هشام الحناط الجبلي روى عنه الكشي مسنداً عنه عن أبي الحسن الرضا عليه السلام رواية تأتي في هشام بن سالم يظهر منها كونه من الشيعة المتدينين ، بل يستشم من مجموع الرواية كونه مورد لطف الرضا عليه السلام فلاحظ وتدبر . انتهى . أقول : وأنت ترى أن الرواية خالية عماذكره رحمه الله .

٤٤ ـ يد : ما جيلويه ، عن عمّه ، عن محمّد بن عليّ الصيرفيّ ، عن عليّ بن حمّاد ، عن المفضّل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله تبارك وتعالى لا يقدّر قدرته ولا يقدر العباد على صفته ، ولايبلغون كنه علمه ، ولامبلغ عظمته ، وليس شيء غيره ، و هو نورٌ ليس فيه ظلمةٌ ، وصدقٌ ليس فيه كذب ، وعدلٌ ليس فيه جورٌ ، وحقٌّ ليس فيه باطلٌ ، كذلك لم يزل ولايزال أبدالآبدين ، وكذلك كان إذلم تكن أرضٌ ولاسماءٌ ، ولاليلٌ ولانهارٌ ، ولاشمسٌ ولاقمرٌ ، ولانجومٌ ولاسحابٌ ، ولامطرٌ ولا رياحٌ ؛ ثمّ إنّ الله تبارك و تعالى أحبّ أن يخلق خلقاً يعظّمون عظمته ، ويكبّرون كبرياءه ، ويجلّون جلاله ، فقال : كونا ظلّين ، فكانا كما قال الله تبارك وتعالى .

قال الصدوق رحمه الله : معنى قوله : هو نور أي هو منير وهاد ، ومعنى قوله : كونا ظلّين الروح المقدّس و الملك المقرّب ، و المراد به أنّ الله كان ولا شيء معه فأراد أن يخلق أنبياءه و حججه وشهداءه فخلق قبلهم الروح المقدّس ، وهو الّذي يؤيّد الله عزّ وجلّ به أنبياءه وشهداءه وحججه صلوات الله عليهم ، وهو الّذي يحرسهم به من كيد الشيطان ووسواسه ، ويسدّدهم ويوفّقهم ويمدّهم بالخواطر الصادقة ، ثمّ خلق الروح الأمين الّذي نزل على أنبيائه بالوحي منه عزّ و جلّ و قال لهما : كونا ظلّين ظليلين لأنبيائي ورسلي وحججي وشهدائي ، فكانا كماقال الله عزّوجلّ ظلّين ظليلين لأنبيائه و رسله وحججه وشهدائه ، يعينهم بهما ، وينصرهم على أيديهما ، ويحرسهم بهما ، وعلى هذا المعنى قيل للسلطان العادل : إنّه ظلّ الله في أرضه لعباده ، يأوى إليه المظلوم ، و يأمن به الخائف الوجل ، ويأمن به السبل ، وينتصر به الضعيف من القويّ ،[1] وهذا هو سلطان الله وحجّته الّتي لاتخلو الأرض منه إلى أن تقوم الساعة .[2]

---

(١) وفى نسخة : وينتصف به الضعيف من القوى .

(٢) ماذكره الصدوق رحمه الله وماأورده المصنف في البيان لاينطبق شيء منهما على فقرات الرواية ، والذي يظهر من الروايات الواردة في هذا اللسان أن المراد بقوله : ليس شيء غيره : انه الشيء بحقيقة الشيئية والوجود كمايؤيده الفقرات التاليات . والمراد بالظلين : العالمين العلوى والسفلى وهو المعنى المناسب لقوله : ليس شيء غيره . ط

بيان : قوله عليه السلام : وليس شيء غيره أي كذلك ، أو كان كذلك حين لاشيء غيره ، ويحتمل اتّصاله بمابعده أي هو متّصف بتلك الأوصاف المذكورة بعد ذلك لاشيء غيره . وقوله عليه السلام : كونا ظلّين يحتمل أن يكون إشارة إلى خلق أرواح الثقلين ، فإنّ الظلال تطلق على عالم الأرواح في الأخبار كما سيأتي ، أو إلى الملائكة وأرواح البشر ، أو إلى نور محمّد وعليّ صلوات الله عليهما ، أو نور محمّد و نور أهل بيته عليهم السلام ، ويؤيّده ماسيأتي في باب بدء خلق أرواح الأئمّة عليهم السلام عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان الله ولا شيء غيره ، فأوّل ماابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمّداً وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته ، فأوقفنا أظلّة خضراء بين يديه ، حيث لاسماء ولاأرض ولامكان ، ولاليل ولانهار ولاشمس ولاقمر . الخبر . وعن صفوان ، عن الصادق عليه السلام قال : لمّا خلق الله السماوات والأرضين استوى على العرش فأمر نورين من نوره فطافا حول العرش سبعين مرّة ، فقال عزّوجلّ ، هذان نوران لي مطيعان ، فخلق الله من ذلك النور محمّداً وعليّاً والأصفياء من ولده عليهم السلام . وعن الثمالي قال : دخلت حبابة الوالبيّة[1] على أبي جعفر عليه السلام فقالت : أخبرني ياابن رسول الله أيّ شيء كنتم في الأظلّة ؟ فقال عليه السلام : كنّا نوراً بين يدي الله قبل خلق خلقه . الخبر .

ويحتمل أن يكون المراد بهما مادّتي السماء والأرض .

٤٥ ـ **فس** : أبي، عن البزنطيّ ، عن الرضا عليه السلام قال : قال لي : ياأحمد ماالخلاف بينكم وبين أصحاب هشام بن الحكم في التوحيد ؟ فقلت : جعلت فداك قلنا نحن بالصورة للحديث الّذي روي أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله رأى ربّه في صورة شابّ ! فقال هشام ابن الحكم بالنفي بالجسم . فقال : ياأحمد إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا اُسري به إلى السماء و بلغ عند سدرة المنتهى خرق له في الحجب مثل سمّ الإبرة فرأى من نور العظمة ماشاء الله أن يرى ، وأردتم أنتم التشبيه ، دع هذا يا أحمد لا ينفتح عليك منه أمر عظيم .

بيان : بالنفي أي نفي الصورة مع القول بالجسم ، و المراد بالحجب إمّا الحجب المعنويّة وبالرؤية الرؤية القلبيّة ، أو الحجب الصوريّة ، فالمراد بنور العظمة آثار عظمته برؤية عجائب خلقه .

---

(١) الحبابة بفتح الحاء و تخفيف الباء .

٤٦ ـ **سن** : محمّد بن عيسى ، عن أبي هاشم الجعفريّ قال : أخبرني الأشعث بن حاتم أنّه سأل الرضا عليه السلام عن شيء من التوحيد فقال : ألا تقرأ القرآن ؟ قلت : نعم ، قال : اقرأ : لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار . فقرأت فقال : وما الأبصار ؟ قلت : أبصار العين قال : لا إنّما عنى الأوهام ، لا تدرك الأوهام كيفيّته وهو يدرك كلّ فهم .

سن : محمّد بن عيسى ، عن أبي هاشم ، عن أبي جعفر عليه السلام نحوه ، إلّا أنّه قال : الأبصار ههنا أوهام العباد ، والأوهام أكثر من الأبصار ، وهو يدرك الأوهام ولا تدركه الأوهام .

بيان : كون الأوهام أكثر لأنّ البصر في الشخص متّحد ، وله واهمة ومتفكّرة و متخيّلة وعاقلة ، وكثيراً ما يسلب عن الشخص البصر وتكون له تلك القوى ، ويحتمل أن يكون المراد بها أكثريّة مدركاتها فإنّها تدرك مالا يدركه البصر أيضاً .

٤٧ ـ **شي** : عن الثماليّ ، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال : سمعته يقول : لا يوصف الله بمحكم وحيه ، عظم ربّنا عن الصفة ، وكيف يوصف من لا يحدّ ، وهو يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار وهو اللّطيف الخبير .

بيان : أي دلّ محكم الآيات على أنّه لا يوصف كقوله تعالى : «ليس كمثله شيء» وقوله : «لا تدركه الأبصار» .

أقول : قد مرّ كثير من الأخبار المناسبة لهذا الباب في باب إثبات الصانع ، و باب النهي عن التفكّر ، و سيأتي بعضها في باب جوامع التوحيد ، وباب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على النصارى ، وباب الرؤية .

﴿باب ١٤﴾

﴿نفي الزمان والمكان والحركة والانتقال عنه تعالى﴾
﴿وتأويل الايات والاخبار في ذلك﴾

١ ـ **لى** : السناني ، عن الأسدي ، عن النخعي ، عن عمه النوفلي ، عن علي بن سالم عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : إن الله تبارك و تعالى لا يوصف بزمان ولا مكان ولا حركة ولا انتقال ولا سكون ؛ بل هو خالق الزمان و المكان و الحركة و السكون والانتقال ، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

٢ ـ **شا** ، ج : روي أن بعض أحبار اليهود جاء إلى أبي بكر فقال له : أنت خليفة رسول الله على الأمة ؟ (١) فقال : نعم ، فقال : إنا نجد في التورية أن خلفاء الأنبياء أعلم أممهم ، فخبرني عن الله أين هو ؟ في السماء هو أم في الأرض ؟ فقال له أبو بكر : في السماء على العرش ، قال اليهودي : فأرى الأرض خالية منه ، فأراه على هذا القول في مكان دون مكان ؛ فقال له أبو بكر : هذا كلام الزنادقة ، اعزب عني وإلا قتلتك ؛ فولى الرجل متعجباً يستهزىء بالإسلام ، فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : يا يهودي قد عرفت ما سألت عنه وما اُجبت به وإنا نقول : إن الله عز وجل أين الأين فلا أين له ، وجل من أن يحويه مكان ، وهو في كل مكان بغير مماسة ولا مجاورة ، يحيط علماً بما فيها ، ولا يخلو شيء من تدبيره تعالى ، وإني مخبرك بما جاء في كتاب من كتبكم ، يصدق بما ذكرته لك فإن عرفته أتؤمن به ؟ قال اليهودي : نعم ، قال : ألستم تجدون في بعض كتبكم أن موسى بن عمران كان ذات يوم جالساً . إذ جاءه ملك من المشرق فقال له : من أين جئت ؟ قال : من عند الله عز و جل ، ثم جاءه ملك من المغرب فقال له : من أين جئت ؟ قال : من عند الله عز وجل ، ثم جاءه ملك آخر ، فقال له : من أين جئت ؟ قال : قد جئتك من السماء السابعة من عند الله عز وجل ، وجاءه ملك آخر فقال : من أين جئت ؟ قال : قد جئتك من الأرض السابعة السفلى من عند الله عز وجل ، فقال موسى عليه السلام : سبحان

(١) في نسخة : أنت خليفة رسول هذه الامة .

من لايخلو منه مكان ولايكون إلى مكان أقرب من مكان ؛ فقال اليهودي : أشهد أن هذا هو الحق المبين ، وأنك أحق بمقام نبيك ممن استولى عليه .

بيان : عزب عنه يعزب ويعزُب أي بعد وغاب ، وفسر عليه السلام قوله : وهو في كل مكان بما ذكره بعده ليظهر أن المراد به الإحاطة بالعلم والتدبير .

٣ ـ **شا** ، **ج** : روى الشعبي أنه سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً يقول : والذي احتجب بسبع طباق ؛ فعلاه بالدرة ،[1] ثم قال له : يا ويلك إن الله أجل من أن يحتجب عن شيء ، أو يحتجب عنه شيء سبحان الذي لايحويه مكان ، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ؛ فقال الرجل : أفاُكفر عن يميني يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا لم تحلف بالله فيلزمك الكفارة[2] وإنما حلفت بغيره .

٤ ـ **ج** : في جواب اسؤلة الزنديق المنكر للقرآن عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : معنى قوله : « هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك» فإنما خاطب نبينا صلى الله عليه وآله هل ينتظر المنافقون والمشركون إلا أن تأتيهم الملائكة فيعاينوهم ، أو يأتي ربك ، أو يأتي بعض آيات ربك ؟ يعني بذلك أمر ربك ، والآية هي العذاب في دار الدنيا كما عذب الاُمم السالفة ، والقرون الخالية ، وقال : «أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها » يعني بذلك مايهلك من القرون فسماه إتياناً ، و قوله : «الرحمن على العرش استوى» يعني استوى تدبيره وعلا أمره ، وقوله : «وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله » وقوله : «وهو معكم أينما كنتم» وقوله : «مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » فإنما أراد بذلك استيلاء اُمنائه بالقدرة التي ركبها فيهم على جميع خلقه ، وأن فعلهم فعله . الخبر .

يد : في هذا الخبر: وقال في آية اُخرى : « فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا » يعني أرسل عليهم عذاباً ، وكذلك إتيانه بنيانهم ؛ وقال الله عز وجل : « فأتى الله بنيانهم من القواعد » فإتيانه بنيانهم من القواعد إرسال العذاب .

---

(١) الدرة بكسر الدال وتشديد الراء : السوط .

(٢) فى **شا** : فيلزمك الكفارة كفارة الحنث .

تبيان : قال البيضاويّ : هل ينظرون أي ماينتظرون يعني أهل مكّة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لمّا كان يلحقهم لحوق المنتظر شبّهوا بالمنتظرين . إلّا أن تأتيهم الملائكة ملائكة الموت أوالعذاب . أو يأتي ربّك أي أمره بالعذاب ، أو كلّ آية يعني آيات القيامة والهلاك الكلّي لقوله : «أو يأتي بعض آيات ربّك» يعني أشراط الساعة .(١)

أقول : لعلّه عليه السلام فسّر إتيان الربّ بالقيامة ، وإتيان أمره تعالى بقيامها ، وإتيان بعض الآيات بنزول العذاب في الدنيا ، وإتيان الملائكة بظهورهم عند الموت ، أو الأعمّ منه ومن غيره .

وقال الطبرسيّ رحمه الله أولم يروا أنّا نأتي الأرض أي نقصدها . ننقصها من أطرافها اختلف في معناه على أقوال : أحدها : أولم يرهؤلاء الكفّار أنّا ننقص أطراف الأرض بإماتة أهلها . وثانيها : ننقصها بذهاب علمائها وفقهائها وخيار أهلها . وثالثها : أنّ المراد نقصد الأرض ننقصها من أطرافها بالفتوح على المسلمين منها فننقص من أهل الكفر ونزيد في المسلمين ، يعني ما دخل في الإسلام من بلاد الشرك . ورابعها : أنّ معناه أولم يروا ما يحدث في الدنيا من الخراب بعد العمارة ، والموت بعد الحياة ، والنقصان بعد الزيادة انتهى .

و أمّا ماذكره عليه السلام أخيراً في الخبر الأوّل فالظاهر تعلّقه بالثلاثة الأخيرة ، فالمراد بالاُولى نفوذ أمره تعالى في السماء والأرض ، وخلقه الملائكة والحجج فيهما ، وإنفاذهم أمره تعالى فيهما ، وبالثانية كون الملائكة والحجج معهم شاهدين عليهم ، وكذا الثالثة .

٥ ـ ج : عن يعقوب بن جعفر الجعفريّ ، عن أبي إبراهيم موسى عليه السلام قال : ذكر عنده قوم زعموا أنّ الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا ؛ فقال : إنّ الله لاينزل ولايحتاج إلى أن ينزل ، إنّما منظره في القرب والبعد سواء ، لم يبعد منه قريب ، ولم يقرب منه بعيد ، ولم يحتج إلى شيء بل يحتاج إليه ، وهوذوالطول لاإله إلّا هو العزيز الحكيم ؛ أمّا قول الواصفين : إنّه ينزل تبارك وتعالى عن ذلك فإنّما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أوزيادة ، وكلّ متحرّك محتاج إلى من يحرّكه أو يتحرّك به فمن ظنّ بالله الظنون

---

(١) أشراط الساعة : علائمها .

فقدهلك وأهلك ، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حدّ من نقص أو زيادة ، أو تحريك أو تحرّك ، أو زوال أو استنزال ، أو نهوض أو قعود فإنّ الله عزّ وجلّ عن صفة الواصفين و نعت الناعتين وتوهّم المتوهّمين .

يد : الدقّاق ، عن الأسديّ ، عن البرمكيّ ، عن عليّ بن عيّاش ، عن الحسن بن راشد ، عن يعقوب بن جعفر الجعفريّ مثله . وزاد في آخره : وتوكّل على العزيز الرحيم الّذي يراك حين تقوم وتقلّبك في الساجدين .

بيان : إنّما منظره أي نظره وعلمه وإحاطته ، بأن يكون مصدراً ميميّاً ، أو ما ينظر إليه في القرب والبعد منه سواء أي لايختلف اطّلاعه على الأشياء بالقرب و البعد لأنّ القرب والبعد إنّما يجريان في المكانيّ بالنسبة إلى المكان ، وهو سبحانه متعال عن المكان . والطول : الفضل والإنعام .

قوله : فإنّما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أي النزول المكانيّ إنّما يتصوّر في المتحيّز ، وكلّ متحيّز موصوف بالتقدّر ، وكلّ متقدّر متّصف بالنقص عمّا هو أزيد منه ، و بالزيادة على ماهو أنقص منه ، أو يكون في نفسه قابلاً للزيادة والنقصان ، والوجوب الذاتيّ ينافي ذلك ، لاستلزامه التجزّي والانقسام المستلزمين للإمكان ؛ وأيضاً كلّ متحرّك محتاج إلى من يحرّكه أو يتحرّك به لأنّ المتحرّك إمّا جسم أو متعلّق بالجسم ، والجسم المتحرّك لابدّ له من محرّك لأنّه ليس يتحرّك بجسميّته ، والمتعلّق بالجسم لابدّ له في تحرّكه من جسم يتحرّك به ، وهو سبحانه منزّه عن الاحتياج إلى المتحرّك ، وعن التغيّر بمغيّر ، وعن التعلّق بجسم يتحرّك به ؛ ويحتمل أن يكون المراد بالأوّل الحركة القسريّة ، وبالثاني مايشمل الإراديّة و الطبيعيّة ، بأن يكون المراد بقوله : من يتحرّك به مايتحرّك به من طبيعة أو نفس .

وقوله : من أن تقفوا من وقف يقف أي أن تقوموا في الوصف له وتوصيفه على حدّ فتحدّونه بنقص أو زيادة ؛ ويحتمل أن يكون من قفا يقفو أي أن تتبّعوا له في البحث عن صفاته تتبّعاً على حدّ تحدّونه بنقص أو زيادة . وقوله : حين تقوم أي إلى التهجّد أو إلى الخيرات أو إلى الأمور كلّها وتقلّبك في الساجدين أي تردّدك وحركاتك فيما بين المصلّين بالقيام والقعود والركوع والسجود .

٦- ج : عن يعقوب بن جعفر الجعفري قال سأل رجل - يقال له : عبدالغفار السلمي - أبا إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى : «ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى» فقال : أرى ههنا خروجاً من حجب وتدلياً إلى الأرض ، وأرى محمداً صلى الله عليه وآله رأى ربه بقلبه ونسب إلى بصره وكيف هذا ؟ فقال أبو إبراهيم عليه السلام : دنى فتدلى ، فإنه لم يدل عن موضع ، ولم يتدل ببدن . فقال عبدالغفار : أصفه بما وصف به نفسه حيث قال : دنى فتدلى فلم يتدل عن مجلسه إلا قد زال عنه ، ولولا ذلك لم يصف بذلك نفسه . فقال أبو إبراهيم عليه السلام : إن هذه لغة في قريش إذا أراد الرجل منهم أن يقول : « قد سمعت » يقول : قد تدليت ، وإنما التدلي : الفهم .

بيان : التدلي : القرب ، والنزول من علو ، والامتداد إلى جهة السفل ، ويكون من التدلل بمعنى الغنج ؛ وما ذكره عليه السلام أن المراد به الفهم فهو على المجاز لأن من يريد فهم شيء يتدلى إلى القائل ليسمعه ويفهمه . ثم اعلم أنه قد اختلف في تفسير هذه الآية على وجوه :

الاول : أن تكون الضمائر راجعة إلى جبرئيل عليه السلام ، فالمعنى : وهو أي جبرئيل بالأفق الأعلى « أفق السماء » ثم دنى من النبي صلى الله عليه وآله فتدلى أي تعلق به ، وهو تمثيل لعروجه بالرسول صلى الله عليه وآله ، أو تدلى من الأفق الأعلى فدنى من الرسول ، فيكون إشعاراً بأنه عرج به غير منفصل عن محله وتقريراً لشدة قوته ، وقيل : المعنى: قرب فاشتد قربه ، فكان البعد بينهما قاب قوسين أي قدرهما أو أدنى ، و المقصود تمثيل ملكة الاتصال و تحقيق استماعه لما أوحي إليه بنفي البعد الملبس .

الثاني : أن تكون الضمائر راجعة إلى محمد صلى الله عليه وآله أي ثم دنى محمد من الخلق والأمة ، وصار كواحد منهم فتدلى إليهم بالقول اللين والدعاء الرفيق فالحاصل أنه صلى الله عليه وآله استوى وكمل فدنى من الخلق بعد علوه وتدلى إليهم وبلغ الرسالة .

الثالث : أن تكون الضمائر راجعة إلى الله تعالى ، فيكون دنوه كناية عن رفع مكانته ، وتدليه عن جذبه بشراشره إلى جناب القدس ، والحاصل أنه مؤول بالدنو المعنوي ، والتقرب والمعرفة واللطف ، على ما يؤول حديث «من تقرب إلي شبراً تقربت

إليه ذراعاً » وقيل : الدنوّ منه صلى الله عليه وآله ، وهو كناية عن عظم قدره حيث انتهى إلى حيث لم ينته إليه أحد ، والتدلّي منه تعالى كناية عن غاية لطفه ورحمته .

٧ ـ لي ، يد ، ن : الدقّاق ، عن الصوفيّ ، عن الرويانيّ ، عن عبدالعظيم الحسنيّ ، عن إبراهيم بن أبي محمود قال : قلت للرضا عليه السلام : يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الّذي يرويه الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ أنّه قال : إنّ الله تبارك وتعالى ينزل كلّ ليلة إلى السماء الدنيا فقال عليه السلام : لعن الله المحرّفين للكلم عن مواضعه ، والله ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله : كذلك إنّما قال صلى الله عليه وآله : إنّ الله تبارك و تعالى يُنزل ملكاً إلى السماء الدنيا كلّ ليلة في الثلث الأخير ، وليلة الجمعة في أوّل اللّيل فيأمره فينادي : هل من سائل فأُعطيه ؟ هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ يا طالب الخير أقبل ، يا طالب الشرّ أقصر ؛ فلا يزال ينادي بهذا إلى أن يطلع الفجر ، فإذا طلع الفجر عاد إلى محلّه من ملكوت السماء .[1] حدّثني بذلك أبي ، عن جدّي ، عن آبائه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله .

ج : مرسلاً مثله .

بيان : الظاهر أنّ مراده عليه السلام تحريفهم لفظ الخبر ، ويحتمل أن يكون المراد تحريفهم معناه بأن يكون المراد بنزوله تعالى إنزال ملائكته مجازاً .

ع : السنانيّ والدقّاق والمكتب والورّاق ، عن الأسديّ مثله .

٨ ـ لي : السنانيّ ، عن الأسديّ ، عن النخعيّ ، عن النوفليّ ، عن عليّ بن سالم ، عن أبيه ، عن ثابت بن دينار قال : سألت زين العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام عن الله جلّ جلاله هل يوصف بمكان ؟ فقال : تعالى الله عن ذلك . قلت : فلمَ أسرى نبيّه محمّداً صلى الله عليه وآله إلى السماء ؟ قال : ليريه ملكوت السماء وما فيها من عجائب صنعه وبدائع خلقه . قلت : فقول الله عزّ وجلّ : «ثمّ دنى فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى» قال : ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله دنى من حجب النور فرأى ملكوت السماوات ، ثمّ تدلّى صلى الله عليه وآله فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض حتّى ظنّ أنّه في القرب من الأرض كقاب قوسين أو أدنى .

(١) الملكوت : الملك العظيم ، العز والسلطان . والملكوت السماوي : هو محل القديسين في السماء .

٩ ـ **فس** : أبي ، عن حمّاد ، عن حريز ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الربّ تبارك وتعالى ينزل كلّ ليلة جمعة إلى سماء الدنيا من أوّل الليل ، وفي كلّ ليلة في الثلث الأخير ، وأمامه ملك ينادي : هل من تائب يتاب عليه ؟ هل من مستغفر فيغفر له ؟ هل من سائل فيعطى سؤله ؟ اللّهمّ أعط كلّ منفق خلفاً[١] وكلّ ممسك تلفاً ؛ فإذا طلع الفجر عاد الربّ إلى عرشه فيقسّم الأرزاق بين العباد . ثمّ قال للفضيل بن يسار : يافضيل نصيبك من ذلك وهو قول الله : «وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه» إلى قوله : «أكثرهم بهم مؤمنون» .

بيان : نزوله تعالى كناية عن تنزّله عن عرش العظمة والجلال ، وأنّه مع غنائه عنهم من جميع الوجوه يخاطبهم بما يخاطب به من يحتاج إلى غيره تلطّفاً وتكرّماً ، وعوده إلى عرشه عن توجّهه تعالى إلى شؤون آخر يفعله الملوك إذا تمكّنوا على عرشهم . قوله عليه السلام : نصيبك أي خذ نصيبك من هذا الخير ولا تغفل عنه .

١٠ ـ **ع** : المكتب والورّاق والهمدانيّ ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن يحيى بن أبي عمران ، وصالح بن السنديّ ، عن يونس بن عبد الرحمن قال : قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام : لأيّ علّة عرج الله بنبيّه صلّى الله عليه وآله إلى السماء ، ومنها إلى سدرة المنتهى ، ومنها إلى حجب النور ، وخاطبه وناجاه هناك والله لا يوصف بمكان ؟ فقال عليه السلام : إنّ الله لا يوصف بمكان ، ولا يجري عليه زمان ، ولكنّه عزّ وجلّ أراد أن يشرّف به ملائكته وسكّان سماواته ويكرمهم بمشاهدته ، ويريه من عجائب عظمته مايخبر به بعد هبوطه ، وليس ذلك على مايقوله المشبّهون ، سبحان الله وتعالى عمّا يصفون .

يد : عليّ بن الحسين بن الصلت ، عن محمّد بن أحمد بن عليّ بن الصلت ، عن عمّه عبدالله ابن الصلت ، عن يونس مثله .

١١ ـ **ع** : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن مالك بن عيينة[٢] عن حبيب السجستانيّ قال : سألت أباجعفر عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ : «ثمّ دنى فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى» فقال لي : ياحبيب لا تقرأ هكذا

---

(١) الخلف : البدل والعوض .

(٢) لم نجد له ذكراً في التراجم .

اقرأ : ثمّ دنى فتدانا فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الله إلى عبده يعني رسول الله صلّى الله عليه وآله ماأوحى ؛ ياحبيب إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا فتح مكّة أتعب نفسه في عبادة الله عزّ وجلّ والشكر لنعمه في الطواف بالبيت وكان عليّ عليه السلام معه فلمّا غشيهم اللّيل انطلقا إلى الصفا والمروة يريدان السعي ، قال : فلمّا هبطا من الصفا إلى المروة وصارا في الوادي دون العلم الّذي رأيت غشيهما من السماء نور فأضاءت لهما جبال مكّة ، و خسأت أبصارهما ،[1] قال : ففزعا لذلك فزعاً شديداً ، قال : فمضى رسول الله صلّى الله عليه وآله حتّى ارتفع من الوادي ، وتبعه عليّ عليه السلام فرفع رسول الله صلّى الله عليه وآله رأسه إلى السماء فإذا هو برمّانتين على رأسه ، قال : فتناولهما رسول الله صلّى الله عليه وآله فأوحى الله عزّ وجلّ إلى محمّد : يا محمّد إنّها من قطف الجنّة فلا يأكل منها إلّا أنت ووصيّك عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، قال : فأكل رسول الله صلّى الله عليه وآله إحديهما ، وأكل عليّ عليه السلام الاُخرى ثمّ أوحى الله عزّ وجلّ إلى محمّد صلّى الله عليه وآله ماأوحى . قال أبو جعفر عليه السلام : يا حبيب «ولقد رآه نزلة اُخرى عند سدرة المنتهى عندها جنّة المأوى» يعني عندها وافا به جبرئيل حين صعد إلى السماء ، قال : فلمّا انتهى إلى محلّ السدرة وقف جبرئيل دونها و قال : يا محمّد إنّ هذا موقفي الّذي وضعني الله عزّ و جلّ فيه ، ولن أقدر على أن أتقدّمه ، ولكن امض أنت أمامك إلى السدرة ، فوقف عندها ؛ قال : فتقدّم رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى السدرة وتخلّف جبرئيل عليه السلام ، قال أبو جعفر عليه السلام : إنّما سمّيت سدرة المنتهى لأنّ أعمال أهل الأرض تصعد بها الملائكة الحفظة إلى محلّ السدرة ، و الحفظة الكرام البررة دون السدرة يكتبون ماترفع إليهم الملائكة من أعمال العباد في الأرض ، قال : فينتهون بها إلى محلّ السدرة ، قال : فنظر رسول الله صلّى الله عليه وآله فرأى أغصانها تحت العرش وحوله ، قال : فتجلّى لمحمّد صلّى الله عليه وآله نور الجبّار عزّ وجلّ ، فلمّا غشي محمّداً صلّى الله عليه وآله النور شخص ببصره ، و ارتعدت فرائصه ، قال : فشدّ الله عزّ وجلّ لمحمّد قلبه و قوّى له بصره حتّى رأى من آيات ربّه مارأى ، وذلك قول الله عزّ وجلّ : « ولقد رآه نزلة اُخرى عند سدرة المنتهى عندها جنّة المأوى» قال يعني الموافاة ، قال : فرأى محمّد صلّى الله عليه وآله مارأى ببصره من آيات ربّه الكبرى ، يعني أكبر الآيات .

قال أبو جعفر عليه السلام : وإنّ غلظ السدرة بمسيرة مائة عام من أيّام الدنيا ، و إنّ

(١) خسأ البصر : كل وأعيا .

الورقة منها تغطّي أهل الدنيا ، وإنّ لله عزّ وجلّ ملائكة وكلهم بنبات الأرض من الشجر والنخل فليس من شجرة ولا نخلة إلّا ومعها من الله عزّ وجلّ ملك يحفظها وما كان فيها ولولا أنّ معها من يمنعها لأكلها السباع وهوامّ الأرض إذا كان فيها ثمرها ، قال : وإنّما نهى رسول الله ﷺ أن يضرب أحد من المسلمين خلاه تحت شجرة أو نخلة قد أثمرت لمكان الملائكة الموكّلين بها ، قال : ولذلك يكون الشجر والنخل إنساً إذا كان فيه حمله ،[1] لأنّ الملائكة تحضره .

إيضاح : القطف بالكسر : اسم للثمار المقطوعة من اُصولها . وشخوص البصر : فتحه بحيث لا يطرف . والفريصة : ودج العنق واللّحمة بين الجنب والكتف لا تزال ترعد .

١٢ ـ **فس** : قوله : وهو بالاُفق الأعلى يعني رسول الله ﷺ ، ثمّ دنى يعني رسول الله ﷺ من ربّه عزّ وجلّ فتدلّى ، قال : إنّما اُنزلت «ثمّ دنى فتدانا فكان قاب قوسين » قال : كان من الله كما بين مقبض القوس إلى رأس السية أو أدنى ،[2] قال : بل أدنى من ذلك ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، قال : وحي المشافهة .

تبيين : قال الجوهريّ تقول : بينهما قاب قوس ، وقيب قوس ، وقاد قوس ، وقيد قوس أي قدر قوس ، والقاب ما بين المقبض والسية ، ولكلّ قوس قابان . و قال بعضهم في قوله تعالى : «فكان قاب قوسين» أراد قابي قوس فغلبه .

١٣ ـ **ل** : في مسائل اليهوديّ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال له : فربّك يَحمل أو يُحمل ؟ قال : إنّ ربّي عزّ وجلّ يحمل كلّ شيء بقدرته ، ولا يحمله شيء . قال : فكيف قوله عزّ وجلّ : «ويحمل عرش ربّك فوقهم يومئذ ثمانية» ؟ قال : يا يهوديّ ألم تعلم أنّ لله ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ، فكلّ شيء على الثرى ، والثرى على القدرة ، والقدرة تحمل كلّ شيء . الخبر .

١٤ ـ **يد ، ن** : تميم القرشيّ ، عن أبيه ، عن أحمد بن عليّ الأنصاريّ ، عن الهرويّ قال : سأل المأمون أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : «وهو الّذي خلق السموات والأرض في ستّة أيّام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً »

---

(١) وفي نسخة : ولذلك يكون للشجر والنخل اُنساً إذا كان فيه حمله .

(٢) سية القوس بكسر السين : ما عطف من طرفيها .

فقال : إنّ الله تبارك وتعالى خلق العرش والماء والملائكة قبل خلق السماوات والأرض ، وكانت الملائكة تستدلّ بأنفسها وبالعرش والماء على الله عزّ وجلّ ، ثمّ جعل عرشه على الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة فتعلم أنّه على كلّ شيء قدير ، ثمّ رفع العرش بقدرته ونقله ، وجعله فوق السماوات السبع ، ثمّ خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام وهو مستول على عرشه ، وكان قادراً على أن يخلقها في طرفة عين ، ولكنّه عزّ وجلّ خلقها في ستّة أيّام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شيء فيستدلّ بحدوث ما يحدث على الله تعالى ذكره مرّة بعد مرّة ، ولم يخلق الله العرش لحاجة به إليه لأنّه غنيّ عن العرش وعن جميع ما خلق ، لا يوصف بالكون على العرش لأنّه ليس بجسم ، تعالى عن صفة خلقه علوّاً كبيراً .

١٥ ـ **يد ، مع ، ن** : المعاذي ، عن أحمد الهمدانيّ ،[١] عن عليّ بن فضّال ،[٢] عن أبيه قال : سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : «كلّا إنّهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون» فقال : إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان يحلّ فيه فيحجب عنه فيه عباده ، ولكنّه يعني أنّهم عن ثواب ربّهم محجوبون .

قال : وسألته عن قول الله عزّ وجلّ : «وجاء ربّك والملك صفّاً صفّاً» فقال : إنّ الله عزّ وجلّ لا يوصف بالمجيء والذهاب ، تعالى عن الانتقال ، إنّما يعني بذلك وجاء أمر ربّك والملك صفّاً صفّاً .

---

(١) هو أحمد بن محمد بن سعيد السبيعي الهمداني الحافظ ، المكنى بأبي العباس ، المعروف بابن عقدة ، كان كوفيا زيديا جاروديا ثقة ، تقدم ترجمته مفصلا .

(٢) هو علي بن الحسن بن علي بن فضال بن عمر بن أيمن مولى عكرمة بن ربعي الفياض أبو الحسن كان فقيه أصحابنا بالكوفة ، ووجههم وثقتهم وعارفهم بالحديث والمسموع قوله فيه ، سمع منه شيئا كثيراً ولم يعثر له على زلة فيه ولا ما يشينه ، وقل ما روى عن ضعيف ، وكان فطحيا ، ولم يرو عن أبيه شيئا ، وقال : كنت اقابله ـ وسني ثمان عشرة سنة ـ بكتبه ، ولا أفهم إذ ذاك الروايات ، ولا أستحل أن أرويها عنه ، وروى عن أخويه عن أبيهما ، وذكر أحمد بن الحسين رحمه الله أنه رأى نسخة أخرجها أبو جعفر بن بابويه ، وقال : حدثنا محمد بن إبراهيم بن اسحاق الطالقاني ، قال : حدثنا أحمد بن سعيد ، قال : حدثنا علي بن الحسن بن فضال ، عن أبيه ، عن الرضا عليه السلام ، ولا يعرف الكوفيون هذه النسخة ، ولا رويت من غير هذا الطريق . قاله النجاشي وعدّ له كتباً كثيرة .

قال : وسألته عن قول الله عزّ وجلّ : «هل ينظرون إلّا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة» قال : يقول : هل ينظرون إلّا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام ، وهكذا نزلت . قال : وسألته عن قول الله عزّ وجلّ : «سخر الله منهم» وعن قول الله : «يستهزيء بهم» وعن قوله تعالى : «ومكروا ومكر الله» وعن قول الله عزّ وجلّ : «يخادعون الله وهو خادعهم» . فقال : إنّ الله عزّ وجلّ لايسخر ولايستهزيء ولايمكر ولايخادع ، ولكنّه عزّ وجلّ يجازيهم جزاء السخريّة وجزاء الاستهزاء و جزاء المكر والخديعة تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيرا .

ج : مرسلاً عنه عليه السلام .

بيان : قال الزمخشريّ في الآية الأولى : كونهم محجوبين عنه ، تمثيل للاستخفاف بهم وإهانتهم لأنّه لايؤذن على الملوك إلّا للمكرّمين لديهم ، ولايحجب عنهم إلّا المهانون عندهم . وقال الرازيّ في الآية الثانية : اعلم أنّه ثبت بالدليل العقليّ أنّ الحركة على الله محال لأنّ كلّ ما كان كذلك كان جسماً ، والجسم مستحيل أن يكون أزليّاً ، فلابدّ فيه من التأويل ، وهو أنّ هذا من باب حذف المضاف ، وإقامة المضاف إليه مقامه ؛ ثمّ ذلك المضاف ماهو؟ فيه وجوه :

أحدها : وجاء أمر ربّك للمحاسبة والمجازات . وثانيها : وجاء قهر ربّك كما يقال : جاءتنا بنوا اُميّة أي قهرهم . وثالثها : وجاء جلائل آيات ربّك ، لأنّ هذا يكون يوم القيامة ، وفي ذلك اليوم تظهر العظام وجلائل الآيات ، فجعل مجيئها مجيئاً له تفخيماً لشأن تلك الآيات . و رابعها : و جاء ظهوره ، و ذلك لأنّ معرفة الله تصير ذلك اليوم ضروريّة فصار ذلك كظهوره و تجلّيه للخلق ، فقال : و جاء ربّك أي زالت الشبه و ارتفعت الشكوك . وخامسها : أنّ هذا تمثيل لظهور آيات الله وتبيين آثار قهره وسلطانه مثّلت حاله في ذلك بحال الملك إذا ظهر بنفسه فإنّه يظهر بمجرّد حضوره من آثار الهيبة والسياسة مالايظهر بحضور عساكره كلّها . وسادسها : أنّ الربّ المربّي فلعلّ ملكاً هو أعظم الملائكة هو مربّ للنبيّ صلى الله عليه وآله جدّاً ، فكان هو المراد من قوله : وجاء ربّك .

وقال الطبرسيّ رحمه الله في الآية الثالثة : أي هل ينتظر هؤلاء المكذّبون بآيات الله

إلّا أن يأتيهم أمرالله أي عذاب الله ، وما توعدهم به على معصيته في ستر من السحاب ، و قيل : قطع من السحاب ، وهذا كما يقال : قتل الأمير فلاناً وضربه وأعطاه ، وإن لم يتولّ شيئاً من ذلك بنفسه ، بل فعل بأمره فأسند إليه لأمره به . وقيل : معناه ما ينتظرون إلّا أن تأتيهم جلائل آيات الله ، غير أنّه ذكر نفسه تفخيماً للآيات كما يقال : دخل الأمير البلد ويراد بذلك جنده ، وإنّما ذكر الغمام ليكون أهول ، فإنّ الأهوال تشبه بظلل الغمام كما قال سبحانه : «وإذا غشيهم موج كالظلل» وقال الزجّاج : معناه : يأتيهم الله بما وعدهم من العذاب والحساب ، كما قال : «فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا» أي أتاهم بخذلانه إيّاهم ؛ والأقوال متقاربة . وقد يقال : أتى وجاء فيما لا يجوز عليه المجيىء والذهاب ، يقال : أتاني وعيد فلان ، وجاءني كلام فلان ، وأتاني حديثه ، ولا يراد به الإتيان الحقيقيّ ، ثمّ قال : وقرأ أبو جعفر الملائكة بالجرّ ، قال : وقيل : معنى الآية : إلّا أن يأتيهم الله بظلل من الغمام أي بجلائل آياته وبالملائكة . انتهى . أقول : على قراءته عليه السلام لا يحتاج إلى شيء من هذه التأويلات .

١٦ ـ ج : عن موسى بن جعفر ، عن آبائه عليهم السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال في جواب اليهوديّ الّذي سأل عن معجزات الرسول صلى الله عليه وآله : إنّه اُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسيرة شهر ، وعرج به في ملكوت السماوات مسيرة خمسين ألف عام في أقلّ من ثلث ليلة ، حتّى انتهى إلى ساق العرش فدنا بالعلم فتدلّى ، فدلّى له من الجنّة رفرف أخضر وغشى النور بصره فرأى عظمة ربّه بفؤاده ولم يرها بعينه فكان كقاب قوسين بينها وبينه أوأدنى . الخبر .

بيان : الضمير في قوله : بينها راجع إلى الجنّة ، و رجوعه إلى العظمة بعيد .

١٧ ـ يد ، ع : ابن عصام ، عن الكلينيّ ، عن عليّ بن محمّد بن سليمان ، عن إسماعيل ابن إبراهيم ، عن جعفر بن محمّد التميميّ ، عن الحسين بن علوان ، عن عمرو بن خالد ، عن زيد بن عليّ قال : سألت أبي سيّد العابدين عليه السلام فقلت له : يا أبة أخبرني عن جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا عرج به إلى السماء وأمره ربّه عزّ وجلّ بخمسين صلاة كيف لم يسأله التخفيف عن اُمّته حتّى قال له موسى بن عمران عليه السلام : ارجع الى ربّك

فاسأل التخفيف ، [1] فإنّ أُمّتك لاتطيق ذلك ؟ فقال يابنيّ : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان لايقترح [2] على ربّه عزّ وجلّ ولايراجعه في شيء يأمره به ، فلمّا سأله موسى عليه السلام ذلك فكان شفيعاً لاُمّته إليه لم يجز له ردّ شفاعة أخيه موسى فرجع إلى ربّه فسأله التخفيف إلى أن ردّها إلى خمس صلوات .

قال : قلت له : يا أبة فلمَ لايرجع إلى ربّه عزّ وجلّ [3] ويسأله التخفيف عن خمس صلوات وقد سأله موسى عليه السلام أن يرجع إلى ربّه و يسأله التخفيف ؟ فقال يابنيّ أراد صلى الله عليه وآله أن يحصل لاُمّته التخفيف مع أجر خمسين صلاة يقول الله عزّ وجلّ : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ألاترى أنّه صلى الله عليه وآله لمّا هبط إلى الأرض نزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال : يامحمّد إنّ ربّك يقرؤك السلام ويقول : إنّها خمس بخمسين ، مايبدّل القول لديّ وما أنا بظلّام للعبيد قال : فقلت له : ياأبة أليس الله تعالى ذكره لايوصف بمكان ؟ قال : تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً .

قلت : فمامعنى قول موسى عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله : ارجع إلى ربّك ؟ فقال : معناه معنى قول إبراهيم عليه السلام : إنّي ذاهب إلى ربّي سيهدين ، ومعنى قول موسى عليه السلام : و عجلت إليك ربّ لترضى ، ومعنى قوله عزّ وجلّ : «ففرّوا إلى الله» يعني حجّوا إلى بيت الله ، يا بنيّ إنّ الكعبة بيت الله تعالى ، فمن حجّ بيت الله فقد قصد إلى الله ، والمساجد بيوت الله فمن سعى إليها فقد سعى إلى الله وقصد إليه ، والمصلّي مادام في صلاته فهو واقف بين يدي الله جلّ جلاله ، و أهل موقف عرفات هم وقوف بين يدي الله عزّ وجلّ ، وإنّ لله تبارك و تعالى بقاعاً في سماواته فمن عرج به إلى بقعة منها فقد عرج به إليه ، ألاتسمع الله عزّ وجلّ يقول : «تعرج الملائكة والروح إليه» ويقول في قصّة عيسى عليه السلام : «بل رفعه الله إليه» ويقول عزّ وجلّ : «إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه » .

بيان : الغرض من ذكر هذه الاستشهادات بيان شيوع تلك الاستعمالات و التجوّزات في لسان أهل الشرع والعرف .

---

(١) وفي نسخة : فاسأله التخفيف .

(٢) اقترح عليه كذا أو بكذا : تحكم وسأله اياه بالعنف ومن غير روية .

(٣) وفي نسخة : فلم لم يرجع إلى ربه عزوجل .

١٨ ـ يد : ماجيلويه ، عن عليّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ، عن أبي المغرا رفعه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ الله تعالى خلو من خلقه ، وخلقه خلو منه ، و كلّ ماوقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ماخلا الله عزّ وجلّ .

يد : حمزة العلوي ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن عليّ بن عطيّة ، عن خثيمة ، عن أبي جعفر عليه السلام ؛ وابن الوليد ، عن الصفّار ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن النضر ، عن يحيى الحلبي ، عن ابن مسكان ، عن زرارة ، عن أبي عبدالله عليه السلام مثله بزيادة .

١٩ ـ يد : حمزة العلوي ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن اُذينة ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ : «مايكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم ولا خمسة إلّا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم أينما كانوا» فقال : هو واحد أحديّ الذات ، بائن من خلقه ، وبذاك وصف نفسه ، وهو بكلّ شيء محيط بالإشراف والإحاطة والقدرة ، لايعزب عنه مثقال ذرّة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بالإحاطة والعلم لا بالذات لأنّ الأماكن محدودة تحويها حدود أربعة فإذا كان بالذات لزمه الحواية .

بيان : ما يكون من نجوى ثلاثة أي مايقع من تناجي ثلاثة ، و يجوز أن يقدّر مضاف ، أو يؤوّل نجوى بمتناجين ، ويجعل ثلاثة صفة لها . إلّا وهو رابعهم أي إلّا الله يجعلهم أربعة من حيث إنّه يشاركهم في الاطّلاع عليها . ولا خمسة أي ولا نجوى خمسة ، وتخصيص العددين إمّا لخصوص الواقعة ، أو لأنّ الله وتر يحبّ الوتر ، والثلاثة أوّل الأوتار ، أو لأنّ التشاور لابدّ له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسّط بينهما .

ثمّ اعلم أنّه لمّا كان القدّام والخلف واليمين والشمال غير متميّزة إلّا بالاعتبار عدّ الجميع حدّين والفوق والتحت حدّين فصارت أربعة ، والمعنى : أنّه ليست إحاطته سبحانه بالذات لأنّ الأماكن محدودة فإذا كانت إحاطته بالذات بأن كانت بالدخول في الأمكنة لزم كونه محاطاً بالمكان كالمتمكّن ، وإن كانت بالانطباق على المكان لزم كونه محيطاً بالمتمكّن كالمكان .

٢٠ ـ يد : العطّار ، عن سعد ، عن ابن يزيد ، عن الحسن بن عليّ الخزّاز ، عن مثنّى الحنّاط ، عن أبي جعفر ـ أظنّه محمّد بن النعمان ـ قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ : «وهو الله في السماوات وفي الأرض» قال : كذلك هو في كلّ مكان . قلت : بذاته ؟ قال : ويحك إنّ الأماكن أقدار ، فإذا قلت : في مكان بذاته لزمك أن تقول في أقدار وغير ذلك ، ولكن هو بائن من خلقه ، محيط بما خلق علماً وقدرةً وإحاطةً وسلطاناً ، وليس علمه بما في الأرض بأقلّ ممّا في السماء ، لايبعد منه شيء ، و الأشياء له سواءٌ علماً وقدرةً وسلطاناً وملكاً وإحاطةً .

تفسير : قال البيضاويّ : «وهو الله» الضمير لله ، والله خبره ؛ في السماوات وفي الأرض متعلّق باسم الله ، والمعنى : هو المستحقّ للعبادة فيهما لاغير كقوله : «هو الّذي في السماء إله وفي الأرض إله » أو بقوله : «يعلم سرّكم وجهركم» والجملة خبر ثان أوهي الخبر ، والله بدل ، ويكفي لصحّة الظرفيّة كون المعلوم فيهما ، كقولك : رميت الصيد في الحرم ـ إذا كنت خارجه و الصيد فيه ـ أو ظرف مستقرّ وقع خبراً بمعنى أنّه تعالى لكمال علمه بمافيهما كأنّه فيهما . ويعلم سرّكم وجهركم بيان وتقرير له .

٢١ ـ يد : أبي ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن الحكم قال : قال أبو شاكر الديصانيّ : إنّ في القرآن آية هي قوّة لنا . قلت : وما هي ؟ فقال : «وهو الّذي في السماء إله وفي الأرض إله » فلم أدر بما اُجيبه ، فحججت فخبّرت أباعبدالله عليه السلام فقال : هذا كلام زنديق خبيث ، إذا رجعت إليه فقل له : ما اسمك بالكوفة ؟ فإنّه يقول : فلان ، فقل : ما اسمك بالبصرة ؟ فإنّه يقول : فلان ، فقل كذلك الله ربّنا في السماء إله وفي الأرض إله ، وفي البحار إله ، وفي كلّ مكان إله . قال : فقدمت فأتيت أباشاكر فأخبرته فقال : هذه نقلت من الحجاز .

بيان : لعلّ هذا الديصانيّ لمّا كان قائلاً بإلهين : نور ملكه السماء ، وظلمة ملكها الأرض ، أوّل الآية بمايوافق مذهبه بأن جعل قوله : وفي الأرض إله جملة تامّة معطوفة على مجموع الجملة السابقة أي وفي الأرض إله آخر ، ويظهر من بعض الأخبار أنّه كان

من الدهريّين فيمكن أن يكون استدلاله بما يوهم ظاهر الآية[1] من كونه بنفسه حاصلاً في السماء والأرض فيوافق ماذهبوا إليه من كون المبدء الطبيعة فإنّها حاصلة في الأجرام السماويّة و الأجسام الأرضيّة معاً ، فأجاب عليه السلام بأنّ المراد أنّه تعالى مسمّى بهذا الاسم في السماء وفي الأرض ؛ والأكثرون على أنّ الظرف متعلّق بالإله ، لأنّه بمعنى المعبود ، أومضمّن معناه كقولك : هوحاتم في البلد .

٢٢ ـ يد : القطّان والدقّاق معاً ، عن ابن زكريّا القطّان ، عن ابن حبيب ، عن محمّد بن عبيدالله ، عن عليّ بن الحكم ، عن عبدالرحمن بن أسود ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه عليهما السلام قال : كان لرسول الله صلّى الله عليه وآله صديقان يهوديّان قد آمنا بموسى رسول الله وأتيا محمّداً صلّى الله عليه وآله و سمعا منه ، وقد كانا قرءا التورية و صحف إبراهيم عليه السلام ، و علما علم الكتب الاُولى فلمّا قبض الله تبارك وتعالى رسوله صلّى الله عليه وآله أقبلا يسألان عن صاحب الأمر بعده وقالا : إنّه لم يمت نبيٌّ قطّ إلّا وله خليفة يقوم بالأمر في اُمّته من بعده ، قريب القرابة إليه من أهل بيته ، عظيم القدر ،[2] جليل الشأن . فقال أحدهما لصاحبه : هل تعرف صاحب الأمر من بعد هذا النبيّ ؟ قال الآخر : لا أعلمه إلّا بالصفة الّتي أجدها في التورية هو الأصلع[3] المصفّر فإنّه كان أقرب القوم من رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فلمّا دخلا المدينة وسألا عن الخليفة اُرشدا إلى أبي بكر ، فلمّا نظرا إليه قالا : ليس هذا صاحبنا ، ثمّ قالا له : ما قرابتك من رسول الله صلّى الله عليه وآله ؟ قال : إنّي رجل من عشيرته ، وهو زوج ابنتي عائشة قالا : هل غير هذا ؟ قال : لا ، قالا : ليست هذه بقرابة فأخبرنا أين ربّك ؟ قال : فوق سبع سماوات ! قالا : هل غير هذا ؟ قال : لا . قالا : دلّنا على من هو أعلم منك ، فإنّك أنت لست بالرجل الّذي نجد في التورية أنّه وصيّ هذا النبيّ وخليفته . قال : فتغيّظ من قولهما ، وهمّ بهما ،[4] ثمّ أرشدهما إلى عمر ، وذلك أنّه عرف من عمر أنّهما إن

---

(١) أو يكون استدلاله بظاهرها على وقوع التناقض في القرآن فيكون صادراً من غير حكيم فيكون فيها قوة له من إنكاره الصانع و بطلان الشرائع .

(٢) وفي نسخة : عظيم الخطر .

(٣) الاصلع : من سقط شعر مقدم رأسه .

(٤) أي عزم على قتلهما .

استقبلاه بشيء بطش بهما ،[١] فلمّا أتياه قالا : ما قرابتك من هذا النبيّ ؟ قال : أنا من عشيرته ، وهو زوج ابنتي حفصة . قالا : هل غير هذا ؟ قال : لا . قالا : ليست هذه بقرابة وليست هذه الصفة الّتي نجدها في التورية ، ثمّ قالا له : فأين ربّك ؟ قال : فوق سبع سماوات ؛ قالا : هل غير هذا ؟ قال : لا . قالا : دلّنا على من هو أعلم منك فأرشدهما إلى عليّ عليه السلام فلمّا جاءاه فنظرا إليه قال أحدهما لصاحبه : إنّه الرجل الّذي صفته في التورية ، إنّه وصيّ هذا النبيّ ، وخليفته وزوج ابنته ، و أبو السبطين والقائم بالحقّ من بعده .

ثمّ قالا لعليّ عليه السلام : أيّها الرجل ما قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : هو أخي وأنا وارثه ووصيّه ، وأوّل من آمن به ، وأنا زوج ابنته .

قالا : هذه القرابة الفاخرة والمنزلة القريبة ، وهذه الصفة الّتي نجدها في التورية فأين ربّك عزّ وجلّ ؟ .

قال لهما عليّ عليه السلام : إن شئتما أنبأتكما بالّذي كان على عهد نبيّكما موسى عليه السلام ، وإن شئتما أنبأتكما بالّذي كان على عهد نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله . قالا : أنبئنا بالّذي كان على عهد نبيّنا موسى عليه السلام .

قال عليّ عليه السلام : أقبل أربعة أملاك : ملك من المشرق ، وملك من المغرب ، وملك من السماء ، وملك من الأرض ، فقال صاحب المشرق لصاحب المغرب : من أين أقبلت ؟ قال : أقبلت من عند ربّي ؛ وقال صاحب المغرب لصاحب المشرق : من أين أقبلت ؟ قال : أقبلت من عند ربّي ؛ وقال النازل من السماء للخارج من الأرض : من أين أقبلت ؟ قال : أقبلت من عند ربّي ؛ وقال الخارج من الأرض للنازل من السماء : من أين أقبلت ؟ قال : أقبلت من عند ربّي فهذا ما كان على عهد نبيّكما موسى عليه السلام .

و أمّا ما كان على عهد نبيّنا فذلك قوله في محكم كتابه : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم ولا خمسة إلّا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم أينما كانوا » . الآية .

---

(١) أي فتك بهما وأخذهما بصولة وشدة .

قال اليهوديّان : فما منع صاحبيك أن يكونا جعلاك في موضعك الّذي أنت أهله ؟ فوالّذي أنزل التورية على موسى إنّك لأنت الخليفة حقّاً ، نجد صفتك في كتبنا ونقرؤه في كنائسنا ، و إنّك لأنت أحقّ بهذا الأمر وأولى به ممّن قد غلبك عليه . فقال عليّ عليه السلام : قدّما وأخّرا وحسابهما على الله عزّ وجلّ يوقفان ويُسألان .

٢٣ ـ يد : العطّار ، عن أبيه ، عن ابن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن القاسم ابن محمّد ، عن عليّ بن أبي حمزة ، عن أبي بصير قال : جاء رجل إلى أبي جعفر عليه السلام فقال له : يا أباجعفر أخبرني عن ربّك متى كان ؟

فقال : ويلك إنّما يقال لشيء لم يكن فكان : «متى كان» إنّ ربّي تبارك وتعالى كان لم يزل حيّاً بلا كيف ، ولم يكن له كان ، ولا كان لكونه كيف ، ولا كان له أين ، ولا كان في شيء ، ولا كان على شيء ، ولا ابتدع لكانه مكاناً . [1] الخبر .

٢٤ ـ يد : وروي أنّه سئل أمير المؤمنين عليه السلام : أين كان ربّنا قبل أن يخلق سماءاً وأرضاً ؟ فقال عليه السلام : «أين» سؤال عن مكان ، وكان الله ولا مكان .

٢٥ ـ يد : ابن الوليد ، عن محمّد العطّار ، عن ابن أبان ، عن ابن اُورمة ، [2] عن ابن محبوب ، عن صالح بن حمزة ، عن أبان ، عن أسد ، عن المفضّل بن عمر ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من زعم أنّ الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك ، لو كان عزّ و جلّ على شيء لكان محمولاً ، [3] ولو كان في شيء لكان محصوراً ، ولو كان من شيء لكان محدثاً . [4]

---

(١) كذا فيما عندنا من النسخ ، وفي التوحيد المطبوع : ولا ابتدع لكونه مكاناً . وفي نسخة اخرى منه : ولا ابتدع لمكانه مكاناً .

(٢) بضم الهمزة وإسكان الواو وفتح الراء المهملة ، كذا في الخلاصة . وأورد النجاشي وغيره ترجمته في كتبهم ، قال النجاشي في ص ٢٣١ من رجاله : محمد بن اورمة أبو جعفر القمي ذكره القميون وغمزوا عليه ورموه بالغلو ، حتى دس عليه من يفتك به فوجدوه يصلي من أول الليل إلى آخره فتوقفوا عنه ، وحكى جماعة من شيوخ القميين ، عن ابن الوليد أنه قال : محمد بن اورمة طعن عليه بالغلو ، فكل ما كان في كتبه مما وجد في كتاب الحسين بن سعيد وغيره فقل به ، و ما تفرد به فلا تعتمده ، و قال بعض أصحابنا : إنه رأى توقيعات أبي الحسن الثالث عليه السلام إلى أهل قم في معنى محمد بن اورمة و براءته مما قذف به ، وكتبه صحاح إلا كتابا ينسب إليه ترجمته تفسير الباطن فانه مختلط .

(٣) ولازمه جسميته ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

(٤) يأتي الحديث بطريق آخر عن المفضل تحت الرقم ٣٩ .

بيان : لكان محمولاً أي محتاجاً إلى مايحمله . قوله عليه السلام : محصوراً أي عاجزاً ممنوعاً عن الخروج عن المكان ، أو محصوراً بذلك الشيء و محوياً به فيكون له انقطاع و انتهاء فيكون ذا حدود و أجزاء .

٢٦ ـ **يد** : أبي ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن حمّاد بن عمرو ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كذب من زعم أنّ الله عزّ وجلّ في شيء ، أو من شيء ، أو على شيء .

قال الصدوق رحمه الله : الدليل على أنّ الله عزّ وجلّ لا في مكان أنّ الأماكن كلّها حادثة ، وقد قام الدليل على أنّ الله عزّ وجلّ قديم سابق للأماكن ، و ليس يجوز أن يحتاج الغنيّ القديم إلى ما كان غنيّاً عنه ، ولا أن يتغيّر عمّا لم يزل موجوداً عليه ، فصحّ اليوم أنّه لا في مكان كما أنّه لم يزل كذلك ؛ وتصديق ذلك ماحدّثنا به القطّان ، عن ابن زكريّا القطّان ، عن ابن حبيب ، عن ابن بهلول ، عن أبيه ، عن سليمان المروزيّ ، عن سليمان بن مهران قال : قلت لجعفر بن محمّد عليهما السلام هل يجوز أن نقول : إنّ الله عزّ وجلّ في مكان ؟ فقال : سبحان الله وتعالى عن ذلك إنّه لو كان في مكان لكان محدثاً لأنّ الكائن في مكان محتاج إلى المكان ، و الاحتياج من صفات الحدث ، لا من صفات القديم .

٢٧ ـ **يد** : الدقّاق ، عن الأسديّ ، عن البرمكيّ ، عن عليّ بن عبّاس ، عن الحسن ابن راشد ، عن يعقوب بن جعفر الجعفريّ ، عن أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام أنّه قال: إنّ الله تبارك وتعالى كان لم يزل بلازمان ولامكان ، وهو الآن كما كان ، لايخلو منه مكان ولا يشتغل به مكان ، ولا يحلّ في مكان ، مايكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم ولا خمسة إلّا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم أينما كانوا ، ليس بينه و بين خلقه حجاب غير خلقه ، احتجب بغير حجاب محجوب ، واستتر بغير ستر مستور ، لا إله إلّا هو الكبير المتعال .(١)

(١) من غرر الاحاديث ، وكون الخلق حجاباً بأنفسهم نظير قول الرضا عليه السلام في خطبته الاتية تحت رقم ٣ من باب جوامع التوحيد : « حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لاحجاب بينه و بينها غيرها » الخطبة . معناه استحالة المعاينة بالاحاطة اذلا يمكن ذلك إلا بارتفاع الحجاب ومع ارتفاع الحجاب الذى هو نفس الخلق لا يبقى موضوع الخلق هذا. وهذا الكلام إذا انضم إلى قول أمير المؤمنين

بيان : قوله : غير خلقه أي ليس الحجاب بينه و بين خلقه إلّا عجز المخلوق عن الإحاطة به . وقوله : محجوب إمّا نعت لحجاب ، أوخبر مبتدء محذوف ، فعلى الأوّل فهو إمّا بمعنى حاجب إذكثيراً ما يجيىء صيغة المفعول بمعنى الفاعل كما قيل في قوله تعالى : «حجاباًمستوراً»أو بمعناه ويكون المراد أنّه ليس له تعالى حجاب مستور ، بل حجابه ظاهر وهو تجرّده وتقدّسه وعلوّه عن أن يصل إليه عقل أووهم ، ويحتمل على هذا أن يكون المراد بالحجاب الحجّة الّذي أقامه بينه وبين خلقه فهوظاهر غير مخفيّ ، ويحتمل أيضاً أن يكون المراد به أنّه لم يحتجب بحجاب مخفيّ فكيف الظاهر . وأمّا على الثاني فالظرف متعلّق بقوله : محجوب أي هو محجوب بغيرحجاب ، و ههنا احتمال ثالث و هو أن يكون محجوب مضاف إليه بتقدير اللّام ، و إجراء الاحتمالات في الفقرة الثانية ظاهر ، و هي إمّا تأكيد للاُولى أوالاُولى إشارة إلى الاحتجاب عن الحواسّ والثانية إلى الاستتار عن العقول والأفهام .

٢٨ ـ يد : محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الفارسيّ ، عن أحمد بن محمّد النشويّ ، عن أحمد ابن محمّد الصفديّ ، عن محمّد بن يعقوب العسكريّ وأخيه معاذ معاً ، عن محمّد بن سنان الحنظليّ عن عبدالله بن عاصم ، عن عبدالرحمن بن قيس ، عن أبي هاشم الرمّانيّ ، عن زاذان ، عن سلمان الفارسيّ في حديث طويل يذكر فيه قدوم الجاثليق المدينة مع مائة من النصارى بعد وفاة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسؤاله أبابكر عن مسائل لم يجبه عنها ثمّ اُرشد إلى أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فسأله عنها فأجابه ، فكان فيما سأله أن قال له : أخبرني عن وجه الربّ تبارك وتعالى ، فدعا عليّ عليه السلام بنار وحطب فأضرمه فلمّا اشتعلت قال عليّ عليه السلام : أين وجه هذه النار ؟ قال النصرانيّ : هي وجه من جميع حدودها . قال عليّ عليه السلام هذه النار مدبّرة مصنوعة لا تعرف وجهها ، وخالقها لا يشبهها ؟ ولله المشرق و المغرب

---

* عليه السلام فى خطبته الاتية تحت رقم ٣٤ من باب جوامع التوحيد : «حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لاحجاب بينه و بين خلقه غير خلقه » الخطبة أفاد أن العباد لوانصرفوا عن الاشتغال بأنفسهم واتباع هواهم وتوجهوا إلى ربهم لاشرقت عليهم أنوار العظمة الالهيته ، وهذاهو الذى يعبر عنه برؤية القلب كما مرّ فى عدة من الاخبار فى باب نفى الرؤية ط

فأينما تولّوا فثمّ وجه الله ، لايخفى على ربّنا خافية . والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

٢٩ ـ يد : الأشنانيّ ، عن عليّ بن مهرويه ، عن داود بن سليمان ، عن الرضا ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن عليّ عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ موسى بن عمران لمّا ناجى ربّه قال : يارب أبعيد أنت منّي فاُناديك ، أم قريب فاُناجيك ، فأوحى الله جلّ جلاله إليه : أنا جليس من ذكرني فقال موسى : يارب إنّي أكون في حال اُجلّك أن أذكرك فيها . فقال : يا موسى اذكرني على كلّ حال .

٣٠ ـ يد : محمّد بن إبراهيم الفارسيّ ، عن أبي سعيد الرمحيّ ، عن محمّد بن عيسى الواسطيّ ، عن محمّد بن زكريّا المكّيّ قال : أخبرني منيف ـ مولى جعفر بن محمّد ـ قال : حدّثني سيّدي جعفر بن محمّد ، عن أبيه ، عن جدّه عليهم السلام قال : كان الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام[(١)] يصلّي فمرّ بين يديه رجل فنهاه بعض جلسائه فلمّا انصرف من صلاته قال له : لمَ نهيت الرجل ؟ قال : ياابن رسول الله حظر فيما بينك وبين المحراب . فقال : ويحك إنّ الله عزّ وجلّ أقرب إليّ من أن يحظر فيما بيني وبينه أحد .

٣١ ـ يد : المظفّر العلويّ ، عن ابن العيّاشيّ ، عن أبيه ، عن الحسين بن اشكيب،[(٢)] عن هارون بن عقبة ، عن أسد بن سعيد ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر قال : قال الباقر عليه السلام : يا جابر ما أعظم فرية أهل الشام على الله عزّ وجلّ ، يزعمون أنّ الله تبارك وتعالى حيث صعد إلى السماء وضع قدمه على صخرة بيت المقدس ، ولقد وضع عبد من عباد الله قدمه على حجر[(٣)] فأمرنا الله تبارك و تعالى أن نتّخذه مصلّى ، ياجابر إنّ الله تبارك و تعالى لا نظير له ولا شبيه ، تعالى عن صفة الواصفين ، و جلّ عن أوهام المتوهّمين ، و احتجب عن أعين الناظرين ، لا يزول مع الزائلين ، ولا يأفل مع الآفلين ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع العليم .

---

(١) وفى نسخة : كان الحسين بن على بن أبى طالب عليهما السلام .

(٢) بكسر الهمزة وسكون الشين المعجمة أو السين المهملة ، والكاف والياء المثناة من تحت والباء الموحدة .

(٣) وفى نسخة : على صخرة .

٣٢ ـ يد : الدقّاق ، عن الأسديّ ، عن البرمكيّ ، عن عليّ بن عيّاش ، عن الحسن ابن راشد ، عن يعقوب بن جعفر ، عن أبي إبراهيم عليه السلام أنّه قال : لا أقول : إنّه قائم فاُزيله عن مكانه ، ولا أحدّه بمكان يكون فيه ، ولا أحدّه أن يتحرّك في شيء من الأركان والجوارح ، ولا أحدّه بلفظ شقّ فم ، ولكن كما قال تبارك وتعالى : كن فيكون بمشيئته ، من غير تردّد في نفس ، فرد صمد لم يحتج إلى شريك يكون له في ملكه ، ولا يفتح له أبواب علمه .

ج : عن يعقوب مثله .

٣٣ ـ يد : السنانيّ ، عن الأسديّ ، عن النخعيّ ، عن النوفليّ ، عن عليّ بن سالم ، عن أبي بصير ؛ عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال : إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بزمان ولا مكان ، ولا حركة ولا انتقال ولا سكون ، بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون ، تعالى عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً .

٣٤ ـ يد : محمّد بن إبراهيم بن إسحاق العزائميّ ، عن أحمد بن محمّد بن رميح ، (١) عن عبدالعزيز بن إسحاق ، عن جعفر بن محمّد الحسنيّ ، عن محمّد بن عليّ بن خلف ، عن بشر ابن الحسن ، عن عبدالقدّوس ، عن أبي إسحاق السبيعيّ ، عن الحارث الأعور ، عن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام أنّه دخل السوق فإذا هو برجل مولّيه ظهره يقول : لا والّذي احتجب بالسبع ؛ فضرب عليٌّ عليه السلام ظهره ثمّ قال : من الّذي احتجب بالسبع ؟ قال : الله يا أمير المؤمنين ، قال : أخطأت ثكلتك اُمّك ، إنّ الله عزّ و جلّ ليس بينه و بين خلقه حجاب لأنّه معهم أينما كانوا .

قال : ما كفّارة ماقلت يا أمير المؤمنين ؟ قال : أن تعلم أنّ الله معك حيث كنت ؛ قال : اُطعم المساكين ؟ قال : لا إنّما حلفت بغير ربّك .

٣٥ ـ يد : الدقّاق ، عن أبي القاسم العلوي ، عن البرمكيّ ، عن الحسين بن الحسن عن إبراهيم بن هاشم القميّ ، عن العبّاس بن عمرو الفقيميّ ، عن هشام بن الحكم ـ في حديث الزنديق الّذي أتى أبا عبدالله عليه السلام ـ قال : سأله عن قوله : «الرحمن على العرش استوى»

(١) في نسخة من التوحيد : عن احمد بن محمد بن وضيح .

قال أبوعبد الله عليه السلام : بذلك وصف نفسه ، وكذلك هو مستول على العرش بائن من خلقه من غير أن يكون العرش حاملاً له ، ولا أن يكون العرش حاوياً له ، ولا أنّ العرش محتاز له ، و لكنّا نقول : هو حامل العرش ، و ممسك العرش ؛ ونقول من ذلك ماقال : «وسع كرسيّه السموات والأرض» فثبّتنا من العرش و الكرسيّ ما ثبّته ، و نفينا أن يكون العرش أو الكرسيّ حاوياً له ، و أن يكون عزّ و جلّ محتاجاً إلى مكان أو إلى شيء ممّا خلق ، بل خلقه محتاجون إليه .

قال السائل : فما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم إلى السماء و بين أن تخفضوها نحو الأرض ؟ قال أبوعبدالله عليه السلام : ذلك في علمه وإحاطته وقدرته سواء ، ولكنّه عزّ و جلّ أمر أولياءه وعباده برفع أيديهم إلى السماء نحو العرش لأنّه جعله معدن الرزق فثبّتنا ماثبّته القرآن والأخبار عن الرسول صلى الله عليه وآله حين قال : ارفعوا أيديكم إلى الله عزّ و جلّ . وهذا يجمع عليه فرق الأمّة كلّها .

قال السائل : فتقول : إنّه ينزل إلى السماء الدنيا ؟ قال أبوعبدالله عليه السلام : نقول ذلك ، لأنّ الروايات قد صحّت به و الأخبار . قال السائل : و إذا نزل أليس قد حال عن العرش و حوّله عن العرش انتقال ؟ قال أبوعبدالله عليه السلام : ليس ذلك على ما يوجد من المخلوق الّذي ينتقل باختلاف الحال عليه والملالة والسأمة وناقل ينقله و يحوّله من حال إلى حال ، بل هو تبارك وتعالى لايحدث عليه الحال ، ولايجري عليه الحدوث ، فلا يكون نزوله كنزول المخلوق الّذي متى تنحّى عن مكان خلا منه المكان الأوّل ولكنّه ينزل إلى سماء الدنيا بغير معاناة ولا حركة فيكون هو كما في السماء السابعة على العرش كذلك هو في سماء الدنيا إنّما يكشف عن عظمته ، ويري أولياءه نفسه حيث شاء ، ويكشف ماشاء من قدرته ، ومنظره في القرب والبعد سواء .

ثمّ قال : قال مصنّف هذا الكتاب : قوله عليه السلام : إنّه على العرش إنّه ليس بمعنى التمكّن فيه ، ولكنّه بمعنى التعالي عليه بالقدرة يقال : فلان على خير واستعانة على عمل كذا وكذا ، ليس بمعنى التمكّن فيه والاستقرار عليه ، ولكن ذلك بمعنى التمكّن منه والقدرة عليه ، وقوله في النزول ليس بمعنى الانتقال وقطع المسافة ، ولكنّه على معنى

إنزال الأمر منه إلى سماء الدنيا لأنّ العرش هو المكان الّذي ينتهي إليه بأعمال العباد من السدرة المنتهى إليه ، وقد يجعل الله عزّ وجلّ السماء الدنيا في الثلث الأخير من اللّيل وفي ليالي الجمعة مسافة الأعمال في ارتفاعها أقرب منها في سائر الأوقات إلى العرش . وقوله : يري أولياءه نفسه فإنّه يعني بإظهار بدائع فطرته ، فقد جرت العادة بأن يقال للسلطان إذا أظهر قوّة وقدرة وخيلاً ورجلاً : قد أظهر نفسه ، وعلى ذلك دلّ الكلام ومجاز اللّفظ .

أقول : من قوله قال السائل إلى آخر كلامه لم يكن في أكثر النسخ وليس في الاحتجاج أيضاً .

٣٦ ـ يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، وابن هاشم ، عن الحسن بن عليّ ، عن داود بن عليّ اليعقوبيّ ،[١] عن بعض أصحابنا ، عن عبد الأعلى ـ مولى آل سام ـ عن أبي عبدالله عليه السلام قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وآله يهوديّ يقال له : سبحت[٢] فقال له : يا محمّد جئت أسألك عن ربّك فإن أجبتني عمّا أسألك عنه وإلّا رجعت . فقال له : سل عمّا شئت . فقال : أين ربّك ؟ فقال : هو في كلّ مكان ،[٣] وليس هو في شيء من المكان بمحدود . قال : فكيف هو ؟ فقال : وكيف أصف ربّي بالكيف والكيف مخلوق ؟ والله لا يوصف بخلقه .

قال : فمن يعلم أنّك نبيّ ؟ قال : فما بقي حوله حجر ولا مدر ولا غير ذلك إلّا تكلّم بلسان عربيّ مبين : يا شيخ إنّه رسول الله .[٤]

---

(١) بالياء المثناة كما هو المحكي عن الايضاح أو بالباء الموحدة نسبة إلى يعقوبا قرية من قرى البغداد على ما حكي عن الشهيد الثاني رحمه الله ، وهو داود بن على الهاشمي المترجم في ص ١١٥ من رجال النجاشي بقوله : داود بن على اليعقوبي الهاشمي أبو على بن داود ، روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام ، وقيل : روى عن الرضا عليه السلام ، له كتاب يرويه جماعة ، منهم عيسى بن عبدالله العمري .

(٢) اختلفت النسخ في ضبطه ففي بعضها «سبحت» بالباء الموحدة ثم الحاء المهملة ، وفي بعض آخر بالباء والخاء المعجمة ، وفي البحار المطبوع شجت « شبخت خ ل » وضبط بضم السين والباء و سكون الحاء المهملة ، وبضم السين وسكون الباء وفتح الحاء ، وبضم السين وسكون الباء وضم الخاء المعجمة ، وعلى أى حال كان رجلا من ملوك فارس ، وكان ذربا ، كما يأتى في حديث آخر .

(٣) في حديث آخر له : فقال : هو في كل مكان موجود بآياته .

(٤) وفى نسخة : ياسبحت إنه رسول الله .

فقال سبحت : بالله مارأيت كاليوم أبين ثمّ قال : أشهد أن لاإله إلّا الله ، و أنّك رسول الله صلى الله عليه وآله .

٣٧ ـ ص : الصدوق ، عن محمّد بن إبراهيم بن إسحاق ، عن أحمد بن محمّد بن رميح ، عن أحمد بن جعفر ، عن أحمد بن علي ، عن محمّد بن علي الخزاعي ، عن عبدالله بن جعفر ، عن أبيه ، عن الصادق ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم مثله .

ير : إبراهيم بن هاشم ، عن الحسن بن علي مثله .

٣٨ ـ يد : ابن المتوكّل ، عن الحميري ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن حمّاد ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كذب من زعم أنّ الله عزّ وجلّ من شيء ، أو في شيء ، أو على شيء .

٣٩ ـ يد : ماجيلويه ، عن عمّه ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن محمّد بن سنان ، عن المفضّل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من زعم أنّ الله عزّ وجلّ من شيء أو في شيء فقد أشرك . ثمّ قال : من زعم أنّ الله من شيء فقد جعله محدثاً ، ومن زعم أنّه في شيء فقد زعم أنّه محصور ، ومن زعم أنّه على شيء فقد جعله محمولاً .(١)

٤٠ ـ يد : ابن الوليد ، عن ابن أبان ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر ، عن ابن حميد ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من زعم أنّ الله عزّ وجلّ من شيء ، أو في شيء ، أو على شيء فقد كفر . قلت : فسّر لي . قال : أعني بالحواية من الشيء له ، أو بإمساك له ، أو من شيء سبقه .

٤١ ـ وفي رواية اُخرى قال : من زعم أنّ الله من شيء فقد جعله محدثاً ، ومن زعم أنّه في شيء فقد جعله محصوراً ، ومن زعم أنّه على شيء فقد جعله محمولاً .

بيان : قوله : بالحواية من الشيء له تفسير لقوله : في شيء ، وقوله : أو بإمساك له تفسير لقوله : على شيء ، وقوله : أو من شيء سبقه تفسير لقوله : من شيء .

٤٢ ـ يد : الطالقاني ، عن أحمد الهمداني ، عن أحمد بن محمّد بن عبدالله الصغدي ، عن محمّد بن يعقوب العسكري وأخيه معاذ معاً ، عن محمّد بن سنان الحنظلي ، عن عبدالله بن

---

(١) تقدم الحديث عن المفضل بطريق آخر تحت الرقم ٢٥ .

عاصم ، عن عبدالرحمن بن قيس ، عن أبي هاشم الرمّاني ، عن زاذان ، عن سلمان الفارسيّ في حديث طويل يذكر فيه قدوم الجاثليق المدينة مع مائة من النصارى بعد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسؤاله أبا بكر عن مسائل لم يجبه عنها ، ثمّ اُرشد إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فسأله فأجابه فكان فيما سأله أن قال له : أخبرني عن الربّ أين هو وأين كان ؟ قال عليّ عليه السلام : لا يوصف الربّ جلّ جلاله بمكان ، هو كما كان ، وكان كما هو ، لم يكن في مكان ، ولم يزل من مكان إلى مكان ، ولا أحاط به مكان ، بل كان لم يزل بلا حدّ ولا كيف . قال : صدقت ، فأخبرني عن الربّ أفي الدنيا هو أو في الآخرة ؟ قال عليّ عليه السلام : لم يزل ربّنا قبل الدنيا هو مدبّر الدنيا ، وعالم بالآخرة ، فأمّا أن يحيط به الدنيا والآخرة فلا ، ولكن يعلم ما في الدنيا والآخرة . قال : صدقت يرحمك الله .

ثمّ قال : أخبرني عن ربّك أيَحمل أو يُحمل ؟ فقال عليّ عليه السلام : إنّ ربّنا جلّ جلاله يَحمل ولا يُحمل . قال النصرانيّ : وكيف ذلك ونحن نجد في الإنجيل : ويحمل عرش ربّك فوقهم يومئذ ثمانية ؟ فقال عليّ عليه السلام : إنّ الملائكة تحمل العرش وليس العرش كما تظنّ كهيئة السرير ، ولكنّه شيء محدود مخلوق مدبّر ، وربّك عزّ وجلّ مالكه لا أنّه عليه ككون الشيء على الشيء ، وأمر الملائكة بحمله فهم يحملون العرش بما أقدرهم عليه . قال النصرانيّ : صدقت رحمك الله . والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

٤٥ ـ يد : الدقّاق ، عن الأسديّ ، عن البرمكيّ ، عن جذعان بن نصر ، عن سهل ، عن ابن محبوب ، عن عبدالرحمن بن كثير ، عن داود الرقّيّ قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ : «وكان عرشه على الماء» فقال لي : ما يقولون ؟ قلت : يقولون : إنّ العرش كان على الماء والربّ فوقه . فقال : فقد كذبوا ، من زعم هذا فقد صيّر الله محمولاً ، ووصفه بصفة المخلوقين ، وألزمه أنّ الشيء الّذي يحمله أقوى منه . قلت : بيّن لي جعلت فداك . فقال : إنّ الله عزّ وجلّ حمل دينه وعلمه الماء قبل أن تكون أرض أو سماء أو جنّ أو إنس أو شمس أو قمر ، فلمّا أن أراد أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه فقال لهم : من ربّكم ؟ فكان أوّل من نطق رسول الله وأمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام فقالوا : أنت ربّنا فحمّلهم العلم والدين ، ثم قال للملائكة : هؤلاء حملة علمي وديني واُمنائي في خلقي ، و

هم المسؤلون ، ثمّ قيل لبني آدم : أقرّوا لله بالربوبيّة ، ولهؤلاء النفر بالطاعة . فقالوا : ربّنا أقررنا . فقال للملائكة اشهدوا . فقالت الملائكة : شهدنا على أن لايقولوا إنّا كنّا عن هذا غافلين ، أو يقولوا : إنّما أشرك آباؤنا من قبل و كنّا ذرّيّة من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون . ياداود ولايتنا مؤكّدة عليهم في الميثاق .

قال الصدوق رحمه الله في التوحيد : إنّ المشبّهة تتعلّق بقوله عزّ وجلّ : «إنّ ربّكم الله الّذي خلق السموات و الأرض في ستّة أيّام ثمّ استوى على العرش يغشي اللّيل النهار » ولا حجّة لها في ذلك لأنّه عزّ وجلّ عنى بقوله : استوى على العرش أي ثمّ نقل العرش إلى فوق السماوات و هو مستولي عليه ومالك له ، فقوله عزّ وجلّ : «ثمّ» إنّما هو لدفع العرش إلى مكانه الّذي هو فيه ، و نقله للاستواء ، ولا يجوز أن يكون معنى قوله : استوى «استولى» لأنّ الاستيلاء لله تعالى[1] على الملك وعلى الأشياء ليس هو بأمر حادث ، بل كان لم يزل مالكاً لكلّ شيء ومستولياً على كلّ شيء ، وإنّما ذكر عزّ وجلّ الاستواء بعد قوله : «ثمّ» وهو يعني الرفع مجازاً ، وهو كقوله : «ولنبلونّكم حتّى نعلم المجاهدين منكم والصابرين» فذكر «نعلم» مع قوله : «حتّى» وهو عزّ وجلّ يعني : حتّى يجاهد المجاهدون ونحن نعلم ذلك ؛ لأنّ حتّى لايقع إلّا على فعل حادث وعلم الله عزّ وجلّ بالأشياء لايكون حادثاً ؛ وكذلك ذكر قوله عزّ وجلّ : «استوى على العرش » بعد قوله «ثمّ» وهو يعني بذلك : ثمّ رفع العرش لاستيلائه عليه ؛ ولم يعن بذلك الجلوس واعتدال البدن ، لأنّ الله لايجوز أن يكون جسماً ولا ذا بدن ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً [2]

---

(١) في نسخة : لان استيلاء الله تعالى .

(٢) قال السيد الرضي قدس الله روحه في كتابه تلخيص البيان بعد قوله تعالى : « ثم استوى على العرش » : وهذه استعارة ، لان حقيقة الاستواء إنما توصف بها الاجسام التي تعلو وتهبط وتميل وتعتدل والمراد بالاستواء ههنا الاستيلاء بالقدرة والسلطان ، لا بحلول القرار والمكان ، كما يقال : استوى فلان الملك على سرير ملكه بمعنى استولى على تدبير الملك ، وملك معقد الامر والنهي ، ويحسن صفته بذلك وإن لم يكن له في الحقيقة سرير يقعد عليه ، ولامكان عال يشار إليه ، وإنما المراد نفاذ أمره في مملكته ، واستيلاء سلطانه على رعيته .

فان قيل : فالله سبحانه مستول على كل شيء بقهره وغلبته ونفاذ أمره وقدرته ، فما معنى اختصاصه

٤٣ ـ سن : أبي ، عمّن ذكره قال : اجتمعت اليهود إلى رأس الجالوت ، فقالوا : إنّ هذا الرجل عالم ـ يعنون به عليّ بن أبي طالب عليه السلام ـ فانطلق بنا إليه لنسأله فأتوه فقيل له : هو في القصر ؛ فانتظروه حتّى خرج ، فقال له رأس الجالوت : ياأمير المؤمنين جئنا نسألك . قال : سل يايهوديّ عمّا بدالك . قال . أسألك عن ربّنا متى كان ؟ فقال : كان بلا كينونة ، كان بلا كيف ، كان لم يزل بلا كمّ وبلا كيف ، كان ليس له قبل ، هو قبل القبل بلا قبل ، ولا غاية ولا منتهى غاية ، ولا غاية إليها ، انقطعت عنه الغايات ، فهو غاية كلّ غاية قال : فقال رأس الجالوت لليهود : امضوا بنا [(١)] فهذا أعلم ممّا يقال فيه .[(٢)]

بيان : ولا غاية إليها أي ينتهي إليها .

٤٤ ـ سن : القاسم بن يحيى ، عن جدّه الحسن ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام ـ وسئل عن معنى قول الله : «على العرش استوى» ـ فقال : استولى على مادقّ وجلّ .

ج : عن الحسن مثله .

٤٥ ـ يد ، مع : ابن المتوكّل ، عن الحميريّ ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب عن مقاتل بن سليمان قال : سألت جعفر بن محمّد عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : «الرحمن على العرش استوى» قال : استوى من كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء .

٤٦ ـ فس : محمّد بن أبي عبدالله ، عن سهل ، عن ابن محبوب ، عن محمّد بن مارد أنّ أباعبدالله عليه السلام سئل عن معنى قول الله عزّ وجلّ : «الرحمن على العرش استوى» فقال استوى من كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء .

يد : ماجيلويه ، عن محمّد العطّار ، عن سهل ، مثله .

---

* العرش بالذكر ههنا ؛ قيل : كما ثبت أنه تعالى رب لكل شيء ، وقد قال في صفة نفسه : «رب العرش العظيم» وقال : «رب العرش الكريم» .

فان قيل : فما معنى قولنا : عرش الله إن لم يرد بذلك كونه عليه ؟ قيل : كما يقال : بيت الله وان لم يرد كونه فيه ، والعرش تطوف به الملائكة تعبداً ، كما أن البيت في الارض تطوف به الخلائق تعبداً .

(١) وفي نسخة : مروا بنا

(٢) وفي الرواية دلالة على كونه تعالى هو المطلوب المطلق لكل شيء .

يد : ابن الوليد ، عن محمد العطّار ، عن سهل ، عن الخشّاب رفعه عن ابي عبدالله عليه السلام مثله .

٤٧ - يد : أبي ، عن سعد ، عن محمد بن الحسين ، عن صفوان بن يحيى ، عن عبدالرحمن ابن الحجّاج قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ و جلّ : «الرحمن على العرش استوى» فقال : استوى من كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء لم يبعد منه بعيد ولم يقرب منه قريب ، استوى من كلّ شيء .

بيان : اعلم أنّ الاستواء يطلق على معان : الأوّل : الاستقرار والتمكّن على الشيء الثاني : قصد الشيء والإقبال إليه . الثالث : الاستيلاء على الشيء . قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق ☆ من غير سيف و دم مهراق

الرابع : الاعتدال يقال : سوّيت الشيء فاستوى . الخامس : المساواة في النسبة .

فأمّا المعنى الأوّل فيستحيل على الله تعالى لما ثبت بالبراهين العقليّة والنقليّة من استحالة كونه تعالى مكانيّاً ، فمن المفسّرين من حمل الاستواء في هذه الآية على الثاني أي أقبل على خلقه وقصد إلى ذلك ؛ وقد رووا أنّه سئل أبوالعبّاس أحمد بن يحيى عن هذه الآية فقال : الاستواء : الإقبال على الشيء ، ونحو هذا قال الفرّاء والزجّاج في قوله عزّ وجلّ : «ثمّ استوى إلى السماء» . والأكثرون منهم حملوها على الثالث أي استولى عليه وملكه و دبّره ، قال الزمخشريّ : لمّا كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك لا يحصل إلّا مع الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على السرير ، يريدون ملكه ، وإن لم يقعد على السرير ألبتّة . و إنّما عبّروا عن حصول الملك بذلك ، لأنّه أصرح و أقوى في الدلالة من أن يقال : فلان ملك ، ونحوه قولك : يد فلان مبسوطة ، ويد فلان مغلولة بمعنى أنّه جواد أو بخيل ، لا فرق بين العبارتين إلا فيما قلت ، حتّى أنّ من لم يبسط يده قطّ بالنوال أو لم يكن له يد رأساً وهو جواد قيل فيه : يده مبسوطة ؛ لأنّه لافرق عندهم بينه وبين قولهم : «جواد» انتهى . ويحتمل أن يكون المراد المعنى الرابع بأن يكون كناية عن نفي النقص عنه تعالى من جميع الوجوه فيكون قوله تعالى : على العرش

حاليّة ، وسيأتي توجيهه ولكنّه بعيد . و أمّا المعنى الخامس فهو الظاهر ممّا مرّ من الأخبار .

فاعلم أنّ العرش قد يطلق على الجسم العظيم الّذي أحاط بسائر الجسمانيّات ، و قد يطلق على جميع المخلوقات ، وقد يطلق على العلم أيضاً كما وردت به الأخبار الكثيرة ،[1] وسيأتي تحقيقه في كتاب السماء والعالم .

فإذا عرفت هذا فإمّا أن يكون عليه السلام فسّر العرش بمجموع الأشياء ، و ضمّن الاستواء مايتعدّي بعلى ، كالاستيلاء والاستعلاء والإشراف ؛ فالمعنى : استوت نسبته إلى كلّ شيء حال كونه مستولياً عليها ؛ أوفسّره بالعلم و يكون متعلّق الاستواء مقدّراً أي تساوت نسبته من كلّ شيء حال كونه متمكّناً على عرش العلم ، فيكون إشارة إلى بيان نسبته تعالى وإنّها بالعلم والإحاطة ، أوالمراد بالعرش عرش العظمة والجلال والقدرة كما فسّر بها أيضاً في بعض الأخبار أي استوى من كلّ شيء مع كونه في غاية العظمة ومتمكّناً على عرش التقدّس والجلالة ؛ والحاصل أنّ علوّ قدره ليس مانعاً من دنوّه بالحفظ و التربية والإحاطة وكذا العكس ، وعلى التقادير فقوله : استوى خبر ، وقوله : على العرش حال ، ويحتمل أن يكونا خبرين على بعض التقادير ، ولايبعد على الاحتمال الأوّل جعل قوله : على العرش متعلّقاً بالاستواء بأن تكون كلمة على بمعنى إلى ، ويحتمل على تقدير حمل العرش على العلم أن يكون قوله : على العرش خبراً ، وقوله : استوى حالاً عن العرش لكنّه بعيد . وعلى التقادير يمكن أن يقال : إنّ النكتة في إيراد الرحمن بيان أنّ رحمانيّته توجب استواء نسبته إيجاداً وحفظاً وتربية وعلماً إلى الجميع بخلاف الرحيميّة فإنّها تقتضي إفاضة الهدايات الخاصّة على المؤمنين فقط ، وكذا كثير من أسمائه الحسنى تخصّ جماعة كماسيأتي تحقيقها . و يؤيّد بعض الوجوه الّتي ذكرنا ماذكره الصدوق رحمه الله في كتاب العقائد حيث قال : اعتقادنا في العرش أنّه جملة جميع الخلق ، و العرش

---

(١) قال الشيخ الطوسي قدس سره في كتابه التبيان ذيل قوله تعالى : «ثم استوى على العرش» في سورة يونس : قيل : إن العرش المذكور ههنا هو السماوات والارض ، لانهن من بنائه ، والعرش : البناء ، ومنه قوله : «يعرشون» أي يبنون ، وأما العرش المعظم الذي تعبدالله الملائكة بالحفوف به والاعظام له وعناه بقوله : «الذين يحملون العرش ومن حوله» فهو غير هذا .

في وجه آخر هو العلم ، وسئل عن الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ الرحمن على العرش استوى فقال : استوى من كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء انتهى . وإنّما بسطنا الكلام في هذا المقام لصعوبة فهم تلك الأخبار على أكثر الأفهام .

أقول : قد مرّت الأخبار المناسبة لهذا الباب في باب إثبات الصانع ، وباب نفي الجسم والصورة ، وسيأتي في باب احتجاج أمير المؤمنين صلوات الله عليه على النصارى ، وباب العرش والكرسيّ ، وباب جوامع التوحيد .

إلى هنا تمّ الجزء الثالث من كتاب بحار الأنوار من هذه الطبعة
المزدانة بتعاليق نفيسة قيّمة وفوائد جمّة ثمينة ؛ ويساوي
هذا المجلّد مع ١٠٤ صفحة من ثاني أجزاء الطبع
الكمباني ويحوي ٢٧٦ حديثاً في ١٤ باباً
والله الموفّق للخير
والرشاد
جمادي الثانية ١٣٧٦ هـ

فهرست مافي هذا الجزء

(رموز الكتاب)

- ب : لقرب الاسناد .
- بشا : لبشارة المصطفى .
- تم : لفلاح السائل .
- ثو : لثواب الاعمال .
- ج : للاحتجاج .
- جا : لمجالس المفيد .
- جش : لفهرست النجاشى .
- جع : لجامع الاخبار .
- جم : لجمال الاسبوع .
- جنة : للجنة .
- حة : لفرحة الغرى .
- ختص : لكتاب الاختصاص .
- خص : لمنتخب البصائر .
- د : للعدد .
- سر : للسرائر .
- سن : للمحاسن .
- شا : للارشاد .
- شف : لكشف اليقين .
- شى : لتفسير العياشى .
- ص : لقصص الانبياء .
- صا : للاستبصار .
- صبا : لمصباح الزائر .
- صح : لصحيفة الرضا (ع) .
- ضا : لفقه الرضا (ع) .
- ضوء : لضوء الشهاب .
- ضه : لروضة الواعظين .
- ط : للصراط المستقيم .
- طا : لامان الاخطار .
- طب : لطب الائمة .
- ع : لعلل الشرائع .
- عا : لدعائم الاسلام .
- عد : للعقائد .
- عدة : للعدة .
- عم : لاعلام الورى .
- عين : للعيون والمحاسن .
- غر : للغرر والدرر .
- غط : لغيبة الشيخ .
- غو : لغوالى اللئالى .
- ف : لتحف العقول .
- فتح : لفتح الابواب .
- فر : لتفسير فرات بن ابراهيم
- فس : لتفسير على بن ابراهيم
- فض : لكتاب الروضة .
- ق : للكتاب العتيق الغروى
- قب : لمناقب ابن شهرآشوب
- قبس : لقبس المصباح .
- قضا : لقضاء الحقوق .
- قل : لاقبال الاعمال .
- قية : للدروع .
- ك : لاكمال الدين .
- كا : للكافى .
- كش : لرجال الكشى .
- كشف : لكشف الغمة .
- كف : لمصباح الكفعمى .
- كنز : لكنز جامع الفوائد و تاويل الايات الظاهرة معاً .
- ل : للخصال .
- لد : للبلد الامين .
- لى : لامالى الصدوق .
- م : لتفسير الامام العسكرى (ع) .
- ما : لامالى الطوسى .
- محص : للتمحيص .
- مد : للعمدة .
- مص : لمصباح الشريعة .
- مصبا : للمصباحين .
- مع : لمعانى الاخبار .
- مكا : لمكارم الاخلاق
- مل : لكامل الزيارة .
- منها : للمنهاج .
- مهج : لمهج الدعوات .
- ن : لعيون اخبار الرضا (ع) .
- نبه : لتنبيه الخاطر .
- نجم : لكتاب النجوم .
- نص : للكفاية .
- نهج : لنهج البلاغة .
- نى : لغيبة النعمانى .
- هد : للهداية .
- يب : للتهذيب .
- يج : للخرائج .
- يد : للتوحيد .
- ير : لبصائر الدرجات .
- يف : للطرائف .
- يل : للفضائل .
- ين : لكتابى الحسين بن سعيد او لكتابه والنوادر .
- يه : لمن لايحضره الفقيه .